الاشراف العام
أ.د.عادل نذير بيري

الإعداد والتحرير
م.م.ياسين خضير الجنابي
حسن علي المرسومي

المراجعة العلمية و التدقيق اللغوي
أ.د داود سلمان الزبيدي
أ.د. شعلان عبد علي سلطان
أ.د.ليث قابل الوائلي
م.د.أحمد الغانمي
السيد هادي الحلو

الترجمة
د. مجتبى الحلو

التصميم
علي طالب
علي عبد الحليم

Proceedings of the Second conference of the House (Dar al -Rasul al-A›tham of the Great Prophet (PBUH)) Researchs and activities-4-

General Supervision
Prof Dr. `Adil Natheer AL.Hassani

Editing
asst. Lect. Yassin Khudhair Al - Janabi
Hassan Ali El Marsoumi

Proofreading
Prof. Dr. Dawood Salman Al-Zubaidi
Prof. Dr. Shaalan Abdul Ali Sultan
Prof. Dr. Laith Qabil Waeli
Lect. Dr. Ahmed al ghanemi
Mr. Hadi Al-helo

Translation
Dr. Mojtaba Al-Helo

design
Ali abdulhaleem
Karar Aamir Al-Safy

الترقيم الدولي المعياري
ISPN: 978-9922-680-46-0

العتبة العباسية المقدسة. دار الرسول الاعظم ﷺ، مؤلف.
وقائع مؤتمر دار الرسول الاعظم ﷺ الدولي الثاني : بحوث وفعاليات. الجزء الرابع = Proceedings of the Second conferenceof the House (Dar al –Rasul al-Atham of the Great Prophet(pbuh) : Researchs and activities-4-.-الطبعة الاولى.- كربلاء [العراق] : العتبة العباسية المقدسة، دار الرسول الاعظم ﷺ، ١٤٤٤ هـ. = ٢٠٢٣.
مجلد ؛ ٢٤ سم
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
النص باللغتين العربية والانجليزية ويتضمن مستخلصات باللغة العربية والانجليزية.
١. محمد (ﷺ)، نبي الاسلام، 53 قبل الهجرة-١١ هجري. ٢. السيرة النبوية (شيعة). أ. العنوان.

LCC : BP75.2 .A839б 2023
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
فهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق
ببغداد (٢٧٨٣) لسنة ٢٠٢٣

المحتويات

المحور الثاني

• تعامل النبي a مع غيرة ازواجه -دراسة في اخلاقيات الأسرة النبوية-	أ. م. د. سامي جودة الزيدي	٩
• أزواج النبي ﷺ -دراسة تاريخية -	أ.م.د. مها وضاح عبد الأمير/ جامعة بغداد	٢٧
• الفروق اللغوية بين الإمامة والخلافة والولاية	أ.م.د. سحر ناجي فاضل المشهدي	٧٥
• موقف النبي ﷺ من المنافقين في المنظور القرآني	أ. م. د. خالد يونس النعماني أ. م. د. محمد خضير عباس الجيلاوي	١٠١
• لحظات نزول الوحي على النبي الاعظم ﷺ	م. د. نزار ناجي محمد	١٥١
• أبو طالب عليه السلام وجهوده في بناء الإسلام -دراسة تحليلية في رعاية الرسول الأكرم محمد ﷺ وحمايته-	م. د. وسن صاحب عيدان	١٨١
• المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع المكي في عهد الرسول ﷺ	د.اكسم فياض د.عبدالكريم جعفر الكشفي	٢١٩
• القيم التربوية في حياة رسول الله ﷺ الأسرية	د. جعفر هاشم جواد الحكيم	٢٤٩
• الهجرة النبوية المباركة مقاربة نقدية لمروياتها	د. بان صادق عيدان جودت الله الخرسان	٢٩٣

• سـيد البطحاء وموقفه ازاء الدعوة الإسلامية	د. علياء سعيد ابراهيم	٣٢٣
• مصـادر القـرآن الكريم في الرؤية الاستشراقية	د. نعمة حمد ياسين النَّجار	٣٤٧
• التسـامح في فكر وسـلوك رسول الله ﷺ	د. سوسم وحيد جبار	٣٧٥
• الوحي المحمدي	م.م. رغد اسماعيل عريبي المحمدي	٤٠٣
• فعاليـة الإشـاعة في عصر الرسـول محمـد ﷺ وكيفية مواجهتها	م. مازن خضير عباس حسين الغزي	٤٢٣
• نقد المنهج الاستشراقي في دراسة روايات المبعث النبوي الشريف	الباحث حيدر فرج الساعدي	٤٤٣

تعامل النبي ﷺ مع غيرة ازواجه
-دراسة في اخلاقيات الأسرة النبوية-

أ. م. د. سامي جودة الزيدي

Dealing of the Prophet (PBUH) with the jealousy of his wives
A study in the ethics of the Prophet›s family

Asst.Prof.Dr. Sami Gouda Al-Zaidi

الملخص البحث

درس البحث السلوك المتسامح للنبي ﷺ في التعامل مع ازواجه، والكيفية التي حافظ بها النبي على اسرته مترابطة متكاملة، تسودها اجواء التسامح والالفة، مع التأكيد ان نساء النبي ﷺ لم يكن مختلفات عن باقي النسوة في التكوين والفطرة البشرية، فقد كانت بينهن غيرة كبيرة ومكائد تصل الى عمل بعض المؤامرات، وقد تغضب بعضهن على النبي ﷺ نتيجة الغيرة الحادة والشديدة كونه تعامل مع احداهن تعاملاً خاصاً، ولكن النبي ﷺ يفهم جيدا انها امرأة ولها عاطفة قد يصعب السيطرة عليها، فنجده يتعامل معها بابتسامة واحيانا يضحك لسلوك بعض ازواجه. كل هذه الاخلاقيات تدل دلالة واضحة على حسن التعامل النبي ﷺ مع اهل بيته من النساء.

Abstract

A study of the Prophet's (PBUH) treatment of his wives' change, a study in the ethics of the Prophet's family

The research dealt with the tolerant behavior of the Prophet (peace be upon him) in dealing with his husbands, and the way in which the Prophet preserved his coherent and integrated religion, in an atmosphere of tolerance and intimacy, with an emphasis that the Prophet's wives were not different from the rest of the women in formation and human instinct, as there was great jealousy among them Machinations with each other amount to plotting, and some of them may get angry at the Prophet (peace be upon him) as a result of intense and intense jealousy because he dealt with one of them in a special way, but the Prophet (peace be upon him) understands very well that she is a woman and has an emotion that may be difficult to control, so we find him dealing with her with a smile and sometimes Laughing at the behavior of some of his spouses. All of these morals indicate a clear indication of the good dealings of the Prophet with the women of his household.

المقدمة

لقد كان للنبي ﷺ تعامل خاص مع ازواجه في كل امور الحياة، فهو الزوج الرحوم المشفق على نسائه يتعامل معهن بروح العاطفة المتدفقة، يحرص على ان يعدل ما استطاع بينهن، فقد روى الترمذي عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي).

قال ابن كثير: « وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العِشْرَة دائم البِشْرِ، يداعب أهله، ويَتَلَطَّفُ بهم، ويُوسِّعُهُم نَفَقَته، ويُضاحِك نساءَه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يَتَوَدَّدُ إليها بذلك، قالت سَابَقَنِي رسولُ الله ﷺ فَسَبَقْتُهُ، وذلك قبل أن أحملَ اللحم، ثم سابقته بعد ما حملتُ اللحمَ فسبقني، فقال « هذِهِ بتلْك »، ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كَتِفَيْه الرِّداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يَسْمُر مع أهله قليلا قبل أن ينام، يُؤانسهم بذلك ﷺ.

وبيت النبوة ربما كان يحدث فيه المرة بعد المرة شيء من ذلك التعب والتكدير ؛ وكان بين نسائه من التغاير ما يحدث مثله، أو شبيهه بين النساء؛ وإذا كان النبي ﷺ معصوما، فنساؤه وإن كن خير النساء ؛ فلم يكُنَّ معصومات ؛ قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ سورة الأحزاب / ٢٨ - ٢٩.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: « لما اجتمع نساء رسول الله ﷺ في الغيرة، وطلبن منه النفقة والكسوة، طلبن منه أمرًا لا يقدر عليه في كل وقت، ولم يزلن في طلبهن متفقات، في مرادهن متعنتات، شَقَّ ذلك على

الرسول ﷺ حتى وصلت به الحال إلى أنه آلى منهن شهرًا»[١].

وروى البخاري عن ابن عباس - في قصة هجر النبي ﷺ لزوجاته - يرويه عن عمر بن الخطاب والحديث طويل، وفيه: (... وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الْأَنْصَارِ إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ، فَصِحْتُ عَلَى امْرَأَتِي، فَرَاجَعَتْنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ؟! فَوَ اللهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ، وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ)[٢].

هنا لابد من القول ان بيت النبي لم يكن يخلو من امر الغيرة والتنافس بين الزوجات، وليس ذلك من باب التنقص من النبي ﷺ بل ان المعقول جدا ان تظهر مثل تلك التصرفات والسلوكيات لأن نساء النبي ليسن بالمعصومات عن الخطأ، كما ان الانسان بطبيعته، له غرائز ودوافع وانفعالات بوصفه، ومن الطبيعي ان نجد نساء النبي يتعاملن مع طبيعتهن البشرية، كما لا يخفى ما في ذلك من منافع لتربية الناس على كيفية التعامل متأسين بسيرة النبي في ضبط ايقاعات الانفعال الذي يحدث لزوجاته، وهذا ايضا يحمل دلالة عظيمة على ان البشر يظل يسعى الى غاياته مهما علا مقامه، وهو محط اختبار حقيقي في ضبط سلوكه والحد من انسيابية رغبات النفس وانزلاقها في ملذات الحياة، وحرصها على تحقيق حياة زائلة.

وموقف آخر تعامل معه النبي ﷺ بحكمة شديدة، وذلك عندما دخل النبي ﷺ ذات يوم على السيدة صفية وهي تبكي فقال لها: «ما يبكيك؟» فقالت: «حفصة قالت: «إني ابنة يهودي»، فقال النبي ﷺ «إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي»، ففيم تفخر عليك؟»[٣]، وفي رواية قولي لها: «زوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى»[٤].

لقد كان النبي ﷺ يتعامل مع المواقف التي تثيرها نساءه بحكمة ورد جميل، فهو يهدأ نفوس بعضهن بكلام لطيف، ويحاول ان يجعل الترضية بينهن هو الحل الامثل لاستمرار العلاقة الاسرية بينهن. فالتي تسعى الى خلق اجواء مشحونة بالغيرة، والتي تؤثر في نفس الاخرى منهن، يسارع النبي لردم الفجوة التي تخلق في داخلهن ويرمم علاقتهن ببعضهن بكلماته الرحيمة وعظمة حكمته، فتعود النفوس هادئة راضية، ويسود الاسرة الطمأنينة والسكينة.

وهكذا كان النبي ﷺ يعلم أن الغيرة طبع أصيل في المرأة، وأنه دليل حب كبير. ففي كثير من مواقف الغيرة التي تقع بين زوجاته، كان يتعامل معها بحكمة ورحمة، وكانت كلمات الدعابة حاضرة دائما في ملاطفة نسائه، جاء عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان في مسير له، وكان حاد يحدو بنسائه أو سائق، وهو غلام أسود يقال له «أنجشة»، وكان حسن الصوت، فاشتد في السياقة. فقال له رسول الله ﷺ «يا أنجشة رويداً سوقك بالقوارير»[٥]. وفى رواية: «ارفق يا أنجشة ويحك بالقوارير»[٦]. يعني بالقوارير ضعفة النساء. (والقوارير جمع قارورة، وهي الزجاجة، كنّى عن النساء القوارير لرقتهن وضعفهن عن الحركة، والنساء يشبهن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية[٧].

وقالت جويرية ذات يوم للنبي ﷺ «إن نساءك يفخرن علي»، فقال لها «أولم أعظم صداقك، ألم أعتق كل أسير من بني المصطلق؟»[٨]. ومن لطيف إجابته ﷺ أن فاطمة عليها السلام ذكرت لرسول الله ﷺ ما قالته عائشة، فقد قالت لها مرة «إن رسول الله تزوجني بكرا وتزوج أمك ثيبا»، فذكرت فاطمة باكية لأبيها ما قالته عائشة، فقال لها رسول الله ﷺ قولي لها« إن أبي تزوج أمي وهو بكر ولم يتزوج قبلها»[٩].

ولعل ما جاء في رواية خروج النبي ﷺ الى البقيع وهو في بيت عائشة ذات ليلة فيه من عظيم الدرس العملي الذي قدّمه النبي ﷺ لأمته في حسن العشرة ومراعاة المشاعر، عبر خشيته في إيقاظ زوجته وحرصه على الخروج بهدوء، نلحظ ذلك من طريق عددٍ من الألفاظ التي تكرّرت في الحديث، كقولها (فلم يلبث إلا ريثما ظنّ أين قد رقدت) و (فأخذ رداءه رويدا وانتعل رويدا)و (أجافه رويدا)[١٠]، وعلى الرغم من هذه الرّقة المتناهية والحنان البالغ، نجده لا يتردّد في معاتبة عائشة بالقول والفعل، وليس هناك تناقضٌ بين الموقفين، بل هو تعامل مع كلٍّ منهما بما يُناسب، والحكمة أن تضع الشيء في موضعه كما هو معروف، وهذا التأديب في إطاره المقبول، الذي لا يكسر سنّاً، أو ينكأ جرحاً، أو غير ذلك مما جاء تحريمه.

مواقف الغيرة وموقف النبي منها

جاء في التفسير ان نساء النبي ﷺ اجتمعن وطلبن منه النفقة والكسوة، طلبن منه أمرًا لا يقدر عليه في كل وقت، ولم يزلن في طلبهن متفقات، في مرادهن متعنتات، وقد شَقَّ ذلك على الرسول ﷺ، حتى وصلت به الحال إلى أنه آلى منهن شهرًا (أي تركهن). فاراد الله ان يخفف عنه تعنت ازواجه فأنزل عليه آية جعل فيها النساء امام امر مهم[١١] حيث قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا**﴾الاحزاب/ ٢٨.

حملت كتب التراث وقائع متعددة في غيرة نساء النبي ﷺ، منها واقعة من تدبير السيدة عائشة والسيدة حفصة، فدبرتا مكيدة لأسماء بنت النعمان الكندية، لما جاء أبوها النعمان، وهو من سلالة ملوك كندة، يعرض زواجها على الرسول ﷺ قائلا: ألا أزوجك أجمل

أيـم في العـرب؟ وقبـل الرسـول ﷺ الـزواج مـن ابنـة النعـمان، فزوجهـا لـه أبوهـا، وبعـث محمـد مـع النعـمان مـن يـأتي بأسـماء مـن نجـد، فلـما جـيء بهـا إلى المدينـة انزلـت في بنـي سـاعدة حتـى تهيـأ لزفافهـا عـلى الرسـول ﷺ. جـاءت أسـماء ورآهـا بعـض نسـاء المدينـة، فرحـن يذعـن مـا رأيـن مـن حسـنها وجمالهـا، وقالـت عائشـة لحفصـة: قـد وضـع يـده في الغرائـب يوشـكن أن يصرفـن وجهـه عنـا، ولم تسـتطع عائشـة إلا أن تصطحـب حفصـة، وبعـض نسـاء النبـي ﷺ فيذهبـن ليريـن هـذه الوافـدة الغريبـة الجميلـة، التـي أوشـكت أن تـصرف وجـه زوجهـن عنهـن. ولمـا رأت عائشـة ومعهـا نسـاء النبـي ﷺ «أسـماء الكنديـة» رأيـن مـا مـلأ قلوبهـن غـيرة، فأقبلـن عليهـا يزينّهـا ويجمّلنهـا ويقدمـن لهـا نصيحتهـن قائـلات لهـا: إذا أردت أن تكـوني ذات حظـوة عنـد النبـي ﷺ فـإذا دخـل عليـك فقـولي: إني أعـوذ بـالله منـك، فـإن ذلـك يـسرّه ويعجبـه. وعملـت أسـماء بنصيحـة نسـاء النبـي ﷺ فلما دخـل إليها النبي محمـد ﷺ وأقبل عليهـا، ابتـدرت قائلـة «أعـوذ بـالله منـك»، فوقـف الرسـول ﷺ حيـث هـو، ثـم اسـتدار عنهـا وهـو يقـول «عـذت بمعاذ....عذت بمعـاذ»، ثم خرج إلى رسـوله الـذي أتـى فقـال لـه «متعهـا وردهـا إلى أهلهـا»، وعـادت أسـماء إلى أهلهـا تقـص عليهـم نصيحـة النسـاء، نسـاء النبـي ﷺ التـي خدعوهـا بهـا، وأرسـل النعـمان إلى النبـي محمـد ﷺ مـن يعرّفـه بـما كان مـن خديعـة ابنتـه، وبـما قـال نسـاؤه لهـا، فقـال النبـي محمـد ﷺ «إنهـن صواحـب يوسـف، وكيدهـن عظيـم[١٢] وهكـذا تخلصـت عائشـة بمصاحبـة حفصـة مـن منافسـة كانـت تعتقـد أنهـا سـتكون عليهـا وعـلى سـائر نسـاء النبـي ﷺ ذات خطـر كبـير، وهكـذا كان النبـي ﷺ يـضرب صفحًـا عـن غـيرة عائشـة الضاريـة، ويقـول فيـما كانـت تأتـى بسـببها مـن أفعـال مثـيرة للدهشـة، كان يعلـق عـلى ذلـك قائـلا «ويحهـا، لـو اسـتطاعت مـا فعلـت)[١٣].

وكان رسول الله ﷺ يراعي مشاعر زوجاته ويحرص على عدم تلبيد الجو الاسري بمشاكل وهموم فهو يعلم مدى غيرة المرأة عندما تكون لها شريكة في بيت الزوجية، ويعلم ان الرجل لابد ان يسعى الى تجاوز مشاكل الغيرة التي ان قوبلت بحدية ممكن ان تعود بالسلب على البيت والاسرة وتكون سببا في تدميره وتشتيت افراده وتشظية عاطفته بخلافات قد لا تنتهي الا بالانفصال، فقد روى أنس بن مالك قال: (كان الرسول ﷺ في بيت عائشة، وكان لديه بعض الضيوف دعاهم إلى تناول الطعام، فسمعت زينب بنت جحش بذلك، فأرسلت مع خادمتها صحفة فيها ثريد عليه ضلع شاة، وهو الطعام الذي تعرف أن الرسول ﷺ كان يفضله على سائر الأطعمة الأخرى.وما كادت عائشة ترى «الصحفة» في يد الخادمة، حتى اشتعلت نار الغيرة في قلبها الطاهر العفيف، وضربتها بيدها فوقعت «الصحفة» على الأرض، وتناثر منها ما كان بها من طعام وانفلقت الصحفة ودخلت عائشة تبكي في غرفتها، أما الرسول الكريم الحليم ﷺ فابتسم وقال لمدعويه: «غارت أمكم...غارت أمكم)[١٤].

والواضح من الروايات ان اشد نساء النبي ﷺ غيرة كانت عائشة، وكانت تظهر انفعالها وتتصرف بسلوك عنيد امام النبي ﷺ والنبي حرص على معاملة تلك الغيرة بود وكان يصفح عن تصرفاتها ويحسن اليها ويعذرها في ما كانت تقوم به من سلوك فقد روي ان عائشة كانت تقول: ألا أحدثكم عن النبي ﷺ وعني قلنا بلى قالت لما كانت ليلتي انقلب فوضع نعليه عند رجليه ووضع رداءه وبسط إزاره على فراشه ولم يلبث إلا ريثما ظن أني قد رقدت ثم انتعل رويدا وأخذ رداءه رويدا ثم فتح الباب رويدا وخرج وأجافه رويدا وجعلت درعي في رأسي فاختمرت وتقنعت إزاري وانطلقت في إثره حتى جاء البقيع فرفع يديه ثلاث مرات وأطال القيام ثم انحرف وانحرفت فأسرع فأسرعت فهرول فهرولت فأحضر

فأحضرت وسبقته فدخلت وليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال مالك يا عائشة حشيا، رابية؟ قالت لا، قال لتخبرني أو ليخبرني اللطيف الخبير قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته الخبر قال فأنت السواد الذي رأيت أمامي قلت نعم قالت فلهدني لهدة في صدري أوجعتني قال أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله قالت مهما يكتم الناس فقد علمه الله عز وجل قال نعم قال فان جبريل عليه السلام أتاني حين رأيت ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك فناداني فأخفى منك فأجبته وأخفيته منك وظننت أنك قد رقدت فكرهت أن أوقظك وخشيت أن تستوحشي فأمرني أن آتي أهل البقيع فأستغفر لهم [١٥].ومع ذلك لم يغضب النبي ﷺ من عائشة ولم يؤنبها على فعلها ولم يعاتبها، وكان يعلم ان المرأة إذا غارت تصنع الكثير، فكان كثيرا ما يواجه سلوكها بالابتسامة الجميلة والرفق والصفح الحسن.

وفي رواية قالت عائشة فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه فتجسسته فإذا هو راكع أو ساجد يقول سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت فقلت بأبي وأمي إنك لفي شأن وإني لفي شأن آخر [١٦].

وكانت عائشة تغار من السيدة خديجة عليها السلام ولم تكن قد رأتها، وتصرح بذلك علانية، وكانت الصريحة في التعبير عن غيرتها واحساسها النفسي اتجاه السيدة خديجة عليها السلام قائلة: «ما كنت أغار من زوجة مثلما كنت أغار من خديجة، مع أنني لم أدركها لكثرة ما كان الرسول ﷺ يذكرها)[١٧].

وقالت مرة للرسول ﷺ وقد رأته لا ينقطع عن ذكرها: (كأن لم تكن في الدنيا امرأة إلا خديجة)[١٨]، وغضب النبي ﷺ ذات مرة حين قالت له «ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت في الدهر، وقد أبدلك الله خيرا منها؟»، فقال لها الرسول ﷺ غاضبا: «والله ما أبدلني الله خيرا منها، آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني

منهـا الله الولـد»، فقطعـت عائشـة وعـدا عـلى نفسـها بـألا تذكرهـا أبـدًا[١٩].

لقـد كان رسـول الله ﷺ يواجـه غـيرة عائشـة بالتبسـم واللـين مـع انهـا كانـت تعلـن صراحـة عـن تلـك الغـيرة ولا تخفيهـا وتتـصرف وفـق مـا تشـعر بـه مـن احسـاس نفسـي وهيجـان انفعالي، ولربـما دعتها غيرتها احيانا الى ان تقول اشياء لا تقبـل منهـا، الا ان النبـي كان يتبسـم لهـا ويعاملهـا بلطـف وهـو يعلـم ان غيرة المـرأة قـد تكـون خـارج ارادتهـا. فـذات مـرة كان النبـي جالسـاً معهـا يحدثهـا ويتلطـف بهـا فقـال لهـا وقـد كانـت تشـكو صداعـا، وتتوجـع قائلـة «وارأسـاه»، فقـال لهـا: «بـل أنـا والله يـا عائشـة وارأسـاه»، وداعبهـا قائـلا: «مـا ضرك لـو مت قبـلي، فقمـت عليـك وكفنتـك وصليـت عليـك ودفنتـك»، فهاجـت غيرتهـا وقالـت: «ليكـن ذلـك حـظ غـيري، والله لـكأني بـك لـو قـد فعلـت ذلـك لقـد رجعـت إلى بيتـي فأعرسـت فيـه ببعـض نسـائك» فتبسـم رسـول الله ﷺ[٢٠].

ولم تتوقـف غـيرة عائشـة وازواج النبـي عنـد الانفعـال فقـط انـما تعـداه الى التحايـل والمؤامـرات عـلى بعضهـن البعـض بمجـرد ان النبـي يميـل الى بعضهـن لأسـباب معينـة يراهـا تسـتحق منـه ذلـك، فقـد تآمـرت عائشـة مـع سـودة بنـت زمعـة عـلى النبـي ﷺ بعـد ان رأت عائشـة انـه يطيـل المكـوث عنـد حفصـة وانهـا كانـت تسـقيه عسـلا واتفقـت عـلى ان تجعلـه يـترك حفصـة ومـا كانـت تسـقيه. فقـد روي عـن عائشـة قالـت: كان رسـول الله ﷺ يحـب الحلـوى ويحـب العسـل وكان إذا صـلى العـصر دار عـلى نسـائه فيدنـو منهـن فدخـل عـلى حفصـة فاحتبـس عندهـا أكثـر ممـا كان يحتبـس فسـألت عـن ذلـك فقيـل لي أهـدت لهـا امـرأة مـن قومهـا عكـة عسـل فسـقت رسـول الله ﷺ منـه فقلـت أمـا والله لنحتالـن لـه فذكـرت ذلـك لسـودة وقالـت إذا دخـل عليـك فإنـه سـيدنو منـك فقـولي لـه يـا رسـول الله أكلـت مغافـر فإنـه سـيقول لـك لا فقـولي لـه مـا هـذه الريـح وكان رسـول الله ﷺ يشـتد عليـه ان يوجـد منـه ريـح فإنـه سـيقول لـك سـقتني حفصـة شربـة عسـل فقـولي لـه جرسـت نحلـه العرفـط وسـأقول لـه

ذلك فقولي له أنت يا صفية فلما دخل على سودة قالت سودة والذي لا إله إلا هو لقد كدت ان أبادءه بالذي قلت لي وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا رسول الله ﷺ قلت يا رسول الله أكلت مغافر قال لا قلت فما هذه الريح قال سقتني حفصة شربة عسل قلت جرست نحله العرفط فلما دخل على قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت يا رسول الله ألا أسقيك منه قال لا حاجة لي به قال تقول سودة سبحان الله والله لقد حرمناه قلت لها اسكتي[٢١].

وكانت عائشة نتيجة هذه الغيرة تقبح على النساء اللاتي وهبن انفسهن لرسول الله ﷺ وكانت تعيرهن لذلك حتى انها اعلنتها صراحة وهي تقول: (اتهب المرأة نفسها)[٢٢]، حتى انها لم تضبط ايقاعاتها النفسية، ولم تكن تسيطر على انفعالاتها، فلما نزلت على النبي آية ﴿**تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا**﴾الاحزاب/ ٥١.قالت عائشة للنبي ﷺ وقد طفحت غيرتها (ما أرى ربك إلا يسارع في هواك)[٢٣].

ولم يكن نساء النبي ﷺ كغير النساء فقد كن يغُرنَ كثيرا، وتظهر عليهن الكثير من الانفعالات، فعندما تزوج ام سلمة ظهرت تلك الغيرة حتى بدت على عائشة وحفصة فعن عروة عن عائشة قالت لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة حزنت حزنا شديدا لما ذكر لنا من جمالها فتلطفت حتى رأيتها فرأيت والله أضعاف ما وصفت فذكرت ذلك لحفصة فقالت ما هي كما يقال فتلطفت لها حفصة حتى رأتها فقالت قد رأيتها ولا والله ما هي كما تقولين ولا قريب وأنها جميلة قالت فرأيتها بعد ذلك فكانت كما قالت حفصة ولكني كنت غيرى وكانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع والعقل البالغ والرأي الصائب[٢٤].

ولعل غيرة عائشة دفعتها ان تقول عن صفية (يهودية) مع انها اسلمت وتزوجها النبي ﷺ الا ان عائشة ابت الا ان تظهر غيرتها وجنون انفعالها بحضرة النبي. فقد روي ان النبي لما انزل صفية بن حيي ببيت حارثة بن النعمان ذهبت عائشة منتقبة لتنظر إليها، فلمحها الرسول ﷺ فتبعها وهي خارجة وأخذ بثوبها، وسألها ضاحكا: «كيف رأيت يا حميراء؟» فأجفلت وهزت كتفها استخفافا قائلة: «رأيت يهودية»، فرد عليها النبي ﷺ قائلا: «لا تقولي ذلك فإنها أسلمت وحسن إسلامها»[٢٥].

غيرة حفصة من عائشة أن النبي ﷺ في إحدى الغزوات اصطحب عائشة وحفصة، ولما رأت حفصة أن النبي ﷺ يقترب كثيرا من هودج عائشة ويكلمها انتظرت فرصة ابتعاد الرسول عن هودج عائشة، ثم جاءتها وأسرت إليها بكلام فتضاحكتا، ثم استبدلتا ركوبهما (زعمت حفصة أن المقلب سيكون برسول الله غير أنه في الحقيقة مقلب بعائشة)، ثم أقبل رسول الله ﷺ إلى هودج عائشة يكلمها وحفصة بداخله وعندما حط الركب في المساء وقصد الرسول الخباء وجد حفصة وقضى ليلته معها، وفات عائشة نصيبها ولامت نفسها.

عن ابن عباس انه رأت حفصة النبي في حجرة عايشة مع مارية القبطية قال أتكتميني على حديثي، قالت نعم قال فإنها علي حرام ليطيب قلبها فأخبرت عائشة وبشرتها من تحريم مارية، فكلمت عائشة النبي في ذلك، فنزل وإذ أسر النبي ﷺ إلى بعض أزواجه حديثا إلى قوله هو مولاي وجبريل وصالح المؤمنين[٢٦].

وفي رواية انها وجدت النبي ﷺ في بيتها فقد ذكرت الرواية، ان النبي ﷺ كان في بيت حفصة فزارت أباها فلما رجعت أبصرت مارية في بيتها مع النبي ﷺ فلم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت. فلما رأى النبي ﷺ في وجه حفصة الغيرة والكآبة قال لها لا تخبري عائشة ولك على أن لا أقربها أبدا، فأخبرت حفصة عائشة - وكانتا متصافيتين - فغضبت

عائشة، ولم تزل بالنبي ﷺ حتى حلف أن لا يقرب مارية، فأنزل الله آية التحريم[٢٧] ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾التحريم/ ١

ولا غرابة ان نجد كتب التاريخ والتراث الاسلامي تبحث بوضوح ما كان يحاك من مؤامرات ودسائس وتحايل واضح من نساء النبي ﷺ ومدى الغيرة التي وصلن لها، حتى انهن دفعن النبي ﷺ في بعض الاحيان الى تحريم بعض الاشياء جراء تلك المؤامرات مما جعل القرآن يأتي بآيات بينات يوضح تلك الدسائس والمخططات التي كانت تقوم بها بعض نساء النبي ﷺ. حتى انهن كن في احلك الظروف التي كان النبي يمر بها وهو على فراش الموت كن يغرن من بعضهن فقد اجتمعن عنده في مرض موته فقالت صفية بن حيي بن اخطب: (إني والله يا نبي الله وددت أن الذي بك بي»، فتبادلن نظرات ذات معنى، فقال لهن الرسول ﷺ «مضمضن»، فتساءلن في دهشة من أي شيء؟؟، فقال «من تغامزكن والله إنها لصادقة)[٢٨].

ومع ذلك نجد النبي ﷺ يتعامل مع تلك الغيرة تعامل الحسن والصفح، لم يغضب منهن او يعاتبهن بقسوة، انما في كثير من الاحيان كان يتبسم لهن، وهو يعلم ان الغيرة حالة نفسية في فطرة المرأة وانها من صفاتها التي من الصعب ترويضها، لذلك كان لين الجانب حسن المعاشرة، يتودد لهن ويلاطفهن، حتى انه ﷺ لما خطب ام سلمة التي رفضت كبار الصحابة بعد موت ابي سلمة، رضيت بطلب النبي ﷺ الزواج منها الا انها اخبرته انها (امرأة غيرى) أي شديدة الغيرى من النساء فقال رسول الله ﷺ سأدعو الله لك يذهب غيرتك [٢٩] وهذا يدل على تقبل النبي لشعورها واحساسه اتجاه ما كانت تحمله من عاطفة تدفعها الى الغيرة.

لقد حرص النبي ﷺ على استمرار اسرته عامرة ومستقرة رغم ان النساء كن على درجة من الغيرة وان بعضهن عملت الكثير من اجل ان تعرقل ارتباط النبي ﷺ ببعض النساء التي احلها الله له.ولكن النبي ﷺ تجاوز عن تلك الغيرة ليجعل حياة اسرته عامرة بالحياة والديمومة والاستمرار.

الهوامش البحث

١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان،ص٦٦٢.
٢) صحيح البخاري، ج٣، ص١٠٤.
٣) ابن حنبل، مسند احمد، ج٣، ص١٣٦.
٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٧٢.
٥) مسلم، صحيح مسلم، ج٧، ص٧٩.
٦) البخاري، صحيح البخاري، ج٧، ص١٢١.
٧) ابن حجر، فتح الباري، ج١٠، ص٤٥١.
٨) ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص١١٧.
٩) ابن الملقن، السول في خصائص الرسول ﷺ، ج١، ص٥٤.
١٠) مسلم، صحيح مسلم، ج٣، ص٦٤.
١١) السعدي، تيسير الكريم في كلام المنان، ص٦٦٢.
١٢) ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص١٤٤.
١٣) ابن حنبل، مسند احمد، ج٦، ص٧٦.
١٤) البخاري، ج٦، ص١٥٧؛ ابن حنبل، ج٣، ص١٠٥؛ النسائي، ج٧، ص٧٠.
١٥) النسائي، سنن النسائي، ج٧، ص٧٤؛ المزي، تهذيب الكمال، ج١٥، ص٤٧٣.
١٦) النسائي، سنن النسائي، ج٧، ص٧٢.
١٧) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢، ص١٣٤.
١٨) ابن اسحاق، سيرة ابن اسحاق، ج٥، ص٢٢٨.
١٩) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣، ص١٥٨، الصالحي، سبل الهدى والرشاد،ج٩، ص٣٨٦.
٢٠) ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج٢، ص٤٢٩.
٢١) البخاري، صحيح البخاري، ج٦، ص١٦٧؛ احمد ابن حنبل، مسند احمد، ج٦، ص٥٩.
٢٢) العيني، عمدة القاري، ج١٩، ص١١٩.
٢٣) البخاري، صحيح البخاري، ج٦، ص٢٤؛ ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص١٤١.
٢٤) ابن حجر، الاصابة، ج٨، ص٤٦٠.
٢٥) ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص١٢٥؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢،٢٣٧.
٢٦) ابن شهر اشوب، مناقب ال ابي طالب، ج٢، ص٢٧٤.
٢٧) النووي، المجموع، ج١٧، ص١١٣.
٢٨) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٣١٣؛ ابن حجر، الاصابة، ج٨، ص٢١٢.
٢٩) ابن حنبل، مسند احمد، ج٦، ص٣١٣؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢، ص٢٠٤.

المصادر والمراجع

ابن اسحاق، محمد بن يسار(ت١٥١هـ)
١- سيرة ابن اسحاق، تحقيق محمد حميد الله، معهد الدراسات والابحاث(د، ت).
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ).
٢- صحيح البخاري، دار الفكر (بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ).
٣- سنن الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر (بيروت١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
ابن حجر، أبو الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ).
٤- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار المعرفة (بيروت، د. ت)، ط٢.
٥- الاصابة في تميز الصحابة، تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
ابن حنبل، احمد (ت٢٤١هـ).
٦- مسند احمد، دار صادر (بيروت. د. ت).
الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)
٧- سير اعلام النبلاء، تحقيق، حسين الاسد، مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ط٩.
ابن سعد، محمد بن منيع (ت٢٣٠هـ).
٨- الطبقات الكبرى، دار صادر (بيروت، د.ت).
السعدي، عبد الرحمن بن ناصر
٩ـ تيسير الكريم في كلام المنان، مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)
ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله بن يحيى (ت٧٣٤هـ)
١٠ـ عيون الاثر (بيروت، ١٤٠٦هـ).
ابن شهر اشوب، ابو جعفر محمد بن علي (ت٥٨٨هـ)
١١ـ مناقب آل ابي طالب، الحيدرية (النجف ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م).
الصالحي، محمد بن يوسف الشامي (ت٩٤٢هـ).
١٢ـ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).
ابن عبد البر، محمد بن احمد الاندلسي (ت٤٦٣هـ).
١٣ـ الاستيعاب، تحق محمد علي محمد البجاوي، دار الجيل (بيروت ١٤١٢ ه).
العيني، ابو محمد محمود بن احمد (ت ٨٥٥هـ).
١٤ـ عمدة القاري في شرح صحيح بخاري، دار إحياء التراث العربي (بيروت. د. ت).

ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل (ت ٧٧٤هـ)
١٥- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة (بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٦م).
١٦- تفسير القرآن العظيم، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة(بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)
مسلم، ابو الحسن مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ).
١٧- صحيح مسلم، دار الفكر (بيروت. د. ت).
المزي، جمال الدين ابي الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ).
١٨- تهذيب الكمال، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م).
ابن الملقن، ابو حفص بن علي الانصاري،
١٩- غاية السول في خصائص الرسول ﷺ، دار البشائر الاسلامية(بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣)
النسائي، ابو عبد الرحمن، احمد بن شعبث (ت٣٠٣هـ).
٢٠- السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار سليمان وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).
النووي، محيي الدين (ت٦٧٦هـ).
٢١- المجموع، دار الفكر (بيروت. د. ت).

أزواج النبي ﷺ
-دراسة تاريخية -

أ.م.د. مها وضاح عبد الأمير/ جامعة بغداد

Wives of the Prophet (PBUH)
- Historical study -

A.M.D. Maha Wadah Abdul Amir
University of Baghdad

الملخص :

عنوان البحث: أزواج النبي ﷺ دراسة تاريخية.

محتويات البحث:

المبحث الأول: أسماء أزواج النبي ﷺ وصفاتهن:

أولاً: أزواجه ﷺ من دخل بهن.

ثانياً: أزواجه ﷺ من عقد عليهن ولم يدخل بهن.

المبحث الثاني: سيرة النبي ﷺ مع أزواجه:

أولاً: علاقة النبي ﷺ بأزواجه.

ثانياً: فضائل أزواج النبي ﷺ.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إنه لشرف عظيم أن يتناول المسلم سيرة نبيه المصطفى ﷺ بالبحث والدراسة؛ وذلك لأسباب عديدة، منها حب النبي ﷺ وآل بيته الطيبين الطاهرين، تلك المحبة التي بسببها اقتدى المسلم بنبيه ﷺ بروحه، وهاجر وجاهد في سبيل الله من دون أن يتردد فداء للحبيب المصطفى ﷺ، وهناك سبب آخر وهو الاقتداء بتلك السيرة المطهرة، فلابد لكل مسلم من التقيد والالتزام بسيرة نبيه محمد ﷺ، واتباع الفضائل وترك الرذائل، والتمسك بأخلاق النبي محمد ﷺ والسير على هداه ونهجه في الحياة.

إن أزواج النبي ﷺ جزء لا يمكن التغاضي عنه في سيرة المصطفى ﷺ، وتناولهن بالدراسة يعطي صورة كاملة، واضحة وصحيحة وماثلة للعيان عن علاقة النبي ﷺ بأزواجه، يمكن الرد بها على أي غزو فكري أجنبي، أو أفكار دخيلة تتهجم على الإسلام ونبيه المصطفى ﷺ. إذ إنه لابد من الرجوع إلى السيرة النبوية الشريفة واستلهام الدروس والعبر منها وتأكيد هوية الإسلام في وقت يكثر فيه أعداء الإسلام، في عالم سريع التطور والتغير، وبالتالي فإنه يبتعد بخطى سريعة عن دين الإسلام الحنيف

وسنته الشريفة المطهرة.

لقد تزوج النبي محمد ﷺ بثلاث عشرة امرأة، لكل منها صفات خاصة بها. ولقد تمتعت السيدة خديجة (سلام الله عليها) بمكانة بارزة، فكانت ذات مكانة عالية بين زوجاته ﷺ.

أما علاقة النبي ﷺ بأزواجه فكانت مثالاً ونموذجاً يحتذى به، في الأخلاق والمودة والرحمة، فضلاً عن الصدق، وحسن المعاشرة والعدالة والمشاورة واحترام الرأي وغيرها من الصفات التي تعكسها أخلاق النبي ﷺ الحميدة.

جدير بالذكر أن أزواج النبي ﷺ قد تمتعن بفضائل ميزتهن عن غيرهن من نساء العالمين، مثل تلقيبهن بأمهات المؤمنين، وعدم الزواج بعد النبي ﷺ، وعلو المكانة وغيرها.

أما فيما يتعلق بأخلاق النبي ﷺ مع أزواجه، فإن المتأمل في سيرة الرسول ﷺ يشهد كثيراً من الأمثلة الرائعة على الأخلاق الحميدة.

وأما معاملته ﷺ لهن فكانت قائمة على الاحترام وتأكيد المكانة اللائقة بهن ومشاورتهن والأخذ برأيهن وغيرها.

وبالنسبة لعلاقة النبي ﷺ بأقارب أزواجه، فإنها كانت قائمة على الاحترام وصلة الرحم وإيتاء ذي القربى.

فضلاً عن ما تقدم، فإن الكثيرين قد هاجموا الإسلام بمسألة تعدد الزوجات، وللرد على ذلك نقول إن ذلك كان تبعاً لمقتضيات الحاجة في ذلك الوقت.

Abstract

Pairs of the prophet (peace be upon him) Study of the history of the building of the First: names of the husbands of the Prophet's.

Tirst: husbands of the income of them Second. Husbands who held them and did not enter them. The Second building: biography of the Prophet with their husbands First, mark prophet passed. The First: Sign of the Prophet Passed. Second: the Virtues of the husbands, the Prophet. praise be to Allah and peace on our master Muhammad and the God of the People what and followed them Charitably to the day of judgment.

It's agreat honor to address the Muslim biography of the Prophet by the termresearch and study Formany rea Sons including love of the prophet and his house the People what that station That's because it redeemed the Muslim Prophet with His Spirit and Migrated and Struggled for God's Sake without leaving the Scapegoat for your beloved term of There is another reason it is a proposal that Mr. Clean ser is amust for every muslim A dhrence to the rule of the prophet and on his approach in life.

That the husbands of the prophet Part Can't be over looked About him in the biography of the terms and fields of study gives a Complete picture, Clear It is true and Present danger to the eyes From the Sign of the Prophet bases could reply on any a ttack the idea of a Foreign or ideas, the gimmicky Sative on Islam, its prophet and the term because you must Consult the authority of the prophetic and inspiring lessons Including the dealer identification to the bathroan in time where the enemies of Islam and the world of fast development and Change, there fore, his Smile is Fast paced From the religion of Islam gear Cleaner the Company Culture. I the prophet married thirteen woman for each of them Qualities of its own and lenjoyed Ms, Khadija aprominent place, there was no place high among his wires or the Sign of the Prophet Passed was agreat example in morals and comp assion

as well as honesty and good Calibration; justice and consultation Respect for Rai and other qualities that reflect its moral prophet officesl pairs the Prophet, may extend the Virtues of the advantage of them a bout the other Women of the World like Calling their mothers of the belivers and non-marriage, etc…

Or in respect of the latest divorce of the Prophet with their husbands Van up in the biography of the messenger witness a lot of examples of Wonderful, good manners and Flashing treatment they were based on probability, Confirmation to place them professional. As regards the relationship of the prophet, his relatives husbands Van it was based on Fraud Kinship white See. As well as offering Van a lot of People have attacked Islam the issue of Polygamy in response we Say that he was depending on need.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إنه لشرف عظيم أن يتناول المسلم سيرة نبيه المصطفى ﷺ بالبحث والدراسة وذلك لأسباب عديدة، منها حب النبي ﷺ وآل بيته الطيبين الطاهرين، تلك المحبة التي بسببها اقتدى المسلم بنبيه ﷺ وهاجر وجاهد في سبيل الله من دون تردد فداء للحبيب المصطفى ﷺ، فضلاً عن الاقتداء بتلك السيرة المطهرة، فلابد لكل مسلم من التقيد والالتزام بسيرة نبيه محمد ﷺ واتباع الفضائل وترك الرذائل، والتمسك بأخلاق النبي الهادي ﷺ والسير على نهجه في الحياة.

محتويات البحث:

المبحث الأول: أسماء أزواج النبي ﷺ وصفاتهن.

أولا: من دخل بهن ﷺ.

ثانياً: من لم يدخل بهن ﷺ.

المبحث الثاني: سيرة النبي ﷺ مع أزواجه.

أولاً: علاقة النبي ﷺ بأزواجه.

ثانياً: فضائل أزواج النبي ﷺ.

المبحث الأول

أسماء أزواج النبي ﷺ وصفاتهن

أولاً: من دخل بهن ﷺ:

كانت النماذج المباحة للنبي ﷺ من النساء ثلاثة:

أزواجه اللاتي آتاهن أجورهن، عن أبي حاتم أنهن ثلاث عشرة امرأة.

ما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك، وليست مقيدة بقيد.

وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك، وقيدهن أن يكن هاجرن مع النبي ﷺ.

وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، ولا شرط في الواهبة إلا قبولها من النبي ﷺ [١].

إن السبب الرئيس في إطلاق الزواج كان كما ذكر في كتابه تعالى ﴿**لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ**﴾ [٢]، وقال تعالى ﴿**تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ**﴾ [٣]. وحكمة ذلك الميزان في هذا الأمر، ولم تعطَ لأي بشر غيره. ومن إكرام النبي ﷺ كان إكرام نسائه، قال تعالى ﴿**وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ**﴾ [٤]. فعن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في اليوم المرأة منا بعد أن نزلت الآية ﴿**تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ...**﴾ [٥].

إذن، فالمباحات في زواج النبي ﷺ كان لسبب جوهري في كل حالة، وقد تعامل ﷺ بحكمة مع كل منها.

عدد أزواجه ﷺ:

إن النبي ﷺ تزوج خمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة منهن، واجتمع عنده منهن إحدى عشرة، وقبض عن تسع [٦].

فأما اللتان لم يدخل بهن فأفسدتهما النساء فطلقهما، وخمس منهن من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وأم سلمة، وسودة بنت زمعة، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث الخزاعية، وزينب بنت جحش الأسدية، وصفية بنت حيي الخيبرية، قبض ﷺ عن هؤلاء[٧].

وفي رواية أخرى أن جميع ما تزوج ﷺ كان إحدى وعشرين امرأة، ست من قريش، واثنتان من بني هلال وهما ميمونة وزينب أم المساكين، واثنتان سبايا هما صفية وجويرية، والباقيات من سائر القبائل [٨].

كان للنبي ﷺ أربع ولائد ماريه وريحانة من بني قريظة وجميلة فكادها نساؤه، وكانت له جارية نفيسة وهبتها له زينب بنت جحش. وكان هناك نساء وهبن للنبي ﷺ أنفسهن، فدخل ببعضهن وأرجى بعضهن، فلم ينكحن بعده، منهن أم شريك الدوسية وكانت قد وهبت نفسها للنبي ﷺ وكانت امرأة صالحة [٩].

لقد مات النبي ﷺ عن تسع أزواج له، وكن في دار واحدة، وعن البخاري أنه كان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة وأنه توفى وعنده تسع نسوة يصيبهن إلا سودة فإنها وهبت يومها وليلتها لعائشة [١٠].

عدد النسوة اللاتي وهبن أنفسهن:

عن الشعبي قال: وهبن للنبي ﷺ نساء أنفسهن فدخل ببعضهن وأرجأ بعضا فلم يقربهن حتى توفي ولم ينكحن بعده فيهن أم شريك،

فذلك قوله تعالى ﴿ **تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ** ﴾، فكان فيمن أرجأ سودة وأم حبيبة وميمونة فتركهن على حالهن وقسم لهن ما شاء وكان ممن آوى عائشة وأم سلمة، وزينب وحفصة وكانت قسمته من نفسه وما له بينهن سواء [١١].

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا** ﴾ [١٢] فخيرهن ﷺ فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فشكر الله لهن ذلك وأنزل الله على نبيه ﴿ **لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ** ﴾ [١٣].

عدد السراري:

عن ابن إسحق أن النبي ﷺ مات عن التسع من نسائه ولم تمت قبله غير خديجة، وزينب أم المساكين، ولم يهاجر منهن إلى الحبشة غير هؤلاء الثلاث: أم سلمة، وأم حبيبة، وفلانة، ولم يصب الولد إلا من خديجة، وكان عنده ﷺ في ملك يمينه ريحانة ابنة عمرو بن حذافة، فلم يصب منها ولدا حتى مات ومارية أم إبراهيم القبطية، فلم يصب ﷺ الولد إلا من خديجة ومارية، وعن ابن إسحق أن إبراهيم مات وهو ابن ثمانية عشر شهراً [١٤].
والخلاصة أنه كان له ﷺ أربع سراري:

ريحانة بنت زيد من بني النضير أو بني قريظة كانت جميلة فأبت الإسلام إلا اليهودية ثم أسلمت بعد ذلك فكانت عنده حتى توفى عنها ﷺ [١٥].

جميلة: أصابها ﷺ من السبي، فكدنها نساؤه وخفن أن تغلب عليه.

نفيسة: وهبتها له زينب بنت جحش [١٦].

مارية بنت شمعون: أهداها له المقوقس ملك الإسكندرية سنة (٧هـ/

٦٢٨م) ومعها أختها سيرين. فاتخذ ﷺ مارية لنفسه فولدت له إبراهيم، ووهب أختها لحسان بن ثابت الأنصاري فولدت له عبد الرحمن. وكانت مارية جميلة بيضاء فأحبها ﷺ وحظيت عنده [١٧].

عدد الطلاق والإرجاء:

أما موضوع الطلاق والإرجاء فإنه ﷺ طلق منهن غزية أم شريك وأراد طلاق سودة فسألته ألا يفعل فأمسكها وأراد ﷺ أن يفارق بعض نسائه فأنزل الله تعالى: ﴿**تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ**﴾ [١٨]. فأرجى منهن سودة وصفية وجويرية وأم حبيبة وميمونة، فكان يقسم لهن من نفسه وماله ما شاء. وكان ممن آوى إليه عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة [١٩].

تعدد الزوجات:

وأما موضوع تعدد الزوجات فلقد انتهز المفكرون الأجانب نقطة كثرة عدد أزواج النبي ﷺ وحسبوا أنها نقطة ضعف تشين النبي محمداً ﷺ فأخذوا يطعنون في خلق الرسول ﷺ، وقد نشط المسلمون للرد على تلك الأفكار المشبوهة وبينوا الدوافع القوية التي كانت تحيط بزواج الرسول ﷺ من كل واحدة من زوجاته، والتي كانت تجعل هذا الزواج هادفاً إلى المصلحة العامة دون سواها. وأقاموا حجتهم على دعائم قوية من المنطق السليم اعتماداً على تاريخ النبي محمد ﷺ الحافل بالعفة والطهارة في كل حقبة من حقب حياته ﷺ [٢٠].

وعموماً فقد ذكر أهل العلم الحكمة من تعدد زوجات النبي ﷺ، نذكر بعضها:

كان ﷺ يكثر التزوج لمصلحة تبليغ الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال.

أن يكثر من يشاهد أحوال النبي ﷺ الباطنة فينتفي عنه ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو كاهن.

لتتشرف قبائل العرب بمصاهرته فيهم مما يدعوهم إلى الإسلام.

الاطلاع على محاسن أخلاق النبي ﷺ الباطنة.

كثرة الزواج صفة مدح عند العرب لدلالته على كمال الرجولة، ومع هذا لم يشغله ذلك عن عبادة ربه.

الرحمة والعطف على من وقعت لها مصيبة كوفاة زوج أو وقوع في الأسر.

تقرير الحكم الشرعي، واقتلاع العادات التي رسخت في قلوب الناس، بالتزوج بمن كانت زوجة لمن كان ابناً بالتبني قبل إبطال الله التبني[٢١]. قال تعالى ﴿: **وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾[٢٢].

أزواج النبي ﷺ:

خديجة بنت خويلد: بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب. وهي أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ولم ينكح عليها امرأة حتى ماتت، وكانت وفاتها بعد وفاة أبي طالب- عم رسول الله ﷺ - بثلاثة أيام، وهي أم أولاده جميعا إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية [٢٣]. وكان سبب تزويجها إعجابها به ﷺ لكونه نبياً [٢٤]، ولأمانته وصدقه وكرم أخلاقه وهو ما أثبته في أثناء خروجه بتجارتها إلى الشام، فإنها كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال وجمال وكفاءة وقد تزوجها وهو ابن

خمس وعشرين سنة وقيل إحدى وعشرين أو ثلاثين وخديجة يومئذ ابنة أربعين سنة وقيل ثمان وعشرين[٢٥].

وعن ابن إسحق أنها كانت وهي بكر قبل النبي ﷺ عند عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فولدت له امرأة ثم هلك عنها فتزوجها بعده أبو هالة النباشي أحد بني عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار فولدت له رجلاً وامرأة ثم هلك عنها فتزوجها النبي ﷺ فولدت له بناته الأربع زينب، ورقية، وأم كلثوم وفاطمة وولدت بعد البنات القاسم والطاهر والطيب فذهب الغلمان جميعاً وهم يرضعون[٢٦].

مكانة خديجة (عليها السلام):

لقد اكتسبت السيدة خديجة بفضل إيمانها العميق بالرسالة وحرصها على حياة النبي محمد ﷺ مكانة سامية في الإسلام حتى ان النبي ﷺ ذكرها في أحاديثه الكثيرة وأشاد بفضلها ومكانتها وشرفها[٢٧].

ومن أشهر تلك الأحاديث عن عائشة قالت: « كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها، فاحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها، قال: « ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني الناس»[٢٨].

وروى أنس بن مالك أن النبي ﷺ إذا أتي بالشيء قال: « اذهبوا به إلى فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة عليها السلام »[٢٩].

كانت خديجة عليها السلام تسمى الطاهرة في قومها. وقد أعدها الله تعالى لنبيه

لتكون أكبر سند له في دعوته ويكون مالها قربى في سبيل الله [٣٠]. وحاجة الداعية المجاهد في سبيل الله إلى المرأة العاقلة الشريفة التي تستوعبه وتعيش همومه أكثر من حاجته إلى الفتاة الصغيرة التي تحتاج لرعايته وعنايته. وهي التي اختارت زوجها عليها السلام وهيأت الأسباب والرسل لزواجها وذللت الصعاب والعوائق لإتمام هذا الزواج وسخّرت أختها وصديقتها نفيسة بنت منبه وأخاها كذلك، وهي الطاهرة العفيفة التي يحلم كل قرشي بها، ولم يمنعها فقر النبي صلى الله عليه وآله من زواجها بل بعثت له بما يحتاجه لخطبتها، إنه درس لكل امرأة مسلمة في زواجها وهو الدين والخلق [٣١].

ولعل مكانة خديجة تتمثل في قوله صلى الله عليه وآله عن الإمام علي عليه السلام: «خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة » [٣٢].

عن أبي هريرة قال أتى جبريل النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله هذه خديجة، قد أتت معها إناء فيه أدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنّي وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: « خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة ».

وعن عائشة قالت: ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وآله إلا على خديجة وإني لم أدركها قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ذبح الشاة فيقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة» [٣٣].

إن الثابت في الروايات الصحيحة زواجه صلى الله عليه وآله بخديجة عليها السلام وثناء النبي صلى الله عليه وآله عليها وإظهاره محبتها وتأثره عند ذكرها بعد وفاتها، ومواقفها

في تطمينه عند نزول الوحي عليه ومسارعتها للإيمان به، وهي مواقف مشهورة تدل على مكانة خديجة عليها السلام في الإسلام، ومما اتفق عليه أهل العلم أن خديجة أولى أزواجه ﷺ وقد أنجبت منه ذكرين هما القاسم وعبد الله (الملقبان بالطيب والطاهر) وأربع بنات هن زينب وأم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية. فأما القاسم وعبد الله فماتا قبل الإسلام وأدركت البنات الإسلام فأسلمن[٣٤].

سودة بنت زمعة:

هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن عامر بن لؤي تزوجها ﷺ وكانت حاضنة ولده ﷺ [٣٥].

عن ابن إسحق أن خديجة ماتت قبل مهاجر النبي ﷺ بثلاث سنين، لم يتزوج النبي ﷺ عليها امرأة حتى ماتت هي وأبو طالب في سنة ثم تزوج بعدها سودة وكانت قبله عند الشكران وكان ابن عمها تزوجها وهي بكر فهاجر إلى الحبشة ثم قدما مكة فمات عنها مسلماً بمكة فتزوجها الرسول ﷺ ولم يصب منها ولدا حتى مات [٣٦].

زوجه إياها سليط بن عمرو ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس وأصدقها ﷺ أربع مائة درهم. وعن ابن هشام أن ابن إسحق يخالف هذا الحديث ويذكر أن سليطاً وأبا حاطب كانا في الحبشة في هذا الوقت [٣٧].

وفيما يخص زواجه ﷺ بسودة، تقول الروايات إنه ﷺ تزوجها قبل أن يعقد على عائشة وهذا عن قتادة وأبي عبيدة. وعن ابن عقيل أنه ﷺ تزوجها بعد عائشة، رُوي القولان عن ابن شهاب، ويجمع بين القولين أنه ﷺ عقد على عائشة قبل سودة ودخل بسودة قبل عائشة [٣٨].

والخلاصة أن النبي ﷺ تزوج سودة سنة (١٠هـ/ ٦٣١م) وقيل بعد موت خديجة بسنة [٣٩]. أما عن وفاتها، فإنها توفيت سنة (٥٤ هـ/ ٦٧٣م) وهذا عن الواقدي [٤٠].

أم سلمة:

وهي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جذيمة... بن مالك بن كنانة. وكان سبب تزويجها أنه لما هاجر زوجها أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان لها منه سلمة وعمر وزينب ودرة، فحبسها بنو المغيرة عن أن تهاجر مع زوجها، ثم خلّوا سبيلها بعد أن قتلوا ابنها عمر فأتت المدينة فقتل عنها أبو سلمة. فخطبها النبي ﷺ وكانت قد طعنت في السن. وماتت سنة (٦١ هـ/ ٦٨٠م)، وقيل (٥٩ هـ/ ٦٧٨م)، والأول أصح، في أيام معاوية، ولم يصب الرسول ﷺ منها ولدا [٤١].

وكان قد زوجه ﷺ إياها ابنها سلمة وأصدقها فراشا وصحفة ومِخَشّة[٤٢].

صفية بنت حيي:

وهي صفية بنت حيي بن أخطب من بني إسرائيل، النضر بن ينحوم من بني إسرائيل من سبط هارون عليه السلام وأمها برة بنت سموأل، وكانت قبله عند سلام بن مشكم القرضي ثم تزوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق. وكان سبب تزويجها أن النبي ﷺ سباها يوم خيبر وبنت عمها فوهبها لدحية بن خليفة الكلبي وأمسك ﷺ صفية لنفسه، توفيت سنة (٥٠ هـ/ ٦٧٠م) وقيل (٥٢ هـ/ ٦٧٢م) وقيل (٣٦ هـ/ ٦٥٦م) [٤٣].

وعن أنس بن مالك عن البخاري أن النبي ﷺ سبى صفية فاعتقها وتزوجها وقد قتل زوجها فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه وكانت ذات جمال(٤٤).

كان لزواج النبي ﷺ بصفية أثر في الدعوة الإسلامية، فهذا العمل الاجتماعي الضخم يعني كثيراً في مفهوم الدعوة. ويعني أن التعايش بين المسلمين وأهل الكتاب قائم، ولو أدى إلى نكاح نسائهم فالمرأة حين تعيش الإسلام سوف تصفو ملتها وتدخل في الإسلام كما يتآلف قلب طائفتها في هذا المجتمع. وعلى غرار ذلك كان زواج النبي ﷺ من مارية القبطية التي ربط زواجها بأمة كاملة. وقد أثرت هذه الدعوة فيما بعد وحدت بأهل مصر أن يدخلوا في دين الله أفواجاً حين رأوا حسن معاملة المسلمين لهم تنفيذاً لوصية النبي ﷺ. وكان من حكمة الله تعالى في هذا الأمر أن النبي ﷺ لم يرزق ولدا بعد خديجة إلا من مارية عليها السلام وكان ولده إبراهيم قد استأثر بحب النبي ﷺ أكبر استئثار (٤٥).

أم حبيبة:

وهي أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمها صفية بنت أبي العاص من بني أمية. وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش، وكان عبيد الله هاجر بها إلى الحبشة فكانت معه هناك فتنصر عبيد الله بعد إسلامه ومات عنها فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى الحبشة فزوجه إياها، وكان ذلك حين افتتح مكة(٤٦). فكان زواجها بسبب المودة وماتت سنة (٥٩ هـ/ ٦٧٨م) وقيل (٤٤ هـ/ ٦٦٤م)(٤٧).

عن ابن عباس أن النبي ﷺ تزوج أم حبيبة بعد وقعة الخندق فصارت أم المؤمنين. ومهرها أربعة آلاف درهم وبعث بها النجاشي مع شرحبيل بن حسنة وجهزها من عنده وكانت مهور أزواج النبي ﷺ أربعمائة (٤٨).

والصحيح أن مهور أزواج النبي ﷺ كانت اثنتي عشرة أوقية ونشا، و الأوقية أربعون درهما والنش النصف وذلك يعدل خمسمائة درهم (٤٩).

وكان تزويج أم حبيبة سنة ست وقيل سنة سبع عن البيهقي، وتزويجه بأم سلمة سنة أربع وعن ابن إسحق أنه ﷺ تزوج بأم حبيبة قبل أم سلمة[٥٠].

وعن قتادة أن أم حبيبة لما هاجرت من الحبشة إلى المدينة خطبها النبي ﷺ وتزوجها، وقال بعضهم إنه تزوجها بعد إسلام أبيها بعد الفتح [٥١]. وكانت قبله تحت عبيد الله بن جحش بن رئاب من بني أسد بن خزيمة مات بالحبشة نصرانياً فبعث إليها النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري للحبشة فخطبها إليه فزوجها إياه عثمان بن عفان والصواب خالد بن سعيد بن العاص [٥٢].

وعن ابن هشام أن أم حبيبة زوجه إياها خالد بن سعيد بن العاص وهما بالحبشة وأصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربع مائة درهم وهو الذي كان خطبها على النبي ﷺ وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدي. ويقال إنها قدمت المدينة فخطبها النبي ﷺ فزوجها إياه عثمان بن عفان، والأول أصح [٥٣].

وعن ابن إسحق أنها كانت قبله عند عبيد الله أحد بني أسد أخي عبد الله بن جحش، قد تزوجها وهي بكر وكان له منها حبيبة فمات عنها بالحبشة وقد تنصر بعد إسلامه وكانت مهاجرة معه بالحبشة فلم يصب الرسول ﷺ منها ولدا[٥٤].

حفصة بنت عمر:

تزوجها ﷺ وكانت من مهاجرات الحبشة[٥٥]، وكانت قبل النبي ﷺ تحت

حبيش أو خنيس بن عبد الله بن حذافة السهمي[٥٦]. الذي مات عنها مؤمنا[٥٧].

وهي أخت عبد الله بن عمر وماتت بالمدينة سنة (٤٥ هـ/ ٦٦٥م)، وقيل (٤١ هـ/ ٦٦١م) وقيل (٢٧ هـ/ ٦٤٧م) في خلافة عثمان وقيل في خلافة معاوية والأرجح الأول[٥٨].

ولقد زوجها له ﷺ أبوها عمر بن الخطاب وأصدقها أربع مائة درهم[٥٩]. وقد مات ﷺ ولم يصب منها ولدا[٦٠].

ميمونة بنت الحارث الهلالية:

وهي ميمونة بنت الحارث من بني صعيصعة بن هلال بن عامر بن صعيصعة، وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث من آل حمير، ماتت سنة (٦١ هـ/ ٦٨٠م) وقيل (٦٣ هـ/ ٦٨٢م) وقيل (٣٩ هـ/ ٦٥٩م) وقيل (٣٨ هـ/ ٦٥٨م)[٦١]. وكان اسمها برة فسماها ﷺ ميمونة، وهي خالة ابن عباس وخالد بن الوليد[٦٢].

وكانت ميمونة أولاً عند مسعود بن عمرو ففارقها فخلف عليها أبو رهم بن عبد العزى، وقيل كانت عند فروة وقيل عند سخبرة بن أبي رهم وعن ابن حزم كانت تحت حويطب بن عبد العزى أخي أبي رهم[٦٣].

وهي التي وهبت نفسها والصحيح أنه ﷺ خطبها وكان السفيرُ بينهما أبا رافع مولاه وقد تزوجت قبله رجلين هما عمير بن عمرو مات عنها ثم أبو رهم بن عبد العزى بن حسل بن عامر بن لؤي[٦٤].

عن ابن إسحق أن النبي ﷺ تزوج ميمونة في سفره وهو محرم، زوجه إياها العباس بن عبد المطلب. وعن ابن هشام أنها كانت قد جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل فجعلت أم الفضل أمرها إلى زوجها العباس،

فزوجها النبي ﷺ وأصدقها عنه أربعمائة درهم، وعن ابن عباس أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو حلال وماتت بسرف سنة (٦٣ هـ/ ٦٨٢م) ويقال سنة (٦٠ هـ/ ٦٧٩م) [٦٥].

وميمونة هي أخت زوجة العباس عم النبي ﷺ، وابن أختها عبد الله بن عباس. وقد تزوج النبي ﷺ ميمونة في عمرة القضاء، لكن يبدو أن ابن عباس كان مخطئاً بقوله: «تزوج النبي ﷺ ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو حلال» ؛ لأن ابن عباس كان صغير السنّ فقد كان طفلاً آنذاك، وجاء عن ميمونة أنها قالت: أنه تزوجها حلالاً وبنى بها حلالاً وبنى بها بسرف، وهو مكان قريب من مكة [٦٦].

زينب بنت جحش الأسدية:

وهي زينب بنت جحش بن رئاب من بني خزيمة بن دودان بن أسد بن خزيمة، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم. وكانت قبله عند زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله ﷺ، وتزوجها النبي ﷺ سنة (٥ هـ/ ٦٢٦م) وقيل (٣ هـ/ ٦٢٤م) [٦٧]. ماتت سنة (٢٠ هـ/ ٦٤٠م) [٦٨].

وجاء في سبب تزويجها من النبي ﷺ، أن الناس في ذلك الوقت كانوا يعدّون الابن بالتبني كالابن الحقيقي، أي أن الابن إذا طلق زوجته فهي حرام على أبيه والعكس، فأنزل الله نسخ ذلك الشيء وأبطله بتزويج النبي ﷺ من زينب التي كانت زوجة لابنه بالتبني زيد بن حارثة. أنزل الله ذلك الأمر بعد أن كان النبي ﷺ يخشى كلام الناس حول ذلك، لكن النبي ﷺ لا يستطيع أن يخفي شيئا من الوحي ولا القرآن فإذا نزل الأمر فما عليه سوى السمع والطاعة لربه [٦٩].

مات الرسول ﷺ ولم يصب منها ولداً[٧٠]. وقد زوجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش وأصدقها أربع مائة درهم[٧١].

وبالنسبة لمسألة نزول الحجاب، فقد جاء عن أنس أنه قال: لما تزوج النبي ﷺ زينب دخل القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام من القوم وقعد بقية القوم، وأن النبي ﷺ جاء ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم أنهم قاموا فانطلقوا فأخبرت النبي ﷺ فجاء حتى دخل فذهبت أدخل، فألقى الحجاب بيني وبينه[٧٢]، وأنزل الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ**﴾[٧٣].

زينب بنت خزيمة الهلالية:

وهي زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وهي أم المساكين، كانت تسمى بذلك في الجاهلية لرحمتها ورقتها، وكانت قبله ﷺ عند طفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أو عند أخيه الحصين ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب الشهيد ببدر. ولم تمت عنده ﷺ من نسائه غيرها وغير خديجة عليها السلام[٧٤].

فلم تلبث عنده ﷺ إلا يسيرا حتى توفيت. ماتت بالمدينة أول نسائه موتاً، ولم يصب منها ولدا[٧٥].

غزية بنت دودان:

تزوجها ﷺ، وهي الواهبة نفسها للنبي ﷺ فرأى عليها كبرة فطلقها ﷺ. وكانت قبله عند أبي العكر بن الحارث الأزدي فولدت له شريكا فدخل بها ثم طلقها[٧٦].

جويرية بنت الحارث الخزاعية:

تزوج ﷺ جويرية واسمها برة بنت الحارث بن أبي ضرار بن خزيمة المصطلقي من خزاعة. وكانت قبله عند ابن عمها مسافع بن صفوان المصطلقي، وسبب تزويجها أن النبي ﷺ أصابها في غزوة بني المصطلق بالمريسيع سنة (٥ هـ/ ٦٢٦م) فصارت لثابت بن قيس بن شماس ولابن عم له فكاتباها. فأتت النبي ﷺ تسأله في مكاتبتها فأشار عليها بالشراء والعتق والزواج فوافقت. فلم تبقَ امرأة من بني المصطلق عند أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا خلي سبيلها. وماتت سنة (٥٧ وقيل ٥٠ وقيل ٥٦ هـ) (٧٧). ولذلك كانت عظيمة البركة على قومها(٧٨).

وجاء في رواية زواجها عن ابن هشام أنها أسلمت وحسن إسلامها، وزوجه إياها أبوها وكانت قبله ﷺ عند ابن عمها عبد الله، وأصدقها أربع مائة درهم (٧٩).

وهناك رواية أخرى في زواجها أنه أعتقها ﷺ وتزوجها، ويقال بل قدم أبوها الحارث وكان ملك خزاعة فأسلم، ثم تزوجها ﷺ وكانت قبله عند ابن عمها صفوان بن أبي الشفر. وعن ابن إسحق أن هذا البطن من خزاعة كان حلفاء لأبي سفيان على رسول الله ﷺ (٨٠).

عائشة بنت أبي بكر:

وهي عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة وهو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. وأمها أم رومان بنت عمر بن عامر من بني مالك من كنانة بمكة.

تزوجها ﷺ بمكة ودخل بها بالمدينة، زوجه إياها أبوها أبو بكر وأصدقها أربع مائة درهم [٨١] وهي بنت سبع وقيل تسع وقيل ست سنين، توفيت سنة (٥٧ هـ/ ٦٧٦م) وقيل (٥٨ هـ/ ٦٧٧م) [٨٢].

وفي شوال سنة (٢ هـ/ ٦٢٣م) دخل النبي ﷺ بعائشة، وكان السبب في تزويجها (عن عائشة) أن النبي ﷺ رآها في المنام مرتين ولم يتزوج بكرا غيرها. (وعن هشام بن عروة عن أبيه) أنه تزوجها بعد موت خديجة بثلاث سنين، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين وبنى بها وهي ابنة تسع ومات ﷺ وعائشة ابنة ثماني عشرة سنة [٨٣].

عن ابن إسحق: بعد سودة تزوج النبي ﷺ عائشة وهي بكر لم يتزوج بكرا غيرها ولم يصب منها ولدا حتى مات، وعن هشام بن عروة عن أبيه قال تزوج النبي عائشة بعد موت خديجة بثلاث سنين وعائشة يومئذ ابنة ست سنين وبنى بها وهي ابنة تسع سنين ومات ﷺ وعائشة ابنة ثماني عشرة سنة [٨٤]. وعن الزهري أن العقد على عائشة كان متقدماً على العقد على سودة [٨٥].

ثانياً: أزواجه ﷺ من عقد عليهن ولم يدخل بهن:

لقد كان هناك عدد من أزواج النبي ﷺ ممن عقد عليهن ولكنه لم يدخل بهن لأسباب مختلفة، وهنَّ:

خولة بنت الهذيل بن هبيرة بن ثعلبة... بن عمرو بن غنم بن تغلب، تزوجها ﷺ وأمها بنت خليفة بن فضالة.. بن امرئ القيس الكلبي أخت دحية الكلبي فهلكت في الطريق. أو خولة بنت حكيم بن أمية وهبت نفسها للنبي ﷺ فأرجاها فتزوجها عثمان بن مظعون.

شراف أخت دحية: تزوجها ﷺ وأمها ليلى بنت حارثة بن العبيد من كلب، فهلكت ولم يدخل بها [٨٦].

العالية بنت ظبيان بن عمرو بن أبي بكر بن كلاب: تزوجها ﷺ ثم مكثت فترة ثم طلقها. ولقد اختلف في اسم (العالية) فقيل فاطمة بنت الضحاك الكلابي وقيل عمرة بنت يزيد بن كلاب بن ربيعة وقيل العالية بنت ظبيان وقيل سبأ بنت سفيان وقيل إن كل الأسماء لواحدة وقيل إن كل اسم لواحدة، عقد ﷺ عليها فاستعاذت منه فطلقها سنة (٨ هـ/ ٦٢٩م). و رُوِيَ أن النبي ﷺ قد دخل بها، لكنه لما خيرها اختارت قومها ففارقها، توفيت سنة (٦٠ هـ/ ٦٧٩م) [٨٧].

سنا بنت الصلت بن حبيب بن حرام بن سماك بن كوف السلمي: وهي عمة عبد الله بن خازم السلمي، تزوجها فماتت قبل أن يصل إليها (قبل الدخول).

ريحانة بنت شمعون: ولما سبى ﷺ بني قريظة، بعث سعد بن زيد الأشهلي بنساء من نسائهم إلى نجد يبعن. واحتبس ﷺ لنفسه ريحانة،

وكانت قبله عند الحكم من بني النضير وكانت ذات جمال، توفيت سنة (١٦ هـ/ ٦٣٧م) [٨٨].

قتيلة أو قيلة أخت الأشعث بن قيس: وقد جهزها أخوها وحملها. حتى إذا وصل من اليمن بلغته وفاة النبي ﷺ فردها، فزوجها عكرمة بن أبي جهل. وكانت آخر من تزوج ﷺ.

الجونية الكندية: أرسل ﷺ أبا أسيد الساعدي وكان بدريا فجاء بها. وذكر أنها ماتت كمداً على أهلها [٨٩].

صفية بنت بشامة العنبرية: وكان ﷺ قد سباها في غزوة عيينة بن حصر الفزاري فخيرها نفسه أو يردها لزوجها فاختارت زوجها فأرسلها [٩٠].

ضباعة بنت عامر بن صعصعة: كانت عند هوذة بن علي الحنفي فهلك عنها. فتزوجها عبد الله بن جدعان فطلقها فتزوجها هشام بن المغيرة. وكانت من أجمل نساء العرب فتزوجها ﷺ [٩١]. وعن الطبري أنه لم يتزوجها لأنها كبرت.

أم هانئ: وهي ممن لم يتزوجها، وهي هند بنت أبي طالب، وكان ﷺ خطبها في الجاهلية إلى أبي طالب وخطبها هبيرة بن أبي وهب. فتزوجها هبيرة، فلما جاء الإسلام خطبها ﷺ ولم يتزوجها لأنها ذكرت أنها ذات ولد [٩٢].

أسماء بنت النعمان: خطبها ﷺ حين وفدت عليه كندة. لما دخل عليها دعاها فقالت تعال أنت فطلقها، وقيل هي التي استعاذت منه فزوجه الأشعث أختها قتيلة سنة (٩ هـ/ ٦٣٠م) [٩٣]. وقال ابن إسحق أنه ﷺ تزوجها ولم يدخل بها حتى طلقها [٩٤].

الشنباء بنت عمر الغفاري: عن قتادة أنها لم تمكث طويلاً فطلقها ﷺ لأنها قالت: لو كان نبياً ما هلك [٩٥].

ليلى بنت الحطيم أخت قيس: تزوجها فكانت غيوراً فاستقالته فأقالها. أي أنه لم يكمل زواجها لأنها غيرى [٩٦].

ابنة جندب بن خمرة الخندعية: قال بعضهم تزوجها ﷺ وبعضهم أنكر ذلك.

الغفارية: وهي من غفار، ولم يتزوجها ﷺ لأن بها بياضاً ويقال إنما رأى البياض بالكلابية، واختلفوا في التي استعاذت منه فقيل هي الكلابية وقيل الجونية وقيل مليكة الليثية [٩٧].

هند بنت يزيد البرصاء [٩٨].

مليكة بنت كعب الليثي: تزوجها ﷺ سنة (٨ هـ/ ٦٢٩م)، فماتت عنده. وكانت تمتاز بجمال بارع فاستعاذت منه فطلقها ﷺ [٩٩].

عمرة أو جمرة بنت معاوية الكندية أو بنت حارثة أو بنت يزيد بن عبيد: تزوجها وطلقها ﷺ أو لم يتزوجها لأنها برصاء. وكانت من كندة فجيء بها بعدما مات. وكانت قبله تحت الفضل بن عباس وكانت حديثة العهد بالكفر فلما قدمت على النبي ﷺ استعاذت منه فطلقها وقيل أنه طلقها لما بلغه أن بها بياضاً [١٠٠].

وبالإضافة إلى ما تقدم، هناك نساء خطبهن النبي ﷺ ولم يتزوجهن، نذكر منهن:

أم حبيب بنت العباس بن عبد المطلب فوجد العباس أخاه من الرضاعة[١٠١].

أم شريك تزوجها وطلقها ويقال وهبت له نفسها فلم يقبلها[١٠٢].

سودة القرشية خطبها ﷺ وكانت معيبة.

امرأة لم يذكر اسمها خطبها ﷺ فقالت استأمر أبي فأذن لها فلقيت النبي ﷺ فقال قد التحفنا لحافا غيرك.

وممن عرض عليه ﷺ من النساء فأباهن:

امامة بنت حمزة بن عبد المطلب ويقال اسمها عمارة فقال تلك ابنة أخي من الرضاعة، وعرض عليه الضحاك بن سفيان ابنته فقال لا حاجة لي بها وقيل إن هذه هي الكلابية قال أبوها هذا فطلقها النبي ﷺ [١٠٣].

وفاة أزواج النبي ﷺ

قبض ﷺ عن تسع نسوة: عائشة وحفصة وسودة وأم حبيبة وأم سلمة وزينب وجويرية وميمونة وصفية. منهن من قريش عائشة وحفصة وأم حبيبة وأم سلمة وسودة. فكان أولهن لحاقاً به ﷺ زينب بنت جحش وصفية بنت حيي ثم سودة ماتت في آخر أيام عمر بن الخطاب[١٠٤]. ثم ماتت حفصة أول ما بويع معاوية وماتت أم حبيبة قبل موت معاوية بسنة وماتت عائشة في أيام معاوية. وماتت جويرية في أيام معاوية أيضاً. وماتت أم سلمة في أيام يزيد بن معاوية وكانت آخرهن موتاً. وكان ﷺ يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة الذي جعلته لها مقابل عدم طلاقها ولأزواجه يوماً يوماً[١٠٥].

المبحث الثاني

سيرة النبي ﷺ مع أزواجه

أولاً: علاقة النبي ﷺ بأزواجه

كانت حياة أمهات المؤمنين الخاصة مع النبي ﷺ حافلة بالعبادة والعلم، مليئة بالعبر، دافقة بالخير. ولا تخلو من الجدل والخصومة حيناً والغيرة حيناً آخر. وكان النبي ﷺ يقدر غيرة الضرائر من بعضهن وكان يراعي الفطرة، فقد ترك زينب تفرغ غضبها، وأذن لعائشة أن ترد عليها، وعدل بين زينب - وهي بنت عمته وزوجه - وعائشة - ولم يغضب من هذه الملاحاة، فهي أمر طبيعي في حياة الضرائر. بل لم يعبس وجهه لتكدير صفوه، بل علته ابتسامة رقيقة وهو يشهد انتصاف عائشة من زينب[١٠٦].

وكان النبي ﷺ يغضب إذا تجاوزت الغيرة حدها واعتدت على حقوق الآخرين، فلم يكن زمام الموقف يفلت من يده بل كان يبين الخطأ ويقومه [١٠٧].

وكان ﷺ لا يجد غضاضة في أن يحب امرأته، وأن يصارحها بذلك معبراً عن عاطفة خيرة، وكان ﷺ يراعي صغر سن عائشة وحبها للعب مع صديقاتها[١٠٨].

وكان ﷺ رقيق الطبع، حسن العشرة، عميق العاطفة لكن هذه الخصال لم تؤثر على التزامه الدقيق بالعدل بين نسائه وهو التزام بشرع الله تعالى الذي بلغه للناس [١٠٩].

عن عروة بن الزبير عن خالته عائشة قالت: «قال لي رسول الله ﷺ: كنت لك كأبي زرع لأم زرع» [١١٠]. ولما قال رسول الله ﷺ لعائشة هذا

الحديث أجابت إجابة تليق بمثلها في فضلها وعلمها فقالت: « يا رسول الله أنت خير من أبي زرع » وفي رواية الزبير: « بأبي وأمي لأنت خير لي من أبي زرع لأم زرع » (١١١).

وعندما كان النبي ﷺ يتزوج مجدداً فإنه كان يراعي مشاعر زوجته التي قبلها، فعن الزهري، عن هند بنت الحارث الفراسية، قالت قال رسول الله ﷺ: « إن لعائشة مني شعبة ما نزلها مني أحد »، فلما تزوج أم سلمة سئل، فقيل يا رسول الله ما فعلت الشعبة؟ فسكت، فعُرف أن أم سلمة نزلت عنده. وعن عائشة قالت: لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة حزنت حزناً شديداً لما ذكر الناس جمالها، فتلطفت لما رأيتها إذ رأيت أضعاف ما وصف لي من الجمال، فذكرت ذلك لحفصة وكانتا يداً واحدة، فقالت: إن هذه لهي الغيرة. وما هي بجميلة فلما رأتها تلطفت من جمالها، قالت: فرأيتها بعد فكانت كما قالت حفصة، ولكن كنت غيرى (١١٢).

وعموماً لم يغضب رسول الله ﷺ ولم يعنف المرأة، بل لم يجهر أمامها بطلاقها، والمتأمل في سيرة الرسول ﷺ يشهد كثيراً من الأمثلة الرائعة على حسن ذوقه وجميل طبعه وكرم خلقه وحسن معاشرته ورفق معاملته واعتدال مزاجه وعدالة أحكامه وصدق كلامه... وهذا الكمال الخلقي من أعظم أدلة نبوته ﷺ، فقد كان الصدق يملأ حياته ويحكم علاقاته ويطبع أقواله وأفعاله وذلك انعكس على علاقته بأزواجه فهو الرسول البشر، ليس فيه تعاظم الأقوياء وكبرياؤهم بجاههم أو غناهم بل فيه سماحة الأنبياء ومدى العظماء وسيرة الأتقياء، تجده يحنو على أزواجه ويعينهن، فيقيم بيته بيده، ويجلب الشاة، ويخرز البغل، ويتلطف إليهن ويداري غضبهن ويعدل بينهن، ويراعي ما جبلن عليه من الغيرة، ويحتمل هفواتهن ويرفق بصغيرتهن (١١٣).

وكان ﷺ كثيراً ما يوصي بالنساء خيراً، وفي حجة الوداع أوصى بهن خيرا. وإن الإنسان ليعجب كيف وفق النبي ﷺ بين أزواجه وهن مختلفات في السن والطبائع والأخلاق، ولكن النبي ﷺ بسعة عقله ورحابة صدره وكرم أخلاقه أمكنه أن يحسن عشرتهن ويعدل بينهن، وأن يوفق بين رغباتهن وأن يعشن عيشة الأخوات لا عيشة الضرائر. وهن خيار نساء هذه الأمة مع ذلك لم تخل معاشرتهن للنبي ﷺ من بعض مضايقات ومؤامرات بسبب فطرة المرأة من الغيرة وحب الاستئثار بالزوج. وكان النبي ﷺ قد أخذ على نفسه التقليل من طيبات الحياة وفرض على نفسه وعليهن لوناً من ألوان المعيشة لا يتميز عن معيشة عامة الأمة لذلك تألم ﷺ لمطالبهن فاعتزلهن شهرا(١١٤).

وكان ﷺ يلاطفهن ولا ينفك عن مؤانستهن والتبسط معهن وكان ﷺ يساعدهن ويعاون خدمه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويذهب إلى السوق ويحضر لهم طعامهم ولا يرى في ذلك منقصة، ولم يؤثر عنه أنه ضرب امرأة أو عبداً أو خادماً أو شق عليه في شيء (١١٥).

وعن علاقته ﷺ بأقارب أزواجه، حدثنا عبد الله بن رجاء بسنده عن أبي موسى الأشعري قال: لقي عمر أسماء بنت عميس فقال: نعم القوم أنتم لولا أنكم سبقتم بالهجرة، فنحن أفضل منكم. فقالت: كنتم مع رسول الله ﷺ يعلم جاهلكم ويحمل راجلكم وفررنا بديننا، ولست براجعة حتى أدخل على رسول الله ﷺ فدخلت عليه وأخبرته بما كان بينها وبين عمر قال ﷺ « لكم هجرتكم مرتين، هجرتكم إلى الحبشة وهجرتكم إلى المدينة» (١١٦). وفي هذا اعتراف النبي ﷺ بفضل أقارب زوجه ميمونة ودورهم في الهجرة الشريفة.

ميزات علاقة النبي ﷺ بأزواجه:

المودة:

لقد كانت علاقة النبي ﷺ بزوجاته تسودها المودة، فلقد تزوج ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية. وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش وكان عبيد الله هاجر بها إلى الحبشة، فتنصر بعد إسلامه ومات عنها فتزوجها الرسول ﷺ وكان ذلك حين افتتح مكة وكان قد نزل عليه ﴿ **عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً** ﴾ (١١٧). فكانت المودة سبباً في زواج رسول الله ﷺ (١١٨).

الحب:

بالإضافة إلى المودة، فإن الحب كان موجوداً، بل أنه أساس العلاقة بين النبي ﷺ وزوجاته.

وكان ﷺ يحب خديجة كثيراً ويسكن إليها ويثني عليها ويقول: «والله ما أبدلني الله خيراً منها آمنت بي إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء»، وكان ﷺ إذا ذبح شاة يقول: أرسلوا إلى أصدقاء خديجة. لقد كانت خديجة عليها السلام تعرف الكثير من شأن الرسول ﷺ وتحقق نبوته لذلك كانت أول من آمن به بالإضافة إلى ثباتها وحكمة كلامها للنبي ﷺ عند بدء الوحي (١١٩).

الشورى:

كان النبي ﷺ يشاور أزواجه ويشاركهن الرأي، ويحصي لهن نصيباً من العطاء، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن عبيد الله، عن نافع،

عن ابن عمر قال: عامل رسول الله ﷺ خيبر بشطر ما يخرج من زرع أو تمر، فكان يعطي أزواجه كل عام مائة وسق [١٢٠] ثمانين وسقا تمرا، وعشرين وسقا شعيرا. فلما قام عمر، قسم خيبر فخير أزواج النبي ﷺ أن يعطيهن الأرض أو يضمن لهن الوسوق كل عام، فاختلفن فمنهن من اختار الوسوق، ومنهن من اختار أن يقطع لها الأرض، وكانت عائشة وحفصة ممن اختار الوسوق [١٢١].

وكان النبي ﷺ يحدث زوجاته بشتى الأمور والقضايا، وقد تعودن على سماع مختلف الموضوعات منه ﷺ الأمر الذي يعكس صورة رائعة عن علاقة الرجل بزوجته، حدثنا أحمد بن محمد الزرقي قال: سمعت عمرو بن يحيى السعيدي عن جده سعيد بن عمرو عن عائشة أنها قالت لأبي هريرة: إنك تحدث عن رسول الله ﷺ بأشياء ما سمعتها منه، فقال لها: أنه كان يشغلك عن تلك الأحاديث المرآة والمكحلة [١٢٢].

العدالة:

وكان النبي ﷺ يبغي العدالة في علاقته بأزواجه روى أنس قال كان النبي ﷺ عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين صحفة فيها طعام فضربت التي في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة وانفلقت فجمع رسول الله ﷺ بين الفلقتين ثم جعل فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول غارت أمكم وحبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت، أم المؤمنين التي كان النبي ﷺ في بيتها هي عائشة والتي أرسلت إلى النبي ﷺ الصحفة اختلف فيها فقيل هي أم سلمة بنت أبي أمية وقيل هي زينب بنت جحش وقيل هي صفية بنت حيي [١٢٣].

حسن المعاشرة:

كان لرسولنا الكريم ﷺ من الأخلاق والصفات ما جعلت نساءه ﷺ يتمسكن به ويمتنعن عن فراقه، مما يدل على حسن معاشرته للنساء فضلاً عن آدابه وصفاته الحميدة، إذ أنه ﷺ أراد أن يفارق بعض نسائه فقلن: يا رسول الله لا تفارقنا واجعل لنا من نفسك ومالك ما شئت، فأنزل الله تعالى: ﴿**تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ**﴾ فأرجى منهن سودة وصفية وجويرية وأم حبيبة، وميمونة فكان يقسم لهن من نفسه وماله ما شاء. وكان ممن آوى إليه عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة... [١٢٤].

حسن الخلق:

كان النبي ﷺ يساعد أزواجه في أمور الحياة اليومية، وكان يعاملهن بحسن الخلق وبشاشة الوجه على الرغم من مهامه الكثيرة ووظائفه الجليلة، عن عمرة قالت سألت عائشة: كيف كان النبي ﷺ إذا خلا بنسائه؟ قالت: كان رجلا من رجالكم، كان أحسن الناس خلقا وكان ضحاكاً بساماً. وعن عائشة قالت إنها سئلت ما كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟، قالت: كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما تعمل الرجال في بيوتهم [١٢٥].

سمو المكانة:

لقد جعل النبي ﷺ لنسائه من المكانة ما لم يكن معروفاً قط عند العرب. ثم أن نساء النبي ﷺ كن يأتمرن به فقد كان إذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن فأحدث ذلك الغيرة في نفوس سائر نسائه. وطبيعي وقد جعل النبي ﷺ لأزواجه هذه المكانة بعد أن كن كغيرهن من نساء العرب لا رأي لهن، أن يتغالين في الاستمتاع بحرية لم يكن لمثيلاتهن بها

عهد وأن تبلغ إحداهن من مراجعة النبي أن يظل يومه غضبان. وكم أعرض عنهن وكم هجر بعضهن حتى لا يدفعه رفقه بهن إلى مزيد من غلوهن، وأن تخرج بإحداهن الغيرة إلى غير لائق بالسداد(١٢٦).

الرفق:

كان الرفق بهن وعدم إجبارهن على شيء لا يردنه مما يميز العلاقة، فمثلا عمرة بنت يزيد الكلابية كانت حديثة عهد بكفر فلما قدمت على الرسول ﷺ استعاذت منه فردها ﷺ إلى أهلها ويقال إن التي استعاذت من الرسول ﷺ كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان ويقال أن الرسول ﷺ دعاها فقالت: إنّا قوم نؤتى ولا نأتي، فردها الرسول ﷺ إلى أهلها (١٢٧).

ثانياً: فضائل أزواج النبي ﷺ:

لقد تمتع أزواج النبي ﷺ بجملة فضائل ميزتهن عمن سواهن من نساء العالمين، وهي خصائص خصهن بها الله سبحانه وتعالى تكريماً لنبيه المصطفى ﷺ نذكر منها:

لقب أمهات المؤمنين، أن أزواج النبي ﷺ هن أمهات المؤمنين وهن أزواجه في الآخرة، فأزواج النبي ﷺ أمهات لنا في الإكرام والاحترام والتوقير والإعظام وهذه فضيلة عظيمة لهن. قال تعالى: ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزواجهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ﴾ (١٢٨).

ومن فضائلهن أن الله تعالى أمر رسوله أن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن من عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله في ذلك الثواب الجزيل فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا

وسعادة الآخرة [١٢٩]. قال تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا** ﴾ [١٢٨] **وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [١٣٠]. ومنها ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿ **وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لله وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا** ﴾ [١٣١]. فهن قنتن لله ورسوله وعملن صالحا، فاستحققن الأجر مرتين[١٣٢]. ومنها ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿ **يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنْ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا** ﴾ [١٣٣]. قال ابن كثير: « هذه آداب أمر الله بها نساء النبي ﷺ ونساء الأمة تبع لهن في ذلك فقال مخاطباً لنساء النبي ﷺ بأنهن إذا اتقين الله كما أمرهن فإنهن لا يشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة» [١٣٤].

ومنها أن الله اختارهن لرسول الله ﷺ وحرم نكاحهن بعده، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ الله وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أزواجهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ الله عَظِيمًا** ﴾ [١٣٥]، جاء في سبب تحريم الزواج من أزواجه ﷺ أن ذلك كان لأنهن أمهاتكم ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه[١٣٦]. وعن البيهقي: لأن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا [١٣٧].

ومنها أن الوحي ينزل في بيوتهن دون سائر الناس، قال تعالى: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ [١٣٨].

ومنها وصفهن بأزواج النبي من قبل الله تعالى، ذكر الله تعالى نساء النبي ﷺ بلفظ الزوجية في غير ما موضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ** ﴾ [١٣٩]، وهو ذكر يدل على الفضل فإن الزوجين هما الشيئان المتشابهان والمتساويان.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى جملة استنتاجات يمكن إدراجها فيما يأتي:

اما موضوع كثرة أزواج النبي ﷺ فنقول: إن أزواجه ﷺ جزء لا يمكن التغاضي عنه في سيرة المصطفى ﷺ، ومن خلال هذه الدراسة يمكن الرد على أي غزو فكري أجنبي، أو أية أفكار دخيلة تتهجم على الإسلام ونبيه المصطفى ﷺ إذ لابد من الرجوع إلى السيرة المطهرة واستلهام الدروس والعبر منها وتأكيد هوية الإسلام في وقت يكثر فيه أعداء الإسلام في عالم سريع التطور يتم فيه الابتعاد عن دين الإسلام وسنته الشريفة.

وأما علاقة النبي ﷺ بأزواجه فإنها كانت مثالاً ونموذجاً يحتذى به في الأخلاق الحميدة كالحب والمودة والرحمة والصدق وحسن المعاشرة والعدالة وغيرها من الصفات والأخلاق التي تحلى بها النبي ﷺ.

في مسالة الفضائل، فقد تمتع أزواج النبي ﷺ بجملة فضائل ميزتهن عن سائر نساء العالمين، وهي دليل على عظمة الإسلام ومكانة نبيه ﷺ، الأمر الذي جعل الله تعالى يخص أزواج النبي ﷺ بتلك الفضائل.

في مسألة تعدد الزوجات ردت هذه الدراسة على المزاعم التي هاجمت النبي ﷺ واتهمته بالشهوة وغيرها، فنقول إن ذلك كان لأسباب عديدة تبعاً لمقتضيات الحاجة في ذلك الوقت.

في مسألة أخذ السيرة النبوية من مصادرها الصحيحة، لابد من التأكيد بأن أغلب السيرة النبوية المطهرة قد رويت عن الإمام علي عليه السلام، وأننا لا نستغرب ذلك فهو عليه السلام نفس الرسول، وأخوه، وزوج البتول ومدينة العلم، منه نستمد المعرفة الحقة والرواية الصادقة سلام الله عليك يا أمير المؤمنين. ومن ثم فإنها روايات صحيحة لابد من الرجوع إليها والأخذ منها وترك ما عداها من الروايات الضعيفة والمدسوسة.

الهوامش

١) منير محمد الغضبان (ت ١٤٣٥ هـ)، فقه السيرة النبوية، ط٢ (جامعة أم القرى: ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م)، ٦٤٤.

٢) سورة الأحزاب/ آية ٥٠.

٣) سورة الأحزاب/ آية ٥١.

٤) سورة الأحزاب/ آية ٥١.

٥) الغضبان، فقه السيرة ٦٤٦.

٦) عبد الملك ابن هشام (ت ٢١٣ هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، (مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥م)، ٢: ٦٤٣؛ محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م)، ١: ٥٩٢.

٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥٨٣.

٨) عبد الملك بن محمد الخركوشي (ت ٤٠٧ هـ)، شرف المصطفى، ط١ (مكة دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٤ هـ)، ٣: ٢٤٥.

٩) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١: ٥٩٨.

١٠) الخركوشي، شرف المصطفى، ٣: ٢٤٣.

١١) محمد بن إسحق (ت ١٥١ هـ)، سيرة ابن إسحق، تحقيق: سهيل زكار، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م)، ٢٦٩.

١٢) سورة الأحزاب / آية ٢٨-٢٩.

١٣) سورة الأحزاب / آية ٥٢.

١٤) ابن إسحق، السيرة، ٢٧٠.

١٥) إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، (دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع: ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م)، ٨: ٢٣٣.

١٦) عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت ١١١١ هـ)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م)، ١: ٤٨٧.

١٧) محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ)، المحبر، تحقيق: ايلزة ليختن شتيتر، (بيروت:

دار الآفاق الجديدة، بلا تاريخ)، ٩٧ ؛ محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تاريخ الأمم والملوك، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ)، ٢: ٢١٥؛ محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تاريخ ١: ٥٩٧؛ العصامي، سمط النجوم، ١/ ٤٨٥.

١٨) سورة الأحزاب/ آية ٥١.

١٩) ابن حبيب، المحبر، ٩٢.

٢٠) محمد الطيب النجار (ت ١٤١١ هـ)، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، (بيروت: دار الندوة الجديدة، بلا تاريخ)، ٤٠٠-٤٠١. للاطلاع على موضوع تعدد الزوجات ينظر: أحمد أحمد غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، ط١ (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع: ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤م)، ١٤٠ وما بعدها.

٢١) د. محمد بن صامل السلمي وآخرون، صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر (ص)، ط١، (جدة: مكتبة روائع المملكة، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠م)، ٣١٠.

٢٢) سورة الأحزاب/ آية ٣-٤.

٢٣) عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ١٣٢ هـ)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م)، ١٣٢؛ المطهر بن طاهر المقدسي (ت نحو ٣٥٥ هـ)، البدء والتاريخ، (بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية، بلا تاريخ)، ٥: ١٠؛ عبد الرحمن بن محمد بن منده (ت ٤٧٠ هـ)، المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة، تحقيق: د. عامر حسن صبري التميمي (البحرين: وزارة العدل والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الدينية، بلا تاريخ)، ٢: ٤٧٣؛ الذهبي، تاريخ، ١: ٦٥؛ العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٣٣.

٢٤) ابن حبيب، المحبر، ٧٧ وما بعدها.

٢٥) الطبري، تاريخ، ١: ٥٢١؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ٥: ١٠؛ الذهبي، تاريخ، ١: ٦٣؛ العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٢٨.

٢٦) ابن إسحق، سيرة، ٢٤٥؛ ابن هشام، السيرة، ٢: ٦٤٤.

٢٧) خضير نعمة هادي، منهاج تاريخ عصر الرسالة الإسلامية، بغداد، بلا تاريخ، ٣٨.

٢٨) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الارناؤوط وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١ (مؤسسة الرسالة: ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م)، ٤١: ٣٥٦ رقم (٢٤٨٦٤).

٢٩) أحمد بن عمرو بن مخلد (ت ٢٨٧ هـ)، الآحاد والمثاني، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، ط١ (الرياض: دار الراية، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م)، ٥: ٣٨٧ رقم (٣٠٠٣).

٣٠) الغضبان، فقه السيرة، ١١٨.

٣١) الغضبان، ١١٩.
٣٢) مسلم، أبو الحسن (ت ٢٦١ هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ص)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، بلا تاريخ)، ٤: ١٨٨٦ رقم (٢٤٣٠).
٣٣) محمد بن أحمد الصوياني، الصحيح من أحاديث السيرة النبوية، ط١ (مدار الوطن للنشر: ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١م)، ١٢٢.
٣٤) د. أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة، ط٦ (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م)، ١: ١١٤.
٣٥) ابن إسحق، سيرة، ٢٥٤؛ ابن هشام، السيرة، ٢: ٦٤٤؛ ابن حبيب، المحبر، ٧٩؛ الطبري، تاريخ، ٢: ٢١١؛ ابن قتيبة، المعارف، ١٣٣٠١؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ٥: ١١؛ عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م)، ١٨:٣.
٣٦) ابن إسحق، سيرة، ٢٥٤؛ الخركوشي، شرف المصطفى، ٣: ٢٤٧.
٣٧) ابن هشام، السيرة، ٢: ٦٤٤.
٣٨) العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٣٤.
٣٩) مغطاي بن قليج البكجري (ت ٧٦٢ هـ)، الإشارة إلى سيرة المصطفى ومن بعده من الخلفاء، تح: محمد نظام الدين القتيح، ط١، (دمشق: دار القلم - بيروت: الدار الشامية، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م)، ١٣٣.
٤٠) العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٣٧.
٤١) ابن إسحق، سيرة، ٢٦٠؛ ابن هشام، السيرة، ٢: ٦٤٥؛ ابن حبيب، المحبر، ٨٣-٨٤؛ ابن قتيبة، المعارف، ١: ١٣٦؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ٥: ١٣؛ عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، ط١ (بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٩٩٧م)، ٢٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨: ٢٠٧؛ العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٥٥.
٤٢) ابن هشام، السيرة، ٢: ٦٤٥.
٤٣) ابن إسحق، سيرة، ٢٦٤؛ ابن حبيب، المحبر، ٩٠؛ الطبري، تاريخ ٢: ٢١٣؛ ابن قتيبة، المعارف، ١: ١٣٨؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ٥: ١٤؛ ابن الجوزي، تلقيح، ٢٥؛ الذهبي، تاريخ، ٢: ٤٢٢؛ محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، العبر في خبر من غبر،

تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، بلا تاريخ)، ١: ٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨: ٢١٠.

٤٤) ابن إسحق، سيرة، ٢٦٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٦: ٢٩١.

٤٥) منير محمد الغضبان (ت ١٤٣٥ هـ)، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ط٦ (الأردن، الزرقاء: مكتبة المنار، ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠م)، ٣: ١٣.

٤٦) ابن حبيب، المحبر، ٨٨؛ الطبري، تاريخ، ٢: ٢١٣؛ ابن قتيبة، المعارف، ١٣٦؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ٥: ١٣؛ ابن الجوزي، تلقيح، ٢٣.

٤٧) ابن حبيب، المحبر، ٨٩؛ علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، التنبيه والاشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، (القاهرة: دار الصاوي، بلا تاريخ)، ١: ٢٢٣.

٤٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ٦: ١٤٤.

٤٩) ابن كثير، ١٤٥.

٥٠) ابن كثير ١٤٧.

٥١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٦: ١٤٨؛ العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٦٨.

٥٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨: ٢٠٧.

٥٣) ابن هشام السيرة، ٢: ٦٤٥؛ ابن الجوزي، تلقيح، ٢٣.

٥٤) ابن إسحق، سيرة، ٢٥٩.

٥٥) ابن حبيب، المحبر، ٨٣.

٥٦) ابن هشام، السيرة، ٢: ٦٤٥؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ٥: ١٢.

٥٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨: ٢٠٧.

٥٨) ابن كثير.

٥٩) ابن قتيبة، المعارف، ١: ١٣٥؛ الخركوشي، شرف المصطفى، ٣: ٢٤٨؛ ابن الجوزي، تلقيح، ٢٣؛ علي بن أبي الكرم بن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م)، ٢: ٤٦٧؛ العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٥٢.

٦٠) ابن إسحق، سيرة، ٢٥٧؛ ابن هشام، السيرة، ٢: ٦٤٥.

٦١) ابن حبيب، المحبر، ٩١؛ ابن قتيبة، المعارف، ١: ١٣٧؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ٥: ١٤؛ ابن الجوزي، تلقيح، ٢٥؛ الذهبي، العبر، ١: ٣٣؛ العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٧٠.

٦٢) العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٧١.

٦٣) البكجري، الإشارة، ٢٩٢.

٦٤) ابن هشام، السيرة، ٢: ٦٤٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨: ٢٠٩.
٦٥) ابن إسحق، سيرة، ٢٦٧؛ ابن هشام، السيرة، ٢: ٦٤٦؛ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ)، ٤: ٣٣١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٦: ٣٨٨.
٦٦) أبو عمر محمد بن أحمد الصوياني، السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (قراءة جديدة)، ط١، مكتبة العبيكان، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤م، ٣: ٣٠١.
٦٧) ابن إسحق، سيرة، ٢٦٢؛ ابن هشام، السيرة، ٢: ٦٤٤؛ ابن حبيب، المحبر، ٨٥؛ الطبري، تاريخ، ٢: ٢١٣؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ٥: ١٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣: ٢٢٥؛ البكجري، الإشارة، ٢٥٣؛ العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٦٠.
٦٨) ابن حبيب، المحبر، ٨٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣: ٢٢٥.
٦٩) الصوياني، السيرة النبوية، ٣: ١٢.
٧٠) ابن إسحق، سيرة، ٢٦٢.
٧١) ابن هشام، السيرة، ٢: ٦٤٤.
٧٢) الصوياني، الصحيح، ٣٠٥.
٧٣) سورة الأحزاب / آية ٥٣.
٧٤) ابن إسحق، سيرة، ٢٥٨؛ ابن حبيب، المحبر، ٨٣، الطبري، تاريخ، ٢: ٢١٤؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ٥: ١٢؛ ابن الجوزي، تلقيح، ٢٤.
٧٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨: ٢٠٨؛ العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٥٤.
٧٦) ابن حبيب، المحبر، ٨١؛ الخركوشي، شرف المصطفى، ٣: ٢٤٨. يلاحظ من سياق البحث أن الروايات اختلفت في تحديد هوية الواهبة نفسها للنبي ﷺ من بين أزواجه.
٧٧) ابن إسحق، سيرة، ٢٦٣؛ ابن هشام، السيرة، ٢: ٦٤٥؛ ابن حبيب، المحبر، ٨٩-٩٠؛ الطبري، تاريخ، ٢: ١٣؛ ابن قتيبة، المعارف، ١: ١٣٩؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ٥: ١٥؛ ابن الجوزي، تلقيح، ٢٤؛ الذهبي، تاريخ، ٢: ٢٦٤؛ الذهبي، العبر، ١: ٨.
٧٨) عمر بن مظفر بن الوردي (ت ٧٤٩ هـ)، تاريخ ابن الوردي، ط١ (بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م)، ١: ١١٧.
٧٩) السيرة، ٢: ٦٤٦.
٨٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨: ٢٠٩؛ العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٦٤.
٨١) ابن هشام، السيرة، ٢: ٦٤٤؛ ابن حبيب، المحبر، ٨٠؛ ابن قتيبة، المعارف، ١: ١٣٤؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ٥: ١١.
٨٢) ابن حبيب، المحبر، ٨١؛ الخركوشي، شرف المصطفى، ٣:٢٤٧؛ ابن الجوزي،

المنتظم، ٣: ١٧؛ الذهبي، تاريخ، ١: ٢٦٩.

٨٣) عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨ هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م)، ١: ٩ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٤: ٣٢٤؛ العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٣٥.

٨٤) ابن إسحق، سيرة، ٢٥٥.

٨٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ٤: ٣٣٣.

٨٦) ابن حبيب، المحبر، ٩٣؛ الطبري، تاريخ، ٢: ٢١٤؛ ابن الجوزي، تلقيح، ٢٥-٢٦؛ الذهبي، تاريخ، ١: ٥٩٦.

٨٧) ابن الجوزي، تلقيح، ٢٦.

٨٨) ابن حبيب، المحبر، ٩٤؛ ابن الجوزي، تلقيح، ٢٦؛ الذهبي، تاريخ، ١: ٥٩٤.

٨٩) ابن حبيب، المحبر، ٩٥؛ الطبري، تاريخ، ٢: ٢١٤؛ ابن الجوزي، تلقيح، ٢٦؛ الذهبي، تاريخ، ١: ٥٩٣.

٩٠) ابن حبيب، المحبر، ٩٧؛ الطبري، تاريخ، ٢: ٢١٤؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ٥: ٩؛ ابن الجوزي، تلقيح، ٢٦؛ الذهبي، تاريخ، ١: ٥٩٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨: ٢١٧؛ العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٨٣.

٩١) ابن حبيب، المحبر، ٩٦-٩٧؛ الطبري، تاريخ، ٢: ٢١٥؛ الذهبي، تاريخ، ١: ٥٩٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨: ٢٢٤؛ العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٨٤.

٩٢) الطبري، تاريخ، ٢: ٢١٥.

٩٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨: ٢١٥.

٩٤) ابن إسحق، سيرة، ٢٦٧.

٩٥) العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٨.

٩٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨: ٢٢٤. عند ابن الجوزي أن ليلى بنت الخطيم هي التي وهبت للنبي ﷺ نفسها فلم يقبلها. تلقيح، ٢٧.

٩٧) ابن إسحق، سيرة، ٢٦٨؛ ابن الجوزي، تلقيح، ٢٧؛ الذهبي، تاريخ، ١: ٥٩٩؛ العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٧٨.

٩٨) العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٨١.

٩٩) الذهبي، تاريخ، ١: ٥٩٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨: ٢١٨؛ العصامي، سمط النجوم، ١: ٤٧٥.

١٠٠) ابن إسحق، سيرة، ٢٦٨؛ ابن الجوزي، تلقيح، ٢٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية،

٨: الصفحات ٢١٧، ٢٢٦.

١٠١) الطبري، تاريخ، ٢: ٢١٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨: ٢٢٦.

١٠٢) ابن الجوزي، تلقيح، ٢٧.

١٠٣) ابن الجوزي، ٢٨.

١٠٤) ابن حبيب، المحبر، ٩٨.

١٠٥) ابن حبيب، ٩٩.

١٠٦) العمري، السيرة النبوية، ٢: ٦٤٥.

١٠٧) العمري، ٦٤٦.

١٠٨) العمري، ٦٤٧.

١٠٩) العمري، ٦٤٨.

١١٠) إسحق بن إبراهيم بن راهويه (ت ٢٣٨ هـ)، مسند إسحق بن راهويه، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، ط١، (المدينة المنورة: مكتبة الإيمان)، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١م)، ٢: ٢٣٧ رقم (٧٤٤).

١١١) وأبو زرع المذكور هو زوج المرأة الحادية عشرة من المذكورات وهي التي أطنبت في مدحه وبالغت في ذكر أوصافه الحسنة، ومن اطلع على هذا الحديث علم أن الذّامّات منهن لأزواجهن خمس الأولى والثانية والثالثة والساسة والسابعة، والمادحات لأزواجهن ست الرابعة والخامسة والثامنة والتاسعة والعاشرة والحادية عشرة وهي أم زرع التي اشتهر الحديث بها. ينظر: يعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٢٧٧ هـ)، المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م)، ١: ٤٣٧؛ محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ط١ (مكة: مكتبة النهضة الحديثة، بيروت، دار خضر للطباعة، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م)، ١: ٢٤٠.

١١٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٣: ٢٠٨.

١١٣) العمري، السيرة النبوية، ٢: ٦٤٤-٦٤٥.

١١٤) محمد بن محمد أبو شهبة (ت ١٤٠٣ هـ)، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ط٨ (دمشق: دار القلم، ١٤٢٧ هـ)، ٢: ٦٢١.

١١٥) أبو شهبة، ٦٢٢.

١١٦) أبو زيد عمر بن شبه (ت ٢٦٢ هـ)، تاريخ المدينة، حققه: فهيم محمد شلتون، (إيران، قم: دار الفكر، ١٤١٠ هـ)، ٢: ٤٩٨. أسماء هي أخت ميمونة زوج النبي ﷺ. أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة،

تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١ (دار الكتب العلمية: ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م)، ٥: ٣٩٥.

١١٧) سورة الممتحنة/ آية ٧.

١١٨) ابن حبيب، المحبر، ٨٩.

١١٩) الذهبي، تاريخ، ١: ٤٧٩؛ الكردي، التاريخ القويم، ١: ١٥١.

١٢٠) الوسق: ستون صاعاً وهو حمل البعير. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ)، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م)، ٤: ١٥٦٦.

١٢١) ابن شبه، تاريخ المدينة، ١: ١٨٦؛ الذهبي، تاريخ، ٢: ٤٢٧.

١٢٢) الفسوي، المعرفة والتاريخ، ١: ٤٨٦-٤٨٧.

١٢٣) ابن الجوزي، تلقيح، ٥١٣.

١٢٤) ابن حبيب، المحبر، ٩٢.

١٢٥) ابن شبه، تاريخ المدينة، ٢: ٦٣٧.

١٢٦) محمد حسين هيكل (ت ١٣٧٦ هـ)، حياة محمد ﷺ، (بلا مكان: بلا تاريخ)، ٢٨٠.

١٢٧) عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣ هـ)، السيرة النبوية، تح: د. محمد فهمي السرجاي، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، بلا تاريخ)، ٤: ٤٧٤.

١٢٨) سورة الأحزاب/ آية ٦.

١٢٩) ابن كثير، تفسير، ١٤٥.

١٣٠) سورة الأحزاب/ آية ٢٨-٢٩.

١٣١) سورة الأحزاب/ آية ٣٠.

١٣٢) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، بلا تاريخ)، ٥: ٦٥.

١٣٣) سورة الأحزاب/ آية ٣٢.

١٣٤) ابن كثير، تفسير، ١١: ١٥٠.

١٣٥) سورة الأحزاب/ آية ٥٣.

١٣٦) سورة الأحزاب/ آية ٣٣.

١٣٧) سورة الأحزاب/ آية ٢٨.

١٣٨) أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط١، (بيروت: دار

الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م)، ١٠: ٢٥٧.

١٣٩) أبو حفص عمر بن علي بن الملقن (ت ٨٤ هـ)، غاية السول في خصائص الرسول ﷺ، تحقيق: عبد الله بحر الدين عبد الله (بيروت: دار البشائر الإسلامية)، بلا تاريخ، ١٤٨.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

المصادر:

* ابـن الأثـير، عـلي بـن أبي الكـرم (ت ٦٣٠ هـ)

* أسـد الغابـة في معرفـة الصحابـة، تـح: عـلي محمـد معـوض وعـادل أحمـد عبـد الموجـود. ط١. ٨ج. دار الكتـب العلميـة: ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م.

* الكامـل في التاريـخ، تـح: عمـر عبـد السلام تدمري، ط١. بيروت: دار الكتاب العـربي، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م.

* ابـن إسـحق، محمـد (ت ١٥١ هـ)، سـيرة ابـن إسـحق، تـح. سـهيل زكار، ط١. ١ج. بـيروت: دار الفكـر، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م.

* البكجـري، مغلطـاي بـن قليـج (ت ٧٦٢ هـ)، الإشـارة إلى سـيرة المصطفـى ومـن بعـده مـن الخلفـاء. تـح: محمـد نظـام الديـن القتيـح، ط١. ١ ج. دمشـق: دار القلـم - بـيروت: الـدار الشـامية، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م.

* البيهقـي، أحمـد بـن الحسـين (ت ٤٥٨ هـ)، دلائـل النبـوة ومعرفـة أحـوال صاحـب الشريعـة، ط١. ٧ ج. بـيروت: دار الكتـب العلميـة، ١٤٠٥م.

* ابـن الجـوزي، عبـد الرحمـن بـن عـلي (ت ٥٩٧ هـ)

* تلقيـح فهـوم أهـل الأثـر في عيـون التاريـخ والسـير. ط١. ١ج. بـيروت: شركـة دار الأرقـم بـن أبي الأرقـم، ١٩٩٧م.

* المنتظـم في تاريـخ الملـوك والأمـم، تـح: محمـد عبـد القـادر عطـا ومصطفـى عبـد القـادر عطـا، ط١. ١٩ ج. بـيروت: دار الكتـب العلميـة، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م.

* الجوهـري، إسـماعيل بـن حمـاد (ت ٣٩٣ هـ)، الصحـاح تـاج اللغـة وصحـاح العربيـة، تـح: أحمـد عبـد الغفـور عطـار، ط٤. ٦ج. بـيروت: دار العلـم للملايـين، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.

* ابـن حبيب، محمـد (ت ٢٤٥ هـ) المحبر، تـح: ايلـزة ليختـن شـتيتن، ١ج. بـيروت: دار الآفـاق الجديـدة، بـلا تاريـخ.

* ابـن حنبـل، أحمـد (ت ٢٤١ هـ)، مسـند الإمـام أحمـد بـن حنبـل، تـح: شـعيب الارنـاؤوط وآخـرون، إشراف: د. عبـد الله بـن عبـد المحسـن التركـي، ط١. مؤسسـة الرسـالة: ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م.

* الخركـوشي، عبـد الملـك بـن محمـود (ت ٤٠٧ هـ)، شرف المصطفـى، ط١. مكـة: دار البشـائر الإسـلامية، ١٤٢٤ ه.

* الذهبـي، محمـد بـن أحمـد (ت ٧٤٨ هـ)، تاريـخ الإسـلام ووفيـات المشـاهير والأعـلام، تـح: عمـر عبـد السـلام تدمري، ط٢. ٥٢ ج. بـيروت: دار الكتـاب العـربي، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م.

* العـبر في خـبر مـن غـبر، تـح. محمـد السـعيد بـن بسـيوني زغلـول، ٤ ج. بـيروت: دار الكتـب العلميـة، بـلا تاريـخ.

* ابـن راهويـه، إسـحق بـن راهويـه (ت

٢٣٨ هـ)، مسند إسحق بن راهويه، تحقيق. د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي. ط١. ٥ج. المدينة المنورة: مكتبة الإيمان، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١م.
* الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بلا تاريخ.
* ابن شبه، أبو زيد عمر (ت ٢٦٢ هـ)، تاريخ المدينة، حققه: فهيم محمد شلتوت، إيران، قم: دار الفكر، ١٤١٠ هـ.
* الصوياني، محمد بن أحمد
* السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (قراءة جديدة. ط١. ٤ج. مكتبة العبيكان، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤م.
* الصحيح من أحاديث السيرة النبوية. ط١. ١ج. مدار الوطن للنشر، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
* الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، تاريخ الأمم والملوك، ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠ ه.
* الفسوي، يعقوب بن سفيان (ت٢٧٧ هـ)، المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢. ٣ج. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.
* ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ١٣٢ هـ)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢. ١ج. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.
* ابن كثير إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)
* البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١. ٢١ج. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م.
* تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط٢. ٨ج. دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م.
* ابن مخلد، أحمد بن عمرو (ت ٢٨٧ هـ)، الآحاد والمثاني، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، ط١. ٦ج. الرياض: دار الراية، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م.
* مسلم، أبو الحسن (ت ٢٦١ هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ٥ ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي، بلا تاريخ.
* المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ). التنبيه والاشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة: دار الصاوي، بلا تاريخ.
* المقدسي، المطهر بن طاهر (ت نحو ٣٥٥ هـ)، البدء والتاريخ، ٦ ج. بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية، بلا تاريخ.
* المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي. ط١. ١٥ ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م.

* ابن الملقن، عمر بن علي (ت ٨٤ هـ)، غاية السول في خصائص الرسول، تح: عبد الله بحر الدين عبد الله. ١ ج. بيروت: دار البشائر الإسلامية، بلا تاريخ.
* ابن منده، عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧٠ هـ)، المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة، تح: د. عامر حسن صبري التميمي، ٣ ج. البحرين: وزارة العدل والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الدينية، بلا تاريخ.
* ابن هشام، عبد الملك (ت ٢١٣ هـ)، السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢. ٢ج. مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥م. وطبعة أخرى: تح: د. محمد فهمي السرجاني، ٤ ج. القاهرة: المكتبة التوفيقية، بلا تاريخ.
* ابن الوردي، عمر بن مظفر (ت ٧٤٩ ه)، تاريخ ابن الوردي. ط١. ٢ ج. لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ ه/ ١٩٩٦م.
* اليافعي، عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨ هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ ه/ ١٩٩٧م.

المراجع:

* السلمي، د. محمد بن صامل وآخرون، صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر ﷺ. ط١, ١ح. جدة: مكتبة روائع المملكة، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠م.
* أبو شهبة، محمد بن محمد (ت ١٤٠٣ هـ)، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ط٨. ٢ج. دمشق: دار القلم، ١٤٢٧ هـ.
* العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت ١١١١ هـ)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١. ٤ ج. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م.
* العمري، د. أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة. ط٦. ٢ج. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م.
* الغضبان، منير محمد (ت ١٤٣٥ هـ).
* فقه السيرة النبوية. ط٢. ١ج. جامعة أم القرى، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م.
* المنهج الحركي للسيرة النبوية، ط٦. ٣ج. الأردن، الزرقاء: مكتبة المنار، ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠م.
* غلوش، أحمد أحمد، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، ط١. ١ ج. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر

والتوزيع، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٠م.
* الكردي، محمد طاهر، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم. ط١. ٦ج. مكة: مكتبة النهضة الحديثة، بيروت، دار خضر للطباعة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
* النجار، محمد الطيب (ت ١٤١١ هـ)، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، ١ج، بيروت: دار الندوة الجديدة، بلا تاريخ.
* هادي، خضير نعمة، منهاج تاريخ عصر الرسالة، بغداد، بلا تاريخ.
* هيكل، محمد حسين (ت ١٣٧٦ هـ)، حياة محمد. ١ج، بلا مكان، بلا تاريخ.

الفروق اللغوية
بين الإمامة والخلافة والولاية

أ.م.د. سحر ناجي فاضل المشهـدي
المديرية العامة لتربية محافظة النجف الأشرف

Language Differences
Between The Lmamate، The Caliphate، and The Guardianship

Asst. Prof. Dr.
Sahar Naji Fadel Al-Mashhadi
The General Directorate of Education in Najaf Governorate

الملخص

يسعى بحثنا الحالي الى دراسة مفاهيم (الإمامة، الخلافة، الولاية) في ضوء المفهوم الدلالي فقد تقاربت معانيها في الاصول؛ إلاّ أنّ هنالك فروقا دلالية تختصّ بكل لفظ، و قد ضمّ القرآن الكريم ألفاظاً تدعو إلى وجوب المبايعة و الولاء و النصرة لسيدنا وإمامنا أمير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب عليه السلام.

إذ حمل الرسول العظيم صلى الله عليه وآله تعاليم النص القرآني في التبليغ بما جاء عنه تعالى على لسان الوحي جبرائيل في قوله تعالى **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾** [1] وما ذلك التبليغ إلاّ لبيان منزلة إمامنا عَلِيِّ بْنَ أَبي طالِب عليه السلام من النبي محمد صلى الله عليه وآله فهو منه بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام وهو الخليفة على الأمة من بعده لقوله تعالى: **﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾**[2] و قد وجّه رسولنا العظيم صلى الله عليه وآله الأمة الاسلامية أجمعها بوجوب اتبّاعه بلفظ (معاشر الناس) إذ تكرر هذا النداء في معظم الخطبة وهو خطاب عام؛ فالإمام عليه السلام ليس ملكا للإسلام حسب، وإنما هو قيمة إنسانية عالمية للعالم أجمعه.

قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله: « فَاعْلَمُوا مَعاشِرَ النّاسِ ذلِكَ فيهِ وَافْهَمُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وَإِماماً فَرَضَ طاعَتَهُ عَلَى الْمُهاجِرينَ وَالأَنْصارِ وَعَلَى التّابِعينَ لَهُمْ بِإِحْسان وَعَلَى الْبادي وَالْحاضِرِ، وَعَلَى الْعَجَمِيِّ وَالْعَرَبِيِّ وَالْحُرِّ وَالْمَمْلُوكِ وَالصَّغيرِ وَالْكَبيرِ، وَعَلَى الأَبْيَضِ وَالأَسْوَدِ، وَعَلى كُلِّ مُوَحِّد ماض حكمه..» [3]، و بمجيئه اقيمت دولة

العدل الالهي بالرغم من المتصدين له و قد اتبعت في بيان هذا البحث منهجا تحليليا فعدت الى المعنى اللغوي في معجماتنا اللغوية فتفتحت دلالات النصوص و حملت معاني متعددة.

وتوصلت إلى أنّ لفظ (إمام) أعمّ و أشمل من الخليفة و الوالي؛ لأن معاني (ولي) تدل على القريب و الصاحب و الناصر، و الخلافة تدلّ على التالي؛ أما الإمام فهو الأصل و المرجع و الطريق المستقيم فهو أعم وأشمل من سابقيه. و قد عمل الحكام الأمويون على أن يجعلوا مفهوم الولاية مرادفاً لمفهوم الخلافة، و شاعت هذه المفاهيم في المجتمع القائم آنذاك فالخلافة نمط من أنماط الإمامة، و كل إمام هو خليفة و ليس كل خليفة إماماً وقد اتبعت في بيان هذا البحث منهجا تحليليا فعدت الى المعنى اللغوي في معجماتنا اللغوية لبعض الالفاظ في نصوص الخطبة فتفتحت دلالات النصوص و حملت معاني متعددة.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد وآله المنتجبين.

Abstract

The nation after him, for he says: (but God and His Messenger and those who Believe those who pray and pay zakaah while they are bowing

Our great prophet has directed the entire Islamic Ummah to follow the word «cohabitation of the people» as this call is repeated in most sermons and is a public discourse; the Imam (peace be upon him) is not only the property of Islam, but is a universal human value for the whole world.

Holy Prophet said: «ye know Socialized people that it and Avanmoh, and know that God has set it up to you and Leah imam to impose obedience on immigrants and supporters and those who followed them in truth, and the Badi and present, and the Ajami and the Arab, and the free-owned and small and large, and the black and white, and every uniform The State of Divine Justice was established in spite of those who confronted it

And I followed in the statement of this research analytical approach and returned to the linguistic meaning in our linguistic expressions for some of the words in the texts of the sermon opened connotations texts and carried multiple meanings.

Our last prayer is that Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon our master Muhammad and his family And our final prayer is: Praise be to God, Lord of the worlds, and prayers and peace be upon our Master Muhammad and his fami.

أولاً الإمامة (لغة و اصطلاحاً)

كثيراً ما يتردد لفظ (الإمام) بمعناه العام و هو المتقدم و إمام أيِّ شيءٍ يعني قدامه و قد بيّن أحمد بن فارس (ت ٣٩٢ هـ) أصل حروفه؛ فالهمزة و الميم يتفرع منه أربعة أبواب و هي الأصل و المرجع و الجماعة و الدِّين. و هذه الأربعة متقاربة و بعد ذلك أصول ثلاثة و هي القامة و الحِين و القَصْد [٤].

و إمامة مصدر من (أمَّ) و قوله أمَّهم و أمَّ بهم تقدمهم و الإمام كلُّ من ائتمّ به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو ضالين و القرآن إمام المسلمين و نبينا محمد إمام الائمة و الخليفة إمام الرَّعية [٥].

و هو الطريق الواسع قال تعالى ﴿**و إنّهما لبإمام مبين**﴾ [٦]

أمّا من حيث المعنى الاصطلاحي فلم يخرج مفهومه عن معناه اللغوي فالإمام هو الخليفة و العالم المقتدى به و من يُؤتم به في الصلاة و يطلق على الذكر و الانثى و الإمام اسم لا صفة يكثر في الرجال دون النساء [٤].

يقول الراغب (ت ٥٠٢ هـ) « و الإمام المُؤتم به إنساناً كأن يقتدى بقوله أو بفعله أو كتابا أو غير ذلك مُحِقاً كان أو مبطلاً و جمعه أئِمةُ [٧].

و قال الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) « الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين و سياسة الدنيا » [٨].

فالإمام هو القدوة الحسنة و اختلف بين المذاهب الاسلامية في تطبيق سلطتها أهي دينية أم سياسية؟، فنحن الشيعة نجد أن ممارسة سلوكها سياسي و ديني و هي امتداد للنبوة ؛ لاتصال الرسول بالوحي و بذلك فإنّ تنصيب الامام يوجب بالنص من الله حصراً ؛ بينما يرى أهل السنة أن

في ممارستها اجتهاداً سياسياً باعتبار أنّ النبي يقوم بالدور السياسي و يعتمد الاجتهاد فتنصيبه من طريق اختيار الناس له.

فاستنتاج أهل السنة لكلمة الإمام هي معنى الخليفة نفسه. (٩)

وفي ضوء ما تقدم فقد نشأ الخلاف حول هذه القضية و عند شيعة آل البيت محصورة بالإمام علي عليه السلام و من بعده اثنا عشر إماماً مختتماً بإمامنا المهدي عجل الله فرجه.

و يرى الرازي (ت ٦٠٤ هـ) أنّ « الإمام في اللغة كل من ائتم به قوم كانوا على هدى او ضلالة فالنبي إمام أمته و الخليفة إمام رعيته و القرآن إمام المسلمين و إمام القوم هو الذي يقتدى به في الصلاة »(١٠).

و الإمامة هي قول و فعل و تقرير فالإمام حجة على الناس تجب عليهم طاعته، بخلاف النبوة التي تقتضي طاعة الأحكام الإلهية فقط.

ثانياً الإمامة في القرآن الكريم

ورد هذا اللفظ في اثني عشر موضعاً من القرآن الكريم (١١)، و جاءت ألفاظ (الولاية و الولي و المولى) في صفات الله سبحانه و تعالى، و أولياؤه هم المؤمنون ؛ و بخلافهم أولياء الكفار و قد عُدَّت من أصول الدِّين إذ تعددت الآيات التي تتناول هذا اللفظ و معناه و منها قوله تعالى: ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾ (١٢)

فقد اختصّ بها سيدنا إبراهيم عليه السلام، فوهبه الله بعد أن كان نبياً تحمل أعباء الرسالة فكان على مقام رفيع وفق عقد إلهي اصطفاه الله لعباده الصالحين و يتبين من هذه الآية المباركة أنّ ابراهيم عليه السلام كان نبيا ثم نبيا و إماماً بعد أن صارت له ذرية فطلب الإمامة لهم و لم يعلم أن الإمامة

منصب إلهي بدليل ﴿ **و من ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين** ﴾ و هي رياسة في الدين لا تقع على الظالمين و كانت إمامته في أواخر عهده بعد أن ولد اسماعيل و اسحاق وقد ابتلاه الله ﷻ ببلاء واختبار فنال النبوة و الإمامة و اختلف المفسرون في معاني (كلمات) فقيل صبره و قيل: النظر في الكواكب و الشمس و القمر و الانقياد لأحكامه تعالى ثم ذبح ولده [١٣].

و لفظ (إماماً) جاء مفعولا ثانيا لاسم الفاعل (جاعل) في الزمن الذي تتحدث عنه الآية وهو المقتدى الذي يقتدي به الناس و يتبعونه في أقواله ؛ لذا فقد فسّره بعض المفسرين بـ(النبوة) فهو المتبوع في أقواله و أفعاله [١٤].

و قصة الإمامة بدأت مع أواخر عهد سيدنا ابراهيم عليه السلام بعد أن بشّره الله بإسحاق و يعقوب فالإمامة مقام إلهي أعطيت لإبراهيم وقت شيخوخته و كهولته و هي غير النبوة التي أُعطيت لابراهيم في وقت فتوته و شبابه و قد سألها لأبنائه الذين رُزِق بهم في كبره [١٥].

و يبدو أن للإمامة مقاماً أرفع و أسمى من النبوة منحها الله لإبراهيم بعد أن تعرض لاختبارات عديدة و لها وقع اجتماعي بين الناس بدليل قوله تعالى: « **إني جاعلك للناس إماماً** » [١٦]

و مثله قال تعالى: ﴿ **أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [١٧]

واختلف في معناها المفسرون ؛ فذهب الرازي الى أنها النبوة لأن التكليف معها شاق فأراد الله ان يراه يتحمل المتاعب و المشاق في التبليغ بأمر الرسالة

و قبل المراد بها النبوة ؛ فالنبي ﷺ يقتدى به في الدين و قيل: ان المعنى غير ذلك ؛ لأنه كان نبيا قبل تقلده الامامة [١٨].

ثالثاً الألفاظ التي تدل على معنى (الإمامة)

من الألفاظ التي تدلُّ على معنى الإمامة و التي ورد ذكرها في القرآن الكريم (النبوة التقدم المطاعية الخلافة الوصاية الرئاسة في الدين و الدنيا و القائد أو المثال).

و جاء لفظ (إمام) مجموعا (أئمة) على زنة (أفعلة)، فأدغمت الميم الى حركة ماقبلها فلما حركت بالكسر ابدلت ياء و قال الاخفش جعلت الهمزة ياء لانها في موضع كسر و ما قبلها مفتوح فلم يهمزوا لاجتماع همزتين.

قال الزجّاج (ت ٣١١ هـ) « اكثر البصريين لا يجيزون(أئمة) بهمزتين، و ابن ابي اسحاق وحده يجيز اجتماع همزتين و سيبويه و الخليل و جميع البصريين ـ إلا ابن اسحاق ـ يقولون أيمة ـ بهمزة و ياء ـ و اذا كان الهمزتان في كلمة واحدة لم يجيزوا الا ابدال الثانية في نحو أيمة وآدم ومن قرأ أئمة لزمه أن يقول في « آدم « أَأْدم » لأنه أفعل من الأدْمة وأئمة أفعلة و لاينبغي أن تقرأ إلا أيمة لأن من حقق الهمزة فيما يجوز فيه تخفيف الهمز أجاز التخفيف فكذلك هو يجيز التخفيف في أيمة فتصير قراءة أيمة إجماعا». [١٩]، و أكثر القّراء يقرؤه بقلب الهمزة الثانية ياء (أيمة الكفر) وإبقاء همزة واحدة.

قال تعالى: ﴿ **وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ**﴾[٢٠] و (أئمة) الدعاة و القادة الى جهنم [٢١].

و قد ورد لفظ إمام بمعنى الكتاب في قوله تعالى: «و مِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَـذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ» [٢٢]

فإماماً و رحمةً حال.

قال تعالى﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ (٢٣)

اختُلِف في لفظ الإمام هـا هـنا فقيل النبي الكتاب القرآن فالنبي ينادي أمته يوم القيامة يا أمة ابراهيم يا أمة موسى... الخ.

ويقال بأن أتباع الحق و هم من صدّق بالأنبياء يأخذون كتبهم بإيمانهم ثم ينادى كل فريق بنبيهم و قيل ينادون بكتابهم يا أهل القرآن يا أهل التوراة و قيل بكتابهم فسُمي الكتاب إماما

إمامهم نبيهم و روي لفظ (إمام) مرفوع و الباء التي لاصقته فيها وجوه

١. تبعاً لنبيهم كالدعاء بالاسم.

٢. تتعلق بمحذوف في موضع الحال كأنّه قيل يدعو كل أناس مختلطين بإمامهم.

٣. و قيل الإمام الكتاب و الباء بمعنى (مع) فيدعوهم مع كتابهم.

٤. و قيل الامام جمع (أم) فيدعو كل الناس بأمهاتهم و يرى الزمخشري أنّه من بُدّع التفسير و الحكمة بالدعاء مع امهاتهم رعاية لعيسى و اشرافا للحسن و الحسين

٥. الخُلُق الباطن لكل انسان كالإمام له (٢٤).

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ (٢٥)

و في لفظ (ائمة) وجوه منها اي يدعون الناس الى الدين و الخيرات، و قيل النبوة [٢٦].

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [٢٧]

اللفظ هاهنا (إماما) مفرد و ما قبله مجموع بدليل ورود (نا) المتكلمين اي قدوة و مثال يحتذى به

و قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [٢٨].

رابعاً الإمامة في الحديث الشريف

﴿ إنما وليكم الله ﴾ [٢٩]

خطاب الهي موجه الى الامة الاسلامية و «الذين آمنوا» لم يحددوا بالتفصيل ؛ لذا وجب الرجوع الى الرسول الكريم وهو المصدر الوحيد، و فرض ولاية اولي الامر اختلفوا فيها و كانت الولاية آخر الفرائض [٢٨]. و الإمام منصب من الله ﷻ لرئاسة الأمة الاسلامية وقيادتها في جميع أمور المسلمين الدنيوية و الدينية و هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿يوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [٣٠]

خامساً الخلافة

الخاء و اللام و الفاء أصولٌ ثلاثة أحدُها أن يجيءَ شيء بعد شيء يقوم مقامه و الثاني خلاف قُدَّام و الثالث التغيُّر « [٣١]

و الخلف ضد قُدّام و هـو ماجاء من بعد [٣٢].

و أصل خليفة (خَلِيف) بغير هـاء بمعنى الفاعل و الهـاء فيه للمبالغة ويوصف به الرجال خاصة و يجمع على خلفاء و خلائف [٣٣]

و يقال استخلفته اي جعلته خليفة و الخليفة الذي يُستَخْلَف ممن قبله و جمعه خلائف و قال سيبويه خليفة و خلفاء كسروه تكسير فعيل ؛ لأنه لايكون إلاّ للمذكر و الخلافة الإمارة ورأى الزجاج أنّه من الجائز أن يقال للأئمة خلفاء الله في أرضه فجاء مفرداً مشيراً إلى خلافة الإنسان في قوله تعالى ﴿ **ياداوود إنا جعلناك خليفة في الارض** ﴾[٣٤]، فجاء لفظ (خليفة) منكرًا دالاً على الإطلاق.

و الخليفة السلطان الأعظم و استخلفه جعله خليفة [٣٥].

و جاء بصيغة الجمع مشيراً الى خلافة المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ *إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [٣٦] فجعل امة محمد خلائف لكل الامم.

و الخلافة النيابة عن الغير لغيبة أو لموت أو لعجز أو لتشريف المنوب عنه و به استخلف الله أولياءه في الأرض [٣٧].

و الخلافة الإمارة و الإمامة [٣٨].

وما يختص به بحثنا هو المعنى الأول ؛ فالأوّل الخَلف و ماجاء بعده و يقولون خلف صادق من أبيه و سوء من أبيه فإن لم يذكروا صدقاً أو سوءاً قالوا للجيِّد خَلَف و منه قوله تعالى « فخلف من بعدهم خلف «

و من تتبع آيات القران الكريم نجد أن مفهوم الخلافة في القرآن الكريم

جاء ليدلُّ على أنّه أمر إلهي لادخل لبشر فيه و هي خلافة مطلقة.

سادساً الإمامة

لفظ الإمام بمعنى القُدّام فإمام أي شيء يعني قدامه و من أصل حروفه؛ فالهمزة و الميم يتفرع منه أربعة أبواب و هي الأصل و المرجع و الجماعة و الدِّين. و هذه الأربعة متقاربة و بعد ذلك أصول ثلاثة و هي القامة و الحِين و القَصْد [٣٩].

و إمامة مصدر من (أمَّ) و قوله أمَّهم و أمَّ بهم تقدمهم و الإمام كلُّ من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو ضالين و القرآن إمام المسلمين و نبينا محمد إمام الائمة و الخليفة أمام الرعية [٤٠].

و هو الطريق الواسع قال تعالى: « وإنّهما لبإمام مبين » [٤١]

أمّا المعنى الاصطلاحي فلم يخرج عن المعنى اللغوي فالإمام هو الخليفة و العالم المقتدى به و من يُؤتم به في الصلاة و يطلق على الذكر و الانثى و الإمام اسم لا صفة يكثر في الرجال دون النساء [٤٢].

يقول الراغب: « و الإمام المُؤتم به إنساناً كأن يقتدى بقوله أو بفعله أو كتابا أو غير ذلك مُحِقاً كان أو مبطلاً و جمعه أئِمةُ [٤٣].

و قال الماوردي: « الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين و سياسة الدنيا » [٤٤]، فالإمام هو القدوة الحسنة و اختلف بين المذاهب الاسلامية في تطبيق سلطتها هل هي دينية أم سياسية؟، فنحن الشيعة نجد أن ممارسة سلوكها سياسي و ديني و هي ضرورة امتداد للنبوة ؛ لاتصال الرسول بالوحي و بذلك فإنّ تنصيب الامام يوجب بالنص من الله حصرا بينما يرى أهل السنة أن في ممارستها اجتهادا سياسياً باعتبار أنّ النبي يقوم

بالدور السياسي و يعتمد الاجتهاد فتنصيبه من طريق اختيار الناس له.

نستنتج مما سبق أنّ لفظ (إمام) أعمّ و أشمل من الخليفة و الوالي ؛ لأن معاني (ولي) تدل على القريب و الصاحب و الناصر و الخلافة تدلّ على التالي ؛ أما الإمام فهو الأصل و المرجع و الطريق المستقيم فهو أعم وأشمل من سابقيه.

و قد عمل الحكام الأمويون على أن يجعلوا مفهوم الولاية مرادفا لمفهوم الخلافة و شاعت هذه المفاهيم في المجتمع القائم آنذاك فالخلافة نمط من أنماط الإمامة و كل إمام هو خليفة و ليس كل خليفة إماماً.

و الامامة ليست محصورة بإمام واحد اذ جاء الإمام علي عليه السلام و من بعده اثنا عشر إماماً مختتماً بإمامنا المهدي عجل الله فرجه، و قد اختصّ بها سيدنا ابراهيم عليه السلام، فوهبه الله بعد أن كان نبيا تحمل أعباء الرسالة فكان على مقام رفيع وفق عقد إلهي اصطفاه الله لعباده الصالحين.

و الإمامة قول و فعل و تقرير والإمام حجة على الناس تجب عليهم طاعته، بخلاف النبوة التي تقتضي طاعة الأحكام الإلهية فقط.

و قد صرّح القرآن بلفظ الإمامة لسيدنا و مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في آيات عديدة ومنها (اولي الامر الذين آمنوا).

سابعاً التطور الدلالي للفظ (ولي)

إنَّ الأصل في لفظ (ولي) يدلّ على القرب الحسي ثم توسع استعمالا وأُطلق على المعقولات فجاء لفظ ولي في القرآن الكريم في مئتين وثمان وثلاثين موضعا [٤٥]، بمعنى الناصر و الحليف و الصديق و كلها معانٍ تدلّ على القرب و اقترن بألفاظ معينة كـ(نصير شفيع وَاقٍ)، كقوله

تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ *وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٤٦)

و قال تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا *وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾(٤٧)، فالولي هو الله و هو (النصير الشفيع الواقي)

و جاء في موضع واحد مقترن مع لفظ (حميم) مع العباد من المؤمنين أو الكفار: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيم ﴾ (٤٨)

و المولى هو الولي على ثمانية أوجه (المعتِق بالكسر و الفتح و الولي الأولى بالشيء و ابن العم و الصهر و الجار و الحليف (٤٩).

و جاء الولي في القرآن الكريم بمعان متعددة و منها

الابن ﴿ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ (٥٠)

الورثة ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ * وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ * إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ (٥١)

القرب من المكان ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً * وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٥٢)

القرب في النسب ﴿ يوم لايغنى مولى عن مولى شيئا ﴾ (٥٣)

الولاية في الدين ﴿ هنالك الولاية لله الحق ﴾ (٥٤)

السَّيد ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ (٥٥).

الحليف و الجار ﴿فأعلموا أن الله مولاكم نعم المولى و نعم النصير﴾ (٥٦)، و كلها معان تدلُّ على النصرة كولاية الحكم العامة (الامامة الكبرى) و ولاية الخاصة (القضاء) أو قد تنشأ من العقد كالوكالة و الوصية (٥٧). ثم اطلق اللفظ الولاية على المركز الذي يستقر فيه محافظ المدينة. ومنه ولي الصبي أو الطالب من يلي أمره و ولي النعمة صاحبها و ولي العهد من يخلف السلطان (٥٨).

و يبدو ان هذا مأخوذ من التصوف فولي الله هو الناصر و المخلص له، وأولياء المؤمن إخوانه.

ثامناً التطور الدلالي للفظة إمام

يعدّ لفظ الإمامة من الألفاظ التي تطورت معانيها الدلالية ففي العصر الجاهلي أُطلِق على خشبة أو خيط يسوى بها البناء

قال النابغة أبوهُ قَبلَه و أبُو أبيهِ بَنَوا مَجدَ الحياةِ على إمامِ (٥٩).

ويعني به (المثال) و الإمام خشبة البناء و الطرق و القدّام (٦٠).

وفي العصر الاسلامي تطور معناه إذ تكررلفظ إمام في القرآن الكريم في اثني عشر موضعا من القرآن الكريم (٦١)، و منها المعاني التالية

المثال ﴿إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ * قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا * قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي * قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (٦٢)

فجاء لفظ (إماماً) القدوة أو المثال فالله جعل سيدنا ابراهيم عليه السلام إماما و سأله بأن تكون الامامة من بعده في ذريته ومن هذه الآية تتبين منزلة الامامة التي فاقت منزلة النبوة و الرسالة فقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾(٦٣)

كتاب الأعمال

﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ *فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا** ﴾(٦٤)، فإمامهم كتاب أعمالهم فمن أوتي كتابه بيمينه فرحته و سروره بما فيه من عمل صالح (٦٥).

اللوح المحفوظ أو الكتاب المقتدى به أو صحائف الأعمال ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ** ﴾ (٦٦)

التوراة ﴿ **أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً** ﴾ (٦٧)، و هنا استفهام انكاري فالكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام و (إماما) نصب على القطع و رحمة عطف على الامام كأنه قيل و من قبله كتاب موسى إماما لبني اسرائيل يأتمرون به و رحمة من الله تلاه على موسى (٦٨)

الطريق الواضح ﴿ **فانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ** ﴾ (٦٩)

﴿ **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ** ﴾ (٧٠)

الكتاب السماوي التشريعي ﴿ **وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً * وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ** ﴾(٧١)

قائدالقوم﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ * وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَايُنْصَرُونَ﴾(٧٢)

﴿ و إن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ * إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ (٧٣)

﴿وَجَعَلْنَامِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا * وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(٧٤)

و منه قوله تعالى ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٧٥)

فالإمامة تتقدم على منزلة النبوة وهبها الله لنبينا ابراهيم ﷺ و نالها بعد ابتلاء واختبار أثبت فيه أهليته فلفظ (جاعل) اسم فاعل و مفعوله إماماً بعد ان أتم ابراهيم ﷺ الابتلاءات ثم أنه كان نبيا وأبتلي بعد أن كبر سنه و تساءل عن بنيه (و من ذريتي) وابناؤه هم (اسماعيل و اسحق) و بشارته بهم بعد كبره « الحمد له الذي وهبني على الكبر اسماعيل و اسحق » (٧٦)

فالإمامة هي مقام تشريعي و تكويني و يطلق على شخص تتحقق فيه شروط معينة منها (العصمة)،.

اذن الإمامة من المعاني التي تطورت دلالتها فتأتي بمعنى (الرئاسة لأمور الدنيا الرئاسة لأمور الدين و الدنيا أو تحقيق المناهج الدينية بتطبيق أحكام الدين الاسلامي و بالإضافة الى النبوة و الرسالة و هي هداية تكوينية. (٧٧) و ذهبت الإمامية الى ان الامام يجب ان يكون منصوصا عليه بدليل قطعي منصوص عليه.

الخاتمة

في نهاية المطاف توصل بحثنا الى نتائج عديدة

نستنتج مما سبق أنّ لفظ (إمام) أعمّ و أشمل من الخليفة و الوالي ؛ لأن معاني (ولي) تدل على القريب و الصاحب و الناصر و الخلافة تدلّ على التالي ؛ أما الإمام فهو الأصل و المرجع و الطريق المستقيم فهو أعم وأشمل من سابقيه. و قد عمل الأمويون بكل جهدهم على أن يجعلوا مفهوم الولاية مرادفاً لمفهوم الخلافة و شاعت هذه المفاهيم في المجتمع القائم آنذاك و تسربت الى زمننا الحاضر و الصحيح هو أن الخلافة نمط من أنماط الإمامة و كل إمام هو خليفة و ليس كل خليفة إماماً.

إنَّ لفظة (مولى) تحتمل معنى (أولى) فهو (الأولى بتدبير الأُمة و أمرهم و نهيهم). فالنبي ﷺ قرّر في أمته في ذلك المقام على فرض طاعته فقال (ألستُ أولى بكم من انفسكم) أجابوه بقولهم (بلى)، فرفع بيد أمير المؤمنين علي عليه السلام و قال عاطفاً على ما تقدم (من كنت مولاه فهذا مولاه) اللهم وال من والاه و عادِ من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله) و ان كانت تحتمل غيره فيجب أن يكون أراد بها المعنى المتقدم على مقتضى استعمال اللغة

إنّ لفظ المولى جزء من الإمامة بدلالة أنهم يقولون (السلطان أولى بإقامة الحدود من الرعية) و (المولى أولى بعبده) و (ولد الميّت أولى بميراثه من غيره) و قوله سبحانه: **(النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم)** لا خلاف بين المفسرين أن المراد أنه أولى بتدبير المؤمنين و الأمر و النهي فيهم.

و إذا كان النبي أولى بالخلق من أنفسهم من حيث كان مفترض الطاعة عليهم و أحق بتدبيرهم و أمرهم و نهيهم و تصرفهم بلا خلاف وجب أن يكون ما أوجبه لأمير المؤمنين عليه السلام فيكون أولى بالمؤمنين من حيث أن طاعته مفترضة عليهم و أمره و نهيه مما يجب نفوذه فيهم و فرض الطاعة يتحقق بالتدبير من هذا الوجه لا يكون إلا للنبي صلى الله عليه وآله أو الإمام فإذا لم يكن عليه السلام نبياً وجب أن يكون إماماً.

أشار بلفظ المولى إلى (المعتق) و (الحليف) لأنه لم يكن حليفاً لأحد و الحليف الذي يحالف قبيلة و ينسب إليها ليتعزز بها و هو) الجار) و (الصهر) و (ابن العم) و كلّها في حق أمير المؤمنين عليه السلام.

لفظ (الولي و الإمام) من الالفاظ التي تطور معناها الدلالي فبعد ان كانت يطلق هذان اللفظان على الامور المحسوسة تطور معناهما بمجيء الاسلام فلفظ (و لي) أطلق على القريب و الناصر و الحليف و الصديق

ولفظ (إمام) أطلق على خيط البناء و الخشبة ثم تطور معناه اللغوي الى القدوة و القائد و الكتاب السماوي و رئاسة أمور الدين و الدنيا.

وجدنا أن هنالك فروقاً لغوية دقيقة بين (الإمام و الخليفة و الولي)، و لاترادف بينهم.

هـوامش البحث

١.المائدة / ٦٧
٢.المائدة / ٥٥
٣.خطبة الغدير ٣٦
٤.مقاييس اللغة ١ / ٢١
٥.ظ لسان العرب (مادة أمم) ١٢ / ٢٤
٦.الحجر / ٧٩
٧.ظ المصباح المنير ٢٣ ـ ٢٤
٨.ظ المفردات ١ / ٢٩
٩.الأحكام السلطانية ٣.
١٠.الاحكام السلطانية ٢١ ٢٣
١١. ظ التفسير الكبير ٢١ / ١٨
١٢.ظ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ٨٥٥.
١٣.البقرة / ١٠٧
١٤.ظ التفسير الكبير ٤ / ٣١.
١٥.ظ الميزان ١ / ٢٧٢
١٦.القرطبي ٢ / ١٠٧
١٧.ظ الامامة و الولاية ٣٧
١٨.هـود / ١٧
١٩. معاني القرآن ٤ / ٢٠٩
٢٠.القصص / ٤١
٢١. ظ التفسير المبين٥١٢
٢٢. الاحقاف / ١٢
٢٣.الاسراء / ٧١
٢٤.ظ التفسير الكبير ٢١ / ١٨
٢٥.الانبياء / ٧٣
٢٦.ظ التفسير الكبير ٢٢ / ١٩١
٢٧.الفرقان / ٧٤
٢٨.يس / ١٢
٢٩.المائدة / ٥٥

٣٠.الامامة و الولاية في القران الكريم ٣٨
٣١.الاسراء / ٧١
٣٢.مقاييس اللغة ٢ / ٢١٠.
٣٣.ظ مختار الصحاح ١١٩
٣٤.ظ المصباح المنير ١٧٩
٣٥. ظ مختار الصحاح ١١٩.
٣٦. الانعام / ١٦٥.
٣٧.ظ المفردات ٢٠٦ـ٢٠٧.
٣٨.ظ المعجم الوسيط ٢٥١.
٣٩.مقاييس اللغة ١ / ٢١
٤٠. ظ لسان العرب (مادة أمم) ١٢ / ٢٤.
٤١. الحجر / ٧٩.
٤٢. ظ المصباح المنير ٢٣ـ٢٤
٤٣.ظ المفردات ١ / ٢٩
٤٤.الأحكام السلطانية ٣.
٤٥. ظ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ٨٥٥.
٤٦. البقرة / ١٠٧
٤٧. الرعد / ٣٧.
٤٨.فصلت / ٣٤.
٤٩.ظ غريب القرآن السجستاني ١٧٥.
٥٠.مريم / ٥
٥١.النساء / ٣٣
٥٢.التوبة / ١٢٣
٥٣.الدخان / ٤١
٥٤.الكهف / ٤٤.
٥٥.النحل / ٧٦
٥٦.الأنفال / ٤
٥٧.ظ الولي و الولاية في القرآن الكريم ٤٠
٥٨.ظ المصدر نفسه.
٥٩.ظ ديوانه ٦٧

٦٠.ظ لسان العرب ١٢ / ٢٥.
٦١.ظ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ٩٩ .
٦٢.البقرة / ١٢٤
٦٣.الفرقان / ٧٤
٦٤.الاسراء / ٧١
٦٥.ظ تفسير ابن كثير ٢٨٩.
٦٦.ظ الجامع لأحكام القرآن ٤٤١ علما ان الاية الواردة هـي سورة يس / ١٢
٦٧.هـود / ١٧
٦٨.ظ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤ / ٢٦٤.
٦٩.الحجر / ٧٩
٧٠.يس / ١٢
٧١.الأحقاف / ١٢.
٧٢.القصص / ٤١.
٧٣.التوبة / ١٢
٧٤.السجدة / ٢٤.
٧٥.القصص / ٥.
٧٦.ظ الامامة و الولاية ٣٧
٧٧. ظ الامثل ١ / ٣٦٩.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم

* الإمامة و الولاية في القرآن الكريم: مجموعة من المؤلفين دار القرآن الكريم، ١٤١٢ ه.

* الأحكام السلطانية لابي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠ هـ)،تحقيق أحمد جاد دار الحديث القاهرة، ٢٠٠٦.

* الإمامة و الولاية في القرآن الكريم: نخبة من العلماء تحقيق المجمع العالمي لأهل البيت ط ١، مطبعة ليلى ١٤٢٧ ه.

* أساس البلاغة محمود بن عمر الزمخشري تحقيق محمد باسل عيون السود ط ١ دار الكتب العلمية ١٩٩٨

* أسباب النزول: لأبي الحسين علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ)، تدقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان ط ٢ دار الاصلاح، الدمام - السعودية ١٩٩٢.

* أنوار التنزيل و أسرار التأويل المسمى بتفسير البيضاوي (ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت ٦٩١ هـ) تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت - لبنان.

* أوائل المقالات محمد بن محمد بن النعمان أبن المعلم الشيخ المفيد، تحقيق ابراهيم الانصاري ط ١، ١٤١٣ ه

* تفسير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الميلاني لاحياء الفكر الشيعي.

* التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (ت ٦٠٤ هـ)، ط ١ دار الفكر بيروت - لبنان، ١٩٨١

* تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري تحقيق د. بشار عواد معروف و عصام فارس الحرستاني، ط ١ مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤.

* الجامع لأحكام القرآن محمد بن احمد الانصاري القرطبي تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ط ١ مؤسسة الرسالة ٢٠٠٦

* خطبة الغدير محمد باقر الانصاري شبكة الفكر د. ت.

* الدر المنثور في التفسير بالمأثور عبد الرحمن جلال الدين السيوطي دار الفكر بيروت - لبنان.

* ديوان النابغة الذبياني شرح و تقديم عباس عبد الساتر ط ٣ دار الكتب العلمية ١٩٩٦.

* الولي والولاية في القرآن الكريم: بحث ورد في مجلة نجم الدين أربكان علم اللاهوتع ٤٠، س ٢٠١٥

* الغدير في الكتاب و السنة و الادب عبد الحسين احمد الأميني النجفي مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان ١٩٩٤.

* غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب ابو بكر محمد ابن عزيز السجستاني تصحيح لجنة من أفاضل العلماء مطبعة محمد علي صبيح و أولاده ١٩٦٣ م.

* القاموس المحيط مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ط ٨ مؤسسة الرسالة بيروت ـ لبنان ٢٠٠٥.

* كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٠٠ ـ ١٧٥ هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي د. ت.

* كشف الغمة في معرفة الأئمة ابو الحسن علي بن عيسى الاربلي المجمع العالمي لأهل البيت دار التعارف بيروت ـ لبنان ٢٠١٢.

* كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد الخواجة نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي (ت ٦٧٢ هـ)، شرح جمال الدين الحسن بن يوسف الحلي (ت ٧٢٦ هـ)، منشورات الاعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان.

* لسان العرب جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري دار صادر بيروت د. ت.

* مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي تعليق يحيى مراد ط ١ مؤسسة المختار للنشر و التوزيع القاهرة ٢٠٠٧ م.

* المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي الرافعي (ت ٧٧٠ هـ)، تحقيق عبد العظيم الشناوي ط ٢ دار المعارف د. ت.

* معاني القرآن وإعرابه ابراهيم بن السري بن السهل أبو اسحق الزجّاج (ت ٣١١ هـ)، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي ط ١ عالم الكتب ـ بيروت ١٩٨٨.

* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي دار الكتب المصرية ١٣٦٤.

* معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الفكر ١٩٧٩.

* المعجم الوسيط ابراهيم انيس و عبد الحليم منتصر و آخران ط ٤ مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٤

* المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ (الراغب الأصفهاني)، نزار مصطفى الباز د. ت.

* مناقب آل ابي طالب لابي جعفر بن شهر اشوب المازنداني تحقيق يوسف البقاعي دار الاضواء بيروت ـ لبنان.

* منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لحبيب الله الهاشمي الخوئي تحقيق علي عاشور ط ١ دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان ٢٠٠٣.

موقف النبي ﷺ من المنافقين في المنظور القرآني

أ. م. د. خالد يونس النعماني
أ. م. د. محمد خضير عباس الجيلاوي
كلية الشيخ الطوسي

The position of the Prophet (PBUH) towards the hypocrites In the Qur'anic perspective

Asst.Prof. Dr. Khaled Younis Al-Nomani
Asst.Prof. Dr. Muhammad Khudair Abbas Jilawi
Sheikh Al-Tusi College

الملخص

إنَّ الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة على كثرتها توحي بوجود مجموعة من المنافقين قد تستروا بالإسلام وكانوا يعملون بالخفاء للقضاء على الدعوة الإسلامية والفتك برسول الله ﷺ، أو بإعلان العصيان والتمرد عليه داخل المدينة وخارجها، بعد أنْ عجزوا عن مقاومته ﷺ مع صفوف المشركين واليهود في المعارك التي دارت بينهم وبينه، واضطرهم ﷺ إلى الاستسلام، وأطاح بأمجادهم وألغى جميع الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها.

والكشف عن تيارات النفاق على امتداد العهد النبوي كان يخضع لوحي الله تعالى، فالوحي كان يخبر عن بعضهم، ويخبر الآخرين ضمن خط عريض وهو يتحدث عن النفاق، والأمة ممتحنة ومبتلية شأنها كشأن الأمم السابقة ليعلم الله تعالى كيف تعمل وكيف تختار؟

ويبدو من مجموع ما ورد في القرآن الكريم بشأن المنافقين أنَّ الخطر منهم على الدعوة الإسلامية لم يكن بأقل من المشركين الذين لم يخضعوا لسلطان الإسلام، ومن المؤكد أنْ يكون خطر المنافقين أشد وأبلغ أثراً من أخطار غيرهم؛ لأنهم كانوا معهم وبين صفوفهم يراقبون جميع تصرفاتهم ويحصون عليهم أنفاسهم، وقد اطمأن إليهم أكثر المسلمين؛ بلْ حتى النبيّ ﷺ لم يكن يعرف واقعهم، لولا الوحي الذي كان يكشفهم له بين حين وآخر، ولولا أنهم كانوا يشكلون خطراً عظيماً على الدعوة الإسلامية وعلى الرسول ﷺ نفسه لما أكد القرآن الكريم التحذير منهم بتلك الأساليب المختلفة.

وكان رسول الله ﷺ قلقاً على المجتمع الاسلامي من خطر المنافقين، وقلقه لم ينحصر في العهود الماضية وفي مكة والمدينة فحسب؛ بلْ إنَّ قلقه شامل لجميع العصور والبلاد الإسلامية. فالمنافقون موجودون في كل الأماكن والأزمنة. واليوم هم أكثر عدداً وأعظم خطراً وشراً من المنافقين الماضين، أولئك كانوا يسرون نفاقهم، وإخوانهم اليوم يعلنون نفاقهم.

والمنافقون هم أشد أعداء الأمة الإسلامية، وأخطرهم عليها، فهم يتلوَّنون بحسب البيئة، يظهرون بمظهر الأخ المشفق، على حين أنهم ذئاب في جلد بني الإنسان، يحسبهم الظمآن ماء، يظنهم المؤمن عوناً له، وهم عونٌ عليه، يحسبهم له ناصحين، وهم هلاكه ودماره، ساعون في الأرض بالفساد. قلَّما يخلو منهم مجتمعٌ، يعملون من وراء الكواليس، ومن خلف الصفوف. خطورتهم أفظع من أنْ توصف، وأكبر من أنْ تتسع لها الصفحات وبطون الكتب.

وما رأيناه وتطرقنا إليه في البحث هو صور شتى من صور الصد والصدود عن سبيل الله تعالى، فأما الصدود فنفورهم عن سبيل الحق بكل ما أوتوا من عزم وتصميم. وأما الصد فحرصهم على إقصاء الناس عن الحق وإقصائهم عنه بكل وسيلة ممكنة ظلماً وعدواناً.

ونظراً لأهمية موضوع النفاق وخطورته في عهد النبي ﷺ فقد تطرقنا فيه عن العلاقة بين الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة لبيان نفاق المنافقين. وقد كتبنا عن النفاق لغةً واصطلاحاً. وبينا أهم أقوال أهل العلم في هذا الموضوع. ثمَّ ذكرنا موقف القرآن الكريم من النفاق والمنافقين، والسور والآيات القرآنية التي تطرقت إلى ذلك. وكذلك تناولنا صفات المنافقين في القرآن الكريم، ومصير المنافقين. وأوجزنا في البحث

علامـات المنافـق في الأحاديـث الشريفـة. وأخـيراً كتبنـا عـن سـورة التوبـة والمنافقـين وأهـم مـا جـاء فيهـا مـن تحليـلات.

ثـمَّ خلـص البحـث إلى خاتمـة أبانـت أهـم النتائـج التـي توصلنـا إليهـا. وكانـت قائمـة المصـادر التي نهـل منهـا البحـث حاضنـة لمظـان كثيرة ومتنوّعـة، منهـا: المعجـمات اللغويّـة، وكتـب التفسـير والحديـث، والتاريـخ والسـير، وهـي التـي تطلّبهـا موضـوع البحـث.

Summary:

The Quranic verses and the noble hadiths, in their abundance, suggest the existence of a group of hypocrites who had covered up Islam and were working in secret to eliminate the Islamic call, even if it destroyed the Messenger of God, or by declaring disobedience and rebellion against him inside and outside Medina, after they were unable to resist him with the ranks of the polytheists and the Jews in the battles that took place between them. And between him, he forced them to surrender, overthrew their glories and abolished all the privileges they had enjoyed.

Revealing the currents of hypocrisy throughout the Prophet's era was subject to the revelations of God Almighty, for the revelation was to inform some of them, and to inform some of them in a broad line while talking about hypocrisy, and the ummah is tested and plagued just like the previous nations, so that God Almighty knows how to work and how to choose.

It seems from the total of what is mentioned in the Holy Qur'an regarding the hypocrites that the danger from them to the Islamic call was not less than the polytheists who did not submit to the authority of Islam, and it is certain that the danger of the hypocrites is greater and more effective than the dangers of others. Because they were with them and among their ranks, observing all their actions and counting their breath, and most Muslims reassured them. Indeed, even the Prophet did not know their reality, had it not been for the revelation that he was revealing to him from time to time, and had it not been that they were a great danger to the Islamic call and to the Messenger himself, the Holy Qur'an would not have emphasized warning of them with these different methods.

The Messenger of God was concerned about the Islamic community about the danger of the hypocrites, and his concern was not limited to past eras and in Mecca and Medina only. Rather, his concern covers all ages and Islamic countries. The hypocrites are present in all places and times. Today they are more numerous and more dangerous and evil than the hypocrites of the past.

The hypocrites are the most dangerous enemies of the Islamic nation, and the most dangerous of them. They are colored according to the environment, they appear as a compassionate brother, while they are wolves in the skin of human beings. Those who seek corruption in the land. Hardly a society is without them, working behind the scenes and behind the ranks. Their danger is too great to describe, too large to hold the pages and the stomachs of books.

And what we saw and touched upon in the search except for various forms of blocking and blocking from the path of God Almighty, as for the obstruction, they are alienating them from the path of truth with all their determination and resolve. As for repudiation, they are keen to exclude people from the truth and exclude them from it by every possible means, injustice and aggression.

In view of the importance and seriousness of the topic of hypocrisy in the era of the Prophet, we dealt with it about the relationship between the Qur'anic verses and the noble hadiths to show the hypocrisy of the hypocrites. We have written about hypocrisy both in language and idiom. And we showed the most important sayings of the scholars on this subject. Then we mentioned the position of the Noble Qur'an on hypocrisy and hypocrisy, and the suras and Qur'anic verses that dealt with that. We also dealt with the characteristics of the hypocrites in the Holy

Qur'an, and the fate of the hypocrites. And we summarized in the research the signs of the hypocrite in the hadiths. Finally, we wrote about Surat al-Tawbah and the hypocrites, and the most important analyzes that came in it.

Then the research concluded with a conclusion that showed the most important results that we have reached. The list of sources from which the research was drawn was an incubator for many and varied meanings, including: linguistic glossaries, books of interpretation and hadith, history and biography, which are required by the subject of the research.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد بن عبد الله وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد: النفاق من أعظم الذنوب عند الله تعالى، وهو القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب. ويحذر الإسلام من النفاق أشد تحذير، ووردت آيات كثيرة تتحدث عن النفاق والمنافقين. والنبي ﷺ خاف على أمته من النفاق والمنافقين وحذر وأنذر من سلوك المنافقين ومن الوقوع في شعب النفاق في أحاديث عديدة.

ولا شك في أنَّ الله تعالى قد أكثر من ذكر النفاق لنكون على بينة منه. والآيات الواردة في حق المنافقين ومرضى القلوب، تلهم روحاً أو مضموناً، أنَّ حركة النفاق إنما قام بها وتولى كبرها أفراد من البارزين في قومهم وعشائرهم قليلاً أو كثيراً. ولقد كان لليهود يد قوية في هذه الحركة، فالذين أخذوا على عاتقهم مهمة تغذية هذه الحركة وتنميتها لا يمكن أنْ يتصلوا بشأنها إلا مع أمثال هؤلاء.

والنفاق أشد خطراً من الكفر ولهذا كان صاحبه أشد عذاباً. فالمنافقون يبطنون الكفر ويقلبون الأمور كيداً ومكراً ويكذبون بآيات الله تعالى باطناً، أما ظاهراً فهم يعلنون ولاءهم لهذه الآيات في حين أنَّ الكافرين يكذبون بآيات الله عزَّ وجلَّ باطناً وظاهراً.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع فقد تطرقنا فيه إلى ربط الآيات القرآنية بالأحاديث الشريفة لبيان نفاق المنافقين. وقد كتبنا عن النفاق لغةً واصطلاحاً. وبيّنا أهم أقوال أهل العلم في هذا الموضوع. ثمَّ ذكرنا موقف القرآن الكريم من النفاق والمنافقين، والآيات القرآنية التي تطرقت إلى ذلك. وكذلك تناولنا صفات المنافقين في القرآن الكريم، ومصير

المنافقين. وأوجزنا في البحث علامات المنافق. ثمَّ تكلمنا على المنافقين الذين أُطلق عليهم لفظ الصحابة وهم ليسوا من أصحاب النبي ﷺ بل من المنافقين. وأخيراً كتبنا عن سورة التوبة والمنافقين وأهم ما جاء فيها من التحليلات.

النِّفَاقُ لُغَةً واصْطِلاحَاً:

النِّفَاقُ لُغَةً: اختلف علماء اللغة في أصل النفاق، فقيل نَافَقَ يُنَافِقُ مُنَافَقَةً ونِفَاقاً، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ النَّافِقَاءِ: أَحَد جِحَرة اليَرْبوع، إِذَا طُلِب مِنْ واحِدٍ هرَب إِلَى الآخَر، وخرَج مِنْهُ. وَقِيلَ: هُوَ مِنَ النَّفَقِ: وَهُوَ السَّرَب الَّذِي يُسْتَتَر فيهِ، لِسَتْرِه كُفْرَه [١]. والمُنَافِقونَ يَلْبِسُونَ لِكُلِّ حَالٍ لَبُوسَهَا، وَهُمْ يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً كَالْيَرْبُوعِ الَّذِي يَكُونُ تَحْتَ الْأَرْضِ يَجِدُ لِنَفْسِهِ مَخْرَجًا فِي كُلِّ حِينٍ [٢].

وَالنِّفَاقُ بِالْكَسْرِ فِعْلُ الْمُنَافِقِ. وقال أهل العلم: إنَّ النفاق في اللغة هو من جنس الخداع والمكر. وقال ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): وَالنِّفَاق لُغَةً مُخَالَفَةُ الْبَاطِنِ لِلظَّاهِرِ. فَإِنْ كَانَ فِي اعْتِقَادِ الْإِيمَانِ فَهُوَ نِفَاقُ الْكُفْرِ، وَإِلَّا فَهُوَ نِفَاقُ الْعَمَلِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْفِعْلُ وَالتَّرْكُ، وَتَتَفَاوَتُ مَرَاتِبُهُ [٣].

النِّفَاقُ اصْطِلاحَاً: معنى النفاق في الاصطلاح يدل على مخالفة الظاهر للباطن، فالمنافق يقول بلسانه ويفعل ما يخالف معتقده وما في قلبه، وهو يستر الكفر ويدعي الإيمان، والنفاق من المصطلحات الإسلامية التي لم تعرف عند العرب قديماً، وهو داء عضال باطن يكون الرجل مُمتلِئاً منه وهو لا يشعر، وهذا أمر خطير يجب أنْ يجتهد الإنسان في معرفته، والمنافق :مُراوِغ، مُحتال، متقلب، متذبذب، يظهر خلاف ما يبطن. وظاهرة النفاق من أخطر الأمور وأكبرها ضرراً على الأمة الإسلامية، والمنافقون هم بمنزلة الطابور الخامس الذي يعمل لمصلحة العدو، ومنذ اليوم الأول

لولادة الإسلام والأمة الإسلامية تعاني بشدة من هذه الظاهرة الخطيرة.

وقد تفشَّت ظاهرة النِّفاق بعد ظهور الإسلام بقوة كبيرة، وأصبحت تُهدِّد ما حولها، فظهرت عند ضعاف الإيمان، ومرضى النفوس، وأصحاب الأهواء والزعامات والشهوات، وبعضهم ممن ينتسب إلى الإسلام زوراً وبهتاناً.

أقوال أهل العلم في النِّفَاق والمُنَافِقُ: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: المُنَافِقُ يُخَالِفُ قَوْلُهُ فِعْلَهُ، وَسِرُّهُ عَلَانِيَتَهُ، وَمَدْخَلُهُ مَخْرَجَهُ، وَمَشْهَدُهُ مَغِيبَهُ [٤].

وقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ (ت ٧٧٤هـ): النِّفَاقُ: هُوَ إِظْهَارُ الْخَيْرِ وَإِسْرارُ الشَّرِّ [٥].

وقال الراغب الأصفهاني (: ٤٢٥هـ) النِّفَاقُ: هو الدّخولُ في الشَّرْعِ من بابٍ والخروجُ عنه من بابٍ، وعلى ذلك نبَّه بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ**﴾ [٦]. أي: الخارجون من الشَّرْعِ، وجعل اللهَّ عزَّ وجلَّ المنافقين شرّاً من الكافرين [٧]. فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾ [٨].

ويقول المصطفوي عن النفاق: النفاق من المنافقة: بمعنى الامتداد في جريان محدود، كما في المفاعلة، ويستعمل في العرف في امتداد اعتقاد وعمل متخالفين، أي يظهر في القول والعمل خلاف ما في ضميره، وهذا الاظهار له جريان محدود إلى أنَّ ينفد بوجود المقتضى، وليس له دوام. فالمنافق في الإيمان والدين والأصول: هو كافر في الواقع، ونفاقه جرم آخر يوجب الإغواء والخدعة والإضرار. ولذا ترى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ وَالْكافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً**﴾ [٩]. يُقدَّم المنافقون لشدّة خطرهم.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنافِقِينَ يُخادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خادِعُهُمْ**﴾ [١٠]. ﴿**وَيُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ وَالْمُنافِقاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً**﴾ [١١].

فالمنافق أشدّ ضرراً على الإسلام والمسلمين من المشرك والكافر؛ لأنّه يتمكَّن من الإضرار والإغواء والتلقين بتظاهر ديني وبصورة موافق[١٢].

وقال السعدي (ت١٣٧٦هـ): واعلم أنَّ النفاق هو: إظهار الخير وإبطان الشر ويدخل في هذا التعريف النفاق الاعتقادي والنفاق العملي فالنفاق العملي كالذي ذكره النبي ﷺ في قوله آية المنافق ثلاث: ((إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اُؤْتُمِنَ خَانَ)) [١٣]. وأما النفاق الاعتقادي المخرج عن دائرة الإسلام فهو الذي وصف الله تعالى به المنافقين في سورة (البقرة) وغيرها [١٤]. وكان النبي ﷺ يعرف المنافقين من أهل المدينة ومن غيرهم، وكان الوحي يَدُله عليهم وينبئه الله تعالى بأمرهم، وربما أنبأه الله تعالى بأنَّ منهم قوماً لا يعلمهم هو وإنما يستأثر الله تعالى بعلمهم [١٥].

بدايات النفاق في الإسلام: قال ابن كثير في تفسيره: وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية؛ لأنَّ مكة لم يكن فيها نفاق؛ بلْ كان خلافه، من الناس من كان يظهر الكفر مستكرهاً وهو في الباطن مؤمن، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم، وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع حلفاء الخزرج، وبنو النضير، وبنو قريظة حلفاء الأوس. فلما قدم رسول الله ﷺ، وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج، وقل من أسلم من اليهود إلا عبد الله بن سلام رضي الله عنه، ولم يكن؛ إذ ذاك نفاق أيضاً، لأنه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف؛ بل كان ﷺ وادع اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب حوله المدينة، فلما كانت وقعة بدر الكبرى، وأظهر الله تعالى كلمته، وأعز الإسلام وأهله، قال عبد الله بن أبي بن سلول، وكان رأساً في المدينة، وهو من الخزرج، وكان سيد الطائفتين في الجاهلية، وكانوا

قد عزموا على أنْ يملكوه عليهم، فجاءهم الخير وأسلموا واشتغلوا عنه، فبقي في نفسه من الإسلام وأهله، فلما كانت وقعة بدر قال: هذا أمر قد توجه. فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته، وآخرون من أهل الكتاب، فمن ثمَّ وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب. فأما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد، لأنه لم يكن أحد يهاجر مكرها؛ بلْ يهاجر ويترك ماله وولده وأرضه رغبة فيما عند الله في الدار الآخرة [١٦].

وقال ابن إسحاق (ت ١٥١هـ): ونصبت عند ذلك أحبار اليهود لرسول الله ﷺ العداوة بغياً وحسداً وضغناً لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم، وانضاف إليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان على جاهليته، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث؛ إلا أنَّ الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه، فظهروا بالإسلام واتخذوه جنة من القتل، ونافقوا في السر، وكان هواهم مع اليهود، لتكذيبهم النبي ﷺ، وجحودهم الإسلام، وكان أحبار اليهود هم الذين يسألون رسول الله ﷺ ويعنتونه، ويأتونه باللبس، ليلبسوا الحق بالباطل، فكان القرآن الكريم ينزل فيهم فيما يسألون عنه، إلا قليلاً من المسائل في الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها[١٧]. وكان ممن التحق باليهود ممن سمي لنا من المنافقين من الأوس، ثمَّ من بني لوذان بن عمرو بن عوف: ذوي بن الحارث، ومن بني حبيب بن عمرو بن عوف: جلاس بن سويد بن الصامت وأخوه الحارث بن سويد.

وجلاس هذا الذي قال - وكان ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك -: لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شر من الحمر [١٨]، فرفع ذلك من قوله إلى رسول الله ﷺ عمير بن سعد أحدهم، وكان في

حجر جلاس، فخلف جلاس على أمه بعد أبيه، فقال له عمير بن سعد: والله يا جلاس إنك لأحب الناس إليّ، وأحسنهم عندي يداً، وأعز عليّ من أنْ يصيبه شيء يكرهه، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحنك، ولئن صمت عليها ليهلكن ديني، ولإحداهما أيسر علي من الأخرى. ثمَّ مشي إلى رسول الله ﷺ فذكر له ما قال جلاس، فحلف جلاس بالله لرسول الله.) ﷺ لقد كذب على عمير، وما قلت ما قال عمير بن سعد [١٩]. فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيه: ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾ [٢٠].

وقال سعيد أيوب في معالم الفتن: النفاق له مدرسة على مساحة أهل الكتاب، قال تعالى عن المنافقين منهم: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [٢١]. وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ**﴾ [٢٢].

والنفاق تمتد عروقه إلى الماضي. وهو أول تيار سري على صفحة الجنس البشري. عمل من أجل إعاقة الطريق أمام العبادة الحق لحساب الأهواء المتعددة، وهذا التيار يحتوي بين دفتيه على جميع الأنماط البشرية من الذين استذلهم الشيطان. يحتوي على الرعاع والغوغاء والدهيماء. وفي الوقت نفسه يضم أصحاب الملابس النظيفة والياقات البيضاء، أصحاب الأموال، والأولاد وفصاحة اللسان. يقول تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ**﴾ [٢٣]. فهم أصحاب أزياء حسنة، وصباحة في المنظر، وتناسب في الأعضاء. إذا رآهم الرائي أعجبته

أجسامهم، وإذا سمع السامع كلامهم مال إلى الاصغاء إلى قولهم. لحلاوة ظاهره وحسن نظمه، ورغم كل هذا؛ إلا أنَّ الحقيقة: أنَّ هؤلاء كالخشب المسندة، أشباح بلا أرواح، لا خير فيها ولا فائدة؛ لأنهم لا يفقهون، وكيف يفقه من صد عن سبيل الله تعالى بكل ما يملك من الأموال والأولاد، قال تعالى: ﴿**فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾ (٢٤). فأخبر سبحانه وتعالى بأنَّ أموالهم وأولادهم ليس من النعمة التي تهتف لهم بالسعادة؛ بلْ من النقمة التي تجرهم إلى الشقاء. وأن المنافقين هرولوا في اتجاه الإسلام لإنجاز برنامج لا علاقة له بالإسلام.

لقد هرولوا إلى الإسلام وهم معرضون عن سبيل الله تعالى!! أظهروا الإيمان ليقتربوا من المؤمنين ويحضرون في محاضرهم ومشاهدهم، فيسهل عليهم وضع العراقيل المناسبة في طريق كل حركة للدعوة؛ ولأنَّ مساحة النفاق تحتوي على الأصناف الكثيرة من أصحاب العقد النفسية الذين فسدت فطرتهم وعلى أصحاب المصالح والمطامع (٢٥).

موقف القرآن الكريم من النفاق والمنافقين: حذَّرَ الله عَزَّ وجَلَّ في القرآن الكريم الرسول ﷺ من خطر المنافقين، وبيَّن بعض صفاتهم وأساليبهم وكشف عن بعض نواياهم وخططهم، وحذر الرسول ﷺ المسلمين من ظاهرة النفاق والمنافقين وفضح مخططاتهم في مواقف كثيرة، وجاء ذكر النفاق والمنافقين في عدة سور من القرآن الكريم، وهي: (البقرة)، (آل عمران)، (النساء)، (المائدة)، (الأنفال)، (التوبة)، (العنكبوت)، (الأحزاب)، (محمد)، (الفتح)، (الحديد)، (الحشر)، (المنافقون)، (التحريم) وغيرها من السور التي أشارت إلى النفاق بصورة غير مباشرة. وقد وردت كلمات: النفاق والمنافقون قرابة أربعين موضعاً

في القرآن الكريم، وكلها تدل على رذائل ما فشت في أمة إلا وكان أمرها فرطاً، وكانت عاقبتها الخسران والضعف والهوان.

صفات المنافقين في القرآن الكريم: ينبغي الإشارة هنا إلى أبرز صفات المنافقين كما جاءت في القرآن الكريم:

• الخداع: قال الله تعالى وهو يذكر بعض صفاتهم: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً**﴾ (٢٦).

• الكذب: قال عزَّ مِنْ قائل: ﴿**إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾ (٢٧).

• اتخذوا من الإيمان ستاراً وجُنة للوصول إلى أهدافهم: قال جلَّ جلاله: ﴿**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾(٢٨).

• الخوف والقلق الدائم من الفضيحة: قال سبحانه وتعالى: ﴿**يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ**﴾ (٢٩)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾(٣٠).

• الاستكبار: قال الله عزَّ وَجلَّ: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ**﴾ (٣١).

• الصَّد عن سبيل الله والإيمان به وبالرسول ﷺ: قال جلَّ جلاله: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا**﴾ (٣٢).

• التكاسل في أداء الصلاة، والرياء حين أدائها: قال عزَّ مِنْ قائل: ﴿**إِنَّ**

﴿الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (٣٣).

• عدم الاستقرار والثبات في المواقف والقرارات (حالة التذبذب) (٣٤): قال الله تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ (٣٥).

• الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف وهم بخلاء: قال سبحانه وتعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣٦).

• الحلف كذباً بالله تعالى: قال الله عزَّ مِنْ قائل: ﴿يَحْلِفُونَ بِالله مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ (٣٧).

• محاولة قطع الموارد المالية عن المؤمنين والتضييق عليهم اقتصادياً حتى يَدَعوا طريق الحق والالتفاف حول المحور الحق: قال الله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلله خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٣٨).

• الجهل وعدم الفهم: قال الله سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٣٩)، وقال: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلله الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٠).

• التحاكم إلى الطاغوت بدل الكفر به: قال عزَّ مِنْ قائل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن

يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ (٤١).

• التزلف للمسلمين ولأعدائهم فإذا كانت الكفة بيد المسلمين اظهروا لهم المودة وإنْ كان للكافرين نصيب سارعوا إليهم: **﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** (٤٢).

• إنّهم لا يؤمنون باليوم الآخر: **﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾** (٤٣).

• المنافقون جبناء وجبنهم وخوفهم هو سبب تملقهم لمواطن القوة إذا ظهرت لدى هذا الفريق أو ذاك: **﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾**(٤٤).

• هدفهم الظاهر ارضاء المؤمنين وبهذا كشفوا عن هويتهم المريضة: **﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾** (٤٥).

• يفرحون بالنجاة والراحة والسلامة خاصة في مواقع الشدة، **﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾** (٤٦).

• يقدمون الاعذار للفرار من المسؤوليات ولتبرير مواقفهم المنحرفة: **﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾** (٤٧).

مصير المنافقين: صرح القرآن الكريم في آيات عدة أنَّ المنافقين نتيجة لنواياهم الفاسدة وأعمالهم المنحرفة ملعونون ومطرودون من رحمة الله تعالى وهم في الدرك الأسفل من نار جهنم يعذبون بصورة دائمة، قال

عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾(٤٨)، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾(٤٩)، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٥٠)، وقال عزَّ مِنْ قائل: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٥١)، وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (٥٢)، وقال ايضاً: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٥٣).

وقال سيد طنطاوي في كتابه عن المنافقين في سور القرآن الكريم: يبين الله سبحانه تعالى قدره في سورة البقرة أنَّ هؤلاء المنافقين يعانون من الأمراض المعنوية التي تتمثل في سوء العقيدة، وفي الحسد وفي كل ما هو منكر من القول أو الفعل، وما هم عليه من سوء مرض، لكونه مانعاً لهم من إدراك الفضائل، كما أنَّ مرض الأبدان يمنعها من التصرف الكامل، أي أنَّ هؤلاء المنافقين في قلوبهم شك وفساد، فزادهم الله تعالى رجساً على رجسهم، ومرضاً على مرضهم، وحسداً على حسده؛ لأنهم عموا وصموا عن الحق، ولهم عذاب أليم بسبب كفرهم وكذبهم، وجعل القرآن الكريم العذاب الأليم مرتباً على كذبهم.

ويصف الله تعالى في سورة (البقرة) المنافقين بجملة من الرذائل والقبائح، فضلاً عن قبائحهم السابقة؛ إذ يصفهم بالجهل والغرور المهلك والعناد المزري، والسفه والجنون، زيادة على الكذب والخديعة والإفساد في الأرض والاستهزاء بأهل الحق، تاركين الهداية آخذين الضلالة بديلاً عنها، ومن ثَمَّ كانت النتيجة الغباء وانطماس البصيرة والخسران المبين،

مدللاً في السورة نفسها على هذه الصفات عن طريق مواقف معيشة تنقلها الآيات في السورة نفسها.

وفي سورة (الأنفال) إنَّ المنافقين قالوا في المؤمنين الصادقين إنهم غروا بدينهم، موضحاً أنَّ ذلك القول كان قبل التقاء الجمعين في غزوة (بدر) تلك الغزوة التي سماها القرآن الكريم بيوم الفرقان، والتي حدثت في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة، تلك الغزوة التي خرج الرسول ﷺ وأصحابه فيها بإذن ربهم عزَّ وجلَّ ليأخذوا حقوقهم من مشركي قريش الذين أخرجوهم من ديارهم بغير حق إلا أنْ يقولوا ربنا الله! وأنَّ القرآن الكريم قص جانباً كبيراً مما أشاعه هؤلاء المنافقون في آيات متعددة، منها قوله سبحانه: ﴿**إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (٥٤). وهكذا تبين الآية صنفين من أعداء المسلمين، بعد أنْ بينت الآيات السابقة عليها العدو الرئيس، وهم المشركون الذين خرجوا بطراً ورئاء الناس لمحاربة الإسلام، وقد شجعهم الشيطان على ذلك؛ إذ زين لهم أعمالهم، وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم (٥٥).

وأورد طنطاوي في هذا الجزء من كتابه تفسير الإمام الفخر الرازي لهذه الآية، الذي يأتي ملخصه في أنَّ هذه الآية ذكرت صنفين من أعداء الإسلام، الصنف الأول: المنافقون وهم جماعة من الأوس والخزرج، كانوا يظهرون الإسلام ويخفون الكفر، ومن ثم لم يأت أحد منهم للمشاركة في غزوة بدر.

والصنف الثاني: الذين في قلوبهم مرض، وهم قوم من قريش أسلموا ولم يهاجروا، وقالوا: أنخرج من قومنا؟ فإنْ كان محمد ﷺ وأصحابه في كثرة خرجنا إليهم وانضممنا معهم، وإنْ كانوا قلة أقمنا مع قومنا، ومن

ذلك تؤكد هذه الآيات من سورة (الأنفال) كيف خدع هؤلاء المنافقون الذين اتبعوا محمداً ﷺ دينهم الذي جاءهم به الرسول الكريم، فهم لا يرون الحياة إلا متعة وشهوة وغنيمة.

وهكذا نجد أنَّ القرآن الكريم قد نبه أتباعه منذ هجرتهم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة إلى أنَّ هناك بالمدينة المنورة جماعة تظهر الإسلام وتخفي الكفر، ألا وهي جماعة المنافقين الذين ﴿**اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾ (٥٦).

أما آيات سورة (آل عمران) التي تناولت تقاعس المنافقين وخيانتهم وجبنهم استطاعت إلى جانب كشفها عما يجيش بصدور هؤلاء المنافقين أنْ توضح أنَّ غزوة (أحُد) كانت فرصة سانحة ليتضح النفاق على مرأى ومسمع الجميع، بعد أنْ كانت (بدر) فرصة لسعي بعض ضعاف النفوس إلى الإعلان عن اعتناق الإسلام كلاماً وليس إيماناً. وهكذا استطاع الرسول الكريم ﷺ أنْ يرد على هؤلاء المنافقين الجبناء بما يبطل أقوالهم عن طريق الحس والمشاهدة، وذلك ببيان أنَّ القعود لا يطيل الحياة، كما أنَّ الدفاع عن كل ما يجب الدفاع عنه لا ينقصها فلكل إنسان أجل.

ويصف القرآن الكريم في سورة (المنافقون) المنافق بأنه يتعمد الكذب والخداع في سلوكه، ودائماً ينفر من النصح غروراً وتكبراً، تلك السورة التي تعد من السور المدنية الخالصة؛ إذ جاء نزولها على الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنورة، وعدد آياتها إحدى عشرة آية، والمحقق أنَّ هذه السورة، نزلت في أعقاب غزوة (بني المصطلق)، وكانت هذه الغزوة في السنة الخامسة من الهجرة، وسميت بهذا الاسم؛ لأنها فضحت المنافقين، ووصفتهم بما يستحقونه من صفات ذميمة ومن طباع قبيحة ومن مسالك سيئة، ويكاد حديثها يقتصر عليهم، وعلى أكاذيبهم ووسائلهم، ومن

ثـمَّ المتدبـر لهـذه الآيـات والأحـداث التـي نزلـت فيهـا يـرى أنَّ النفـوس إذا جحـدت الحـق واسـتولت عليهـا الأحقـاد، واسـتحوذ عليهـا الشـيطان، تأبـى أنْ تسـلك الطريـق المسـتقيم مهـما كانـت معالمه واضحـة أمامهـا.

وفي سـورة (الفتـح) أنَّ المنافقـين معـروف عنهـم ظنهـم السـيء بالرسـول ﷺ وبأصحابـه، وأنَّ ذلـك الذكـر والبيـان اتضـح قويـاً في قولهـم للرسـول ﷺ في صلـح الحديبيـة: شـغلتنا أموالنـا وأهـلونا فاسـتغفر لنـا، وفى ذلـك يقـول الله تعـالى في سـورة الفتـح: ﴿**سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾(٥٧).

وفى سـورة (محمـد) تلـك التـي تزخـر بالآيـات التـي تتحـدث عـن قبائـح المنافقـين، فتصـف آياتهـا المنافقـين بأنهـم يضمـرون العـداوة والبغضـاء للرسـول ﷺ عـلى الرغـم مـن حرصهـم عـلى الاسـتماع لقولـه، فاستماعهـم يكـون بـالآذان لا بالقلـوب، ولهـذا كان المنافقـون يحـضرون مجلـس الرسـول ﷺ فيسـمعون كلامـه ولا يعونـه تهـاوناً منهـم.

وسـورة (النسـاء) مـن السـور المدنيـة الخالصـة، التـي تحدثـت عـن رذائـل المنافقـين في أكثـر مـن ثلاثـين آيـة، فيهـا مـا فيهـا مـن المسـالك الخبيثـة للمنافقين، كسعيهـم الـدؤوب وتحاكمهـم إلى الطاغـوت، كل مـا سـوى شريعـة الإسـلام مـن أحـكام باطلـة بعيـدة عـن الحـق، يأخذهـا المنافقـون عـن الذيـن يعظمونهـم عـلى الرغـم مـن أنهـم أمـروا بشـكل صريـح أنْ يكفـروا بهـذه الأحـكام وألا يتحاكمـوا بهـا أبـداً، وكانـوا حريصـون عـلى الظهـور عنـد الطمـع والتخفـي عنـد الفـزع، وإظهارهـم السـعي الـدؤوب وتعجـل القتـال مـادام الأمـر في إطـار الـكلام، ولكنهـم يحرصـون عـلى الهـرب إذا جـد الجـد فيكـون فرارهـم

وهربهم، وكذلك يؤكد الله تعالى في سورة (النساء) حرص المنافقين على إظهار الطاعة عند الدخول، وإبطان المعصية عند الخروج.

وتواصل سورة (النساء) وصفها لهؤلاء المنافقين مؤكدة أنهم دائماً يفشون كل ما هو شر في الحياة المعيشة ويخفون ما هو خير ومفيد، ولهذا كله جاء الموقف الإلهي بتعجيل عقابهم والحكم عليهم بأنهم قد أركسوا بما كسبوا، وأنهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها، وكلما قاموا إلى الصلاة وجدوا أنفسهم كسالى يعانون الإرهاق المعنوي الذي يجعلهم غير حريصين على أداء هذه الفريضة المهمة في الإسلام، ليكون ذلك كله توضيحاً وتمييزاً لهم عن غيرهم من المسلمين المؤمنين الذين لا يعرف النفاق طريقاً إلى نفوسهم [٥٨].

علامات المنافق: النبي ﷺ كان قد أخبر بظهور النفاق فقال: ((لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً، يظهر النفاق، وترفع الأمانة، وتقبض الرحمة، ويتهم الأمين، ويؤتمن غير الأمين)) [٥٩]. وعن أم سلمة قال رسول الله ﷺ: ((لا يُحِبُ عَلياً إلاّ مُؤمنٌ، ولا يُبغِضهُ إلاّ مُنافقٌ)) [٦٠].

وكان لظهور النفاق علامات يُعرفون بها، قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ للمنافقين علامات يُعرفون بها: تَحِيَّتُهم لَعْنَةٌ، وطعامهم نُهْبَةٌ، لا يَقْرَبُون المساجد إلا هَجْراً، ولا يأْتون الصلاة إلا دَبْراً، مستكبرين لا يأْلَفُون ولا يُؤْلَفُونَ، خُشُبٌ بالليل، صُخُبٌ بالنهار))[٦١]. وذكر أبو سعيد الخدري: كنا نعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب [٦٢]. وأكد جابر بن عبد الله الأنصاري وجود هذا المعيار بقوله: ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغض علي بن أبي طالب [٦٣]. وأكد كذلك أبو ذر الغفاري وجود هذا المعيار أيضاً واستعماله فقال: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلا بتكذيبهم: الله ورسوله، والتخلف عن الصلوات، والبغض لعلي بن أبي طالب[٦٤].

المنافقون من الصحابة: لا شك أنَّ الصحابة المنتجبين كان لهم أثرٌ كبيرٌ في الإسلام، وقد ضحوا بأنفسهم في سبيله، ولا خلاف أيضاً أنَّ كثيراً من تعاليم هذا الدين وأحكام هذه الشريعة وصلت إلى مختلف أصقاع العالم بواسطة هؤلاء بعد أنْ نشروا الدين الإسلامي. والحقيقة أنَّ قسماً من الصحابة عاشوا واستشهدوا في بعض الغزوات في حياة النبي ﷺ، وهؤلاء يستحقون كل الاحترام والتقدير، ومن غير شك أنهم من أهل الجنة ولا خلاف في ذلك. أما من عاش وبقي مع رسول الله ﷺ أو بعده، فمنهم من عمل بوصيته، وأخذ بسنته، والتزم بتعاليمه، فهؤلاء يجب الاقتداء بهم. ومنهم من خالف تعاليم الله عَزَّ وَجَّل ورسوله ﷺ فهؤلاء يكون شأنهم كسائر الناس الاعتياديين في المحاسبة من الله عزَّ وجَّل. ومن قارن بين سيرة أصحاب النبي ﷺ وسيرة أصحاب الأنبياء السابقين علم أنَّ في ذلك سراً إلهياً، ومن يرجع إلى تاريخ الحواريين، وإلى تاريخ غيرهم من أصحاب الأنبياء يرى كيف كانوا يخذلون أنبياءهم عند الشدائد، ويتركوهم خشية الهلاك! والذين دخلوا الإسلام وأطلق عليهم لفظة الصحابي وهم من المنافقين فهؤلاء ثلة قليلة وقد ذكرهم القرآن الكريم ورسول الله ﷺ في أحاديثه الشريفة. وسوف نتطرق إلى قسم منهم.

قال ابن حزم: (ت ٤٥٦هـ): كان في عصر الصحابة رضي الله عنهم منافقون ومرتدون. وقد ارتد قوم ممن صحب النبيّ ﷺ عن الإسلام كعيينة بن حصن، والأشعث بن قيس، وعبد الله بن أبي سرح [٦٥]. فكان النفاق يقع كثيراً في حق النبي ﷺ، وهو أكثر ما ذكره الله تعالى في القرآن الكريم من نفاق المنافقين في حياته. والنبي ﷺ خاف على أمته من النفاق والمنافقين وحذر وأنذر من سلوك المنافقين ومن الوقوع في شعب النفاق؛ إذ قال: ((إنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُم بَعْدِي، مُنافِقٌ عَلِيمِ اللِّسانِ)) [٦٦].

وقال ﷺ: ((آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار)) (٦٧).

وقال ﷺ: ((مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ، بِغَزْوٍ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ نِفَاقٍ)) (٦٨). وفي نهج البلاغة: (ولَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِّ ﷺ: إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً ولَا مُشْرِكاً، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُه اللهُّ بِإِيمَانِه، وأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُه اللهُّ بِشِرْكِه، ولَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ، عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ ويَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ) (٦٩). وعن ابن مسعود قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال في خطبته: ((إنَّ منكم منافقين فمن سميته فليقم! فقام ستة وثلاثون)) (٧٠)، ثمَّ قال ﷺ: ((إنَّ فيكم - أو أنَّ منكم - منافقين فسلوا الله العافية)) (٧١).

والأدلة عن رسول الله ﷺ تؤكد وجود المنافقين بين الصحابة، فعنه ﷺ قال: ((إنَّ في أصحابي منافقين)) (٧٢). وفي البخاري، عن حذيفة بن اليمان قال: إنَّ المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي ﷺ كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون (٧٣). وقال الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين: ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه، حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه أنه هل يعرف به من آثار النفاق شيئاً، إذ كان قد خصه رسول الله ﷺ بعلم المنافقين (٧٤). وعن الحارث بن سويد أنَّ رجلًا أتى عمر، فقال: إني أخاف أنْ أكون منافقاً، قال عمر: ما خاف النفاق على نفسه منافق (٧٥).

وخصص السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابه: (كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب) باباً عن أخبار النبي ﷺ والمنافقين (٧٦). وأخرج مسلم عن حذيفة بن اليمان أنَّ النبيّ ﷺ قال: ((في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط)) (٧٧).

وقال النووي (ت ٦٧٦هـ) في شرح الحديث: في أصحابي فمعناه الذين

ينسبون إلى صحبتي [٧٨]. وهم لم يكونوا كذلك في واقع الحال. وقال النووي أيضاً: قال البخاري في صحيحه: قال ابن مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبيّ ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل [٧٩].

هؤلاء الاثنا عشر الذين ذكرهم حذيفة ليسوا من العامة والغوغاء. فأمثال هؤلاء كان النبي ﷺ يكشفهم للخاص والعام. أما حزمة الاثني عشر الذين لا يدخلون الجنة، فهم من أصحاب برامج الخشب المسندة. برامج الأشباح التي بلا أرواح والتي لا خير فيها ولا فائدة. لذا يقول حذيفة: وأشهد بالله أنَّ الاثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد [٨٠]. وهؤلاء الاثنا عشر فيهم كفاية لتدمير أمة، كما أنَّ اثنى عشر فيهم كفاية لنجاة الأمة ألم ترى أنَّ بني إسرائيل كان يكفيهم عشرة فقط من الأحبار يؤمنون برسالة النبي ﷺ وعلى إيمانهم يدخلون دائرة الأمن، قال النبي ﷺ: ((لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ اليَهُودِ لآمَنَ بِيَ اليَهُودُ)) [٨١].

وفي صحيح مسلم، عن إياس قال: حدثني أبي قال: عدنا مع رسول الله ﷺ رجلاً موعوكاً، قال: فوضعت يدي عليه، فقلت: والله ما رأيت كاليوم رجلاً أشد حراً، فقال نبي الله ﷺ: ((ألا أخبركم بأشد حراً منه يوم القيامة، هذينك الرجلين الراكبين المقفيين لرجلين حينئذ من أصحابه)) [٨٢]. وقال النووي: سماهما من أصحابه لإظهارهما الإسلام والصحبة لا أنهما ممن نالته فضيلة الصحبة [٨٣].

وعن ابن عباس قال: قام رسول الله ﷺ خطيباً يوم الجمعة، فقال: ((أخرج يا فلان إنك منافق، وأخرج يا فلان فإنك منافق)) [٨٤]، فأخرج من المسجد ناساً منهم فضحهم، فجاء عمر وهم يخرجون من المسجد

فاختبأ منهم حياءً أنه لم يشهد الجمعة، وظنَّ أنَّ الناس قد انصرفوا واختبأوا هم من عمر ظنوا أنه قد علم بأمرهم فجاء عمر فدخل المسجد فإذا الناس لم يصلوا، فقال له رجل من المسلمين: أبشر يا عمر قد فضح الله المنافقين اليوم، قال ابن عباس: فهذا العذاب الأول حين أخرجهم من المسجد، والعذاب الثاني عذاب القبر [٨٥].

القرآن الكريم لم يضع الذين هاجروا مع الأنبياء في دائرة الحصانة؛ لأنهم بشر جاءوا ليختبرهم الله تعالى في الحياة الدنيا من يومهم الأول إلى يومهم الأخير. ألم يهاجر السامري من مصر مع موسى عليه السلام؟ ألم يكن على مقدمة موسى عليه السلام عند عبور البحر وأمامه ملك يرشدهم، فماذا فعل السامري ذلك المهاجر؟ ألم يأخذ قبضة من أثر هذا الملك، وكانت هذه القبضة وبالاً على بني إسرائيل. لقد ساهم السامري بهذه القبضة في صناعة عجل من ذهب عبده المنحرفون من بني إسرائيل وأشربوا في قلوبهم حب هذا العجل، وكان هذا الحب وبالاً فيما بعد على الجنس البشري. إنَّ السامري هاجر وبعد الهجرة ظهر ما في نفسه [٨٦].

وتطرق أبو ريه الى المنافقين فقال: ذكر البغوى وغيره عن ابن عباس أنه قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يعرف المنافقين حتى نزلت سورة براءة وكان قبلها يعرف بعض صفاتهم وأقوالهم وأفعالهم مما جاء عنهم في عدة سور نزلت قبل سورة براءة، منها سورة المنافقين والأحزاب والنساء والأنفال والحشر. أما سورة براءة فقد فضحتهم وكشفت جميع أنواع نفاقهم الظاهرة والباطنة ومن أجل ذلك سميت: الفاضحة، والمبعثرة، والمشردة، والمخزية، والمثيرة، والحافرة، والمنكلة، والمدمدمة، وسورة العذاب! وإليك بيان أمورهم في غزوة تبوك، وحدها، وأعمالهم وآيات نفاقهم، وهتك أستارهم وعقابهم مرتبة على سياق آيات سورة التوبة لا على الحروف:

• استئذانهم في التخلف وهو لا يقع من مؤمن، وإنما يستأذن ترك الجهاد من لا يؤمن بالله تعالى ولا بالآخرة.

• لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة.

• إنَّ الله تعالى كره انبعاثهم فثبطهم.

• إنهم لو خرجوا في المؤمنين لم يزيدوهم إلا خبالاً، ويبغون فتنتهم.

• إنهم اتبعوا الفتنة من قبل تبوك في غزوة أُحُد؛ إذْ أوقعوا الشقاق في المسلمين وثبطوا بعضهم.

• إنهم قلبوا الأمور للنبيّ ﷺ من أول الأمر إلى أنْ جاء الحق بنصره وظهور أمر الله وهم كارهون لذلك.

• إنَّ منهم من استأذن النبيّ ﷺ في القعود معتذراً بأنه يخاف على نفسه الافتتان بجمال نساء الروم فسقطوا في فتنة معصية الله تعالى ورسوله ﷺ بالفعل.

• إنَّ كل حسنة تصيب النبيّ ﷺ تسوءهم، وكل مصيبة تعرض له تسرهم، ويرون أنهم أخذوا بالحزم في التخلف.

• إنَّ المؤمنين يتربصون بالمنافقين عذاب الله تعالى مباشرة أو بأيديهم.

• إنَّ صدقاتهم لا تقبل لفسوقهم ولكفرهم وإتيانهم الصلاة وهم كسالى وإنفاق ما ينفقون وهم كارهون.

• تعذيبهم بأموالهم وأولادهم في الدنيا وموتهم على كفرهم.

• حلفهم للمؤمنين بأنهم منهم، ووصف خيبتهم وفرقهم منهم.

• لمز بعضهم الرسول ﷺ في الصدقات، فإنْ أعطوا منها رضوا، وإلا سخطوا.

• إيذاؤهم له ﷺ بقولهم: هو أذن.

• حلفهم للمؤمنين ليرضوهم دون إرضاء الله تعالى ورسوله ﷺ.

• حذرهم إنزال سورة تنبئهم بما في قلوبهم ووعيدهم على استهزائهم بإخراج ما يحذرون.

• اعتذارهم عن استهزائهم بأنهم كانوا يقصدون الخوض واللعب، وكون هذا الخوض عين الكفر، ووعيدهم بتعذيب طائفة منهم بإصرارهم على إجرامهم واحتمال العفو عن طائفة أخرى.

• بيان حال المنافقين وصفاتهم العامة ذكراناً وإناثاً، وإيقادهم هم والكفار نار جهنم ولعنهم... الخ.

• تشبيههم بمنافقي الأمم الغابرة في كونهم لاحظ لهم، إلا الاستماع بما ذكروا في خوضهم بالباطل وحبوط أعمالهم في الدنيا والآخرة مثلهم وخسارهم التام وتذكيرهم بنبأ أقوام الأنبيّاء قبلهم.

• إنَّ المنافقين هم الفاسقون. (الآية السابعة والستون).

• قرنهم بالكفار في وجوب جهادهم والإغلاظ في معاملتهم ووعيدهم.

• حلفهم على إنكار ما قالوا من كلمة الكفر، وإثبات الله تعالى لما نفوه (ولهمهم بما لم ينالوا) أي محاولة اغتياله ﷺ.

• من عاهد الله تعالى منهم على الصدقة في حالة العسر وإخلافه وكذبه بعد الغنى واليسر وإعقابهم ذلك نفاقاً يصحبهم إلى الحشر، وجهلهم علم الله تعالى بحالهم في السر والجهر.

• لمزهم وعيبهم للمؤمنين في الصدقات وسخريتهم منهم.

• حرمانهم الانتفاع باستنفار الرسول ﷺ لهم بكفرهم حتى بالله تعالى ورسوله ﷺ لا يرجى اهتداؤهم بالرجوع عن قسوتهم.

• فرح المخلفون منهم بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ وتواصيهم بعدم النفر في الحر وتذكيرهم بحر جهنم.

• كون الأجدر بهم أنْ يحزنوا، ويضحكوا قليلاً ويبكوا كثيراً.

- نهيه ﷺ عن الصلاة على موتاهم وتعليله بكفرهم وموتهم عليه.
- استئذان أغنيائهم بالتخلف عن الجهاد كلما نزلت سورة تأمر بالجمع بين الإيمان والجهاد.
- إنَّ حالَ الأعراب واستئذان بعضهم بالقعود عن الجهاد، وقعود الكاذبين بغير اعتذار ووعيدهم بعذاب أليم دليل على الكفر.

نكتفي بذلك من صفات المنافقين في غزوة تبوك التي جاءت بسورة التوبة ومن أراد المزيد من معرفة سائر أعمال المنافقين فليرجع إلى سور المنافقين والأحزاب والنساء والأنفال والحشر (٨٧).

وهناك سؤال دائماً ما يطرح وهو: لماذا لم يضرب النبي ﷺ أعناق المنافقين والقتلة من الصحابة الذين يطلق عليهم مصطلح الصحابة بالمعنى اللغوي أو الاصطلاحي مثل عبد بن أبي سلول وغيره؟

الجواب: هناك خطة حكيمة وصحيحة وضعها النبي ﷺ وهو يقول: ((مَعاذ اللهَّ أنْ يَتحدّث النّاس أني أقْتُلُ أَصْحَابِي)) (٨٨). وهذه الخطة الحكيمة والصحيحة، تعني أنَّ قتله لأصحابه، معناه:

١ - أنْ لا يرغب أحد بعد في الدخول في الإسلام؛ لأنه لا يرى فيه عصمة لنفسه، ولا يطمئن لمستقبله ووجوده. كما أنَّ من دخل فيه يجد نفسه مضطراً للتخلي عنه، واختيار طريق الردة، فيما لو صدر منهم أي عمل سيء أحياناً له مساس بالحالة العامة، أو بشخص النبي ﷺ دون ما يقع في نطاق التعدي على حقوق الآخرين وحرماتهم.

٢ - أنْ يفسح المجال أمام أعداء الإسلام للقيام بحملة دعائية ضده، ومنع الناس من التعرف إليه والاهتداء بهديه، حيث يطعن أعداؤه عليه بأنه ﷺ كسائر الملوك الذين يستفيدون من الناس حتى يحققوا أهدافهم،

ثمَّ يقتلون من ناصرهم على الظن والتهمة.

٣ - إنَّ ذلك ربما يدفع ضعفاء النفوس ممن أظهروا الإسلام إلى التخلي عنه، ابتعاداً بأنفسهم عن مواطن الخطر بزعمهم.

٤ - فضلاً عن ما تقدم: أنَّ ذلك منه ﷺ لربما يتخذه حُكام الجور والانحراف ذريعة لقتل الأبرياء، والتخلص من خصومهم السياسيين، ثمَّ يحتجون بأنَّ رسول الله ﷺ قد فعل ذلك.

٥ - كما أنه لا يبقى مجال للتعصبات القبلية، التي ربما تؤدي إلى خروج قبيلة بكاملها من الإسلام. ولعله لأجل ذلك نجد أبا سفيان لا يثأر لأبي أزيهر الدوسي، وكان في جواره، ومنع ولده من ذلك أيضاً، وقال له: أتريد أنْ تفرق بين قريش؛ فيقوى علينا محمد؟ لعمري ما بدوس عجز عن طلب ثأرهم [٨٩].

٦ - هذا كله، عدا عن أنه ﷺ لو فعل ذلك، لخسر أبناء المقتولين، وإخوانهم، وكثيراً من عشائرهم، وأصبحت علاقاتهم به لا تقوم على أساس الحب؛ بلْ على أساس الخوف من سلطانه، الأمر الذي سوف يدفع الكثيرين منهم للبحث عن منافذ للفرار، والتخلص من هيمنة رجل قتل أحباءهم بالأمس، ولربما تصل النوبة إليهم اليوم أو غداً [٩٠].

سورة التوبة والمنافقون: هناك سور وآيات عدة تحذر من المنافين ودسائسهم. فعن ابن عباس سميت سورة التوبة بالفاضحة فما زالت تنزل حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها [٩١]. وسميت المبعثرة؛ لأنها تبعثر أسرار المنافقين وتبحث عنها، كما سميت السورة... إلى غير ذلك من الأسماء التي تتناسب مع مضامين تلك السورة بكاملها. قال تعالى: في معرض التهديد والتوبيخ للمنافقين ﴿**وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ**

﴿أَذِنتَ لَهُمْ﴾ (٩٢). هذه الآية قد كشفت عن سوء نواياهم، وأشارت إلى المخطط الذي تبنوه ضد الدعوة كما تشعر بعتاب الله تعالى للنبيّ ﷺ؛ إذ أذن لهم بالتخلف عنه في بعض غزواته كما تؤكد ذلك الآيات التي بعدها، قال تعالى: ﴿لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ... إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ... لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ لَقَدْ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾(٩٣). الآية المذكورة تنص بصراحة على أنَّ بين صفوف الصحابة في المدينة وغيرها جماعة كانوا يسرون الغدر والنفاق، ويتربصون الظروف والمناسبات للفتك بالمسلمين وإيقاع الفتنة بهم، وتضيف الآية إلى ذلك أنَّ هؤلاء حتى لو خرجوا معك للجهاد، لا تستفيدون من خروجهم شيئاً يعود عليكم بالخير؛ لأنهم يبيّتون الفتنة والشر لكم وتنص الآية فضلاً عن ما ذكرنا، على أنَّ لهم أنصاراً بين الذين خرجوا معك يتجسسون عليكم وينقلون إليهم أسراركم ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾، ويستفاد من مجموع ذلك أنَّ النفاق كان متفشياً بين الصحابة والتنظيم السري، كان يشمل مجموعة ممن تظاهروا بالإسلام واشتركوا في غزوات الرسول ﷺ ضد المشركين، وأنَّ الغاية منه كانت تستهدف القضاء على الإسلام والرجوع إلى عبادة الأصنام والأوثان، ولولا أنَّ الله سبحانه قد أحاط تلك الدعوة المباركة بعنايته، وحفظها من مكرهم ودسائسهم وأظهرهم على واقعهم، لولا ذلك كان من الميسور عليهم القضاء عليها بين عشية وضحاها.

ولا احسب أنَّ المتتبع لنصوص القرآن الكريم يتردد في هذه الحقيقة، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا

﴿قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ (٩٤). وجاء في تفسير قوله ﴿أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ أنهم وقعوا في العصيان والكفر بمخالفتهم لك، وتخلفهم عن الجهاد معك. وقال مخاطباً لهم: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرسولهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى﴾ (٩٥). ثمَّ عرض القران الكريم جانباً آخر من جوانب نفاقهم فقال سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (٩٦).

من المنافقين من يطعن النبيّ ﷺ في توزيعه الصدقات، وذلك أنَّ النبيّ ﷺ أعطى بعض المنافقين، ومنع بعضاً، وتعرض له أبو الخواص، فلم يعطه شيئاً، فقال أبو الخواص: ألا ترون إلى صاحبكم، إنما يقسم صدقاتكم في رعاء الغنم، وهو يزعم أنه يعدل، فقال النبيّ ﷺ: ((لا أبا لك، أما كان موسى عليه السلام راعياً، أما كان داوود عليه السلام راعياً))، فذهب أبو الخواص، فقال النبيّ ﷺ: ((احذروا هذا وأصحابه، فإنهم منافقون))(٩٧). فأنزل الله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾. فالذين اتهموا رسول الله ﷺ بالطعن عليه في الصدقات هم من أصحابه (٩٨).

يبدو من مجموع ما ورد في القرآن الكريم بشأن المنافقين أنَّ الخطر منهم على الدعوة الإسلامية لم يكن بأقل من المشركين الذين لم يخضعوا لسلطان الإسلام؛ بلْ إنَّ خطر المنافقين أشد من خطر غيرهم؛ لأنهم كانوا مع المسلمين وبين صفوفهم يراقبون جميع تصرفاتهم ويحصون عليهم أنفاسهم، وقد اطمأن إليهم أكثر المسلمين؛ بلْ حتى النبيّ ﷺ لم يكن يعرف بعضهم، لولا الوحي الذي كان يكشفهم له بين حين وآخر، ولولا أنهم كانوا يشكلون خطراً كبيراً على الدعوة الإسلامية وعلى الرسول ﷺ

نفسه لما ألح القرآن الكريم على التحذير منهم بتلك الأساليب المختلفة. ويؤيد ذلك ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في (تفسير الآية التاسعة والخمسين من سورة التوبة)، إنَّ المعنيين بها أكثر من ثلثي الناس. ولو كانوا قليلي العدد وليسوا من ذوي الشأن، ولا يملكون من الوسائل التي تمكنهم من تنفيذ مخططاتهم وأهدافهم، وإذا كانوا كذلك فهل يستحقون هذا الاهتمام البالغ الذي ظهر في كثير من الآيات والسور وهل يحسن التحذير والتخويف ممن لا خطر منه ولا شأن له؟ ولماذا لم يتجاهل القرآن الكريم تلك الفئات الظالمة كما تجاهل أكثر العصاة ولم يتعرض إلى خطرهم على الدعوة ولو بآية تشير إليهم من قريب أو بعيد. وتؤكد النصوص التاريخية: أنَّ القرآن الكريم لم يقف هذا الموقف من الصحابة، ولم يحدث عنهم بتلك القسوة بشتى الأساليب إلا بعد أنْ تكتل فريق منهم بقصد الفتك بالرسول صلى الله عليه وآله، وإحباط مساعيه تضامناً مع مشركي قريش وغيرهم من العرب، وما كان وقوف الاثنى عشر رجلاً الذين أشارت إليهم (الآية الرابعة والستون من سورة براءة)، في طريق الرسول صلى الله عليه وآله للفتك به وهو راجع من غزوة تبوك إلا إحدى المحاولات التي تعاقد المتآمرون على تنفيذها، ومما لا شك فيه أنَّ وراء هؤلاء الاثنى عشراً عدداً كبير، كان ينتظر نجاح المؤامرة ليقوم كل بدوره المعدّ له، وقد بلغ الحال بالمنافقين أنهم كانوا يسهلون للمشركين واليهود احتلال المدينة لينا صروهم على النبي صلى الله عليه وآله كما تشير إلى ذلك (الآية الرابعة عشرة من سورة الأحزاب)، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا**﴾. وجاء في تفسير الآية: ضمير عليهم يعود إلى المنافقين، وإلى أصحاب الإيمان المستودع الذي لا قرار له، وضمير أقطارها إلى المدينة، والمراد بالفتنة هنا الارتداد عن الدين. والمعنى لو دخلت جيوش الشرك

المدينة وأحاطت بها من كل جانب، وقال المشركون للمنافقين ولمرضى القلوب: ارتدوا عن الإسلام وأعلنوا الشرك لاستجابوا على الفور من غير تردد، أو ترددوا قليلاً، ثم استسلموا للقوة [٩٩]. وعن قتادة أنَّ المقصود بالآية لو دخل المشركون إلى المدينة، وطلبوا من المنافقين الدخول معهم في الشرك، يقول: لأعطوها، وما تلبثوا بها إلا يسيراً. ويقول: إلا أعطوه طيبة به أنفسهم ما يحتبسونه [١٠٠].

ومجمل القول: أنَّ هذه الآيات على كثرتها توحي بوجود مجموعة من المنافقين قد تستروا بالإسلام لها أثرها وفعاليتها كانت تعمل بالخفاء للقضاء على الدعوة الإسلامية ولو بالفتك بالرسول ﷺ، أو بإعلان العصيان والتمرد عليه داخل المدينة وخارجها، بعد أنْ عجزوا عن مقاومته مع صفوف المشركين في المعارك التي دارت بينهم وبينه، ووترهم بإبائهم وأبنائهم وعشائرهم ومعتقداتهم واضطرهم إلى الاستسلام وأطاح بأمجادهم وألغى جميع الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها، ويتحكمون بالضعفاء والفقراء بسببها هؤلاء بلا شك لم يخالط الإيمان قلوبهم؛ بلْ اظهروا الإسلام خوفاً وطمعاً [١٠١]. وقد وصف الله قصة إسلامهم بقوله: ﴿**قَالَتْ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلْ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ [١٠٢]. ويجب أنْ لا يكون هناك لبس في التمييز بين الصحابة الحقيقين والمنافقين، فظنوا أنَّ بعض الصحابة من المنافقين أو العكس؛ فالصحابة صنف والمنافقون صنف آخر. فمن الآيات التي فرقّت بين الصحابة والمنافقين قوله تعالى: ﴿**وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ**﴾ [١٠٣]. فبينَّ سبحانه وتعالى أنَّ المنافقين يحلفون بأنهم مؤمنون. وفي قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنْ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾ [١٠٤].

النفاق قسمان: قسم واضح وظاهر للعيان عند أهله، وقسم خفي لا يعلمه إلاّ الله تعالى ولا يطلع على سرهم غيره؛ لأنهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم إبطاناً[١٠٥]. أو كما وصفهم الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ): إنّهم تمرّدوا في حرفة النفاق، فصاروا فيها أساتيذ، وبلغوا إلى حيث لا تعلم أنت نفاقهم مع قوة خاطرك وصفاء حدسك ونفسك[١٠٦]. وفسر قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ**﴾ قال ابن عباس: مُزَينة، وجُهيَنة، وأسلَم، وغِفار، وأشجع، كان فيهم بعد إسلامهم منافقون. وقال مقاتل: كانت منازلهم حول المدينة[١٠٧].

قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ**﴾، قال ابن عباس: مرنوا عليه وثبتوا منهم: عبد الله بن أُبَيّ، وجَدّ بن قيس، والجلاس بن سويد، ومعتِّب قشير، ووَحْوَح، وأبو عامر الراهب[١٠٨]. وقال أبو عبيدة: عَتَوْا ومَرَنُوا عليه، وهو من قولهم: تمرَّد فلان، ومنه: شيطان مريد[١٠٩].

وكان رسول الله ﷺ يتعامل مع المسلمين بحسب ظواهرهم ولا يتابعهم أو يعلن عن أسماء المنافقين الذين يعرفهم، فعن أبي الدرداء أنَّ رجلاً يقال له حرملة، قال: يا رسول الله: إنّه كان لي أصحاب من المنافقين، وكنت رأساً فيهم، أفلا آتيك بهم، قال ﷺ: ((من أتانا استغفرنا له، ومن أصرَّ فالله أولى به، ولا تخرقنَّ على أحد ستراً))[١١٠].

وقال المحقق الشيخ جعفر السبحاني بعد أنْ استشهد بالآية على المنافقين: لقد بذل القرآن الكريم عناية خاصة بعصبة المنافقين وأعرب عن نواياهم وندد بهم في السور، وهذا إنْ دلّ على شيء فإنما يدل على أنَّ المنافقين كانوا جماعة هائلة في المجتمع الإسلامي بين معروف، عرف بسمة النفاق ووسمة الكذب، وغير معروف بذلك مقنع بقناع التظاهر بالإيمان والحب للنبيّ ﷺ، فلو كان المنافقون جماعة قليلة غير مؤثرة لما رأيت

هـذه العناية البالغة في القرآن الكريم. وهـناك ثلة من المحققين كتبوا حول النفاق والمنافقين رسائل وكتابات وقد قام بعضهم بإحصاء ما يرجع إليه فبلغ مقداراً يقرب من عشر القرآن الكريم، وهذا يدل على كثرة أصحاب النفاق وتأثيرهم يوم ذاك في المجتمع الإسلامي [١١١].

وفي قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ [١١٢]. قال مجموعة من المؤرخين والمفسرين: أنَّ بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أنْ يأتيهم، فأتاهم فصلى فيه، فحسدهم إخوتهم بنو عمرو، وقالوا: نبني مسجداً ونرسل إلى رسول الله ﷺ ليصلي فيه كما صلى في مسجد إخواننا، وليصل فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام، وكان أبو عامر قد ترهب قبل الإسلام وتنصر ولبس المسوح، وأنكر دين الحنيفية لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعاداه، وسماه النبي ﷺ أبا عامر الفاسق، وخرج إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، وابنوا لي مسجداً فإني ذاهب إلى قيصر فآتي بجند الروم، فأخرج محمداً وأصحابه فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء، وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلاً حزام (خذام) بن خالد، ومن داره أخرج المسجد، وثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، وأبو حبيبة بن الارعد، وعباد بن حنيف، وحارثة وجارية وابناه مجمع وزيد، ونبتل بن حارث، ولحاد بن عثمان ووديعة بن ثابت، فلما فرغوا منه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أنّا بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فدعا بقميصه ليلبسه فيأتيهم، فنزل عليه القرآن الكريم وأخبر الله عَزَّ وَجّل خبر مسجد الضرار وما هموا به، فدعا رسول الله ﷺ مالك

بـن الدخشـم، ومعـن بـن عـدي، وعامـر بـن يشـكر والوحـشي قاتـل حمـزة، وقال لهـم: ((انطلقوا إلى هـذا المسجد الظالم أهـله فاهـدموه واحرقوه))[١١٣]. فخرجـوا وانطلـق مالـك وأخـذ سـعفاً مـن النخـل فأشـعل فيـه نـاراً، ثـمَّ دخلـوا المسـجد وفيـه أهـله فحرقـوه وهـدموه وتفـرق عنـه أهـله، وأمـر النبـي ﷺ أنْ يتخـذ ذلـك كناسـة تلقـى فيهـا الجيـف والنتـن والقمامـة، ومـات أبـو عامـر بالشـام وحيـداً غريبـاً [١١٤].

وعـن سـعد بـن أبي وقـاص قـال: أنَّ المنافقـين عرضـوا بمسـجد يبنونـه يضاهـون بـه مسـجد قبـاء، وهـو قريـب منـه لأبي عامـر الراهـب يرصدونـه إذا قـدم ليكـون إمامهـم فيـه، فلـما فرغـوا مـن بنائـه أتـوا رسـول الله ﷺ فقالـوا: إنـا بنينـا مسـجداً فصـل فيـه حتـى نتخـذه مصـلى، فأخـذ ثوبـه ليقـوم معهـم، فنزلـت هـذه الآيـة: (لا تقـوم فيـه أبـداً) [١١٥].

أرقام الآيات التي نزلت بالمنافقين:

البقرة: ١٨-٢٠، ٧٦-٧٧، ٢٠٤-٢٠٦؛ آل عمران: ٧٢، ٨٦-٨٩، ٩٠-٩١، ١١٨-١١٩، ١٤٤-١٥٤، ١٥٦-١٥٨، ١٦٧-١٧٩؛ النساء: ٣٨-٣٩، ٦٠-٦٨، ٧٢-٧٦، ٧٨-٨٢، ٨٨-٩١، ١٠٥-١١٥، ١٣٧-١٤٧؛ المائدة: ٤١، ٥١-٥٣، ٥٧-٦٢؛ الأعراف: ١٧٥-١٧٧؛ الأنفال: ٣٧، ٤٩، ٦٠؛ التوبة: ٤١-١١٠، ١٢٣-١٢٧؛ الحج: ١١-١٣؛ النور: ١١-٢١، ٢٣-٢٥، ٤٧-٥٠، ٦٣-٦٤؛ العنكبوت: ١٠-١١؛ الأحزاب: ١٢-٢٠، ٢٤، ٤٨، ٥٧، ٥٨، ٦٠-٦٢، ٧٣؛ محمد: ١٦-٣٠؛ الفتح: ٦، ١١-١٢، ١٥-١٦؛ الحديد: ١٣-١٥؛ المجادلة: ٨، ١٠، ١٤، ١٦-١٧؛ الحشر: ١١-٢٠؛ المنافقون: ١-١١؛ المدثر: ٣١؛ الماعون: ٤-٧؛ التحريم: ٩ (١١٦).

الخاتمة:

خلص البحث إلى ما يأتي:

١- مجمل القول أنَّ هذه الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة على كثرتها توحي بوجود مجموعة من المنافقين قد تستروا بالإسلام وكانت تعمل بالخفاء للقضاء على الدعوة الإسلامية والفتك برسول الله ﷺ، أو بإعلان العصيان والتمرد عليه داخل المدينة وخارجها، بعد أنْ عجزوا عن مقاومته ﷺ مع صفوف المشركين في المعارك التي دارت بينهم وبينه ﷺ، ووترهم بإبائهم وأبنائهم وعشائرهم ومعتقداتهم واضطرهم إلى الاستسلام، وأطاح ﷺ بأمجادهم وألغى جميع الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها، ويتحكمون بالضعفاء والفقراء؛ بسببها: هؤلاء بلا شك لم يخالط الإيمان قلوبهم؛ بلْ اظهروا الإسلام خوفاً وطمعاً.

٢- إنَّ دائرة النفاق وتيار الذين في قلوبهم مرض: بذرتان، في تربة واحدة يسقيان من ماء واحد، ولكل شجرة منهما ثمار وأزهار، لا طعم فيهما ولا رائحة، أنبتهما الله تعالى من الأرض لحكمة ومن وراء الحكمة هدف.

٣- كشف تيارات النفاق على امتداد العهد النبوي كان يخضع لوحي الله تعالى، فالوحي كان يخبر بأسماء بعضهم، ويخبر ببعضهم الآخر ضمن خط عريض وهو يتحدث عن النفاق، والأمة ممتحنة ومبتلية شأنها كشأن الأمم السابقة ليعلم الله تعالى كيف تعمل وكيف تختار ويعلم سبحانه الصابرين، والله تعالى أخبر عباده عن الشيطان وأهدافه، وكثير من العباد لم يروا الشيطان، وأخبر سبحانه عن المنافقين وصفاتهم وبرامجهم وكثير من الناس لم يعرفوا أسماء المنافقين.

٤- إنَّ أطروحة النفاق ترى بوضوح إذا سقطت عليها أشعة منهج

العبادة الحق؛ لأنَّ المنافقين على امتداد التاريخ الإنساني بعضهم من بعض، يحكم عليهم نوع من الوحدة النفسية، وهذه الوحدة تضعهم في قالب ذي أوصاف واحدة، ومهمة هذه الاطروحات على امتداد التاريخ وضع البشرية على أعتاب الكوارث؛ لأنَّ بنيانها أسس من ماء الكذب ووضع على شفا جرف هار، لا خير فيه ولا فائدة.

الهوامش

١) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٠/ ٣٥٩؛ الزبيدي، تاج العروس، ١٣/ ٤٦٣.
٢) ينظر: ابن سلام، غريب الحديث، ٣/ ١٣؛ العيني، عمدة القارئ، ١/ ١٥١.
٣) فتح الباري، ١/ ٨٣.
٤) الطبري، جامع البيان، ١/ ١٧٠.
٥) تفسير القرآن العظيم، ١/ ٥٠.
٦) سورة التوبة، الآية ٦٧.
٧) مفردات الفاظ القرآن، ٨٢٠.
٨) سورة النساء، الآية ١٤٥.
٩) سورة النساء، الآية ١٤٠.
١٠) سورة النساء، الآية ١٤٢.
١١) سورة الفتح، الآية ٥.
١٢) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ١٢/ ٢٠٨.
١٣) البخاري، صحيح البخاري، ١/ ١٤.
١٤) ينظر: تيسير الكريم، ٤٢.
١٥) ينظر: طه حسين، الفتنة الكبرى (علي)، ١٧٢.
١٦) تفسير القرآن العظيم، ١/ ٥٠.
١٧) المقريزي، امتاع الأسماع، ١٤/ ٣٦٧.
١٨) ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/ ٢٦٥.
١٩) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/ ٣٦٣.
٢٠) سورة التوبة، الآية ٧٤.
٢١) سورة البقرة، الآية ٧٦.
٢٢) سورة آل عمران، الآية ١١٩.
٢٣) سورة المنافقون، الآية ٤.
٢٤) سورة التوبة، الآية ٥٥.
٢٥) ينظر: معالم الفتن، ١/ ٥١-٥٣.
٢٦) سورة النساء، الآية ١٤٢.
٢٧) سورة المنافقون، الآية ١.
٢٨) سورة المنافقون، الآية ٢.
٢٩) سورة التوبة، الآية ٦٤.

٣٠) سورة المنافقون، الآية ٤.
٣١) سورة المنافقون، الآية ٥.
٣٢) سورة النساء، الآية ٦١.
٣٣) سورة النساء، الآية ١٤٢.
٣٤) ينظر: الكرباسي، الشيخ صالح، النفاق، ١-٤.
٣٥) سورة النساء، الآية ١٤٣.
٣٦) سورة التوبة، الآية ٦٧.
٣٧) سورة التوبة، الآية ٧٤.
٣٨) سورة المنافقون، الآية ٧.
٣٩) سورة المنافقون، الآية ٣.
٤٠) سورة المنافقون، الآية ٨.
٤١) سورة النساء، الآية ٦٠.
٤٢) سورة النساء، الآية ١٤١.
٤٣) سورة التوبة، الآية ٤٥.
٤٤) سورة الحشر، الآية ١٤.
٤٥) سورة التوبة، الآية ٦٢.
٤٦) سورة التوبة، الآية ٨١.
٤٧) سورة التوبة، الآية ٩٤.
٤٨) سورة النساء، الآية ١٤٤.
٤٩) سورة التوبة، الآية ٦٨.
٥٠) سورة التوبة، الآية ٧٣؛ سورة التحريم، الآية ٩.
٥١) سورة النساء، الآية ١٧٣.
٥٢) سورة النساء، الآية ١٤٠.
٥٣) سورة الفتح، الآية ٦.
٥٤) سورة الأنفال، الآية ٤٩.
٥٥) ينظر: قراءة في كتاب حديث القرآن عن النفاق والمنافقين، ٢-٣.
٥٦) سورة البقرة، الآية ١٦.
٥٧) سورة الفتح، الآية ١١.
٥٨) ينظر: قراءة في كتاب حديث القرآن عن النفاق والمنافقين، ٤-٥.
٥٩) الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٤/ ٥٩٧؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١٥/ ٩٩.

٦٠) الطبراني، المعجم الأوسط، ٢٣/ ٣٧٦؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ١١/ ٦٢٢.
٦١) ابن حنبل، مسند أحمد، ٢/ ٢٩٣؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ١/ ١٠٧.
٦٢) ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ٣٠؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤٢/ ٢٨٥.
٦٣) الطبراني، المعجم الأوسط، ٢/ ٣٢٨؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤٢/ ٢٨٦.
٦٤) الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٣/ ١٢٩؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ١٣/ ١٠٦.
٦٥) ينظر: ابن حزم، الإحكام، ٢/ ١٣٥.
٦٦) ابن حنبل، مسند أحمد، ١/ ٢٢.
٦٧) البخاري، صحيح البخاري، ١/ ١٠.
٦٨) مسلم، صحيح مسلم، ٦/ ٤٩.
٦٩) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٣٨٥.
٧٠) البخاري، التاريخ الكبير٧/ ٢٣.
٧١) البيهقي، دلائل النبوة، ٥/ ٢٨٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٥/ ٣٣؛ السيرة النبوية، ٤/ ٥٠.
٧٢) الطيالسي، مسند الطيالسي، ١٢٨؛ ابن حنبل، مسند أحمد، ٤/ ٨٣؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٥/ ٢٥٢، الكوراني، أجوبة مسائل جيش الصحابة، ٦؛ الأنصاري، العترة والصحابة في السنة، ٢/ ١٧٠؛ كتاب المسانيد، ١/ ٧٦، ١/ ٩٧، ٢/ ٢٢٨.
٧٣) صحيح البخاري، ٨/ ١٠٠.
٧٤) إحياء علوم الدين، ١٣/ ٢١.
٧٥) المتقي الهندي، كنز العمال، ١/ ٣٦٥.
٧٦) ينظر: كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، ٢/ ١٠٢.
٧٧) مسلم، صحيح مسلم، ٨/ ١٢٢؛ البيهقي، السنن الكبرى، ٨/ ١٩٨؛ السيوطي، الديباج، ٦/ ١٣٧.
٧٨) النووي، صحيح مسلم شرح النووي، ١٧/ ١٢٥.
٧٩) البخاري، صحيح البخاري، ١/ ١٧؛ النووي، صحيح مسلم شرح النووي، ١/ ١٤٩.
٨٠) مسلم، صحيح مسلم، ٨/ ١٢٣؛ البيهقي، السنن الكبرى، ٩/ ٣٣.
٨١) البخاري، صحيح البخاري، ٤/ ٢٦٩؛ العيني، عمدة القارئ، ١٧/ ٧٠.
٨٢) مسلم، صحيح مسلم، ٨/ ١٢٤.
٨٣) شرح صحيح مسلم، ١٧/ ١٢٨.
٨٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٣٩٩.

٨٥) م ن.
٨٦) أيوب، معالم الفتن، ١/ ٦٣.
٨٧) أبو ريه، أضواء على السنة المحمدية، ٣٥٦ وما بعدها. وقد ذكر في الهامش أبو ريه أنَّ هذا الفصل منقول عن الجزء العاشر من تفسير القرآن الحكيم للإمامين محمد عبده ومحمد رشيد رضا.
٨٨) ابن حنبل، مسند أحمد، ٣/ ٣٥٣؛ مسلم، صحيح مسلم، ٣/ ١٠٩؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١١/ ١٤٨؛ الطبراني، المعجم الأوسط، ٩/ ٣٥.
٨٩) الزبيري، نسب قريش، ٣٢٣.
٩٠) العاملي، الصحيح من السيرة، ٧/ ١٥٦.
٩١) البخاري، صحيح البخاري، ٦/ ٥٨.
٩٢) سورة التوبة، الآية ٤٢-٤٣.
٩٣) سورة التوبة، الآية ٤٤-٤٧.
٩٤) سورة التوبة، الآية ٤٩-٥٠.
٩٥) سورة التوبة، الآية ٥٣-٥٦.
٩٦) سورة التوبة، الآية ٥٨-٥٩.
٩٧) مقاتل، التفسير الكبير، ٢/ ٥٣؛ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي، ٢/ ٦٦.
٩٨) العلامة الحلي، نهج الحق، ٣١٨.
٩٩) مغنية، التفسير الكاشف، ٦/ ٢٠٠.
١٠٠) الطبري، جامع البيان، ٢١/ ١٦٥.
١٠١) ينظر: الحسني، دراسات في الحديث والمحدثين، ٧٥-٨٧.
١٠٢) سورة الحجرات، الآية ١٤.
١٠٣) سورة التوبة، الآية ٥٦.
١٠٤) سورة التوبة، الآية ١٠١.
١٠٥) ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف، ٢/ ٢١١.
١٠٦) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ١٦/ ١٧٣.
١٠٧) مقاتل، التفسير الكبير، ٢/ ٦٨.
١٠٨) ابن الجوزي، زاد المسير، ٣/ ٣٣٤.
١٠٩) م ن.
١١٠) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٧/ ٢٣، ٦٧/ ٩٧؛ ابن كثير، تفسير القرآن، ٢/ ٣٩٩.

١١١) السبحاني جعفر، رسائل ومقالات، ٢٠٠.
١١٢) سورة التوبة، الآية ١٠٧.
١١٣) الثعلبي، الكشف والبيان، ٥/ ٩٢؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ٣/ ٣٣٩.
١١٤) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٤/ ٩٥٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢/ ٣٧٤؛ البغوي، لباب التأويل، ٢/ ٣٢٦؛ أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ٥/ ١٠٢؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٦٣؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ٤/ ٣٩.
١١٥) الواحدي النيسابوري، أسباب نزول الآيات، ١٧٦.
١١٦) جرجور، إحقاق الحق في النفاق، ص٥٧.

المصادر والمراجع:

ـ خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

* ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين بن أبي الكرم الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ):

* أسد الغابة في معرفة الصحابة، (دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت).

* البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ):

* التاريخ الكبير، تحقيق السيد هاشم الندوي، (دار الفكر، بيروت، د.ت).

* صحيح البخاري، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ).

* البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (ت ٥١٠هـ):

* لباب التأويل في معالم التنزيل (تفسير البغوي)، تحقيق خالد عبد الرحمن العك، (دار المعرفة، بيروت، د.ت).

* البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت ٤٥٨هـ):

* السنن الكبرى، (دار الفكر، بيروت، د.ت).

* دلائل النبوة ومعرفة أصحاب الشريعة، تحقيق عبد المنعم قلعجي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥ه - ١٩٨٥م).

* الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٤٢٧هـ):

* الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، تحقيق أبي محمد بن عاشور، مراجعة نظير الساعدي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ).

* ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧هـ):

* زاد المسير في علم التفسير، تحقيق محمد عبد الرحمن، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ).

* الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله العتبي بن البيع (ت ٤٠٥هـ):

* المستدرك على الصحيحين، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، (دار المعرفة، بيروت، د.ت).

* ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ):

* صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان علاء الدين علي الفارسي (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق شعيب الارنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١١هـ).

* ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ):

* فتح الباري شرح صحيح البخاري، (دار المعرفة، بيروت، د.ت).

* ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري (ت ٤٥٦هـ):

* الإحكام في أصول الأحكام، (مطبعة العاصمة، القاهرة، الناشر زكريا علي، د.ت).

* ابن حنبل، الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ):

* مسند الإمام أحمد بن حنبل، (دار صادر، بيروت، د.ت).
* أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي الجياني (ت ٧٤٥هـ):
* تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ).
* الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢هـ):
* مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، (منشورات طليعة النور، قم، ١٤٢٧هـ).
* الزبيدي، أبو الفيض محب الدين محمد مرتضى الواسطي الحنفي (ت١٢٠٥هـ):
* تاج العروس من شرح القاموس (المسمى تاج العروس من جواهر القاموس)، تحقيق علي شيري، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ).
* الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله مصعب (ت ٢٣٩هـ):
* نسب قريش، تحقيق ليفي بروفسنال، (دار المعارف، مصر، ١٣٧٣هـ).
* الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ):
* تفسير الكشاف، علق عليه خليل مأمون شيحا، (دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٣هـ).
* ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ):
* غريب الحديث، تحقيق محمد عبد المعيد خان، (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٨٤هـ).
* ابن سيد الناس، محمد بن محمد (ت ٧٣٤هـ):
* عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، (مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٦هـ).
* السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ):
* الديباج، تحقيق أبي إسحاق الجويني الأثري، (دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ).
* كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى)، (الناشر دار الكتاب العربي، مطبعة الدكن، الهند، ١٣٢٠هـ).
* الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠هـ):
* المعجم الأوسط، تحقيق طارق عبد عوض، (دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ).
* الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ):
* تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ).
* جامع البيان في تفسير آي القرآن (تفسير الطبري)، قدم له خليل الميس، تخريج صدقي جميل العطار، (دار الفكر للطباعة

والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ).
* الطيالسي، أبو داوود سليمان بن داوود بن الجارود الفارسي البصري (ت ٢٠٤هـ):
* مسند أبي داوود الطيالسي، (دار المعرفة، بيروت، د.ت).
* ابن عبد البر، أبو عمر يوسف أحمد بن عبد الله النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ):
* الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، (دار الجيل، بيروت، ١٤٢١هـ).
* ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١هـ):
* تاريخ مدينة دمشق (تاريخ ابن عساكر)، تحقيق علي شيري، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ).
* العلامة الحلي، أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ):
* نهج الحق وكشف الصدق، تقديم رضا الصدر، تعليق عين الله الحسني، (مطبعة ستارة، الناشر دار الهجرة، قم، ١٤٢١هـ).
* العيني، أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الغيتابي الحنفي (ت ٨٥٥هـ):
* عمدة القارئ (شرح صحيح البخاري)، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت).
* الفخر الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن بكر بن الحسن التميمي الرازي (ت ٦٠٦هـ):
* مفاتيح الغيب في تفسير القرآن (تفسير الرازي)، (الطبعة الثالثة، د ط، د ت).
* ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القيسي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ):
* البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق علي شيري، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ).
* تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٢هـ).
* السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٣هـ).
* أبو الليث السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم الحنفي (ت ٣٨٣هـ):
* تفسير السمرقندي، تحقيق محمود مطرجي، (دار الفكر، بيروت، د.ت).
* مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ):
* صحيح مسلم، (دار الفكر، بيروت، د.ت).
* مقاتل بن سليمان، أبو الحسن بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠هـ):
* التفسير الكبير (تفسير مقاتل)، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ).
* المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي الحسيني العبدي (ت ٨٤٥هـ):
* إمتاع الأسماع بما للنبي ٣ من الأحوال

والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ).
* ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ):
* لسان العرب، (نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ).
* النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف الحزامي الحوارني الشافعي (ت ٦٧٦هـ):
* صحيح مسلم شرح النووي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ).
* ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ٢١٨هـ):
* السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (الناشر مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ١٣٨٣هـ).
* الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ):
* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ).
* الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت ٤٦٨هـ):
* أسباب النزول (أسباب نزول الآيات)، (الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٨٨ه، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة).

المراجع:

* الأنصاري، محمد حياة محمد بن عبد الله:
* العترة والصحابة في السنة، (د. ط، قم، د.ت).
* كتاب المسانيد، (د. ط، إيران، د.ت).
* أيوب، سعيد:
* معالم الفتن، (مطبعة سمهر، الناشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٦هـ).
* الحسني، هاشم معروف:
* دراسات في الحديث والمحدثين، (الناشر دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٨هـ).
* أبو رية، محمود (ت ١٣٨٥هـ):
* أضواء على السنة المحمدية (أو الدفاع عن الحديث)، (نشر البطحاء، الطبعة الخامسة، د.ت).
* السبحاني، المحقق الشيخ جعفر:
* رسائل ومقالات، (مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، د ت).
* السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ):
* تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ).
* العاملي، جعفر مرتضى:
* الصحيح من سيرة النبي الأعظم٣، (دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ).
* طه حسين:
* الفتنة الكبرى (علي)، (دار المعارف، مصر، د.ت).
* الكوراني، علي العاملي:
* أجوبة مسائل جيش الصحابة، (دار السيرة، ١٤٢٣هـ).
* المصطفوي، الشيخ حسن:
* التحقيق في كلمات القرآن الكريم، (مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٧هـ).
* مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، (دار العلمين، بيروت، ١٩٨١م).
* **شبكة التواصل (النت):**
* الكرباسي، الشيخ صالح:
* النفاق، مركز الاشعاع الإسلامي. https://www.islam
* جرجور: خالد بن إبراهيم:
* إحقاق الحق في النفاق. www.islammi.jeeran.com
* طنطاوي، سيد:
* حديث القرآن عن النفاق والمنافقين. https://www.albayan.ae
* قراءة في كتاب حديث القرآن عن النفاق والمنافقين.
* https://www.albayan.ae

لحظات نزول الوحي على النبي الاعظم ﷺ

م. د. نزار ناجي محمد
متوسطة النعمان للبنين / مديرية تربية البصرة / محافظة البصرة

Moments of revelation to the greatest prophet (PBUH)

Lect. Dr. Nizar Naji Muhammed
Al-Numan Intermediate School for Boys
Basra Education Directorate
Basra Governorate

الملخص

يعد الكلام عن الوحي من الموضوعات الحساسة والمهمة التي تناولتها المرويات التاريخية؛ لأنها تلامس العقيدة الإسلامية، فالوحي هو الوسيلة الناقلة للكلام الإلهي المنزل على النبي ﷺ، ولأن الحديث عن الوحي مرتبط بعالم الغيب والوسيلة للتواصل بين السماء والأرض فكانت دراستها من اخطر القضايا في مجال دراسة السيرة النبوية فقد تعرض النبي ﷺللسؤال عن الكيفية التي كان يأتيه فيها الوحي، أو الحالات المرافقة لنزول الوحي ؛ لذا ستكون الدراسة محاولة لفهم تلك اللحظات في اثناء نزول الوحي.

Abstract

Speech about revelation is one of the sensitive topics dealt with in historical narratives. Because touches the Islamic faith، so revelation was the means to convey the divine utterance transmitted to the Prophet (PBUH). The Prophet (PBUH) was asked about how the revelation was coming to him? Or the cases accompanying the revelation?; Therefore، the study will be an attempt to understand those moments during the revelation.

أولاً مفهوم الوحي

ويقالُ للكَلِمَةِ الإلهيةِ التي تُلْقى إلى أَنْبيائِه وأَوْلِيائِه وَحْيٌ و الوحي هو إعلام في خَفاء، وقيل هو الإشارة والكتابة والرِّسالة والإِلْهام والكلام الخَفِيُّ وكلُّ ما أَلقيته إِلى غيرك وقيل هو المكتوب والكِتاب أَيضاً[١]، فالمعنى اللغوي لكلمة (الوحي) يبين ان هناك أكثر من صورة للوحي.

وتعدد اشكال الوحي أشار إليه الإمام علي عليه السلام عند سؤاله عن لفظ كلمة(الوحي) في القرآن الكريم فقال منه وحي النبوة ومنه وحي الإلهام ومنه وحي الإشارة ومنه وحي أمر ومنه وحي كذب، ومنه وحي تقدير، ومنه وحي خبرومنه وحي الرسالة فأما تفسير وحي النبوة والرسالة فهو قوله تعالى:﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ**﴾[٢] وأما وحي الإلهام فقوله عز وجل:﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾ [٣]ومثله قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ** ﴾[٤] وأما وحي الإشارة فقوله عز وجل:﴿ **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾[٥]، أي أشار إليهم لقوله تعالى: ﴿**أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا** ﴾[٦] وأما وحي التقدير فقوله تعالى:﴿**وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا**﴾[٧] وأما وحي الأمر فقوله سبحانه وتعالى:﴿**وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي** ﴾[٨]، وأما وحي الكذب فقوله عز وجل: ﴿**شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**﴾ [٩] وأما وحي الخبر فقوله سبحانه: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ**﴾ [١٠][١١]. وهذه هي أقسام الوحي التي ذكرها القرآن الكريم.

ويذكر لنا القرآن الكريم كيفية نزول الوحي والخطاب الإلهي مع البشر كما ورد في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ**

﴿وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [١٢]، فيكون ذلك أمّا برسول مشاهد يرى ويسمع كلامه كتبليغ جبريل عليه السلام للنّبيّ صلى الله عليه وآله في صورة معيّنة وأمّا بسماع كلام من غير معاينة كسماع النبي موسى عليه السلام كلام اللهَّ وأمّا بإلقاء في الرّوع [١٣].

يبقى السؤال الأهم هو:كيف هي لحظات الاتصال السماوي؟و كيف كان وقعها على النبي صلى الله عليه وآله؟ وهو ما ستبينه المرويات التاريخية.

ثانياًلحظات نزول الوحي في الرؤية الروائية

كانت لحظات الاتصال السماوي بين المُرسل والمرسل إليه مثار حديث أصحاب النبي صلى الله عليه وآله حتى إن النبي صلى الله عليه وآله تعرض إلى مثل ذلك السؤال من قبلهم فقيل له «كيف يأتيك الوحي »[١٤]؟ أي ما الطريقة التي يأتيك فيها الوحي؟ وهذا السؤال المهم لعله شغل تفكير عدد كبير من اصحابه فلا يستطع أحد وصف تلك الحالة أو طريقة ذلك الاتصال السماوي سوى النبي صلى الله عليه وآله فقال « أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول » [١٥]، فالطريقة الأولى هي تشبيهية أي محاولة لتقريب الفكرة على المتلقي بأن تلك اللحظات من اللحظات الصعبة والشديدة على النبي صلى الله عليه وآله لذا تضيف السيدة عائشة عن تلك اللحظات بحكم المشاهدة بالعين المجردة بما يمر به النبي صلى الله عليه وآله في تلك اللحظات فتقول « ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا »[١٦] أي ان تلك اللحظات شديدة عليه حتى جعلته يتصبب عرقاً في الاجواء الباردة لكن هل كانت السيدة عائشة هي الوحيدة التي تشاهد النبي صلى الله عليه وآله في لحظات نزول الوحي؟، أوهناك من شاهده على مثل تلك الحالة أو حالة مقاربة لها أو تختلف عنها بشيء بسيط لذا سنعمل على تفصيل تلك الحالات.

هناك بعض الحالات التي يذكر فيها سماع ﷺ صوتاً كما ورد في قوله ﷺ « أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ »[١٧] وعن ابن عمرو [١٨]قال « قلت يا رسول الله هل تحس بالوحي؟قال: نعم اسمع صلاصل ثم أثبت عند ذلك وما من مرة يوحى إلي إلا ظننت بأن نفسي تقبض منه» [١٩]والصَّلْصلةُهي صَوْت الحديد إِذا حُرِّك يقال صَلَّ الحديدُ وصَلْصَلَ والصَّلْصلةهي أَشدُّ من الصَّلِيل والصلاصل جمع صلصلة [٢٠]وقيل الجَرَسُ هو الذي يُعلق في عنق البعير وأَجْرَسَ الحَلُي سَمِع له صوتٌ مثل صوت الجَرَسِ [٢١]،والجرس ناقوس صغير أو سطل في داخله قطعة نحاس يعلق منكوسا على البعير فإذا تحرك تحركت النحاسة فأصابت السطل فحصلت الصلصلة [٢٢]، فعلى هذا القول يكون ذلك الصوت يسمعه النبي ﷺ وحده ؛لأنه لو سُمِع ذلك الصوت من غيره لوجِّه السؤال إلى النبي ﷺ عن ذلك الصوت ولم تُعرف مصدرية ذلك الصوت أو حتى الغاية منه مع لحظات نزول الوحي وهل يمكن لذلك الصوت التأثير في سماع القاء الوحي؟مع أن نزول الوحي في أحد صوره هو إلقاء في الروع وليس صوتاً.

وقد ورد عن عمر بن الخطاب قوله « كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي نسمع عند وجهه دوي كدوي النحل » [٢٣]، أي ان ذلك الصوت كان مسموعاً من غيره وكان صوته كصوت دوي النحل ويذكر ابن حجر العسقلاني[٢٤]دوى النحل لا يعارض صلصلة الجرس لأن سماع الدوي بالنسبة إلى الحاضرين والصلصلة بالنسبة إلى النبيﷺ.

والسؤال الذي من الممكن أن يطرح هو لماذا لم يسمع جميع الحاضرين ممن كانوا قرب النبي ﷺ في لحظات نزول الوحي ذلك الدوي؟فلم ينقل من غير الصحابي عمر بن الخطاب تلك الحالات من سماع ذلك

الصوت طول مدة الدعوة الإسلامية زيادة على ذلك فقد انكر النسائي ذلك الحديث ؛لأنه لم ينقل سوى عن راوٍواحد غير معروف[٢٥]وان مفهوم الوحي هو إعلام في خفاء أو الكلام الخفي، فكيف يستطيع سماعه شخص آخر غير الموحى إليه؟!.

و قد ورد أن أبا بكركان« يسمع مناجاة جبرئيل للنبي ﷺ ولا يراه » [٢٦]، وعلى هذا القول يكون صوت الوحي مسموعاً ومفهوماً لكنه لم تكن هناك رؤية لشخص الملك أي ان أبا بكر كان يسمع ما يسمع النبي ﷺ.

لعل مثل هذا الحديث وضع في وقت متأخر لأسباب متعلقة بالميول السلطوية للتدوين وما خلفته الصراعات السياسية في صناعة الأحاديث ولعله كان محاكاة لما ورد عن النبي ﷺ في قوله إلى الإمام علي عليه السلام « إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ » [٢٧]، فقد ورد عن دور السلطة الأموية في تغذية مثل تلك الفضائل للصحابة فقد ورد ان معاوية بن أبي سفيان كتب إلى عماله فقال «أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة فان هذا أحب إلى وأقر لعيني وادحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله» [٢٨]، يضاف إلى ذلك أن سماع الإمام علي عليه السلام كان لرنة الشيطان وليس لصوت الملاك لذلك كان الاستفهام عن صوت رنة الشيطان وليس عن صوت نزول الوحي؛ لأنه الوحي هوالكلام الخفي فلا يستطيع أحد سماعه سوى الموحى إليه.

واحياناًيكون النبي ﷺ وقت نزول الوحي محمر الوجه يغط [٢٩]، ويوضح يعلى بن أمية[٣٠] ذلك الغط بما نصه « نظرت إلى رسول الله

ﷺ وهو يوحى إليه وله غطيط[٣١] كغطيط البكر محمرة عيناه وجبينه » [٣٢] وهذا الكلام غريب !!! فمن غير المعقول أن يكون يعلى بن أمية هو الوحيد من سمع ذلك الصوت حتى لو كانت رؤيته للنبيﷺوهو مستظل بثوب[٣٣]، فلو منع من كان قربه رؤية احمرار العينينمن خلال ذلك الثوب فكيف يمكن منع الصوت بذلك الثوب؟!، وإلاكثر غرابة أنه لم يذكر أحد سوى يعلى بن أمية تلك الحالة التي كان عليها النبي لحظة نزول الوحي طول مدة الدعوة الإسلامية.

وعن وصف تلك اللحظات قيل«كان إذا أوحي إلى رسول الله ﷺ وقذ[٣٤] لذلك ساعة كهيئة السكران »[٣٥]، وذهب إلى ذلك القول للتشبيه بشدة ذلك الاتصال بحيث ينتهي حاله كهيئة السكران الذي لا يعلم ما يقول وذلك التشبيه غير مقبول بحق النبي الخاتم ﷺ ؛ لأن هيئة السكران تعني أن النبي ﷺ كان لا يعي ما يقول أو يفعل وقت نزول الوحي كما لا يعلم السكران ما يقول أو يفعل لذهاب عقله.

وورد عن لحظات نزول الوحي أن هناك تغيرات جسدية تطرأ على جسد النبي ﷺ كما ورد عن ابن عباس قوله «كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي تربد[٣٦] لذلك وجهه وجسده وأمسك عنه أصحابه ولم يكلمه أحد منهم» [٣٧]، أي أنه يطرأ على جسده تغير في اللون لشدة ذلك اللقاء وكذلك ورد عن ابن عباس قال « كان رسول الله ﷺ إذا انزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تربد جلده »[٣٨] أي كان أصحابه يتحاشون الحديث معه وقت تربد جسده وهي طريقة كانوا يعرفون فيها أوقات نزول الوحي عليه وربما رافق تربد جسده الشعور بالحزن كما ورد أنه «كان إذا نزل عليه الوحي كرب له وتربد وجهه»[٣٩].

فلو كانت حالات تربد جسده شاهدها عدد من أصحابه فلماذا لم يتم سؤاله عن ذلك التغير الجسدي الذي يطرأ عليه وقت نزول الوحي؟!! فلعله ناتج عن حالة مرضية فقد يتغير جسد المريض لأي وعكة صحية قد يمر بها وكيف كان لهم التمييز بين الحالتين؟!!.

ولم تكتف المرويات بذلك فقد ورد أن رسول الله ﷺ إذا أُنزل عليه الوحي « دام بصره مفتوحة عيناه وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله تعالى» [٤٠]، وهذه صورة لعملية نزول الوحي تصور النبي ﷺ بصورة المستعد لتلقي كلام الله بطريقة تدلل على تأثير ما يأتيه من الله تعالى بحيث يضطر لفتح عينيه والاستعداد القلبي والسمعي لما سيلقى إليه مع ان القرآن الكريم يذكر أنه سيقرأه الله عز وجل ولا ينسى أي شيء من ذلك المُنزل إليه كما جاء في قوله تعالى:﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى**﴾[٤١] فلماذا هذا العناء والاستعداد السمعي والقلبي؟!!.

وفي حالة من لحظات نزول الوحي ورد عن السيدة عائشة قولها« كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يغط[٤٢] في رأسه ويتربد في وجهه ويجد بردا في ثناياه ويعرق حتى ينحدر منه مثل الجمان »[٤٣] فحسب هذا القول عن السيدة عائشة هو يعصر رأسه في كل مرة ينزل فيها الوحي وهناك تغير في لون الوجه ويجد برداً في ثناياه ووجهه ومع ذلك يتصبب عرقاً وهي حالة جمع الشيء ونقيضه فهل الذي يجد برداً في ثناياهممكن ان يتصبب عرقاً؟!! وعلى هذا القول تكون لحظات نزول الوحي هي حالات مرضية تجبره على عصر راسه وكبسه زيادة على التغيرات الجسدية كتغير لون وجهه والبرد والتعرق في الوقت نفسه وهذه التغيرات الجسدية لا يمكن قبولها أو تصديقها.

و جاء عن تلك اللحظات أن رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي «يكاد

يغشى عليه »[٤٤] أي أن هول ذلك اللقاء يجعله قريباً من حالة المغشي علي هوعلى هذا القول يكون نزول الوحي يشكل حالة معاناة مستمر ة للنبي ﷺوورد عن زيد بن ثابت[٤٥] وهو يصف تلك اللحظات فيقول«كنت اكتب الوحي لرسول الله ﷺ وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء[٤٦] شديدة وعرق عرقا شديدا مثل الجمان ثم سرى عنه »[٤٧]،واحياناً تأخذه البرحاء فقط [٤٨]،من دون الاعراض الاخرى مع أن الوحي يمكن أن ينزل على غير النبي ﷺ كما بينا في اقسام الوحي ولا يسبب تلك الاعراض.

وقد ورد عن أبي هريرة قوله« كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي صدع فيغلف رأسه بالحناء » [٤٩]، ويذهب المناوي (ت ١٠٣١هـ) ان تغليف الحناء كان لتخف حرارة رأسه فإن نور اليقين إذا هاج اشتعل في القلب بورود الوحي فيلطف حرارته بذلك [٥٠]،ويبدو هذا الكلام غريباً هو الآخر فاذا كانت الاصابة بالصداع أو الارتفاع في حرارة الرأس هي حالة مرضية جراء لقاء الوحي فيعالجها بالحناء فقد ينزل الوحي في اليوم الواحد مرات عديدةوهذا يحتم استمرارية الصداع واستمرارية تغليف الرأس بالحناء وقد يحدث نزول للوحي في أوقات لا تسمح بالمعالجة كأوقات الحرب مثلاًأو الاوقات التي يتعرض فيها لسؤال المشركين أو المنافقين فهل سيشعر باستمرار الصداع من دون معالجة؟!! ولم تذكر المصادر الإسلامية مثل تلك الحالة في من نزل عليهم الوحي من البشر.

وورد عن أبي هريرة قول آخر يذكر فيه « كان رسول الله ﷺ إذا جاءه الوحي لم يستطع أحد منا يرفع طرفه إليه حتى ينقضي الوحي » [٥١]، وهذا القول الأخير من أبي هريرة يفند ما ورد سابقاًوما سيرد من رؤية أصحابه الحالات التي كان يمر بهاالنبي ﷺ وقت نزول الوحي ؛ لأنه لم يستطع أحد أن يرفع طرفه عليه ليرى تلك الحالات.

وهناك العديد من المرويات تدلل على أن ثقل النبي ﷺ في لحظات نزول الوحي من ثقل ما ينزل عليه فقد ورد عن السيدة عائشةقولها « كان رسول الله إذا نزل عليه الوحي وجد ثقلا »[٥٢] وقولها «كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على ناقته فتضرب بجرانها[٥٣] من ثقل ما يوحى إليه وإن كان جبينه لينطف بالعرق في اليوم الشاتي إذا أوحي إليه»[٥٤].

و عن زيد بن ثابت قال « كان إذا نزل الوحي على رسول الله ﷺ ثقل لذلك وتحدر جبينه عرقا كأنه الجمان وإن كان في البرد »[٥٥] وعنه كذلك قال «كنت اكتب الوحي لرسول الله ﷺ وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة وعرق عرقا شديدا مثل الجمان ثم سرى عنه وكنت اكتب وهو يملي علي فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن حتى أقول لا أمشي على رجلي أبدا »[٥٦].

وعن أسماء بنت يزيد[٥٧] قالت « كنت آخذه بزمام ناقة النبي ﷺ حين أنزلت عليه المائدة فكاد أن ينكسر عضدها من ثقل السورة »[٥٨].

وعن أبي أروى الدوسي[٥٩] قال: «رأيت الوحي ينزل على النبي ﷺ وأنه على راحلته فترغو[٦٠] وتفتل[٦١] يديها حتى أظن أن ذراعها تنقصم فربما بركت وربما قامت موتدة يديها حتى يسرى عنه من ثقل الوحي وإنه ليتحدر منه مثل الجمان» [٦٢].

وعن زيد بن أرقم[٦٣]يذكر عن لحظات نزول الوحي فيقول« كانت تأخذه البرحاء ويعرق جبينه وتثقل يدا راحلته حتى ما كاد ينقلها »[٦٤].

واحياناً تأخذه البرحاءحتى يتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه [٦٥].

ولعل تلك الاقوال التي تذكر ثقل الوحي والحالات المرافقة لها كانت مستمدة من القرآن الكريم بما ورد في قوله تعالى﴿**إِنَّا سَنُلْقِي**

عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[٦٦] والتي اختلف أهل التأويل في تفسير القول الثقيل[٦٧]وذهبوا إلى أقوال متعددة منها في معنى القول الثقيل هو الثقل عينه واستمدت منها المرويات تلك الصورةولعل القول الصائب هو ما ذهب إليه الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) [٦٨] من أن القول الثقيل هو ثقيل لعظم قدره وجلالة خطره، فكل شيء عظم خطره هو ثقل وثقيل وثاقل والمقصود به الكلام العظيم.

لعل الصورة التي رسمت عن ثقل الوحي وقت نزوله قد دونت لتتماشى مع التفسير المادي للثقل لهذا نراها تنسج صورة مادية عن لحظات نزول الوحي.

وعند جمع كل تلك الحالات عن لحظات نزول الوحي نجدها (الصوت الشديد احمرار الوجه والعينين، واصدر اصوات الغطيط كغطيط البكر وذهاب العقل كهيئة السكران وتغير لون الوجه والجلد والكرب والحزن وفتح العينين وتفريغ السمع والقلب وكبس وعصر الرأس والبرد في ثناياه وكثرة التعرق والصداع الشديد والثقل المادي للوحي...) فعلى مثل تلك الحالات تكون لحظات نزول الوحي على النبي ﷺ لحظات معاناة فلو كانت كل تلك الحالات مرئية من المقربين من النبي ﷺ فلماذا يُسأل عن كيفية اتيان الوحي إليه؟!!أو لعل مثل تلك المرويات هي محاولة لفهم ظاهرة الوحي وتفسيرها.

زيادة على هذه الحالات ينقل عن النبي ﷺ قوله عن الكيفية التي يأتيه فيها الوحي فيقول « وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول » [٦٩] فقيل كان الوحي ينزل بصورةدحية الكلبي [٧٠] كما ورد في بعض الروايات [٧١] ولم يكن النبي ﷺ وحده من استطاع رؤية الملك جبرائيل بصورة دحية الكلبي بل شمل ذلك عدداً من

اصحابه والمقربين منه [٧٢]، حتى كان بعض من أصحابه لا يستطيع التمييز بين جبرائيل ودحية الكلبي [٧٣]، مع انه لم يستطع أحد مشاهدة الملك جبريل بصورته ؛ لأن الايحاء هو الاعلام في خفاء فلا يستطيع أحد رؤية أو سماع ذلك الوحي سوى الموحى إليه.

والسؤال الذي يمكن أن يطرح هو كيف يمكن النبي ﷺ التمييز بين جبرائيل ودحية الكلبي؟!! وإذا كانا بنفس الشبه فهل كان دحية الكلبي يعلم بنزول جبرائيل بصورته؟!! وإذا ما علم المسلمون بنزول الملك جبرائيل عليه السلام بصورتهِ فمن الممكن اعتماد كل ما يقوله أو يفعله دحية الكلبي على انه وحي ملائكي !! وهذا أمر لا يمكن قبوله ؛ لأن مثل تلك المناقب هي بفعل سلطة التدوين ودورها في نسبة الفضائل إلى عدد من الصحابة لرفع مكانتهم في السيرة النبوية ؛ ودحية الكلبي كان أحد رجالات السلطة الأموية والمقربين من السلطة [٧٤]؛ لذا نجد مثل تلك المناقب التي وسم بها دحية الكلبي كانت بفعل السلطة التدوينية في ذلك الوقت زيادة على ذلك تأخر إسلام قبيلة كلب[٧٥]، وهذا ما يدفعنا لعدم قبول هذا القول.

ثالثاً: لحظات نزول الوحي في الرؤية القرآنية

يذكر لنا القرآن الكريم أن نزول الوحي على البشر على أنواع وهوما وردفي قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [٧٦]،فالآية القرآنية تحدد طريقة كلام الخالق مع المخلوق بثلاثة انواع هي (وحي من خلال الالقاء في الروع أوالكلام من وراء حجابأو يرسل رسول يوحي بأذنه) والكلام في النوع الثاني لعله يختص بنبي الله موسى عليه السلام لقوله تعالى ﴿**وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ**

اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾(٧٧)، فالتكليم يكون من وراء حجاب كما في تكليم الله عز وجل موسى عليه السلام لذا سيقتصر الكلام على النوعين الآخرين.

يتحدث القرآن الكريم عن نزول القرآن الكريمعلى النبي صلى الله عليه وآله من خلال الملك جبريل عليه السلام وهوما ورد في قوله تعالى:﴿**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** (٧٨)، ويصف الله عز وجل بالروح الأمين كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾ (٧٩)، وتلك الواسطة في النقل أو الرسول يصفه الباري عزو جل في محكم كتابه:﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**﴾ (٨٠)، فهذا الرسول الكريم هو الواسطة بين السماء والأرض وهو المكلف بنقل التنزيل على قلب النبي صلى الله عليه وآله لينذر به العالمين وذلك الرسول هو المطاع والأمين وذلك الرسول وصاحب القوة استطاع النبي صلى الله عليه وآله من رؤيته بالعين المجردة كما ورد في قوله تعالى :﴿**وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ**﴾ (٨١)،وكل ما كان ينطق به النبي صلى الله عليه وآله من تنزيل سماوي هو من خلال ذلك الرسول بطريقة تعليمية كما ورد في قوله تعالى ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ (٨٢)، وكانت تلك المشاهدة لذلك الرسول الكريم في مناسبتين وهما ما ورد في قوله تعالى ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**﴾(٨٣)، وهاتان الحادثتان هما فقط ما ذكره القرآن الكريم عن رؤية ذلك الرسول الكريم جبرائيل بصورته المرئية ولم يذكر فيهما أي حالة من تلك الصفات التي تنقلها لنا الروايات عن تعرض النبي صلى الله عليه وآله لحالات المعاناة عند نزول الوحي بل على العكس من ذلك فقد كانت طريقة ودّية

وتعليمية، كل ما فيها يدل على التقارب الحسي والوودي بين ذلك الرسول الكريم والطرف الآخر المنزل عليها التنزيل وهو النبي ﷺ.

وأحيانا تكون صورة ذلك الملاك غير مرئية فيوحي بإذن الله ما يشاء سواء في اليقظة أو المنام ورؤيا المنام هي من أنواع الوحي ؛ لأن رؤيا الأنبياء من أنواع الوحي(٨٤) كما في قوله تعالى :﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آَمِنِينَ**﴾(٨٥)، وكما في رؤيا نبي الله إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ (٨٦)،ولم تذكر لنا المصادر الروائية عن لحظات نزول الوحي في حالات رؤيا المنام هل كان يعاني منها النبي ﷺ كما كان يعاني في لحظات نزول الوحي وقت اليقظة؟ لأن وصف الحالات اقتصرت على الحالات التي ينزل فيها الوحي في يقظته فقط.

تعرض النبي ﷺ إلى عدد من الاسئلة من المسلمين أو المشركين سواء عن الوحي أو عن بعض التشريعات أو عن الديانات السابقة أوالأمم الماضية أو حتى عن بعض الأمور الحياتية وكان الجواب يكون بصورة مباشرة بوحي من الله بالرد على مثل هكذا اسئلة منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾(٨٧)، وقوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ (٨٨)، وقوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ**﴾ (٨٩)،وقوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ (٩٠)، وقوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ**

﴿لُهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ (٩١)، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ (٩٢)، وغيرها من الاسئلة التي وجهت إلى النبي ﷺ وذكرها القرآن الكريم (٩٣)، ومن المؤكد أن تلك الاسئلة كانت بحضور جمع من المسلمين أو المشركين ونزول الوحي بالرد عليهم يحتم وجودهم في تلك اللحظات، والرد عليهم كان بوحي من الله وبصورة سؤال وجواب قد لا يستغرق بعضها ثواني معدودة للرد على تلك الاسئلة ولم تذكر الآيات السابقة وجود حالة من الشدة والمعاناة أو التغيرات الجسدية وقت نزول الوحي ؛لأن لحظات نزول الوحي كانت بصورة لا تدلل على وجود أي من تلك الحالات التي ذكرتها المرويات الروائية ولم نجد أياً من هؤلاء « أي المسلمين أو المشركين» تعرض لسؤال النبي ﷺ عن مثل تلك الحلات المرافقة لنزول الوحي وقت الاجابة على استفساراتهم أو اسئلتهم التي وجهوها إليه ولو وجدت مثل تلك الحالات لسُئل عنها وقد جاء الوحي بالرد على تلك الاسئلة من خلال الايحاء للنبي ﷺ بذلك.

ورد في القرآن الكريم مفردة الوحي ومشتقاتها ثمان وسبعين مرة(٩٤) ولم تدل آية من آيات الذكر الحكيم عن حالة من الشدة والمعاناة أو التغيرات الجسدية لحظة نزول الوحي سواء كان مفردة الوحي متعلقة بالنبي ﷺ أو حتى الأنبياء من قبله أو حتى من غير الأنبياء الذين أوحى لهم الباري (عزوجل)، وطالما كانت آيات الذكر الحكيم خالية من ذكر تلك الحالات المرافقة لنزول الوحي فمن أين استمدتها المرويات الإسلامية؟

استمدت تلك الحالات عن لحظات نزول الوحي من الموروث الاسرائيلي الذي تسلل إلى المصادر الاسلامية عن لحظات نزول الوحي

على انبياء بني إسرائيل، فمثل تلك الصورة هي بقايا الترسبات الفكرية الاسرائيلية فها هو نبي الله موسى عليه السلام كما ورد في التوراة يغطي وجهه خوفاً من الرب [٩٥] وغطاء الوجه وجدناه في بعض المرويات الإسلامية[٩٦]، وورد في الموروث الكتابي ما نصه « وانتابني مخاض كمخاض الوالدة. فقدت الوعي من جراء ما سمعت وذهلت مما رأيت، تحير قلبي وأرعبني الفزع فتحول ليلي الذي كُنتُ أتُوقُ إليه إلى رعدة » [٩٧]، وكلمة المخاض وفقدان الوعي وردت في المرويات الإسلامية عن لحظات نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وآله، وكذلك ما قاله إرميا: « إن قلبي منكسر في داخلي، وجميع عظامي ترتجف، فأنا بتأثير الرب وبفعل كلامه المقدس كرجل سكران غلبت عليه الخمر » [٩٨]، وكذلك الحالات التشبيهية بالسكر وغياب العقل والارتجاف وردت في المرويات الإسلامية، ومثل تلك الحالات هي ما تأثرت بها المرويات الإسلامية، فنجدها تأخذ مثل تلك الحالات وتنسبها إلى لحظات نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وآله كحالات تشبيهيه لتلك اللحظات.

الخاتمة

الصورة التي يقدمها لنا القرآن الكريم عن لحظات نزول الوحي هي الصورة الاكثر مصداقية فهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل فآيات الذكر الحكيم هي من نقلت لنا صور الوحي وكيفية نزول الوحي على النبي ﷺ والانبياء من قبله والبشر ممن سبق نزول الوحي عليهم ولم تدلل آية واحدة على ما تذكره المرويات من حالات الشدة والمعاناة في لحظات نزول الوحي زيادة على ذلك آيات الذكر الحكيم هي الاقرب للحدث التاريخي فقد سبقت المرويات بأكثر من مئة سنة فلا يمكن ترك نصوص القرآن وتصديق المرويات التي قد تدخلت عوامل عديدة في تشويه الصورة الحقيقية لتلك المرويات منها التأثير الكتابي على المرويات الإسلامية فالعديد من أهل الكتاب ممن دخلوا الإسلام وما تزال بقايا الفكر الكتاب مترسخة في مخيلة اغلبهم، فكانوايدسونها على أنها تمثل الدين الإسلامي، أو تأثر بعض الرواة بالفكر الكتابي، زيادة على الصراعات السياسية التي ساهمت بمحاولة رفع مكانة بعض الشخصيات في مرويات السيرة النبوية وتغييب آخرين.

الصورة التي قدمتها لنا المرويات الإسلامية عن لحظات نزول الوحي على النبي ﷺ هي شبيهة بالأعراض المرضية، وهي بتلك الصورة تمثل المعاناة المستمرة في تلك اللحظات حسب ما تذكر المرويات خلاف الصورة التي قدمها لنا القرآن الكريم، ولعل مثل تلك الصورة التي نقلتها لنا المرويات كانت محاولة لفهم ظاهرة الوحي وكيفية اتيان الوحي على النبي ﷺ فاستعاروا حالات نزول الوحي من الفكر الكتابي ونسجوا حولها مرويات إسلامية تتحدث عن تلك اللحظات، وبعضها فسّرت في ضوء التفسير المادي للآيات القرآنية.

الهوامش

١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ) لسان العرب(د. ط. قمادب الحوزة ١٩٨٥م)، ج١٥/ ص٣٧٩-٣٨١ ؛ الزبيدي، محب الدين ابو الفيض السيد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ) تاج العروس في جواهر القاموس، تحقيق علي شيري (د. ط، بيروت دار الفكر ١٩٩٤) ج٢٠/ ص ٢٧٩-٢٨٢.

٢) سورة النساء الآية ١٦٣.

٣) سورة النحل الآية ٦٨.

٤) سورة القصص الآية ٧.

٥) سورة مريم الآية ١١.

٦) سورة آل عمران الآية ٤١.

٧) سورة فصلت الآية ١٢.

٨) سورة المائدة الآية ١١١.

٩) سورة الأنعام الآية ١١٢.

١٠) سورة الأنبياء الآية ٧٣.

١١) المجلسي محمد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار تحقيق: إبراهيم الميانجي و محمد الباقر البهبودي (ط٢ بيروت مؤسسة الوفاء ١٩٨٣م)ج٩٠/ ص١٦- ١٧.

١٢) سورة الشورى الآية: ٥١.

١٣) الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد بن المفضل (٤٢٥هـ) مفردات ألفاظ القرآن تحقيق: صفوان عدنان داودي(ط٢، قم طليعة النور٢٠٠٦م) ص ٨٥٩

١٤) ابن سعد محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى(د. ط. بيروت دار صادر د.ت)، ج١ / ص ١٩٨ ؛ ابن حنبل أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) مسند أحمد بن حنبل (د. ط. بيروت دار صادر د.ت.)، ج٦/ ص ١٥٨ ١٦٣ ٢٥٧ ؛ البخاري ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري (د. ط. القاهرة دار الفكر ١٩٨١م) ج١/ ص ٢ ؛ج ٤/ ص ٨٠ مسلم أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ) الجامع الصحيح (صحيح مسلم) (د. ط. بيروت دار الفكر د.ت.) ج٧/ ص ٨٢ ؛ الطبري ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن قدم له: خليل الميس، ضبط: صدقي جميل العطار، (د. ط. بيروت دار الفكر ١٩٩٥م)، ج٢٢/ ص ١١١.

١٥) ابن سعد الطبقات الكبرى ج١/ ص ١٩٨ ؛ ابن حنبل مسند أحمد بن حنبل

ج٦/ ص١٥٨ ؛ البخاري صحيح البخاريج١/ ص ٢-٣ ؛ مسلم صحيح مسلم ج٧/ ص ٨٢ ؛ وباختلاف بسيط عند الطبري جامع البيان ج٢٢/ ص ١١١.

١٦) ابن سعد الطبقات الكبرى ج١/ ص ١٩٨ ؛ البخاري صحيح البخاري ج١ / ص ٣.

١٧) ابن سعد الطبقات الكبرى ج١/ ص ١٩٨ ؛ ابن حنبل مسند أحمد بن حنبل ج٦/ ص١٥٨ ؛ البخاري صحيح البخاريج١/ ص ٢-٣ ؛ مسلم صحيح مسلم ج٧/ ص ٨٢ ؛ وباختلاف بسيط عند الطبري جامع البيان ج٢٢/ ص ١١١.

١٨)عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم وأمه ريطة بنت منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم أسلم عبد الله بن عمرو قبل أبيه يقال كان يكتب ما يسمع عن النبي ﷺ وله صحيفة تسمى الصادقة توفي بالشام سنة خمس وستين وهو يومئذ بن اثنتين وسبعين سنة.للمزيد من التفاصيل ينظرابن سعد الطبقات الكبرى ج٤/ ص٢٦١- ٢٦٨ ؛ البلاذري انساب الاشراف ج١٠ / ص٢٨١.

١٩) ابن حنبل مسند أحمد بن حنبلج٢ / ص ٢٢٢ ؛

٢٠) ابن منظور لسان العرب ج١١/ ص ٣٨٢ ؛ الزبيدي تاج العروس ج ١٥/ ص ٤٠٨.

٢١) ابن منظور لسان العربج ٦ / ص ٣٦ ؛ الزبيديتاج العروسج ٨/ ص ٢٢٢.

٢٢) ابن حجر العسقلاني شهاب الدين احمد بن علي (ت٨٥٢ ه) فتح الباري في شرح صحيح البخاري (ط ٢ بيروت دار المعرفة د. ت.) ج ١ / ص ١٩.

٢٣) ابن حنبل مسند أحمد بن حنبل ج١/ ص ٣٤ ؛ النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ) السنن الكبرى تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن (ط١ بيروت دار الكتب العلمية ١٩٩١م)ج ١/ ص ٤٥٠. (وذكر النسائي أن هذا الحديث منكر ولا نعلم أحداً رواه غير يونس بن سليم ويونس بن سليم لا نعرفه والله أعلم).

٢٤) فتح الباري ج١/ ص ١٨.

٢٥) ينظر ما ذكره النسائي السنن الكبرى ج١ / ص ٤٥٠.

٢٦)السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر الشافعي (ت ٩١١هـ) كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى) (د. ط. حيدر آباد دار الكتاب العربي د.ت.) ج١/ ص ١١٨.

٢٧) الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين (ت ٤٠٦هـ) نهج البلاغة تحقيق

صبحي الصالح (ط١ بيروت د. نا. ١٩٦٧ م)،ص ٣٠١.

٢٨) ابن أبي الحديد عز الدين عبد الحميد هبة الله (ت ٦٥٦هـ) شرح نهج البلاغة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط١ د. م. دار احياء الكتب العربية ١٩٥٩م) ج١١/ ص ٤٥.

٢٩) البخاري صحيح البخاري ج٥/ ص ١٠٣ ج٦/ ص ٩٨ ؛ مسلم صحيح مسلم ج٤/ ص ٤. الغطيط هو النَخِيرُ وهو كالصوت الذي يخرج مع نفس النائم وهو ترديده حيث لا يجد مَساغاً أَصْوَاتٌ مُبْهَمَةٌ لا تُفْهَم. ينظر ابن منظور لسان العرب ج٧/ ص ٣٦٢ ؛ الزبيدي تاج العروس ج١٠/ ص ٤٠٠. خلافاً للصورة التي نقلت عن السيدة عائشة عن معنى الغط وهو العَصْرُ الشديد والكَبْسُ. ينظر ابن منظور لسان العرب ج ٧/ ص ٣٦٢ ؛ الزبيدي تاج العروس ج١٠ / ص ٣٥٤..

٣٠) يعلى بن أمية ويقال يعلى ابن منية ينسب حينا إلى أبيه وحينا إلى أمه وقيل ينسب إلى منية جدته وهو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي أسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وتبوكواختلف في نسب أمه استعمله أبو بكر على بلاد حلوان في الردّة ثم عمل لعمر على بعض اليمن واستعمله عثمان على صنعاء وكان عظيم الشأن عند عثمان بن عفان وقتل يعلى بن أمية سنة ثمان وثلاثين بصفّين.للمزيد من التفاصيل ينظر ابن سعد الطبقات الكبريج٥/ ص ٤٥٦ ؛ ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣ه.) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح علي محمد البجاوي، (ط١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢م) ٤/ ص ١٥٨٥- ١٥٨٧.

٣١) الغطيطهو النَخِيرُ وهو كالصوت الذي يخرج مع نفس النائم وهو ترديده حيث لا يجد مَساغاً أَصْوَاتٌ مُبْهَمَةٌ لا تُفْهَم. ينظر ابن منظور لسان العرب ج٧/ ص ٣٦٢ ؛ الزبيدي تاج العروس ج١٠/ ص ٤٠٠.

٣٢) السيوطي كفاية الطالب ج١/ ص ١١٩.

٣٣) البخاري صحيح البخاري ج٥/ ص ١٠٣ ج٦/ ص ٩٨ ؛ مسلم صحيح مسلم ج٤/ ص ٤.

٣٤) الوَقْذُ الضرب على فَأْسِ القَفا فتصير هدّتها إلى الدماغ فيذهب العقل والوقيذ و الموقوذ هو الشديد المرض الذي قد أَشرف على الموت. للمزيد من التفاصيل ينظر ابن منظور لسان العرب ج٣/ ص ٥١٩- ٥٢٠ ؛ الزبيدي تاج العروس ج٥/ ص ٥٠٦- ٥٠٧.

٣٥) ابن سعدالطبقات الكبرى ج١/ ص ١٩٧.

٣٦) تَرَبَّد وجهه أَي تغير من الغضب وقيل صار كلون الرماد ويقال ارْبَدَّ لونه كما يقال احمرَّ واحمارّ وإِذا غضب الإِنسان تَرَبَّد وجهه كأَنه يسودّ منه مواضع وارْبَدَّ وجهه وارْمَدَّ إِذا تغير وتَرَبَّد الرجل تَعَبَّس. للمزيد من التفاصيل ينظر ابن منظور لسان العرب ج٣/ ص ١٧٠ ؛ الزبيدي تاج العروس ج٤/ ص ٤٤٧.

٣٧) السيوطي كفاية الطالبج١/ ص١١٩.

٣٨) ابن حنبلمسند أحمد بن حنبل ج١/ ص٢٣٨ ؛ السيوطي كفاية الطالب ج١/ ص ١١٩.

٣٩) ابن سعد الطبقات الكبريج١/ ص١٩٧ ؛ ابن حنبل مسند أحمد بن حنبل ج٥/ ص ٣١٧.

٤٠) أبو يعلى الموصلي أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧ هـ) مسند أبي يعلى الموصلي تح حسين سليم أسد (ط١ د. م. دار المأمون للتراث، ١٩٨٧م) ج٣/ ص ١٥٧ ؛ السيوطي كفاية الطالب ج١ / ص ١١٩.

٤١) سورة الأعلى الآية ٦.

٤٢) الغط هو العَصُر الشديد والكَبْسُ. ينظر ابن منظور لسان العرب ج ٧/ ص ٣٦٢ ؛ الزبيدي تاج العروسج١٠ / ص ٣٥٤.

٤٣) ابن سعد الطبقات الكبريج٨ / ص٣٧٩ ؛ السيوطي كفاية الطالبج١/ ص١١٩.

٤٤) السيوطي كفاية الطالب ج١ / ص ١٢٠.

٤٥) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف ابن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري وأمّه النوار بنت مالك ابن معاوية بن عديّ بن عامر بن غنم بن عديّ بن النجار، اختلف في أول مشاهده فقيل بدر وقيل أحد وقيل الخندق وكان أحد الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلَّى الله عليه واله وسلم وكان زيد يكتب لرسول الله صلَّى الله عليه واله وسلم الوحي وغيره فقيل كانت تأتي النبي ﷺ كتب بالسريانية فأمر زيدا فتعلم السريانية في بضعة عشر يوماولم تحدد من أين كانت تلك الكتب السريانية أومن كان يبعث بها؟ وعمل كاتباً لأبي بكر وعمر بن الخطابفقد كان يخلفه عمر بن الخطاب عند خروجه من المدينة شارك في جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر وعمل كذلك لعثمان بن عفان وكان عثماني الهوى فلم يسجل التاريخ أي مشاركة له مع الإمام علي عليه السلاماختلف في سنة وفاته فقيل سنة اثنين واربعين وقيل ثلاث واربعينوقيل سنة اثنين أو ثلاث أو خمس وخمسينوقيل غير ذلك. ينظر ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٢/ ص ٣٥٨ -٣٦٢ ؛ ابن عبد البر، الاستيعابج٢/ ص ٥٣٧- ٥٤٠.

٤٦) البُرحاءُ وهي الشِّدَّةُ والمَشَقَّةُ وقيل البُرحاءُ هي الحُمَّى ويقال للمحموم الشديد الحُمَّى أَصابته البُرَحاءُ. ينظر ابن منظور لسان العربج٢/ ص ٤١٠ ؛ الزبيدي تاج العروس ج٤/ ص ١٠.

٤٧) الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ) المعجم الأوسطتحقيق قسم التحقيق بدار الحرمين (د. ط. السعودية دار الحرمين ١٩٩٥م) ج٢/ ص ٢٥٧ ؛ السيوطي كفاية الطالب ج١ / ص ١١٩.

٤٨) الواقدي محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ) المغازي تحقيق مارسدن جونس (ط٣ بيروت عالم الكتب ١٩٨٤ م) ج٢/ ص ٩٨٠.

٤٩) الطبراني المعجم الأوسط ج٦/ ص ٥ ؛ السيوطي أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر الشافعي (ت ٩١١هـ)، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير (ط١ بيروت دار الفكر ١٩٨٤م)ج٢/ ص ٣٥٠ ؛ السيوطيكفاية الطالب ج١ / ص ١٢٠.

٥٠) المناوي محمد عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ) فيض القدير في شرج الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير(ط١ بيروت دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م) ج٥ / ص ٢٠٨.

٥١) مسلم صحيح مسلمج٥/ ص ١٧١ ؛ النسائي السنن الكبرى ج ٦/ ص ٣٨٣ ؛ السيوطي كفاية الطالب ج١/ ص ١٢٠.

٥٢) السيوطي كفاية الطالب ج١/ ص ١١٩.

٥٣) الجِرانُ هو باطن العُنُق وقيل مُقدَّم العنق من مذبح البعير إلى منحره فإذا برَك البعيرُ ومدّ عنُقَه على الأَرض قيل أَلقى جِرانَه بالأَرض. ينظر ابن منظور لسان العرب ج١٣/ ص ٨٦ ؛ الزبيدي تاج العروسج١٨ / ص ١٠٦.

٥٤) السيوطي كفاية الطالب ج١/ ص ١١٩.

٥٥) السيوطي كفاية الطالب ج١/ ص ١١٩.

٥٦) الطبراني المعجم الأوسط ج٢/ ص ٢٥٧ ؛ السيوطي كفاية الطالب ج١/ ص ١١٩.

٥٧) أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصارية ويقال اسمها فكيهة وأمها أم سعد بنت خزيم بن مسعود بن قلع بن حريش بن عبد الأشهل هي من المبايعات وشهدت معه بعض المشاهد. وهي ابنة عمة معاذ بن جبل تكنى أمّ سلمة وقيل أم عامر مدنية روت عن النبي ﷺ ينظرابن سعد الطبقات الكبرى ج٨/ ص٣١٩- ٣٢٠ ؛ ابن عبد البر الاستيعاب ج٤/ ص ١٧٨٧ - ١٧٨٨.

٥٨) السيوطي كفاية الطالبج ١ / ص ١٢٠.

٥٩) أبو أروى الدوسي لا يعرف اسمه ولا نسبه يقال له صحبةكان ينزل ذا الحليفة روى عن النبي ﷺ وروى عنه عدد من الصحابة والتابعين مات في آخر خلافة معاوية

وكان عثمانياً. ينظر ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت٦٣٠ هـ) أسد الغابة في معرفة الصحابة (د. ط. بيروت دار الكتاب العربي د. ت.) ج٥/ ص ١٣٤ - ١٣٥ ؛ ابن حجر العسقلاني شهاب الدين احمد بن علي (ت٨٥٢ هـ) الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض،(ط١، بيروت، دار الكتب العلمية١٩٩٥ م) ج٧/ ص ٨

٦٠) الرُّغاءُ صَوْتُ ذواتِ الخفِّ وقد رَغا البَعيرُ يَرْغُو رُغاءً إذا ضجَّ. ينظر ابن منظور لسان العرب ج١٤/ ص٣٢٩ ؛ الزبيدي تاج العروس ج١٩/ ص ٤٦٨.

٦١) ناقة فَتْلاء ثقيلة تفتل تثقل.للمزيد من التفاصيل ينظر ابن منظور لسان العربج ١١/ص ٥١٥ ؛ الزبيديتاج العروس ج١٥/ ص ٥٦٥.

٦٢) ابن سعد الطبقات الكبرى ج١/ ص ١٩٧.

٦٣) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن الأغر بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي من بنى الحارث بن الخزرج اختلف في كنيته اشترك مع النبي في عدد من حروبهويقال كانت أول مشاهده المريسيع في حرب بني المصطلق وقيل في تبوك ويقال وفاته سنة ثمان وستين بالكوفة. ينظرابن سعد الطبقات الكبريج٦/ ص ١٨ ؛ ابن عبد البر الاستيعاب ج٢/ ص ٥٣٥- ٥٣٦.

٦٤) الواقدي المغازي ج ١/ ص ٤١٩.

٦٥) الواقدي المغازي ج ١/ ص ٤٣٣ ؛ ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨ هـ) السيرة النبوية تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (ط١، القاهرة مطبعة المدني، ١٩٦٣م) ج٣/ ص ٧٦٩ ؛ ابن حنبلمسند أحمد بن حنبل ج٦/ ص ١٩٧ ؛ البخاري صحيح البخاري ج٣/ ص ١٥٧ ج٦/ ص ٩؛ مسلم صحيح مسلم ج٨/ ص ١١٧.

٦٦) سورة المزمل الآية ٥.

٦٧)((ينظر على سبيل المثال الطبريجامع البيان ج٢٩/ ص ١٥٨ ؛ السمرقندي ابو الليث نصر بن محمد بن ابراهيم (٣٨٣هـ) تفسير السمرقندي تحقيق محمود مطرجي (د.ط. بيروت دار الفكر د.ت.) ج٣/ ص ٤٨٦؛ الثعلبي أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٤٢٧هـ) الكشف والبيان في تفسير القرآن(تفسير الثعلبي) (ط١، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م) ج١٠/ ص ٦٠ ؛ الفخر الرازي محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن (ت٦٠٤هـ) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) (تفسير الفخر الرازي) (ط١، بيروت دار الفكر١٩٨١ م)، ج٣٠/ ص ١٧٤ - ١٧٥ ؛ القرطبي ابو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن تح: أحمد البردوني، (د.

ط. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م) ج١٩/ ص ٣٨ - ٣٩.

٦٨) الفخر الرازي مفاتيح الغيبج٣٠/ ص ١٧٤.

٦٩) ابن سعد الطبقات الكبرى ج١/ ص ١٩٨ ؛ ابن حنبل مسند أحمد بن حنبل ج٦/ ص١٥٨ ؛ البخاري صحيح البخاريج١/ ص ٢-٣ ؛ مسلم صحيح مسلم ج٧/ ص ٨٢ ؛ وباختلاف بسيط عند الطبري جامع البيان ج٢٢/ ص ١١١.

٧٠) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج الكلبي قيل اسلم قديماً ولم تتحدث المصادر عن زمن اسلامهوقيل هو لم يشهد بدراً واختلف في أول مشاهدهِ فقيل هي معركة أحد وقيل الخندق وقيل إنه أسلم في عهد ابي بكر لكن هذا القول ضعف قائله وقيل أرسله النبي ﷺ بسرية وحده ولم يحدد مكان تلك السرية إلى أين وقيل بعثه النبي ﷺ بكتاب إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر يدعوه فيه إلى الإسلاموقيل بعثه إلى ضغاطر الأسقف دون تحديد مكان لهذا الاسقف وفي حرب خيبر قيل وقعت صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ من نصيب دحية فاشتراها منه وكان يتصف بشدة الجمال لذا قيل كان يشبه جبرائيل ونسبوا حديثاً للنبي ﷺ بذلك وذكر أنه إذا قدم المدينة لم تبق جارية إلا خرجت تنظر إليه لجماله حتى كن يحجبن ويمنعن من الخروج لرؤيتهوذكر انه فيه نزلت آيات من سورة الجمعة بعد قدومه في تجارة فخرج المسلمين من المسجد وتركوا النبي يخطب في المسجد نسبوا للنبي زواجه من اخت دحية الكلبي ولم يدخل بها وتزوج دحية درة بنت ابي لهب شهد اليرموك وكان أميرا على كردوس أرسله يزيد بن ابي سفيان إلى تدمر بعد فتح دمشق استقر في المزة في بلاد الشام ويقال إنه انتقل بعد ذلك إلى مصر حدث عنه خالد بن يزيد بن معاوية وعبد الله بن شداد بن الهادوعامر الشعبيومنصور بن سعيد بن الأصبغ الكلبيومحمد بن كعب القرظي يقال إنه توفي في خلافة معاوية بن ابي سفيانولم يحدد تاريخ وفاته او مكانها والظاهر أنه استمر لما بعد عهد معاوية لرواية خالد بن يزيد عنهوهذا يدلل قربه من السلطة الأموية بل هو أحد رجالاتها و يرجع في نسبه إلى زوجة معاوية بن ابي سفيان ميسون بنت بحدل الكلبيةولعله هذا هو سبب كل تلك الفضائل التي منحت لدحية الكلبي. ينظر ابن سعد الطبقات الكبريج ٤ / ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ؛ج٨ / ص ٥٠ ص ١٢٢ ١٦٠ ؛ ابن عبد ربه أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريدتحقيق مفيد محمد قميحة (ط١ بيروت دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م) ج٢/ ص ٢٢٧ ؛ ابن عبد البر الاستيعاب ج٢ / ص٤٦١-٤٦٢ ؛ ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت٥٧١هـ) تاريخ مدينة دمشق، تح علي شيري، (د. ط. بيروت، دار الفكر ١٩٩٦ م) ج١٧ / ص

٢٠١ - ٢١٦ ؛ج ٧٠/ ص ١٣٠ - ١٣٤ ؛ الذهبي شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) سير أعلام النبلاء تح: شعيب الارنؤوط وحسين الأسد (ط٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م) ج ٢ / ص ٥٥٠ - ٥٥٦ ؛ ابن حجر العسقلاني الإصابة ٢ج / ص٣٢١ -٣٢٣.

٧١) ينظر على سبيل المثال الواقدي المغازي ج١/ ص ٧٨ ؛ ابن سعد الطبقات الكبرى ج٤/ ص ٢٥٠

٧٢) ينظر عن رؤية جبريل بصورة دحية الكلبي ورؤيته على سبيل المثال من قبل السيدة عائشة و السيدة أم سلمة ورؤية من قبل بني غنم في حادثة بني قريظة. ابن سعد الطبقات الكبرى ج٣/ ص ٤٢٢ ٤٨٨ ؛ج٤ / ص ٢٥٠ ؛ ج٦ / ص ٩٧.

٧٣) الواقدي المغازي ج١/ ص ٤٩٨ج٢/ ص ٩٠١ ؛ الطبري ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الرسل والملوك) (تاريخ الطبري)، تح نخبة من العلماء (ط٤، بيروت مؤسسة الاعلمي، ١٩٨٣م) ج٢/ ص ٢٤٦ ؛ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسن (٤٥٨هـ) دلائل النبوة تحقيق وتعليق: عبد المعطي قلعجي، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م)ج٦/ ص ٥١٨ج٧/ ص ٦٨.

٧٤) ابن عبد ربه العقد الفريد ج٢/ ص ٢٢٧.

٧٥) ينظر إلى قدوم وفد قبيلة كلب في السنة التاسعة من الهجرة. ابن سعد الطبقات الكبرى ج١/ ص ٣٣٤- ٣٣٥.

٧٦) سورة الشورى الآية: ٥١.

٧٧) سورة النساء الآية: ١٦٤.

٧٨) سورة البقرة الآية / ٩٧.

٧٩) سورة الشعراءالآيات١٩٢- ١٩٤.

٨٠) سورة التكويرالآيات: ١٩- ٢١.

٨١) سورة التكوير الآية: ٢٣.

٨٢) سورة النجم الآيات ٣- ٥.

٨٣) سورة النجم الآيات ٥- ١٤.

٨٤) ينظر البخاري صحيح البخاري ج١ / ص ٤٤ ؛ الحاكم النيسابوري أبو عبد الله محمد بن محمد (ت ٤٠٥هـ) المستدرك على الصحيحين تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي(د.ط. بيروتدار المعرفة، د.ت.)ج٢/ ص ٤٣١ ج٤/ ص ٣٩٦.

٨٥) سورة الفتح الآية: ٢٧.

٨٦) سورة الصافاتالآيتان١٠٤- ١٠٥.

٨٧) سورة البقرة الآية ١٨٩.

٨٨) سورة البقرة، الآية ٢١٥.

٨٩) سورة البقرة الآية ٢١٧.

٩٠) سورة البقرة، الآية ٢١٩.

٩١) سورة البقرة الآية ٢٢٠.

٩٢) سورة البقرة الآية ٢٢٢.

٩٣) للمزيد ينظر سورة المائدة الآية: ٤ ؛ سورة الاعراف الآية: ١٨٧ ؛ سورة الانفال الآية ١ ؛ سورة الاسراء الآية٨٥ ؛ سورة الكهف الآيتان ٢٢ ٨٣ ؛ سورة طه الآية ١٠٥ ؛ سورة الاحزاب الآية ٦٣.

٩٤) وردت كلمة وحي ومشتقاتها في القرآن. ينظر: عبد الباقي محمد فؤاد المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (د. ط. القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٣٩م) ص٧٤٦ - ٧٤٧.

٩٥) سفر الخروج ٦٣.

٩٦) البخاري صحيح البخاري ج٥/ ص ١٠٣ ج٦/ ص ٩٨ ؛ مسلم صحيح مسلم ج٤/ ص ٤.

٩٧) سفر إشعياء ٢١ ٣ - ٤.

٩٨) سفر إرميا ٢٣ ٩.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
الكتاب المقدس.

المصادر الأولية

* ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م).
* أسد الغابة في معرفة الصحابة (د. ط. بيروت دار الكتاب العربي د. ت.).
* البخاري ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩ م).
* صحيح البخاري (د. ط. القاهرة دار الفكر ١٩٨١م).
* البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسن (٤٥٨هـ/ ١٠٦٥ م).
* دلائل النبوة تحقيق وتعليق: عبد المعطي قلعجي، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م).
* الثعلبي أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٤٢٧هـ/ ١٠٣٥ م).
* الكشف والبيان في تفسير القرآن(تفسير الثعلبي) (ط١، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م).
* ابن حجر العسقلاني شهاب الدين احمد بن علي (ت٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨م).
* الاصابة في تمييز الصحابة، تح عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض،(ط١، بيروت، دار الكتب العلمية١٩٩٥ م).
* فتح الباري في شرح صحيح البخاري (ط ٢ بيروت دار المعرفة د. ت.).
* ابن أبي الحديد عز الدين عبد الحميد هبة الله (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨ م).
* شرح نهج البلاغة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط١ د. م. دار احياء الكتب العربية ١٩٥٩م).
* ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م).
* مسند أحمد بن حنبل، (د. ط. بيروت دار صادر د.ت.).
* الذهبي شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م).
* سير أعلام النبلاء تح: شعيب الارنؤوط وحسين الأسد (ط٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م).
* الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (ت٥٠٢هـ/ ١١٠٨ م).
* مفردات ألفاظ القرآن تح صفوان عدنان داودي(ط٢، قم طليعة النور ٢٠٠٦م).
* الزبيدي، محب الدين ابو الفيض السيد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩٠م).
* تاج العروس في جواهر القاموس، تح علي شيري(د. ط، بيروت دار الفكر ١٩٩٤).
* ابن سعد محمد بن سعد بن منيع الزهري (٢٣٠هـ/ ٩٤١م).
* الطبقات الكبرى(د. ط. بيروت دار

صـادر د.ت).
* السـمرقندي، ابـو الليـث نـصر بـن محمـد بـن ابراهيـم (٣٨٣هـ/ ٩٩٣م).
* تفسـير السـمرقندي، تحقيـق محمـود مطرجي (د.ط. بـيروت دار الفكـر د.ت.).
* السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م).
* الجامـع الصغـير في أحاديـث البشـير النذيـر (ط١ بـيروت دار الفكـر ١٩٨٤م).
* كفايـة الطالـب اللبيـب في خصائـص الحبيـب (الخصائـص الكـبرى) (د. ط. حيـدر آبـاد دار الكتـاب العـربي د.ت.).
* الشريـف الـرضي أبـو الحسـن محمـد بـن الحسـين (ت ٤٠٦هـ/ ١٠١٥ م).
* نهـج البلاغـة تـح صبحي الصالـح (ط١ بـيروت د. نـا. ١٩٦٧ م).
* الطـبراني أبـو القاسـم سـليمان بـن أحمـد (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧١ م).
* المعجـم الأوسـط تحقيـق قسـم التحقيـق بـدار الحرمـين (د. ط. السـعودية دار الحرمـين ١٩٩٥م).
* الطـبري، ابـو جعفـر محمـد بـن جريـر (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢ م).
* تاريـخ الأمـم والملـوك (تاريـخ الرسـل والملـوك) (تاريـخ الطـبري)، تحقيـق نخبـة مـن العلـماء (ط٤، بـيروت مؤسسـة الاعلمـي، ١٩٨٣م).
* جامـع البيـان عـن تأويـل آي القـرآن قـدم لـه: خليـل الميـس، ضبـط: صدقـي جميـل العطـار (د. ط. بـيروت دار الفكـر ١٩٩٥م).
* ابـن عبـد البـر أبـو عمـر يوسـف بـن عبـد الله بـن محمـد (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠ م).
* الاسـتيعاب في معرفـة الأصحـاب، تحقيـق عـلي محمـد البجـاوي، (ط١، بـيروت، دار الجيـل، ١٩٩٢م).
* ابـن عبـد ربـه أحمـد بـن محمـد الأندلـسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)
* العقـد الفريدتحقيـق مفيـد محمـد قميحـة (ط١ بـيروت دار الكتـب العلميـة، ١٩٨٣م).
* ابـن عسـاكر أبـو القاسـم عـلي بـن الحسـن بـن هبـة الله بـن عبـد الله الشـافعي (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥ م).
* تاريـخ مدينـة دمشـق، تحقيـق علي شـيري، (د. ط. بـيروت، دار الفكـر ١٩٩٦ م).
* الفخـر الـرازي، محمـد بـن عمـر بـن الحسـين بن الحسـن (ت٦٠٤هـ/ ١٢٠٨م).
* التفسـير الكبـير (مفاتيـح الغيـب) (تفسـير الفخـر الـرازي) (ط١، بـيروت دار الفكـر١٩٨١ م).
* القرطبـي، ابـو عبـد الله محمـد بـن أحمـد الأنصـاري القرطبـي (ت٦٧١هـ/ ١٢٧٢م).
* الجامـع لأحـكام القـرآن، تحقيـق: أحمـد الـبردوني (د. ط. بـيروت، دار إحيـاء الـتراث العـربي، ١٩٨٥م).
* المجلـسي، محمـد باقـر (١١١١هـ/ ١٦٩٩ م).
* بحـار الأنـوار الجامعـة لـدرر اخبـار

الأئمة الأطهار، تحقيق إبراهيم الميانجي ومحمد الباقر البهبودي، (ط٢، بيروت، مؤسسة الوفاء ١٩٨٣م).
* مسلم أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م).
* الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، (د. ط. بيروت دار الفكر د.ت.).
* المناوي محمد عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ/ ١٦١٩م).
* فيض القدير في شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير(ط١ بيروت دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م).
* ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١ م).
* لسان العرب (د. ط. قمادب الحوزة ١٩٨٥م).
* النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م).
* السنن الكبرى تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن (ط١ بيروت دار الكتب العلمية ١٩٩١م).
* ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨ هـ/ ٨٣٣ م).
* السيرة النبوية تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،(ط١، القاهرة مطبعة المدني، ١٩٦٣ م).
* الواقدي محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢ م).
* كتاب المغازي تحقيق مارسدن جونس (ط٣ بيروت عالم الكتب ١٩٨٤ م).
* أبو يعلى الموصلي أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧ هـ/ ٩١٨م).
* مسند أبي يعلى الموصلي تحقيق حسين سليم أسد (ط١ د. م. دار المأمون للتراث، ١٩٨٧م).

المراجع الثانوية

* عبد الباقي محمد فؤاد.
* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (د. ط. القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٣٩م)

أبو طالب عليه السلام وجهـوده في بناء الإسلام
-دراسة تحليلية في رعاية الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وحمايته-

م. د. وسن صاحب عيدان
العتبة العلوية المقدسة/النجف الاشرف

Abu Talib and his efforts in building Islam "An analytical study on the care and protection of the Noble Messenger Muhammad (PBUH)

Lect. Dr. The age of the owner of chopsticks
Holy Upper Shrine / Najaf

الملخص:

جاء اختيارنا للدراسة في هذا الموضوع للتعرف إلى رجل من أكرم الرجال وأقواهم عزيمة وأصلبهم شكيمة وأنفذهم مضاء وأشدهم ذكاء وأبعدهم همة، آزر الرسول محمدا ﷺ في بدء دعوته ووقف إلى جانبه إبّان محنته، لم تلن قناته ولم يتزلزل ثباته، ولم يضعف من نصرته إجماع العرب على حربه وإطباقهم على مقاطعته، وأيضًا التعرف إلى مظلومية هذا الرجل، فالمعروف أنه عاش مظلوما ومات مظلومًا، ظلمته قريش بظلمها وحاربته بحربها، وعندما رحل إلى جوار ربّه حيكت حوله الدسائس والمؤامرات فاتهموه بالفقر على الرغم من غناه ووصف بالوثنية وهو مؤمن.

وقد يكون موضوع إسلامه النقطة الرئيسة التي دفعت الباحثة إلى دراسة سيرته، وهذه النقطة واحدة من بين نقاط دفعتنا إلى القيام بهذه الدراسة التي امتازت عن غيرها، فهذا الأمر ناجم عن كثرة اختلاف الآراء حول إسلامه وإيمانه، وما قيل في تكفيره مثّل أمرًا أساسيًا في دراسة حياة أبي طالب عليه السلام، إذ لفقت العديد من الروايات عن حياته وشخصيته وأسرته انطلاقا من هذه النقطة، كما دست روايات أخرى بشأن موقفه من الدعوة الإسلامية ارتكزت على كونه كافرًا وليس مسلمًا، فضلا عن موقفه المؤيد للدعوة الإسلامية، فقد شكلت هاتان النقطتان نواة هذه الدراسة.

Research Summary:

Our choice to study in this subject was to get acquainted with a man who was the most generous of men, the strongest of them, the strongest of them, the most powerful of them, the most intelligent of them, the most intelligent of them and the farthest away from them. The Messenger Muhammad (may God bless him and grant him peace) helped him start his call and stood beside him during his ordeal. His victory was not weakened by the Arab consensus on his war and their application to his boycott, as well as the recognition of this man's grievance. It is known that he lived injustice and died wronged. Qurush wronged him with her injustice and fought him with her war. Believer.

The topic of his conversion to Islam may be the main point that prompted the researcher to study his biography, and this point is one of the points that motivated us to carry out this study, which was distinguished from others. Many accounts of his life, personality and family based on this point, as well as other narrations about his position on the Islamic call based on his being an infidel and not a Muslim.

The researcher is keen to include everything that was said in this regard, in addition to his position in support of the Islamic call, as these two points formed the core of this study.

المقدمة:

زخر زمن البعثة برجال عظام كانوا المثل الأعلى بالإيمان العميق بالله، والتضحية في سبيل إعلاء كلمة الحق، والعمل الصالح لخير البشرية، ففي حياتهم معين لا ينضب من الخبرة والعبرة والصبر والإيمان، فلم يخنق الزمن أصواتهم على مر العصور، ولم يمح الكلام آثارهم من الآذان على مرّ الدهور.

وفي مقدمتهم أبو طالب بن عبد المطلب (٨٥- ٣ ق. هـ)، (٥٤٠-٦٢٠م) عم النبي ﷺ، عاش في الجاهلية بروح الدين الحنيف نابذاً العادات والتقاليد الذميمة، مهتدياً بروح التوحيد، آمن بالله وبكتبه وبرسله وملائكته واليوم الآخر، وعندما بزغ فجر الإسلام كان أول من ناصر الدعوة المحمدية، وذاد عنها، وحمى صاحبها، ودافع عنه، وأول من أثبت دعائم أركان الإسلام وصدع صوته مغردا في مسامع الدهر نشيدًا إيمانياً صادقًا خالدًا من خلال إيمانه المبكر بنبوة ابن أخيه نور الهدى، فأعزَّ الله الإسلام بعمه أبي طالب عليه السلام أشرف رجال قريش وحاكم مكة ورئيسها، والبطل في مواقفه للإسلام، في صفاء سريرته، وطهارة وجدانه، وسحر بيانه، ونبل أخلاقه، ولطف إنسانيته، وعمق أيمانه.

قسمت الدراسة على مقدمة ومبحثين وخاتمة، فضلا عن قائمة المصادر والمراجع، تناول المبحث الأول: أحواله الشخصية، اسمه ونسبه وولادته وصفاته وأسرته وكفالته للرسول محمد ﷺ، وتضمن المبحث الثاني: أبا طالب ودوره في حماية الدعوة معرجا على أدلة إيمان أبي طالب عليه السلام وشبهات حول الإيمان، منها حديث الضحضاح، وارث عقيل لأبي طالب عليه السلام، وسرية إيمان أبي طالب عليه السلام، وسبب الافتراء عليه.

اعتمدت الدراسة على مصادر شتى منها تاريخية فشكّلت نواتها

الأساسية، ومنها في التفسير والحديث، وقد احتلت كتب السيرة النبوية الشريفة مكان الصدارة، سيما كفالة أبي طالب عليه السلام للرسول صلى الله عليه وآله قبل البعثة والسنوات العشر الأولى من البعثة النبوية الشريفة حتى وفاة أبي طالب عليه السلام، والعديد من المصادر والمراجع الأخرى التي تم الاعتماد عليها في إغناء معلومات الدراسة.

المبحث الأول: أحواله الشخصية:

أ- اسمه ونسبه:

اختلف النسّابون في اسم أبي طالب عليه السلام فقيل: اسمه عبد مناف وقيل: أبو طالب[١] لكن أغلب المصادر التي اطلعنا عليها تكاد تتفق على أن اسمه عبد مناف[٢] وقد استدل بعضها بوصية عبد المطلب عليه السلام إياه في أثناء كفالته للرسول ﷺ حيث أشار إلى ذلك بقوله:

أوصيك يا عبد مناف بعدي... بموحد بعد أبيه فرد[٣]

ويبدو أنّ وصية عبد المطلب عليه السلام هذه قد أصابها شيء من التحريف وامتدت إليها أيادي العابثين ليجعلوها تتناسب مع أهوائهم ورغباتهم، والصحيح ما ذكره المسعودي (ت ٣٤٦هـ) عن عبد المطلب قوله:

أوصيت من كنيته بطالب... بابن الذي قد غاب ليس بآئب[٤]

وقد حذف العجز واستبدل بـ«عبد مناف وهو ذو تجارب»، وبهذا لم يستقم المعنى ولم يؤدِّ وظيفته الصحيحة، فعبد المطلب أوصى أبا طالب عليه السلام بماذا؟ أوصاه بابن الذي غاب وغير راجع وهو محمد بن عبد الله بسبب وفاة أبيه.

وعند الرجوع إلى مظان اللغة العربية لمعرفة كلمة عبد مناف لغة نستطيع أن ندرك الهدف من التسمية، فكلمة عبد تعني: الطريق المعبد[٥] ومناف: اسم لصنم من أصنام قريش مأخوذ من ناف ينوف وأناف ينيف إذا علا وارتفع وأصل مناف مفعل من النوف[٦] والمقصود من هذه التسمية جعل أبي طالب وثنيّا، وهذه أول الاتهامات التي وجهت ضده وقد أفصح ابن حجر (٨٥٢هـ) عن ذلك بقوله: «من عجائب الاتفاق أنّ الذين أدركهم الإسلام من أعمام النبي ﷺ أربعة لم يسلم منهم اثنان وكان اسم من لم يسلم ينافي أسامي المسلمين وهما أبو طالب واسمه عبد مناف

وأبو لهب واسمه عبد العزى»[٧].

وما يخص نسبه فأبوه عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. واختلف في اسم أبيه فقيل: شيبة وقيل: عامر، ويكنى بأبي الحارث ويلقب بساقي الحجيج[٨] وأمه فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران المخزومية[٩] وكانت من المنجبات، فالمعروف أن العرب لم تعد منجبة لها أقل من ثلاثة بنين أشراف فهي ولدت أبا طالب والزبير حكمي قريش وعبد الله أبا الرسول ﷺ[١٠] وبلغ عددُ أولادها اثني عشر ولدًا وست نسوة[١١] لم يعقب أحد منهم عقبا باقيا إلا من أبي طالب والحارث والعباس وأبي لهب[١٢].

ولم يكن في العرب كأولاد عبد المطلب أشرف منهم ولا أجسم شم العرانين تشرب أنوفهم قبل شفاههم ولهذا أورد قرة بن حجل بن عبد المطلب أبياتًا افتخر فيها بعمومته ناسبًا لهم الشجاعة والشرف والكرم وختم ذلك قائلا:

ما في الأنام عمومة كعمومتي خيرًا ولا كأناسنا أناسا[١٣]

أما عن طهارة نسبه فقد رويت أحاديث كثيرة عن الرسول ﷺ طهر فيها عبد المطلب وأولاده عبد الله وأبا طالب ومنها قوله ﷺ إن الله خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام. قدام العرش نسبح الله ونحمده ونقدسه. أشباح نور حتى إذا أراد الله عز وجل أن يخلق صورنا صيرنا عمود نور ثم قذفنا في صلب آدم ثم أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ولن يصيبنا نجس الشرك ولا سفاح الكفر يسعد بنا قوم ويشقى بنا آخرون فلما صيرنا إلى صلب عبد المطلب أخرج ذلك النور فشقه نصفين فجعل نصفه في عبد الله ونصفه الآخر في أبي طالب ثم أخرج الذي لي إلى آمنة والنصف الآخر إلى فاطمة بنت أسد»[١٤].

ب- ولادته ونشأته:

لم نهتدِ إلى تاريخ معين لولادة أبي طالب عليه السلام سوى إشارة وردت عند ابن حجر تفيد أن أبا طالب عليه السلام ولد قبل النبي ﷺ بخمس وثلاثين سنة[١٥] وقيل ولد سنة خمس وثمانين قبل الهجرة[١٦].

ونستطيع أن نحسب ذلك رياضيًا على ضوء بعض الثوابت منها أنه كفل النبي ﷺ وهو بعمر ثماني سنوات، وولد قبله بخمس وثلاثين سنة وكان عمر النبي في السنة العاشرة للبعثة خمسين سنة، لأنه بشر بعمر أربعين وبهذا يصبح عمره خمسا وثمانين سنة، وهذا يتطابق مع الروايات القائلة إنه توفي في عمر يقارب الثمانين سنة[١٧] وبهذا تصبح ولادته بشكل تقديري قبل ميلاد الرسول ﷺ بحوالي أربعين سنة.

أما عن نشأته فلم نحصل على معلومات بشأنها، ولكن من خلال دراستنا لسيرته لم نجد ما يشير إلى تربيته عند عم أو خال له، فهو حتماً نشأُ وتربى في بيت عز ورئاسة فقد كان أبوه شيخ قريش ورئيسها وهو القاطع للأمور والمحكم لها وكانت العرب ترجع إليه حيث بز أقرانه وساد على أهل زمانه من العرب أذعنت له بالسيادة والرئاسة وأخباره مشهورة مع أصحاب الفيل وحفر زمزم وغير ذلك من فضائله[١٨].

وكان أبوه شريفاً في قومه وسيداً مطاعاً كانت قريش تسميه الفياض لسماحته وكرمه بحيث ترفع مائدته للوحوش والطيور في رؤوس الجبال تأكل منها وعليه سمّي مطعم طير السماء وكان مجاب الدعوة وقد يكون في ذلك دلالة على استجابة رب العالمين له عندما تغيب ﷺ عنه وحينها ذهب إلى الكعبة ودعا ربه في عودة محمد فاستجاب له والشاهد الثاني في حملة أبرهة الحبشي الذي أراد أن يهدم الكعبة فأخذ عبد المطلب بعضادتي الباب ودعا ربه أن يزيل عنه هذه البلية وأن يخلص بيته من الفيلة[١٩]، أما

عـن حفظـه للجـوار فهـذه معروفـة ودلالـة ذلـك قصـة مقتـل جـاره اليهـودي الـذي قتـل بصـورة سريـة فبحـث عبـد المطلـب عـن القتلـة حتـى عرفهـم وأخـذ منهـم الديـة لأهـل القتيـل[٢٠].

ج- صفاته:

ورث أبـو طالـب عليه السلام الكثيـر مـن صفـات أبيـه عبـد المطلـب مثـل الكـرم والشـجاعة وغيرهـا، وكيـف لا وهـو مَـن تربـى في كنفـه وأخـذ الـشيء الكثـير منـه، فأبـو طالـب عليه السلام صـورة واضحـة المعـالم بـارزة الخطـوط، فهـو نبعـة خـير وكهـف حصـين يقـي مـن لجـأ إليـه مـن الحـوادث فإليـه يلجـأ الضعيـف المضـام، ومـن كفـه النديانـة ينهـل المعـدم وبـه يتوسـلون حـين ينقطـع المطـر، وهـو الوصـول للرحـم، الكشـاف للكـروب، البـر الرحيـم، الجـواد بـما يملـك مـن غـير منّـة، والسـمح بـما يسـتطيع بـلا طلـب قـوي الإرادة، منطيـق فصيـح يتدفـق بلاغـة حديـدي القلـب ثبـت الجنـان جميـل الطلعـة موهـوب الجانـب موفـور الاحـترام والتعظيـم[٢١].

يمكـن شرح هـذه الصفـات باختصـار شـديد وإيـراد شـواهد حـول بعضهـا، فقـد كان مـأوى للضعفـاء يلجـأ إليـه مـن جـار عليـه الزمـان خصوصـاً في الإسـلام حيـث دافـع عـن المسـلمين عامتهـم كدفاعـه عـن الرسـول صلى الله عليه وآله والحـال نفسـه مـع الغـلام الـذي اسـتجار بالكعبـة لأن سـيده اسـتعبده فقـام أبـو طالـب بإجارتـه وخلصـه منـه[٢٢].

أمـا قـوة إرادتـه، فقـد أثبـت ذلـك عمليّـا وبرهـن عـلى عزمـه في الصمـود بوجـه قريـش خـلال السـنوات العـشر الأول مـن البعثـة وكان موتـه سـبباً في الهجـرة إلى المدينـة كـما سـنوضحه.

وقيـل إنـه كان منطيقـا فصيحـا فديوانـه الشـعري شـاهد عـلى ذلـك فقـد تميـزت قصائـده بالفصاحـة والبراعـة في نظـم الشـعر فضـلا عـن المقطوعـات

النثرية التي ألقاها في بعض المناسبات[٢٣].

وبخصوص أنه موفور الاحترام والتقدير فكيف لا وهو زعيم مكة وشيخ قريش بل سيدها المطاع وأحد حكامها وسنه للقسامة شاهد صدق على ذلك[٢٤].

وبصدد أنه الوصول للرحم فهذا ما فعله في حياته وفي احتضاره أوصى أهل بيته خاصة وقريشا بشكل عام بضرورة التحلي بالصفات الأخلاقية كترك البغي والعقوق وتأكيده على صلة الرحم، وحث على تقديم المساعدات للفقراء والمساكين مشيرا إلى ذلك بقوله: «صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فإن صلة الرحم منسأة في الأجل وزيادة في العدد واتركوا البغي والعقوق ففيها هلكت القرون قبلكم أجيبوا الداعي وأعطوا السائل فإن فيها شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فإن فيها محبة في الخاص ومكرمة في العام»[٢٥].

أما عن صفته الأخرى فهي إعطاء السائل وهذا يدل على كرمه، وربما هذه إحدى الأسباب التي جعلت بعضهم يصفونه بالفقر كما سيتم إيضاحه، وأكد أن في إجابة الدعاء وإعطاء السؤال شرف الحياة والممات، وهو بهذا يؤمن بالمعاد وهذا دليل على حنفيته البيضاء كما سيتم القول فيه، ونجده في الوقت الذي يأمر أهل بيته بتنفيذ وصاياه يعرفهم في الوقت نفسه ما يترتب على ذلك، فهو يعطي العلة ويشرح مسبباتها ونتائجها فأكد صدق الحديث وأثبت ذلك وجسده من خلال سيرته حيث تبع الأقوال بالأفعال ودلالة ذلك أشعاره في الإسلام التي طبقها قولاً وفعلاً فما يقول شيئا إلا وتبعه بالعمل وأدل من ذلك مواقفه في الإسلام.

أما عن أداء الأمانة فقد كان حافظاً لها مثابراً عليها، وأي أمانة أوصى فيها ووصى بها تلك هي الأمانة والوديعة التي أودعها إياه عبد المطلب

وهي كفالته للرسول ﷺ، فقد كفله خير كفالة ورعاه خير رعاية وعندما مات لم يتركها سدى وإنما أوصى بأداء الأمانة وعرفهم ما يترتب على حفظها من المحبة في العام والخاص، وقد جسد ذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تؤدوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾[٢٦].

وعن كرمه فقد ورث ذلك عن أبيه عبد المطلب مطعم الطير والوحوش على رؤوس الجبال وهذه معروفة في حادثة خصام عبد المطلب مع قريش حول ماء زمزم فأخذ أبو طالب جزورا ونحرها على جبل أبي قبيس حتى أكل منها الطير والسباع وأنشد أبو طالب بذلك قائلاً:

ونطعم حتى يأكل الطير فضلنا

إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد[٢٧]

وقد عبر الهيثمي (ت ٩٧٣هـ) عن كرمه بقوله: «وكان أبو طالب يصنع الطعام لأهل مكة وكان رسول الله ﷺ إذا دخل لم يحبس حتى يأخذ شيئا فيضعه تحت ثيابه فقال أبو طالب إن ابن أخي ليحس بكرامة» رواه الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، وفيه عمرو بن جميع وهو كذاب[٢٨] ومن المعتقد أنه يصنع الطعام لجياعها وفقرائها، وتعد هذه الرواية أحادية الجانب وقد بحثت عن مصدرها فلم أعثر عليه، ورجعت إلى الطبراني فلم أجد الرواية فيه، علما أن الهيثمي أورد الرواية من دون سلسلة سند وإذا كان عمرو بن جميع حقا أحد رواتها فقد وصف بشتى الأوصاف ومنها الكذب ومنها أنه متروك الحديث وضعيف[٢٩].

وقد أشار الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) إلى أن المعروف من الكرم هو الوضع لنفسه وترك الشرف على غيره، وشرف أبي طالب ما قد علمه الناس[٣٠].

وبخصوص شجاعته فهي معروفة للعام والخاص ومواقفه مع قريش في الإسلام شاهد صدق على ذلك حيث تحدى كبرياءها وشهر السيف

في بعض المواضع وتخطى رقابها وذلك في حادثة الفرث والسلى الذي وضع على عاتق الرسول ﷺ، ألم يكن ذلك نابعاً عن شجاعة تفوق حد المعقول؟، والحال نفسها عندما تغيب الرسول ﷺ حينها أخذ أبو طالب بعض أعوانه وذهب ليضرب أعناق كبار رجالات قريش، وغيرها من الحالات والمواقف الأخرى وقد فصلت في محلها[٣١].

وكذلك تحديه لأبي جهل عندما عاب على الرسول ﷺ بأن خديجة عليها السلام دفعت مهرها له وعندما علم أبو طالب بذلك تقلد سيفه ووقف على الأبطح والعرب مجتمعون فقال: «يا معشر قريش قد بلغنا قول قائل وعيب عائب فإن تكن النساء قد أقمن بواجب حقنا فليس ذلك بعيب فمن ساءه ذلك فعلى رغم أنفه ومن تكلم عن ذلك عجلنا حتفه»، ومع ما في هذه الرواية من دليل على شجاعته فهناك روايات أخرى تفيد أن أبا طالب هو الذي دفع مهر خديجة عليها السلام كما سنوضحه، وقد عبر عن شجاعته بقوله:

أنى نضام ولم أمت

وأنا الشجاع العربد[٣٢]

د- كفالته للنبي محمد ﷺ:

من المعروف أن النبي محمدا ﷺ نشأ يتيم الأبوين وعاش في أحضان جده عبد المطلب حتى وفاته، بعدها كفله عمه أبو طالب، روي عن الإمام الصادق عليه السلام أن أبا طالب هو الذي عق عن النبي محمد ﷺ في اليوم السابع من ولادته، ودعا الناس إلى وليمة ميلاده الميمون، فقالوا: ما هذه؟ قال هذه عقيقة أحمد قالوا: لأي شيء سميته أحمد؟ قال: سميته لحمده أهل السماء والأرض وعندما بلغ عمره الشريف اثنين وعشرين شهرا رمدت عيناه فأخذه أبو طالب إلى العرافة وعالجه حتى برئ وقيل إن عبد المطلب فعل ذلك[٣٣].

يظهر من ذلك أن أبا طالب هو الذي كان يرعاه، وقد غيب دور عبد المطلب، نقول ربما كانت كفالته للنبي محمد ﷺ كفالة إشراف فقط، أما رعايته فقد أوكلت إلى أبي طالب قبل وفاة عبد المطلب أما بعد وفاته حيث أشارت الروايات إلى وصية عبد المطلب التي أوصى فيها أبا طالب بالنبي محمد ﷺ خيراً وأن يكون كافله وحاميه وناصره، حيث روي أن عبد المطلب عندما أدركته الوفاة جمع بنيه وقال: «محمد يتيم فآووه، وعائل فأغنوه، احفظوا وصيتي فيه فقال أبو لهب: أنا له، فقال: كف شرك عنه، فقال العباس: أنا له، فقال عبد المطلب أنت غضبان لعلك تؤذيه، فقال أبو طالب أنا له، فقال: أنت له أطيع فقال النبي محمد ﷺ: يا أبه لا تحزن فإن لي رباً لا يضيعني فأمسكه أبو طالب في حجره وقام بأمره يحميه بنفسه وماله وجاهه في صغره من اليهود المرصدة له بالعداوة ومن غيرهم»[٣٤].

يتضح من الرواية أن عبد المطلب مقتنع أساساً أن يوكل أمر النبي محمد ﷺ إلى أبي طالب، لأنه كان عارفاً بأمزجة أولاده ويعلم من يتحمل أعباء كفالته، ولذلك لم يقبل أن يكفله أحد غير أبي طالب، فضلا عن رعاية أبي طالب للنبي محمد ﷺ في حياة عبد المطلب، أما الغرض من جمعه أولاده فربما أراد من ذلك إضفاء الطابع الشرعي أي الصفة الرسمية على كفالة أبي طالب إياه.

وفي رواية ثانية أن عبد المطلب دعا ابنه أبا طالب فقط وأوصاه بالنبي محمد ﷺ وعلمه مقدار حبه إياه فأجابه أبو طالب: «لا توصِني بمحمد فإنه ابني وابن أخي»[٣٥]، وفي رواية أخرى أن عبد المطلب عندما مرض مرضه الأخير وضع النبي محمدا ﷺ في حجر أبي طالب ووصاه بقوله: «يا بني هذا فضل الله عليك، وهدية مني إليك ألهمنيه في أمرك وهو ابن أخيك لأبيك وأمك من دون ساير إخوانك ثم أطلعه على مكنون سر

علمه ودلائله وأخبره بما بشر به عن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وما رواه فيه أفاضل الأحبار، واقيال العرب»[٣٦].

وقد برز في أمر كفالة أبي طالب للنبي محمد ﷺ أربعة آراء: الرأي الأول: يؤكد كفالته على وفق وصية عبد المطلب الآنفة الذكر، والرأي الثاني: مفاده أن أولاد عبد المطلب اقترعوا فخرجت القرعة لأبي طالب، أما الرأي الثالث: فقد أفاد أن النبي محمدا ﷺ هو الذي اختار أبا طالب ليكون كفيلاً عليه؛ لكثرة مؤانسته إياه وكذلك ورد في رواية عن فاطمة بنت أسد لمّا ظهرت علامات وفاة عبد المطلب سأل أبناءه أيهم يتولى كفالة النبي محمد ﷺ فقالوا: «هو أكيس منا فقل له يختار لنفسه» فقال عبد المطلب: «يا محمد جدك على جناح السفر إلى القيامة أيُّ عمومتك تريد أن يكفلك؟ فنظر في وجوههم ثم زحف إلى أبي طالب، ثم قال له عبد المطلب: يا أبا طالب إني عرفت ديانتك وأمانتك فكن له كما كنت». الرأي الرابع: قد نص على أن أبا طالب والزبير كفلا النبي محمدا ﷺ بعد وفاة جده ثم مات الزبير وله أربع عشرة سنة فانفرد بكفالته أبو طالب وهذا رأي لا تؤيده الأدلة وتنقضه قصة سفره إلى الشام مع عمه أبي طالب وهو في سن التاسعة من عمره والزبير حي كما سنوضحه، فضلًا عن ذلك ما رواه المسعودي في قوله: «فضمه أبو طالب إليه فكان في حجره»[٣٧] خلاصة ذلك أن قضية كفالة الزبير للنبي محمد ﷺ افتعلت للتقليل من شأن أبي طالب وهذه واحدة من الأمور التي حيكت ضد شيخ الأبطح.

بعد إيراد هذه الآراء لابد من الوقوف على سبب اختيار أبي طالب دون غيره، فإذا كان الرأي الثالث قد أكد دور النبي محمد ﷺ نفسه في اختيار أبي طالب كفيلا له من بين أعمامه يعد أكثر قبولا على أنه كان حينها

صبيا مميزا له القدرة على اختيار الكفيل المناسب الذي عرفه حق المعرفة لأنه أكثر حنو عليه ورعاية له، فضلا عن ما جاء من كلمات الثناء التي أبداها عبد المطلب على حسن اختيار النبي محمد ﷺ لأبي طالب حيث كان معروفاً بديانته الحنفية وكان أبو طالب يعتني بالنبي محمد ﷺ في حياة جده، فكيف يتخلى عنه بعد وفاته، إلا أن هذا لا يعني إنكار ما جاء في وصية عبد المطلب لأبي طالب بأي شكل من الأشكال، فضلا عن ضرورة الإشارة إلى العناية الإلهية في اختيار أبي طالب ليكون كافلاً للنبي محمد ﷺ، وقد أكد ذلك النبي محمد ﷺ نفسه الذي عدّ أبا طالب هبة من الله وهبها إياه ليؤدي ذلك الدور، عنه قال: «إني مستوهب من ربي أربعة، وهو واهبهم لي إن شاء الله: آمنة بنت وهب، وعبد الله بن عبد المطلب، وأبو طالب، ورجل من الأنصار جرت بيني وبينه ملحة»[٣٨].

ويمكن أن تكون القرابة بين الرسول ﷺ وفاطمة بنت أسد سبباً في كفالته حيث كانت القرابة حميمة من جهة الأب والأم وهذا ما أشار إليه ابن شهر اشوب (ت٤٨٨هـ) في معرض حديثه عن أم الإمام علي عليه السلام وقرابتها من الرسول ﷺ إلى معد وعدنان من ثلاث وعشرين قرابة تتصل برسول الله ﷺ ولا أحد يشاركه في ذلك، والنبي ابن عمه من وجهين من عبد الله وأبي طالب ومن اتصال أمه فاطمة بالرسول ﷺ من تلك الجهات في الأمهات ففاطمة بنت أسد من أقرباء الرسول ﷺ ولهذا فقد أوصاها عبد المطلب خيراً فقال: «أوصيك بمحمد فإنه ولدي وقرة عيني وأمره في منزلي كأمري ونهيه كنهيي» فقالت: «لا توصني بولدي وقرة عيني، وإنه والله لأحب الخلق إلي»[٣٩]، ففرح أبو طالب بمقالتها. وفي رواية أخرى ظهر فيها أن عبد المطلب لم يوصِ فاطمة وإنما أوصى أبا طالب بعدما أخذ الرسول ﷺ من يده وأقبل إلى

منزله ودعا زوجته فاطمة فقال لها: «اعلمي أن ابن أخي أعز عندي من نفسي ومالي وإياك أن يتعرض عليه أحد» وتبسمت فاطمة وقالت: «توصيني في ولدي» ففرح أبو طالب بذلك[٤٠].

وبشان القرابة الحميمة أيضا ذكر الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) وصية عبد المطلب لأبي طالب قال فيها: «انظر أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه ولا ذاق شفقة أمه انظر يا أبا طالب أن يكون من جسدك بمنزلة كبدك فإني تركت بني كلهم وأوصيك به لأنك من أم أبيه وقد أورد ابن إسحاق الوصية بقوله «وكان عبد المطلب فيما يزعمون يوصي أبا طالب برسول الله ﷺ» ومن جانب آخر فإن سبب القرابة لم يعد مقنعاً، حيث الزبير من أبيه أيضا، لذا جاء تبرير الاختيار لأبي طالب هذه المرة بأنه تم على اثر الاقتراع الذي جرى بين أبي طالب والزبير فخرجت القرعة لأبي طالب[٤١]. والأبعد من كل ذلك قيل إن الزبير كفل النبي محمدا ﷺ حتى وفاته ثم كفله بعده أبو طالب وهذا عليه مشكل لأن الزبير عاش بعد وفاة عبد المطلب مدة حتى بلغ عمر النبي محمد ﷺ آنذاك نيفا وعشرين سنة وهو تحت رعاية أبي طالب، وسبق ذلك خروجه إلى الشام بعد موت عبد المطلب بأقل من خمس سنين مما يؤيد كفالة أبي طالب للنبي محمد ﷺ من دون الزبير[٤٢].

ومهما يكن من شيء فقد كفله عمه ورعاه أحسن رعاية هو وزوجته التي كانت تكرمه ولا تدعه يغيب عنها طرفة عين، وكان يطعم ما يريد ولم تعارضه على شيء أبدا ولكثرة إحسانها له كان يناديها أمي[٤٣] ولهذا المعنى أشار محمد بن الحنفية عليه السلام في مشادة كلامية مع عبد الله بن الزبير حيث كان الأخير يخطب ونال في خطابه من أمير المؤمنين عليه السلام فقطع عليه ابن الحنفية فقال له ابن الزبير «غدرت ! بنو الفواطم يتكلمون فما بال ابن

الحنفية فأجابه: وما لي لا أتكلم وهل فاتني من الفواطم إلا واحدة ولم يفتني فخرها لأنها أم أخويَّ، أنا ابن فاطمة بنت عمرو بن عائذ أم أبي طالب، وأنا ابن فاطمة بنت أسد كافلة رسول الله ﷺ والقائمة مقام أمه».

أما أبو طالب فهو القائم مقام أبيه حيث كان النبي محمد ﷺ أعزُّ من أولاده رباه في صغره وحماه في كبره فالأبوة نوعان أب ولادة وأب إفادة، ثم أنّ العم والد في حكاية عن نبي الله يعقوب عليه السلام في قوله تعالى: «إذ حضر يعقوب الموت قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل إسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون» (البقرة/ ١٣٣) وعلى القول: «العم والد» اعترض الإمام علي عليه السلام على مصداقية هذا وأشار إلى ذلك بقوله: «إلا أن تيما وعديا وبني أمية قالوا العم والد رأيا منهم بلا حقيقة ولا أثر عن رسول الله ﷺ»[٤٤].

وهكذا فقد أثبت أبو طالب أبوته الحقة حيث كفله وهو في عمر الثماني سنوات، فأحسن كفالته، فكانت توضع له وسادة في الكعبة مثلما وضعت لعبد المطلب فيجلس عليها أبو طالب ومعه محمد وهو غلام فينظر إليه ويقول: «إن ابني هذا ليحس بنعيم» وكان لا ينام إلا والنبي محمد ﷺ إلى جنبه حيث يؤثره بالنفقة والكسوة على نفسه وجميع أهله وقد عبر أبو طالب عن حبه له بقوله:

إن الأمين محمدا في قومه

عندي يفوق منزلة الأولاد[٤٥]

وعلى هذا يمكن أن نقيس مقدار حب أبي طالب للنبي محمد ﷺ ويكفيه بذلك فخراً أنه نزلت بحقه آية من الذكر الحكيم اعترافاً بكفالته لخاتم النبيين محمد ﷺ حيث جاء ذلك في قوله تعالى: «ألم يجدك يتيماً فآوى»[٤٦] ولهذا كان الناس يسمونه بيتيم أبي طالب[٤٧].

وعندما بلغ من العمر بعض السنين خرج مع عمه في تجارة إلى الشام، وقد اختلفت الروايات في تقدير عمره الشريف حين خروجه حيث وردت إشارات عن ابن إسحاق تفيد حداثة سنه ومن ذلك قوله: «لحداثة سنه، إلا غلام هو أحدث القوم سناً، ثم قام إليه فاحتضنه ثم أقبل به حتى أجلسه» لكن مع هذا فإن بعض الروايات أكدت أن عمره كان في الثانية عشرة وقيل في الثالثة عشرة وقيل تسع سنوات وفي بعض الروايات كان عمره ثماني سنوات[٤٨].

وفي سبب خروجه إلى الشام أقوال منها ما رواه ابن إسحاق الذي يفهم منه أن أبا طالب لم يكن في نيته أن يأخذه معه، لكن عندما تهيأ للرحيل أخذ النبي محمد ﷺ بزمام ناقته وقال «يا عم إلى من تكلني لا أب ولا أم» فرقّ له أبو طالب وقال: «والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبدا»[٤٩] يظهر من هذا أن ذهابه مع عمه إلى الشام كان لغرض الكفالة والرعاية لا غير ذلك، لأنه يتيم وأبو طالب هو الذي يرعاه، فمن له بغيابه؟، وللرد على هذا نقول أين دور فاطمة بنت أسد التي كان يسميها أمي كما وضحناه؟ وإذا صحت هذه الرواية فإن التقدير العمري له يكون غير صحيح أي انه في سن الطفولة ما بين الثامنة أو أقل فيكون الرجحان للقائلين بذلك، وهذا عليه مشكل لأنه لا يمكنه الذهاب في رحلة تجارية إلى الشام وهو بهذا العمر بسبب صعوبة الطريق وعثرات السفر، إذن القضية متناقضة من حيث صغر سنه وكيفية سفره؟ ومهما يكن من شيء فإنه سافر، ربما ليس لغرض الكفالة وإنما لحب الاستطلاع ومعرفة طرق التجارة، والتبادل السلعي وعمليات البيع والشراء، فأراد أن يتدرب على ذلك برفقة عمه، ويؤيد هذا خروجه في المرة الثانية في تجارة خديجة عليها السلام من دون مرافقة عمه، وقد ترجم أبو طالب رحلته

إلى الشام شعراً نأخذ موضع الحاجة منه:

لما تعلق بالزمـــام ضممتـــه

والعيس قد قلصـــن بالازواد

فأرفض من عيني دمـع ذارف

مثـــل الجمان مفرق ببـــــداد

راعيت فيه قرابة موصـــولـــة

وحفظت فيه وصيـــة الأجداد

ودعوته للسير بن عمومتـــه

ببعض الوجوه مصالت انجاد(٥٠)

وقـد نـص البيـت الأخـير عـلى أن أبـا طالـب هـو الـذي دعـاه للذهـاب معـه، ولم نعـرف أكانـت دعوتـه دعـوة استجابة بعـد مـا أراد النبـي محمـد ﷺ الذهـاب معـه، أم دعـوة طلـب الذهـاب، في الوقـت الـذي لم يستقم فيـه المعنـى إلا بإبـدال كلمـة ودعوتـه للسـير ويحـل محلهـا ودعوتـه للصـبر بـين عمومتـه وهـذا هـو مـا مثبـت في أصـل الديـوان، إلا أن المحقـق قـد اجتهـد وأبـدل كلمتـه الصـبر بالسـير وهـذا مـا أدى إلى إربـاك المعنـى، وفي موضـع آخـر وصـف أبـو طالـب بـكاء الرسـول ﷺ عندمـا رآه متأهبـا للسـفر، وكان بـكاؤه قـد اقـض مضجـع أبي طالـب وعـلى اثـر ذلـك دعـاه للسـير معـه وأشـار إلى ذلـك بقولـه:

بكى طربا لمـــا رآني محمـــد

كأن لا يراني راجعاً لميعـــادي

فبت يجافيني تهلل دمعـــه

وعبرته عن مضجعي ووسادي

فقلت له قرب قتودك وارتحل

ولا تخش مني جفوة ببلاد (٥١)

ولمـا وصلـوا إلى بـصرى بـأرض الشـام والتقـوا بالراهـب بحـيراء في كلام

يطول بيانه منه أنه أوصى أبا طالب أن لا يذهب به إلى الشام خوفا من اليهود أن يقتلوه لأنه نبي فقال له أبو طالب: ما أنت تقول ذاك ولكن الله يقوله: اللهم إني أستودعك محمداً[٥٢].

والذي يجدر ذكره أن أبا طالب لم يلتزم بوصية بحيراء بدليل أنه خرج إلى الشام في تجارة السيدة خديجة عليها السلام وهو في سن الخامسة والعشرين وبهذا يتبادر إلى الذهن شيء وهو أن الرواية مفتعلة ولا صحة لأقوال بحيراء ويؤيد هذا أنه رجل غير معروف الأصل وقد أشار السهيلي إلى ذلك بقوله: «وقع في سير الزهري أن بحيراء كان حبراً من يهود تيماء، وفي المسعودي أنه كان من عبد القيس واسمه سرجس» والأكثر من هذا أن بعض الروايات صيرته نظير الرسول ﷺ وهذا ما رواه السهيلي بقوله « سمع قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف الا ان خير الأرض ثلاثة بحيراء... والثالث المنتظر فكان الثالث الرسول ﷺ[٥٣] فكم هي المبالغة في بحيراء!

المبحث الثاني: أبو طالب عليه السلام ودوره في حماية الدعوة:

يقول السيد الحسني: «في عقيدتي أن التاريخ ما ظلم أحدا كما ظلم أبا طالب وما أساء المسلمون بإساءة أفحش وأعظم من إساءتهم لمحمدٍ في عمه أبي طالب، لقد تعهد أبو طالب النبي محمدا وهو في الثامنة من عمره وضمه إلى أولاده يرعاه ويحرسه في ليله ونهاره فإذا اضطر أن يخرج من مكة تولته زوجته فاطمة بنت أسد بالرعاية»[٥٤]، فما أحس بفقد الآباء والأمهات وظل يرعاه ويحرسه ولا يفكر بأحد سواه بعد أن شب وتزوج.

ولما بعثه الله نبياً كان أول من صدق به ودعا أولاده إلى متابعته وتصديقه، فقد رآه مرة يصلي وليس معه أحد من الناس سوى علي وخديجة فذهب مسرعا إلى بيت أخيه العباس وولده جعفر في كفالته فدعاه وأخذ بيده إلى المكان الذي يصلي فيه النبي ﷺ وقال له: «صل جناح ابن عمك

يـا ولـدي»، ومـضى يدعـو إليـه ويهيـئ لـه الأنصـار والأتبـاع، ولم يـرد في تاريخه الطويـل أنـه عاتـب النبـي محمـدا عـلى موقفـه مـن آلهـة قريـش أو دعـاه إلى مهادنتهـا والسـكوت عـن عيبهـا، بـل كان يأمـر بنـي هاشـم ويدعوهـم إلى متابعتـه ونصرتـه، فقـد جـاء في الطبقـات الكـبرى لابـن سـعد (ت٢٣٠هـ) أن أبـا طالـب لمـا حضرتـه الوفـاة دعـا بنـي عبـد المطلـب وقـال لهـم: «لـن تزالـوا بخـير مـا سـمعتم مـن محمـد واتبعتـم أمـره فاتبعـوه وأعينـوه ترشـدوا»، وروى هـذه الوصيـة كل مـن ابـن الجـوزي (ت٦٥٤هـ) في تذكـرة الخواص، والنسـائي (٣٠٣هـ) في الخصائـص، وصاحـب السـيرة الحلبيـة في سـيرته، وغيرهـم مـن المحدثـين»[٥٥].

وحينـما نسـتعرض تاريـخ أبي طالـب مـن الدعـوة الإسـلامية منـذ مطلعهـا إلى السـنة التـي تـوفي فيهـا، نجـده قـد جسـد بمواقفـه وتضحياتـه الجسـام كل معـاني الإيـمان والتصديـق والتسـليم بـالله ونبيـه ﷺ، فالتاريـخ يحدثنـا أن أبـا طالـب كان عـلى اسـتعداد لأن:

١- يتخـلى عـن مكانتـه ومركـزه الاجتماعـي في قومـه إلى الاتجـاه المعـادي لهـم، ولا يستسـلم للضغـوط المتنوعـة التـي يتعـرض لهـا.

٢- وأن يـرضى بتحمـل الجـوع والفقـر والمحـاصرة الاقتصاديـة ومـن معـه في الشّـعب حتـى اضطرتهـم إلى أكل الأعشـاب وورق الأشـجار في سـبيل ابـن أخيـه ودعوتـه.

٣- وأن يوطـن نفسـه عـلى خـوض حـرب طاحنـة ربـما تنتهـي بإبـادة الهاشـميين وأعدائهـم إذا لـزم الأمـر.

٤- وأن يضحـي حتـى بولـده الأصغـر سنًّا عـلي عليه السلام ويتحمـل آثـار غربـة ولـده الآخـر جعفـر المهاجـر إلى الحبشـة.

٥- وأن يجاهـد بيـده ولسـانه ويسـتخدم كل مـا لديـه مـن إمكانـات ماديـة

ومعنوية ولا يبالي بالصعاب والمشاق كلها وهو يدافع عن هذا الدين ويحوطه بالرعاية والعناية ما وجد إلى ذلك سبيلا[٥٦]، ولا يمكن أن تكون كل هذه التضحيات قد صدرت بدافع عاطفي أو نابعة عن حمية النسب والقبيلة، لأنه إن كان النبي محمد ابن أخيه فإن عليا ولده، فإذا كانت العاطفة النسبية هي الدافع فلماذا يضحي بولده دون ابن أخيه؟ ولماذا لم تدفع الحمية القبلية والرابطة النسبية أبا لهب، لأن يقف موقف أبي طالب إن كانت هي السبب في موقف أبي طالب؟ وهكذا يتضح أننا لا يمكن أن نفسر مواقف أبي طالب تلك إلا على أنها بدافع عَقَدِيّ وإيمانيّ راسخ يدفع الإنسان للبذل والعطاء بكل ما يملك في سبيل دينه وعقيدته[٥٧].

أ- الأدلة على إيمان أبي طالب عليه السلام:

الدليل الأول: الإجماع، فإن أهل البيت وشيعتهم قد أجمعوا على إسلامه، بل في بعض الأحاديث: أنه من الأوصياء، والأحاديث الدالة على إيمانه الواردة عن أهل بيت العصمة كثيرة، وقد جمعها العلماء في كتب مفردة[٥٨]، وقد نص على ذلك بعض المؤرخين والعلماء من أهل السنة، يقول ابن الأثير (ت٩٣٩هـ): وما أسلم من أعمام النبي ﷺ غير حمزة والعباس وأبي طالب عند أهل البيت[٥٩]، وقد نقل الأميني (١٤٩٠هـ) في الغدير عن جماعة من أهل السنة: أنهم ذهبوا إلى ذلك أيضا وألف عدد منهم وكتبوا الكتب والبحوث في إثبات ذلك، بل قد حكم عدد منهم بأن من أبغض أبا طالب فقد كفر أو من يذكره بمكروه فهو كافر[٦٠].

الدليل الثاني: ما تقدم من مناصرته للنبي ﷺ وتحمله تلك المشاق والصعاب العظيمة وتضحيته بمكانته في قومه، فلو كان كافرا كما قيل فلماذا يتحمل كل ذلك؟ ولماذا لم ينقل عنه ولو كلمة عتاب أو تذمر للنبي ﷺ؟.

الدليل الثالث: تصريحاته وأقواله الكثيرة جدا فإنها كلها ناطقة بإيمانه

وإسلامه، ويكفي أن نذكر نموذجا من أشعاره التي عبر عنها ابن أبي الحديد المعتزلي (٦٥٦هـ) بقوله: «إن كل هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر من حيث مجموعها الذي يدل على تصديق أبي طالب لمحمد»[٦١]. وهذه بعض الشواهد من شعره:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا نبيا كموسى خط في أول الكتب

نبي أتاه الوحي من عند ربه ومن قال لا يقرع بها سن نادم

فإن هذا الأسلوب من شعره إن دل على شيء فإنما يدل على إيمانه العميق الصادق.

الدليل الرابع: مواقفه العملية في دعوة الآخرين إلى الإسلام، فقد نص المؤرخون على أنه قد دعا ملك الحبشة إلى الإسلام، وهو الذي دعا ولده جعفر وأمره أن يصل جناح ابن عمه في الصلاة، وهو أيضا دعا زوجته فاطمة بنت أسد إلى الإسلام، وأمر حمزة بالثبات على هذا الدين وأظهر سروره بإسلامه، إلى غير ذلك مما يجده المتتبع لكلامه ومواقفه في المناسبات المختلفة[٦٢].

الدليل الخامس: ترحم النبي ﷺ واستغفاره له باستمرار وجزعه عليه عند موته، ومن الواضح أنه لا يصح الترحم إلا على المسلم[٦٣].

الدليل السادس: الأحاديث المروية عن النبي ﷺ وأهل البيت التي تنص بصريح القول على إسلامه وعمق إيمانه، وهذه بعض النماذج منها:

١- عن العباس بن عبد المطلب، أنه سأل رسول الله فقال: ما ترجو لأبي طالب؟ قال: «كل الخير أرجو من ربي عز وجل»

٢- وسئل الإمام السجاد عليه السلام عن إيمان أبي طالب فقال: «واعجبا إن الله نهى رسوله أن يقر مسلمة على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات»[٦٤].

٣- وروى الكليني (٣٢٩هـ) في الكافي بسنده عن النبي ﷺ: «أنّ الله عزّ وجلّ قال له على لسان جبرئيل: وقد حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك، فالصلب صلب أبيه عبد الله، والبطن الذي حملك آمنة بنت وهب، وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب وزاد في رواية: وفاطمة بنت أسد»[٦٥].

هذه الأمثلة والشواهد والروايات والمواقف العملية كلها ناطقة بإسلام أبي يطالب وهي شذرات من أدلة كثيرة موجودة في المصادر الإسلامية[٦٦].

ب- شبهات حول إيمان أبي طالب عليه السلام:

١- حديث الضحضاح[٦٧]: جاء في صحيح البخاري عن مسدد: حدثنا يحيى عن سفيان حدثنا العباس بن عبد المطلب: قال للنبي ﷺ: «ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: هو ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»، وفي رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري: «أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه»[٦٨]. وقد روي هذا الحديث في مصادر أخرى وبألفاظ أخرى متقاربة من حيث المعنى[٦٩]. وعند مناقشة الحديث يتضح ما يأتي:

أولا: المناقشة السندية: لقد ناقش كل من الأميني في الغدير والخنيزي في كتابه «أبو طالب مؤمن قريش»، أسانيد هذه الرواية وبيّنا وهنها وضعفها وتناقض نصوصها، يقول الخنيزي بعد أن استعرض رواة الحديث: «هذه الجولة التي قمنا بها في صفوف رواة الحديث، لم تبق فينا مكانا لثقة، لنتقبل ما يروي هؤلاء، فإننا وجدنا في كل سند حفنة من الكذبة والضعفاء والخبثاء بل المجهولين والذين لم نقف عنهم على أثر، على أن هنالك جوانب أخرى تدعونا أن لا نطمئن لهذا الحديث، وأن نضرب به عرض

الجدار حتى لو كان رواته من الثقاة، كيف بهم وهم من المجاهيل الكذبة والحديث من البواطيل؟!»[٧٠].

ويقول ابن أبي الحديد في شرح النهج نقلاً عن الإمامية والزيدية: «قالوا وإما حديث الضحضاح فإنما يرويه الناس كلهم عن رجل واحد وهو المغيرة بن شعبة»[٧١]، إلا أننا نجدهم يروونه عن غير المغيرة أيضا في البخاري ومسلم وغيره، وهذا يدل على أن رواية الحديث عن طريق آخر قد حدثت في وقت متأخر.

ثانيا: مناقشة متن الحديث: عندما نتأمل في متن الحديث بعباراته المختلفة نجد هناك تضاربا يختلف به المعنى، ففي بعض الروايات نجد الجواب المزعوم عن الرسول هو: نعم في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار، وتفيدنا هذه الصورة أن شفاعة الرسول معجلة له وأنها قد وقعت فعلا، ويتضح ذلك أكثر في حديث ثانٍ جاء فيه: نعم وجدته في غمرات النار فأخرجته إلى الضحضاح، ولا ندري لماذا لا يتم الرسول نعمته على عمه فيخرجه من النار بعد أن كانت له القوة والنفوذ على إخراجه من غمرات النار فيدعه في هذا الضحضاح دون أن يتم نعمته؟![٧٢].

وقد سئل الإمام الباقر عما يقوله الناس إن أبا طالب في ضحضاح من نار، فقال عليه السلام: «لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في كفة أخرى لرجح إيمانه»[٧٣].

٢- إرث عقيل لأبي طالب: ومن بين الروايات التي استدل بها قولهم: بأن عليا وجعفرا لم يأخذا من تركة أبيهما شيئا لأنهما مسلمان وأبوهما كافر، فهما من ملتين مختلفتين وأهل ملتين لا يتوارثان، جاء في طبقات ابن سعد: «أن أبا طالب توفي في عهد الرسول فلم يرثه جعفر ولا علي وورثه طالب

وعقيل، وذلك بأنه لا يرث المسلم الكافر ولا يرث الكافر المسلم»[٧٤].

ويرد على هذه الرواية: «أنها لا تنسجم مع أحكام الميراث عند المسلمين، مما يدل على أنها لم يضعها غير جاهل بشروط الميراث عند المسلمين، فكل ما لديهم من العلم هو حديث «لا توارث بين ملتين»، ونحن نقول بصحة الحديث، ولكن معناه أن الكافر لا يرث المسلم، وليس مانعا أن يرث المسلم كافرا، لأن الإسلام يرفع المسلم، كما أشارت إلى ذلك الأحاديث المتصلة بهذا الموضوع كقوله: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»[٧٥].

وقد ذهب فقهاء مذهب أهل البيت عليهم السلام إلى أن المسلم يرث الكافر ولا يرث الكافر المسلم، بل قد روي عن عمر قوله: «أهل الشرك نرثهم ولا يرثونا، وقد حكم كثير من العلماء بأن ميراث المرتد للمسلمين، وقالوا: «نرثهم ولا يرثونا»[٧٦]، فلو سلمنا بهذه الرواية وليس لنا بها بعد أن رأينا الأصل الإسلامي ينقضها، فما هي بدليل على كفر شيخ الأبطح، إذ لعلي وجعفر المسلمين اللذين لا يشك في إسلامهما أن يرثا أباهما حتى لو كان كافرا كما يزعم المفترون تمشيا مع الأصل والنص الإسلامي[٧٧]، ومن هنا يتضح لنا أن واضع هذه الرواية جاهل بالإسلام وقوانينه، ونكتفي بهاتين الروايتين والمناقشات التي أوردناها حولهما لنشير إلى بعض الآيات التي ادّعي أنها نزلت في أبي طالب.

الآية الأولى: «وهم ينهون عنه وينأون عنه». قال تعالى: ﴿**وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾[٧٨]، فقد أخرج الطبري (ت٣١٠هـ) وغيره، عن طريق سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عمن سمع ابن عباس أنه قال: إنها نزلت في أبي طالب، ينهى عن أذى رسول الله أن يؤذى وينأى أي يبتعد أن يدخل في الإسلام[٧٩]. وفي مناقشة الحديث يتبين ما يأتي:

أولا: إن هذه الرواية عندما نتأمل في رجال سندها نجد فيها سفيان الثوري وقد كان يدلس عن الضعفاء، ويكتب عن الكذابين، ويروي عن الضعفاء، كما نص على ذلك علماء الرجال في ترجمته، كذلك حبيب بن ثابت فهو لا يقل درجة عن صاحبه، ثم إن الرواية مرسلة عن ابن عباس ولم يذكر الراوية الذي رواها عنه، والإرسال في الحديث من عيوب الراوي والرواية كما نص على ذلك المؤلفون في علم دراية الحديث من السنة والشيعة(٨٠).

ثانيا: إننا نجد هذه الآية لا تنطبق على أبي طالب بأي وجه وذلك بالتأمل في الآية التي سبقتها والآية التي تلتها والتي تشكل بسياقها وحدة عرض، ووحدة موضوع، إذ تتناول عرض عمل بعض المشركين والمصير الذي سيؤول إليه أمرهم، قال تعالى: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾(٨١)، فضمائر الجمع ككلمة هم وفاعل ينهون وينأون كلها ترجع إلى من ذكرهم الله في تلك الآية وهم المشركون الذين إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، ويجادلون الرسول في هذه الآيات ويصفونها من عنادهم بأنها ليست سوى أساطير الأولين.

الآية الثانية: وهي قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾(٨٢).

هذه الآية من جملة الآيات التي تشبث بها بعضهم لإثبات كفر أبي طالب، فقد روى نزولها في أبي طالب كل من البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن ابن اليمان، عن شعيب، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه أنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال: «يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد

الله بن أبي أمية: ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل الرسول ﷺ يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنه»، فأنزل الله: ﴿**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين**﴾، وأنزلت: «إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء»، وفي رواية أخرى في صحيح مسلم: «ان أبا طالب قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك»(٨٣).

٣- سرّيّة إيمان أبي طالب: واجهت الدعوة الإسلامية في سني عمرها موجة عارمة من المجابهة بالرفض والتحدي، سواء في مكة أم في المدينة، وذلك من قبل عتاة قريش وكان غرضهم من ذلك المحافظة على الموروث الاجتماعي من تأثير مفاهيم الإسلام وحملته على التغيير، ولمواجهة التيار الانقلابي الجديد الذي انبثق في الوسط الاجتماعي، ولو لم يتسلح القيمون على الرسالة بالحكمة، وبُعد النظر وقوة الإرادة والصبر على الأذى، فمن الصعب أن يكتب لهم النجاح في مهمتهم ومن أول مقتضيات الحكمة أن يبقى العمل التغييري وعلاقاته وأفراده ومهماته وخططه وكل ما تفرض المصلحة كتمانه، في منأى عن معرفة الخصوم وإلا سهل القضاء على المحاولة في مهدها(٨٤).

وقد حرص الأنبياء توسلا لبلوغ أهدافهم على إحاطة كثير من مخططاتهم وتحركاتهم بالكتمان وغالبا ما أدى إخلال أتباعهم بحفظ الأسرار إلى إعاقة مسيرتهم بل واستشهادهم.

بقي نبينا الأعظم ﷺ يمارس دعوته طيلة السنوات الثلاث الأولى في إطار من السرية الكاملة، وهكذا في المراحل الأخرى وبدرجات متفاوتة، وذلك لضرورة توفير المناخ المناسب لنمو الإسلام وانتشاره في وسط الأمة دون أن يمكن أعداء الإسلام والمتربصين له مع وفرتهم وقسوة أساليب

قمعهم وتضييقهم من شلّ قدرة حملة الإسلام وإبادتهم[٨٥].

ونجد إذا تتبعنا مواقف أبي طالب خلال مسيرة الدعوة المباركة في سني عمرها الأولى نجد أنه كان بادئ الأمر يكتم إيمانه تماما، مثله مثل مؤمن آل فرعون الذي كتم إيمانه لظروف موضوعية استوجبت الكتمان، والظاهر أنه قد استمر يظهر إيمانه تارة ويخفيه تارة أخرى إلى أن حوصر مع بني هاشم في الشعب، فصار يكثر من إظهار إيمانه بالقول تارة والمواقف العملية تارة أخرى، وعندما نتأمل في الروايات المعللة للأسباب التي دعت أبا طالب إلى كتمان إيمانه تتضح لنا ضرورة ذلك في تلك المرحلة الحرجة وذلك المضيق الذي كانت تمر به دعوة الإسلام المباركة[٨٦].

ففي رواية عن الشعبي (١٠٤هـ) عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «كان والله أبو طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب مؤمنا مسلما يكتم إيمانه مخافة على بني هاشم أن تنابذهم قريش»[٨٧]، فقد كان أبو طالب شخصية قوية وذا مركز اجتماعي مرموق، فهو السيد الأول في قومه والزعيم المهاب، والرئيس المطاع ويمتلك الخصائص النفسية والقيادية التي أهلته لفرض زعامته لا ينازعه في ذلك أحد، وقد أحاط رسول الله ﷺ بحمايته وكفالته، ومنع عنه سفهاء قريش وعتاتهم، مفيدا من مركزه الاجتماعي هذا، ولكنه لم يجهر بإيمانه لاعتبارات تقتضيها الحكمة، وتدعو إليها الظروف السياسية آنذاك، فإنه لو جهر بإيمانه في بدء البعثة وفجر الدعوة لانقلبت عليه قريش بجملتها وأسقطته من حالق مجده وحينئذ يعجز عن رد الأذى عن ابن أخيه وهو ما يزال ضعيفا، وهذا الذي جعله يكتم ما في نفسه من الإيمان، وظاهر أعماله وقصائده وخطبه تظهر بأحلى بيان، إذ رأيناه يدافع عن المصطفى ﷺ بنفوذه وجاهه ويمدحه بقصائده وخطبه حتى آخر لحظة من حياته[٨٨]، ولهذا روي عن رسول الله ﷺ قوله: «ما زالت قريش كاعّين (أي جبناء) حتى مات عمي أبو طالب»[٨٩].

الخاتمة:

١- تكاد تتفق أغلب المصادر على أن اسمه عبد مناف، لكن الدراسة أثبتت العكس مبينة أن اسمه أبو طالب وقد توصلت الباحثة إلى ذلك من خلال استعراض آراء النسابة والمؤرخين فصدر الحكم في هذا.

٢- تحلى أبو طالب بكل الصفات الحميدة، وفوق كل ذلك كان رئيس قومه وشاعرهم، فكان شاعرا مجيدا وناثرا وأديبا ومقطوعاته الشعرية وكلامه المنثور خير شاهد على ذلك.

٣- أما عن كفالته للرسول ﷺ فقد كفله منذ ولادته، وليس ما نسب من وصية عبد المطلب إياه بالرسول ﷺ خيرًا وربما أريد من الوصية إضفاء الطابع الشرعي عليها لا غير.

٤- كان أبو طالب مسلما مؤمنا عاملا، وما قيل فيه من تأويل خاطئ للآيات وأحاديث مفتراة بصدد كفره فهي أباطيل افتعلها بنو أمية وأذنابهم ومن نحى منحاهم.

٥- دافع أبو طالب عن الإسلام والمسلمين إيمانًا واعتقادًا منه بديانة الإسلام، على عكس ما ادّعى بعضهم من أن دفاعه عاطفي لا شرعي، محتجين بأنه دافع عن النبي محمد ﷺ لأنه ابن أخيه، وليس لأنه رسول الله ومفترض الطاعة.

الهوامش

١)الزبيري، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله (ت ١٥٦هـ)، نسب قريش، تصحيح: أليفي بروفنسال، (باريس- ١٩٥٣)، ص١٧.

٢)المجلسي، محمد باقر (ت١١١٠هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج٣٥، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٩٢)، ص١٣٨.

٣)المسعودي، أبو الحسن علي (ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٦٥)، ص١٠٩.

٤)ابن دريد،، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ)، الاشتقاق، ج١، (مصر: مؤسسة الخانجي، ١٩٥٨)، ص١١.

٥)ابن عنبة، جمال الدين أحمد بن علي (ت ٨٢٨هـ)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ج٥، (قم: مؤسسة انصاريان، ١٩٩٦)، ص٦.

٦)القمي، عباس، الكنى والألقاب، ج١، (النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٩٩٦)، ص١٠٠.

٧)ابن حجر، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، (بيروت: دار الكتاب، د.ت)، ص١١٥.

٨)المحمداوي، علي صالح، بئر زمزم، (دراسات تاريخية)، (مجلة)، العدد الثامن، عام ٢٠١٠، ص١.

٩)الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، (بيروت: الاميرة، ٢٠٠٥)، ص٢٣٩.

١٠)ابن حبيب، محمد البغدادي (ت٢٤٥هـ)، المحبر، ج١، (بيروت: دار الآفاق، د.ت)، ص٤٥٥.

١١)ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج (ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢)، ص٢١٠.

١٢)ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، (مصر: دار التعارف، ١٩٦٢)، ص١٤.

١٣)ابن سعد، محمد (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، ج١، (بيروت: دار الكتب، ١٩٩٠)، ص٩.

١٤)الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي (ت٣٨١هـ)، علل الشرائع، ج١، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٦٦)، ص٢٠٨.

١٥)ابن حجر، الإصابة، ج٤، ص١١٥.

١٦)البحراني، يوسف (ت١١٨٦هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج١، (مصر: دار الكتاب العربي، ١٩٨٥)، ص٤٢.
١٧)ابن كثير، عماد الدين إسماعيل (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ج٣، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧)، ص١٢٢.
١٨)الفاكهي، محمد بن إسحاق(ت٢٧٥هـ)، اخبار مكة، ج٢، (بيروت: دار خضر، ١٤١٤هـ)، ص٧.
١٩)الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٤٤٢.
٢٠)المسعودي، إثبات الوصية، (بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٨)، ص١٠.
٢١)الخنيزي، عبد الله، أبو طالب مؤمن قريش، (قم: مؤسسة البلاغ، ١٩٩٧)، ص٩٧.
٢٢)البدري، سامي، السيرة النبوية، تحقيق: حسين البدري، (النجف الأشرف: دار الفقه، ٢٠٠٥)، ص٧٠.
٢٣)كشكول، هناء عباس، شعر أبي طالب، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة: كلية الآداب، ٢٠٠٧، ص١٦.
٢٤)التونجي، محمد، ديوان أبي طالب عم النبي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٤)، ص١٦.
٢٥)كشكول، هناء، المصدر السابق، ص١٧.
٢٦)سورة النساء، الآية:٥٨.
٢٧)الديوان، ص١٥٥.
٢٨)الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، اختيار معرفة الرجال، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٤هـ)، ص٢٥١.
٢٩)ابن داوود، تقي الدين (ت٧٠٧هـ)، رجال ابن داوود، (النجف الأشرف، د. ط، ١٣٩٢هـ)، ص٢٦٣.
٣٠)المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت٤١٣هـ)، الاختصاص، ج١، (الأردن: ردمك،١٩٩٣)،ص١٤٨.
٣١)ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٠٣.
٣٢)المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٥، ص١٦٤.
٣٣)الطبرسي، رضي الدين الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، مكارم الأخلاق، (قم: د. ط، ١٤١٢هـ)، ص٢٢٧.
٣٤)ابن شهر آشوب، محمد المازندراني (ت٢٥٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، ج١، (النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٩٥٦)، ص٣٥.

٣٥)المجلسي، بحار الأنوار، ج١٥، ص٣٨٣.
٣٦)المسعودي، إثبات الوصية، ص١٣٥.
٣٧)المجلسي، بحار الأنوار، ج١٥، ص٣٨٤.
٣٨)الحميري، أبو العباس عبد الله بن جعفر (ت٣٠٠هـ)، قرب الإسناد، (قم: د. ط، ١٤١٣هـ)، ص٢٧.
٣٩)المجلسي، بحار الأنوار، ج١٥، ص٣٨٣.
٤٠)البكري، أحمد ت (ق٦هـ)، الأنوار ومفتاح السرور والأفكار في مولد النبي (ص)، (قم: د. ط،١٤١١هـ)، ص٢١٨.
٤١)الحميري، قرب الإسناد، ص٢٨.
٤٢)ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٢٣٨.
٤٣)الروندي، قطب الدين فضل الله بن علي (ت٥٧٣هـ)، الخرائج والجرائح، (قم: مؤسسة الإمام المهدي، ١٤٠٩هـ)، ج١، ص١٣٨.
٤٤)الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي (ت٣٨١هـ)، الخصال، ج١، (قم: د. ط، ١٤٠٣هـ)، ص٥٨.
٤٥)الديوان، ص١٤٣.
٤٦)سورة الضحى، الآية ٦.
٤٧)القرطبي، محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم، (القاهرة: د. ط، ١٣٧٢هـ)، ج٥، ص٩.
٤٨)ابن شهر آشوب، المناقب، ج١، ص٣٦.
٤٩)المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت٤١٣هـ)، الاختصاص، (قم: د. ط، ١٤١٣هـ)، ص٨١.
٥٠)الديوان، ص١٤٤.
٥١)الديوان، ص١٤٩.
٥٢)ابن سعد، الطبقات، ج١، ص١٢٠.
٥٣)المحمداوي، علي صالح رسن، أبو طالب بن عبد المطلب، (بيروت: دار ومكتبة البصائر، ٢٠١٢)، ص١٢٦.
٥٤)الحسني، معروف، سيرة المصطفى، (بيروت: شركة الأعلمي، ١٩٩٦)، ص٢٠٦.
٥٥)ابن سعد، الطبقات، ج١، ص١٢١.
٥٦)الساعدي، عبد الستار قاسم، حياة الإمام علي بن أبي طالب في مكة، (قم: منشورات دليل ما، ١٤٣٤هـ)، ص٣٠.

٥٧)المقصود، عبد الفتاح عبد، المجموعة الكاملة- الإمام علي بن أبي طالب، ج١، (بيروت: دار الصفوة، ٢٠١٢)، ص٢٠.

٥٨)آل قاسم، عدنان فرحان، دروس في السيرة النبوية، ج١، (بيروت: دار السلام، ٢٠١٠)، ص٤٤١.

٥٩)ابن الأثير، أبو الحسن علي (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ج١، (بيروت: دار الكتب، ١٩٨٧)، ص١٢٢.

٦٠)الأميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة، ج٧، (بيروت: مؤسسة دار ومعارف الفقه، ٢٠٠٥)، ص٥١٣.

٦١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٣، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٦٥)، ص٢١٤.

٦٢)الريشهري، محمد، موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة، ج١، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢١هـ)، ص٦٢.

٦٣) الأميني، الغدير، ج٧، ص٥٣٧.

٦٤)ابن أبي الحديد، ج١٤، ص٦٩.

٦٥)الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ)، الأصول من الكافي، ج١، (طهران: د. ط، ١٣٦٥هـ)، ص٤٤٦.

٦٦)القمي، أصغر الناظم زاده، الفصول المائة في حياة أبي الأئمة علي، ج١، (قم: مطبعة مؤسسة بوستان، ١٣٢٨هـ)، ص٨٩.

٦٧)الضحضاح: معناه الماء اليسير أو الماء القريب القعر.

٦٨)النيسابوري، مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، ج٣، (بيروت: الشركة العالمية، ١٩٩٣)، ص٨٦.

٦٩)الخنيزي، أبو طالب مؤمن قريش، ص٣٧٧.

٧٠)الأميني، الغدير، ج٨، ص٣٨.

٧١)ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٤، ص٧٠.

٧٢)الخنيزري، أبو طالب مؤمن قريش، ص٣٩١.

٧٣)السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، الروض الآنف في تفسير السيرة النبوية، ج٢، (بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠)، ص١٧٠.

٧٤)ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٥٩.

٧٥)الخنيزي، أبو طالب مؤمن قريش، ص٣٧٦.

٧٦)العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي، ج٤، (بيروت: المركز الإسلامي،

٢٠٠٦)،ص٣٨.

٧٧)الخنيزي، أبو طالب مؤمن قريش، ص٣٧٧.

٧٨)سورة الأنعام، الآية ٢٦.

٧٩)الأميني، الغدير، ج٨، ص١١.

٨٠)عثمان، عبد الزهراء، سيرة المصطفى، (بيروت: مؤسسة الفكر، ١٩٩٣)، ص٢١٦.

٨١)سورة الأنعام، الآية:٢٥.

٨٢)الشرقي، طالب علي، أبو طالب مسلم بقلبه ولسانه، (ينابيع) (مجلة)، العراق، العدد التاسع، ٢٠٠٥، ص٨٦.

٨٣)السيد، كمال، أبو طالب ناصر الرسول، (قم: مؤسسة انصاريان، ٢٠٠٣)، ص٢٢.

٨٤)الشيرازي، حسن الحسيني، أبو طالب «عم الرسول مؤمن بني هاشم، (علم الحديث) (مجلة)، قم، العدد ١١، السنة السادسة، عام ١٤٢٢هـ، ص٤١.

٨٥)المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٨٦.

٨٦)العقيلي، علي عباس، إسلام أبي طالب، (النجف الأشرف: مؤسسة الغري، د.ت)، ص٩.

٨٧)الكاش، علي، اغتيال العقل الشيعي، (لندن: إصدارات اي كتب، ٢٠١٥)، ص ٦٠١.

٨٨)الرواندي، الخرائج، ج٣، ص١٠٨٨.

٨٩)الكليني، الأصول من الكافي، ج٢، ص٢٤١.

المصادر والمراجع:

* آل قاسم، عدنان فرحان، دروس في السيرة النبوية الشريفة، ج١، (بيروت: دار السلام، ٢٠١٠).
* ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٣، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٦٥).
* ابن إسحاق، محمد (ت١٥١هـ)، السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، (دمشق: د. ط، ١٩٧٦).
* ابن الأثير، أبو الحسن علي (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ج١، (بيروت: دار الكتب، ١٩٨٧).
* ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج (ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢).
* ابن حبيب، محمد البغدادي (ت٢٤٥هـ)، المحبر، ج١، (بيروت: دار الآفاق، د. ت).
* ابن حجر، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، (بيروت: دار الكتاب، د.ت).
* ابن سعد، محمد (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، ج١، (بيروت: دار الكتب، ١٩٩٠).
* ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، (مصر: دار التعارف، ١٩٦٢).
* ابن داوود، تقي الدين (ت٧٠٧هـ)، رجال ابن داوود، (النجف الأشرف، د. ط، ١٣٩٢هـ).
* ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ) الاشتقاق، ج١، (مصر: مؤسسة الخانجي، ١٩٥٨).
* ابن شهر آشوب، محمد المازندراني (ت٥٥٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، ج١، (النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٦).
* ابن عنبة، جمال الدين أحمد بن علي (ت٨٢٨هـ)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ج٥، (قم: مؤسسة انصاريان، ١٩٩٦).
* ابن كثير، عماد الدين إسماعيل (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ج٣، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧).
* الأميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة، ج٧، (بيروت: مؤسسة دار ومعارف الفقه، ٢٠٠٥).
* البحراني، يوسف (ت١١٨٦هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج١، (مصر: دار الكتاب العربي، ١٩٨٥).
* البدري، سامي، السيرة النبوية، تحقيق: حسين البدري، (النجف الأشرف: دار الفقه، ٢٠٠٥).
* البكري، أحمد ت (ق٦هـ)، الأنوار ومفتاح السرور والأفكار في مولد النبي (ص)، (قم: د. ط، ١٤١١هـ).
* التونجي، محمد، ديوان أبي طالب « عم النبي ﷺ، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٤).

* الحسني، معروف، سيرة المصطفى، (بيروت: شركة الأعلمي، ١٩٩٦).
* الحميري، أبو العباس عبد الله بن جعفر (ت٣٠٠هـ)، قرب الإسناد، (قم: د. ط، ١٤١٣هـ).
* الخنيزي، عبد الله، أبو طالب مؤمن قريش«، (قم: مؤسسة البلاغ، ١٩٩٧).
* الرواندي، قطب الدين فضل الله بن علي (ت٥٧٣هـ)، الخرائج والجرائح، (قم: مؤسسة الإمام المهدي، ١٤٠٩هـ).
* الريشهري، محمد، موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة، ج١، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢١هـ).
* الزبيري، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله (ت١٥٦هـ)، نسب قريش، تصحيح: ا. ليفي بروفنسال،(باريس ـ ١٩٥٣).
* الساعدي، عبد الستار قاسم، حياة الإمام علي بن أبي طالب في مكة، (قم: منشورات دليل ما، ١٤٣٤ه).
* السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، ج٢، (بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠).
* السيد، كمال، أبو طالب ناصر الرسول، (قم: مؤسسة انصاريان، ٢٠٠٣).
* الشرقي، طالب علي، أبو طالب مسلم بقلبه ولسانه، (ينابيع) (مجلة)، العراق، العدد التاسع، ٢٠٠٥.
* الشيرازي، حسن الحسيني، أبو طالب عم الرسول مؤمن بني هاشم«، (علم الحديث) (مجلة)، قم، العدد ١١، السنة السادسة، عام ١٤٢٢هـ.
* الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي (ت٣٨١هـ)، الخصال، ج١، (قم: د. ط، ١٤٠٣هـ).
* أبو جعفر محمد بن علي (ت٣٨١هـ)، علل الشرائع، ج١، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٦٦).
* الطبرسي، رضي الدين الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، مكارم الأخلاق، (قم: د. ط، ١٤١٢ه).
* الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠ه)، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، (بيروت: الاميرة، ٢٠٠٥).
* الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، اختيار معرفة الرجال، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٤هـ).
* العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي، ج٤، (بيروت: المركز الإسلامي، ٢٠٠٦).
* عثمان، عبد الزهراء، سيرة المصطفى، (بيروت: مؤسسة الفكر، ١٩٩٣).
* العقيلي، علي عباس، إسلام أبي طالب، (النجف الأشرف: مؤسسة الغري، د.ت).
* العلامة الحلي، الحسن بن يوسف (ت٧٢٦هـ)، خلاصة الأقوال، (قم: مؤسسة الفقاهة، ١٩٩٩).
* الفاكهي، محمد بن إسحاق (ت٢٧٥هـ)، اخبار مكة، ج٢، (بيروت:

دار خضر، ١٤١٤م).
* القرطبي، محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم، (القاهرة: د. ط، ١٣٧٢هـ).
* القمي، أصغر الناظم زاده، الفصول المائة في حياة أبي الأئمة علي، ج١، (قم: مطبعة مؤسسة بوستان، ١٣٢٨هـ).
* القمي، عباس، الكنى والألقاب، ج١، (النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٩٩٦).
* الكاش، علي، اغتيال العقل الشيعي، (لندن: إصدارات اي كتب، ٢٠١٥).
* كشكول، هناء عباس، شعر أبي طالب، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة: كلية الآداب، ٢٠٠٧.
* الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ)، الأصول من الكافي، ج١، (طهران: د. ط، ١٣٦٥هـ).
* المجلسي، محمد باقر (ت١١١٠م)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج٣٥، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٩٢).
* المحمداوي، علي صالح، بئر زمزم، (دراسات تاريخية) (مجلة)، العدد الثامن، عام ٢٠١٠.
* علي صالح رسن، أبو طالب بن عبد المطلب، (بيروت: دار ومكتبة البصائر، ٢٠١٢).
* المسعودي، أبو الحسن علي (ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٦٥).
* إثبات الوصية، (بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٨).
* المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت٤١٣هـ)، الاختصاص، (قم: د. ط، ١٤١٣هـ).
* المقصود، عبد الفتاح عبد، المجموعة الكاملة- الإمام علي بن أبي طالب«، ج١،(بيروت: دار الصفوة، ٢٠١٢).
* النيسابوري، مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، ج٣، (بيروت: الشركة العالمية، ١٩٩٣).

المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع المكي في عهد الرسول ﷺ

د.اكسم فياض / مديرية تربية اللاذقية
وزارة التربية في الجمهورية العربية السورية
د.عبدالكريم جعفر الكشفي /مدير عام تربية ديالى /العراق

Moral and educational implications in the Meccan society In the era of the Prophet (PBUH)

Dr. Akssam Fayad /The Ministry of Education in the Syrian Arab Republic Latakia Education Directorate.
Dr. Abdul Karim Jaafar Al-Kashfi, Director General of Diyala Education

الملخص

شغلت المضامين الأخلاقية، والتربوية اهتمام المربين قديما، وحديثا كونها تمثل حجر الزاوية في بناء المجتمعات والشعوب، وهي بحاجة إلى دراسات مستفيضة، بخاصة أنَّ واضع أسسها في المجتمع المكي رسول الإنسانية محمد ﷺ، ويعدُّ تعليمَ هذه المضامين من أحكام الإسلام المحمدي، وقواعده، وأعرافه، وإنَّ الرجوعَ لها أمرٌ حضَّتْ عليه المرجعيَّةُ الدينيَّة قرآنًا وسُنَّة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ الإسراء:٩. وقد ورد في السُّنة النبويَّة المُطهَّرة، عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿**إنما بُعِثتُ لأُتمِّم مكارمَ الأخلاق**﴾.

المضامين التربوية والأخلاقية فريضة ينبغي الاهتمام بها كثيرا، ومسؤوليتها مسؤوليةُ الجميع من دون استثناء، فهي تُعد أكبرَ تَحدٍّ كان يواجه المجتمع المكيَّ المتحرِّر توّاً من آثام الجاهلية، فمنقذ البشرية كان يسعى إلى بناء أفراد صالحين في ذواتهم ومشاعرهم، وأفكارهم، وإن الدور الذي يمكن أنْ تؤديه هذه المضامين التي وضعها الرسول ﷺ تهدف إلى إنشاء جيل إسلامي متشبِّعٍ بمبادئ الدين الإسلامي وبالقيم: (الروحية، والأخلاقية، والثقافية، والحضارية) للمجتمع.

لقد كانت الرسالة النبوية في مرحلتيها: المكّية والمدنية ذات قيم روحية وخلقية ونفسية عميقة عظيمة، سار على هديها الصحابة المنتجبون والتابعون الهداة وقادة المسلمين واقتدوا بها، ونشروا رسالة الدين الحنيف بروح المحبة، والتسامح بهدف النهوض بحضارة المجتمع المكِّيِّ وتصديره للإنسانية جمعاء، وكيف رسخ النبي الكريم ﷺ المنظومة الأخلاقية، والتربوية في المرحلة المكية من الدعوة والتي تعد من أبرز معالم تلك

المنظومة الإنسانية المبكرة، وهي مجال بحثنا الذي دار حول المحاور الآتية:

-المبحث الأول/ المضامين الأخلاقية (مفهوم عام).

-المبحث الثاني/ المضامين التربوية الإسلامية (مفهوم عام)

-المبحث الثالث/ المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع المكي في عهد الرسول ﷺ

Summarize the search:

Ethical and educational contents occupied the interest of educators, in the past and in the present, as they represent the cornerstone of building societies and peoples, and they need extensive studies, especially that the founder of their foundations in the Meccan society is the Messenger of humanity, Muhammad (may God bless him and his family and grant them peace), and teaching these contents is one of the provisions Islam Mohammadi, and rules, and its customs, and refer them is urged by the religious authority Koran and the Sunnah, the Almighty said: ((this Qur'an guides to that which is me and promises to the believers who do good deeds that they have a great reward)) Isra: 9. It was reported in the purified Sunnah of the Prophet (peace and blessings of God be upon him and his family) that he said: ((I was sent to perfect morals)).

− The educational and moral contents are a duty that should be paid great attention to, and its responsibility is the responsibility of everyone without exception. These contents developed by the Prophet aim to create an Islamic generation imbued with the principles of the Islamic religion and the values (spiritual, moral, cultural, and civilizational) of the society.

− The Prophetic message in its two phases: Mecca and Medina had great spiritual, moral and psychological values, which were followed by the guided companions and followers and the leaders of the Muslims and imitated them, and they spread the message of the true religion in the spirit of love and tolerance with the aim of advancing the civilization of the Meccan society and exporting it to all of humanity, and how the Holy Prophet established The moral and educational system in the Meccan stage of the call, which is one of the most prominent features of that

early humanistic system, and it is the field of our research, which revolved around the following themes:

–- The first topic: ethical implications (general concept).

–The second topic: Islamic educational contents (a general concept).

– The third topic: moral and educational implications in the Meccan society during the era of the Messenger (may God bless him and his family and grant them peace).

المبحث الأول

نظرة عامة على المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع الإسلامي (مفهوم عام)

-المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع الإسلامي (لغةً واصطلاحاً):

المضمون الخلقي والتربوي قد يأتي بمعنى القيم، والقيمة لغة -كما جاء في لسان العرب ابن منظور- واحدة القِيَم، وأَصله الواو؛ لأَنه يقوم مقام الشيء، والقيمة أيضا ثمن الشيء بالتقويم، تقول: تَقاوَمُوه فيما بينهم، وإذا انقادَ الشيء واستمرَّت طريقته، فقد استقام لوجه[١]، ولا يكاد هذا المعنى يَبتعِد عن فَهْم الإنجليز والفرنسيين للقيمة، في الإنجليزية التي تُدلُّ على الاعتدالِ والاستواء وبلوغ الغاية[٢].

ونجد عند الفلاسفة وعلماء الاجتماعِ وغيرهم غير تعريف للقيم، فقد عرَّفها بعضهم على أنها إدراك للمرغوب فيه وهو سلوك تأثيري مختار، وعرفها الدكتور ضياء زاهر بوصفها مجموعة من الأحكام المعياريَّة المتَّصِلة بمضامين واقعيَّة يتشرَّبها الفرد عن طريق انفعاله وتفاعُله مع المواقف والخبرات المختلفة[٣].

-القيم عبر التاريخ:

أخذت القيمة بأنواعها المختلفة مكانةً مرموقةً في تاريخ الحضارات الإنسانية جميعها، واهتمَّت بها الشعوب والأجيال حتَّى تقارب الوعي البشري في الاتفاق على مفهومها، المتمثِّل بالمساواة والعدل والصبر والعِفَّة والشجاعة والتواضع والصدق والحقِّ والمحبَّة لدى جميع البشر على اختلاف عقائدهم ومشاربهم ولغاتهم وأعراقهم، وفي الحضارة القديمة ثمَّةَ رأيٌ يعترف بوجود مبدأين للوجود: أحدهما النور، ويمثِّلُ الخيرَ، والآخر الظُّلمة، ويمثِّل الشر، وقد قدَّم «روسو» في العقد الاجتماعي نظام

الجمهورية البرجوازي، الذي أكَّد فيه أنَّ الحياة السياسية يجب أن تقوم على سيادة الشعب المطلقة، ورفَض تقسيم السلطة إلى تشريعية وتنفيذية، واقترح بدلاً منها الاستفتاء الشعبي العام في جميع الأمور السياسية المهمة، وقد أسهم «روسو» في الإعداد الفكري للثورة البرجوازية الفرنسيَّة بشكل فعَّال، وكان مُتقدِّمًا في أفكاره، فهو يرى أنَّ أصل الشرور والتفاوت بين البشر يعود إلى الملكيَّة الخاصة بصفها سببَ العداء والأنانية بين البشر(٤).

-أنواع القيم:

القيم على أنواع، وهي تتعلق بالإنسان على وجه الخصوص، ولها أهمية كبيرة وعظيمة في حياته، ويعد تحقيقها نجاحًا مهما بحدِّ ذاته له، وأهم أنواعها:

١. قيم دينية إسلامية: وهي مجموعة من الصفات الجيدة التي يتصف بها الإنسان المسلم، والتي يكتسبها من الأسرة المسلمة ومن البيت والمدرسة والمسجد، ولها ضوابط إسلامية محدودة يخدم عن طريقها دينه ومجتمعه وأسرته.

٢. قيم تربوية اجتماعية: وهي تلك العادات التي اكتسبها الفرد من بيئته ومجتمعه، وأثَّرت به وتأثَّر بها، وأصبحت جزءًا مهما من شخصيته، وأصبح يتصرَّف بها مع الآخرين، مثل الإخلاص والتواضع وحبِّ الوطن... وغيرها.

٣. قيم أخلاقية: هي مجموعة من الصفات الحسنة، والأمانة، والوفاء، الصدق، والعدل، والإحسان، والرحمة، والشجاعة، وغيرها، وتعدُّ هذه القيم من الصفات المكتسبة.

٤. قيم جماليَّة: وهي قيم مكتسبة يكتسبها الفرد عن طريق تربيته، ويستطيع الإنسان عن طريقها إشباع رغباته وحاجاته كالفن والجمال

والـذوق، ويسـتطيع عـن طريقهـا إثبـات نفسـه-[٤] وبنـاء شـخصية متوازنـة إنسـانيا، وسـلوكيًا، واجتماعيًـا.

٥. قيـم شـخصية: وهـي القيـم التـي يتأثَّـر بهـا الشـخص وبكلِّ مـا حولـه مـن سـلوكيَّات جيِّـدة تسـاعده في بنـاء شـخصيته..... وغيرهـا مـن القيـم الأخـرى.

٦. القيم الأخلاقية والتربوية وأهميتها ودورها في المجتمع:

أ- القيم الأخلاقية:

عُرِّفَـت القيـم الأخلاقيـة بأنهـا مجموعـةٌ مـن الأحـكام الانفعاليـة الصـادرة مـن العقـل البـشري، والتـي تقـود الإنسـان نحـو رغباتـه واتجاهاتـه، وأنَّ هـذه القيـم تكتسـب مـن المجتمـع المحيـط بالأفـراد فيتشرّبهـا، وتُصبـح المُحـرِّكَ لأسـلوبه الخـاص والعـام، وأنَّ هـذه القِيـمُ تختـصُّ بجوانـب شـخصيّة الأفـراد التـي يصـدر عـن طريقهـا الأحـكام الخُلُقيّـة، التـي تتوافـق مـع طبيعـة العـادات والأعـراف والتقاليـد والقوانـين السـائدة في المجتمـع الـذي يعيـش الإنسـان فيـه، ودائـما مـا تكـون هـذه الأحـكام متوافقـةً مـع ضمـير الإنسـان وقناعاتـه، التـي تنظِّـمُ سـلوك الإنسـان، وتحـدِّدُ علاقـات الأفـراد وصـولا إلى الغايـة المنشـودة.

تسـتمدُّ القيـمُ الأخلاقيـة التـي أقرَّهـا إسـلامنا المحمـدي قيمتَهـا الإنسـانية مـن عـدَّة مصـادر، هـي القـرآن الكريـم والسُـنّة النبويـة الشريفـة وأقـوال أهـل البيـت ومنهجهـم عليهـم السـلام، وقـال لبعضهـم إنَّ القيـم الأخلاقيـة الإسـلامية: هـي مجموعـة مـن المعايـير والأحـكام النابعة مـن تصورات أساسـية عـن الكـون والحيـاة والإنسـان والإلـه، وأمَّـا صورهـا الإسـلامية فتتكـون لـدى الفـرد والمجتمـع، عـن طريـق التفاعـل مـع المواقـف والخـبرات الحياتيـة المختلفـة، إذْ تمكنـه مـن اختيـار أهـدافٍ وتوجهـاتٍ لحياتـه تتفـق مـع إمكانياتـه، وتتجسَّـد غيرهـا الاهتمامـات أو السـلوك العمـلي[٥]. وكلَّـما تعـدَّدت وسـائل

الاتصال وتطورت الحياة بين الأمم والشعوب ازدادت الحاجة الملحة إلى المعايير والقيم الأخلاقية في المجتمعات، ليس في الشرقية منها فحسب، بل في مجتمعات العالم أجمع، وقد قال رسول الإنسانية محمد بن عبد الله ﷺ: ﴿**إنما بعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق**﴾[٦].

أكَّد إسلامنا المحمدي أهمية القيم الأخلاقية، التي يمكن بوساطتها ضمانُ وجود الحياة السعيدة، وبناءُ علاقات اجتماعية سليمة تمنحنا العيش الرغيد بسلام وأمان، ويدعو هذا الأمر الحكومات والدول الإسلامية والمؤسسات التربوية بكل أنواعها، وكذلك المربين والمهتمين بالتنشئة الأخلاقية الاجتماعية إلى إيجاد برامج ووسائل تساعد في غرس القيم الإنسانية والأخلاقية في المجتمعات والأفراد والنفوس، وذلك لكي تتمكَّن من المحافظة على الإرث الديني والحضاري والأخلاقي، وبناء عادات وتقاليد وسلوكيات سليمة تحارب الجهل والتخلُّف جيلا بعد جيل، كما أنَّ هذه القيم الأخلاقية تساعد شعوبنا المسلمة لتجنُّب الانحراف عن مسار الفهم الصحيح للتقدم والتطور في المجتمعات، وقد أوصت الشرائع والأديان السماوية بالالتزام بهذه القيم، وأنَّ مصدر تلك القيم هو مصدر إلهي عقلاني؛ مرتبط بطبيعة الأشياء وصفات الأفعال، وهذه القيم ثابتة وموضوعية لا تتغير بتغير الأفراد، ولا تخضع لأهوائهم ورغباتهم، فهي قيم مطلقة في جميع الأزمنة والأمكنة، وإذا حدث تنافر بين القيم وما هو مطلوب في الحياة، فإن هذا لا يعني أنَّ القيمَ غيرُ صادقة، بل أساليب حياتنا خاطئة، وتحتاج إلى تصحيح[٧].

إنَّ بناء المجتمعات المرجوَّة بناءً سليماً لا يمكن أنْ يتم إلا عن طريق بناءِ أجيال مثقفة وواعية وعن طريق معلمين واعين مؤمنين بقضيتهم ومهنيتهم، وإنَّ أيَّة أمّةٍ من الأمم إذا لم تُنشئ رجال ومؤسسات تربوية

هادفة ورسل فضيلة وعلم، فإنها لن تستطيع بناء منظومة تربوية هادفةٍ تفهم وتقدِّرُ النظم، والمعايير، والقيم التربوية، ولا يمكن لها أنْ تتأصَّل بمجرَّد الخطابات والوعظ والإعلانات واللقاءات من حين إلى آخر في قاعات براقة مغلقة، لقد كان للمفاهيم الأخلاقية دوماً هدفها في إيجاد بيئة آمنة وصالحة تؤمن بحماية العالم من مواريث الحروب ومصادرها، وتؤسس للتقدم العلمي وسلامته وأمنه، ويعدُّ التمسكُ بمعايير الأخلاق اليوم ضرورة اجتماعية للفرد والمجتمع، كما يعدُّ ضرورةً للعلاقات المختلفة التي تسهمُ في ضبط السلوكيات المنحرفة، من جانب الالتزام بالتعهدات والعهود والعقود وتطبيقها، وفق روابط الدين والتاريخ واللغة والدم.

إن من واجبات المؤسسة التربوية والإعلامية و«الدينية بشكل خاص»، في ظل مجتمعات مثل العراق وسوريا وغيرها من الدول التي أنهكتها الحروب، والتي تعيش حالة من غياب المنظومة القيمية والتراجع المؤسف في كل المجالات، أنْ تؤدِّي هذه المؤسسات دوراً فعَّالاً وأساسياً في تربية الأجيال، وتحصينهم وتقوية عزائمهم ونفوسهم بمنظومةٍ من مكارم الأخلاق، التي ترسم لنا وتحدد صورة سلوك إنسان المستقبل، وترشده إلى إصلاح الذات والنفس، ولا يتمُّ هذا الإصلاح من دون نشر الوعي المجتمعي، وإيمان الأفراد بالأشكال الأخلاقية، كالأمانة والصدق والوفاء والاحترام والشرف وحرية الرأي والآخر، والالتزام بكل ما يرتضيه الدين الإسلامي الحقُّ، من أعراف ومحبة الآخرين والتضحية والإيثار وغيرها من القيم الأخلاقية السامية التي أوصى بها ديننا الإسلامي المحمدي، والتي هي أسلوبٌ في انشاء مجتمع راقٍ، وأنَّ هذه القيم السامية لا يمكن أنْ تنحصرَ في زاوية التنظير فقط، بلْ يجب أنْ تكون سلوكيَّات ظاهرة في تعاملات أفراد المجتمع ومع بعضه البعض، ومع الأسرة

والمدرسة والمسجد وجماعة الأقران ووسائل الإعلام ووسائط أخرى ضمن المجتمع، وكل هذه الوسائط تستقي قيمها من ثقافة المجتمع الذي يمثل البيئة التربوية للأفراد[٨].

تدرك أمَّتنا الإسلامية ومجتمعاتنا والمربون التربويون اليوم تمام الإدراك حاجتنا إلى جهاد النفس والاجتهاد لإيجاد الحلول السليمة والمناسبة لمواجهة أزمة تدهور المنظومة القيمية، تلك التي يعاني منها مجتمعنا في العراق وسوريا وكثير من مجتمعات الشعوب الإسلامية والعربية، وأنَّ الحاجة الملحَّة اليوم تكمن في البحث عن وسائلَ تعيد بناء المنظومة القيمية للأمة الإسلامية، وتعيد عزَّها وكرامتها المفقودة بصورة عامة؛ وأيضا ضرورة البحث عن وسائلَ جديدةٍ تعيد إيماننا بديننا وقيمنا الأخلاقية والتربوية والإنسانية، وبذلك نصحو من الغفوة، وربَّما ندرك بعض ما تبقى لنا من عزٍّ وكرامةٍ عربية إسلامية، وأن يكون طريق الحوار والمناقشة من أكثر الأساليب التربوية ملاءمة لتعليم القيم الأخلاقية وبيانها وتعزيزها، وذلك لأن الحوار يفتح الفرصة أمام الطالب للتعبير عن أفكاره وتصوراته المختلفة حول القضايا القيمية المعروضة للنقاش، وبذلك يكتشف صحتها أو خطأها[٩]، ولعله، وبحسب رأينا القاصر أنَّ الحوار هو من أصوب الحلول لتصحيح الأخطاء والوصول إلى الهدف، ومن أهم القيم الأخلاقية التي يجب التأكيد عليها عن طريق الحوار: الورع والتقوى والعدل والإحسان والصدق والأمانة والمحبة والتواضع والصبر والحلم وغيرها.

المبحث الثاني: المضامين التربوية الإسلامية:

وتعني تنمية الإنسان جسديًا وخُلُقيّا، وتنشئته فكريا وثقافيا، ويشمل هذا الأمر أيضا التغذية، والرعاية الصحية، ويعتمد ذلك كله على منهجٍ رباني مستمَدٍّ من هدي القرآن والسنة ومنهج أهل البيت عليهم السلام، وغيرها من مصادر التشريع، وقيل هي تنمية الإنسان في أبعاده المختلفة الرئيسة: البعد الروحي، والأحيائي (البيولوجي) والعقلي، والمعرفي، والانفعالي العاطفي، والسلوكي، والأخلاقي، والاجتماعي، للوصول بالإنسان نحو الكمال ضمن مجتمع متضامن قائم على قيم الإسلام الثابتة.

للقيم التربوية الإسلامية تعريفات متعددة، وقد عرّفها بعض الباحثين بأنها مفاهيم تدل على معتقدات المسلم حول نماذج السلوك التي وهبها الخالق للإنسان، يكتسبها المسلم عن طريق فهمه لدينه، وتتعلَّم هذه المفاهيم بتفاعله مع مواقف الحياة المختلفة والخبرات الاجتماعية والفردية، وبهما يضبط الفرد سلوكه، وعلى هذه القيم يحكم على سلوك الفرد والآخرين، وعلى ضوئها يختار المسلم أهدافه ووسائل توجيهات حياته، ولابدَّ لهذه القيم أنْ تظهر في السلوك العملي واللفظي للمجتمع الإسلامي بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وعرَّفها آخرون بأنها مجموعة من المثل العليا، والمعتقدات والغايات والوسائل والتشريعات الضابطة لسلوك الفرد والجماعة، وأنها مبادئ تحثُّ على الفضيلة ومواجهات للسلوك الإنساني، وهي ضوابط تضبط حياة الناس بكل مفاهيمها الدينية والاجتماعية والعلمية والفكرية والسياسية والأدبية[١٠].

تمثِّل القيم التربوية في المجتمع الإسلامي الجانب المعنوي أو الروحي في الحضارة، (في كلِّ الحضارات وبخاصة الإسلامية)، وهي: الجوهر والأساس الذي تقوم عليه أيّةُ حضارة، وفي الوقت نفسه تضمن سرَّ بقائها

وصمودها عبر الأجيال التاريخ، وإذا اختفت هذه القيم في يوم من الأيام فإن ذلك يُؤذِن بالزوال المعنوي للحضارات الإنسانية، التي هي روح الحياة والوجود، مما يؤدِّي إلى مغادرة الرحمة قلوب الفرد، وإلى ضعف وجدانه وضميره عن أداء دوره الذي يجب أنْ يقوم به ومعرفة حقيقة نفسه. وإنَّ الانحطاط هو خطأ الإنسان في فهم حقيقة مكانته في الكون، وفي إنكاره عالم القيم، الذي يشمل قيم الخير والحقِّ والجمال والحقيقة أيضاً، وأنَّ هذا الجانبَ أيْ جانبَ الأخلاق والقيم لم يَوفَّ حقَّه في حضارة المسلمين، التي قامت على أساس القيم والأخلاق، وبعث الله رسوله خاصة ليَتمِّم مكارم الأخلاق ويكمِّلها، وأنَّ تلك القيم التي لم تكن يوماً نتاج تطوُّر فكريٍّ على مرِّ العصور، وإنَّما أوحاها الله عزَّ وجلَّ، وشرَّعها رسول الله محمدﷺ(١١).

تعدُّ القيم التربوية الإسلامية في المجتمع الإسلامي قيماً متطورة وحيَّة يمكنها الحركة، وتصلح لمختلف العصور والبيئات؛ وذلك لأنها أخذَت مقوِّماتها الأصيلة الأساسيَّة، واستمدَّتها من مصدرين أساسين، هما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فضلاً عن منهجِ أهل البيت عليهم السلام، وأنَّ هذه القيم ليست خيالية أو مثالية، وإنَّما هي قيم تطبيقية عمليَّة يمكن تحقيقها بالمجهود البشري في ظل المفاهيم الإسلامية الصحيحة، ونرى إمكانية غرسها في كل بيئة بغضِّ النظر عن نوع الحياة السائدة فيها، فهي تشجع بالمنطق العقائدي ذاته، وبالتطور والتقدم في المجالات جميعها، وتفتح الطريق لاستقبال نتائج الفكر الإنساني والحضارة البشرية، ونتيجة لامتلاك الإنسانِ العقلَ فقد تميَّز عن سائر المخلوقات بالقدرة على اختيار البدائل اختياراً حرّاً واعياً، وهذه الحريَّة الواعية في اختيار العقل هي التي تحدِّد القيمة الأخلاقية المميزة لأفعاله تأكيداً لدور العقل في البناء القيمي للإنسان(١٢).

يعدُّ تعليم القِيَم التربوية فريضةً واجبة ينبغي الاهتمام بها، ومسؤوليةُ تعليمها يجب أنْ يتحمَّلها الجميعُ من دون استثناء، وتعدُّ هذه القيم أكبرَ تَحدٍّ لمدى قُدْرتنا على تربية الأفراد والأجيال، ليكونوا صالحين في ذواتهم ومشاعرهم وأفكارهم للحِفاظ على المجتمعات من الذَّوبان في ما يُسمَّى بالعولمة التي تكرس الانسلاخ عن الانتماء إلى كِيان الفرد ومجتمعه. ومن دون القيم التربوية والأخلاقية لا يمكن أن يُثمِر التعليمُ ولا التربيةُ، وهنا تكمن الحاجة إلى التفاعل التام بين الأفراد والمجتمع والقيم التربوية.

وتأسيسا على ما تقدم، لا بدَّ من إعادة النظر في البرامج التربوية، وإعطاء نِصيب وافر في وقت زمنيٍّ أكبر، ووسائل أكثر حداثة، واهتمام أكبر ومؤثِّر وغَرْس قيم التَّربية الإسلاميَّة السمحاء والشريعة الإسلامية المحمدية، والتاريخ المشرق، والتربية المدنيَّة القائمة على المرجعيَّة الدينية المتنورة، والأعراف المجتمعية الصحيحة، وللموروث الثقافي للأمم الأثر في كلِّ مراحل التعليم المتنوعة، حتى نصل إلى الهدف المنشود؛ إنَّ مشروع تأصيل القيم التربوية هو تجسيد للقيم والمبادئ التي جبل عليها مجتمعنا كالتسامح والتكافل والاعتدال...، والتي تنبع من تعاليم الدين الإسلامي وعادات المجتمع وتقاليده، وإعداد المواطن الصالح على وفق هذه القيم، ويحضرُ كلام الله سبحانه وتعالى هادياً ومرشداُ للناس جميعاً في قوله: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾[١٣]، وقال رسول الإنسانية محمد ﷺ: ﴿**إِنَّما بُعُثتُ مُعَلِّما مُبَشِرا برحمة مُهداة**﴾[١٤].

ومن أهم القيم التربوية التي نسعى لتأصيلها في المجتمع الإسلامي: «برُّ الوالدين والتسامح ونبذ العنف، والإيمان بالآخر، واحترام الآخرين، والنظافة، والعمل التطوعي، والمحافظة على الممتلكات العامة، والتعاون،

وإدارة الوقت، وحبّ الوطن والولاء له، والثقة بالنفس، وحسن المجاورة، والقدوة، والوسطية، والحياء... وغيرها»، وقال ابن سينا: إنَّ أصول الفضائل: العفة، والشجاعة، والحكمة والعدالة[١٥].

ولا بدَّ أنْ نبيِّن أنَّ الدين الإسلامي الحنيف يهدف إلى تربية الذات الإنسانية تربية أخلاقية وتربوية، وأنَّ هذه الذات هي محور نشاط التربية الإسلامية السمحاء التي بها تتكوَّن ذات الإنسان المسلم وشخصيته المسلمة كما أرادها الإسلام المحمدي، وللقيم الإسلامية السمحة في المجتمع الإسلامي خصائص عديدة تميِّزها عن كل القيم الأخرى الموجودة في الفلسفات والمجتمعات الأخرى، وذلك لأنها نابعةٌ من صميم المجتمع الإسلامي، إذ إنَّ المنظومة القيمية في المجتمع الإسلامي تمتاز بخصائص منفردة عدَّة تميزها عن الديانات والشرائع الأخرى السماوية وغير السماوية، فهي كلٌّ متكاملٌ يجمع في إطار منسّق جميع مشتملاته، من عقيدة وعبادات ومعاملات وتشريعات وتوجيهات وأوامر ونواهي وتوجيهات، للأخلاق وللآداب العامة وهذه تجتمع في كلٍّ متكامل متناسق مترابط فكريّاً ومنطقيّاً[١٦].

أوجز بعض خبراء التربية أهمَّ العوامل المؤثرة في غرس المفاهيم التربوية عند الناشئة، وقناعة الناشئة بمكاسب تطبيق القيمة وخسارة فقدانها، على وفق الآتي:

١- القيم والإقناع العقلي الحر: إذ إنَّ بناء القيم يجب أنْ يتمَّ على قاعدة الاختيار، وليس الحفظ والتلقين.

٢- القيم والتفكير: إنَّ طريقة تفكير الأفراد تصنع مظاهر حياتية، وتحدِّد أنماط القيم والسلوك، وهناك ارتباط كبير بين ما يملكه الفرد من القدرة على التفكير والتقويم، وبين ما يقوم به في اختيار الاتجاهات والقيم.

٣- القيم والاعتقاد: تعدُّ المعتقدات من أهمِّ القوى المحرِّكة التي تعمل على بناء القيم لدى الأفراد؛ لأنها تمثل اعتماد الفرد لحقائق: (الوجود، الإله، الكون، الحياة).

٤- القيم وموقف الصراع القيمي: إنَّ تعليم القيم التربوية الإسلامية يجب أنْ يتمَّ عن طريق المواقف الحياتية، التي يعيشها المتعلمون، والتي توفر فرصا تعليمية للتعبير عن الآراء والتوجهات، وأنَّ استعمال الحوار والمناقشة وحلَّ المشكلات والتفكير الناقد هي أفضل الطرق لتعلُّم هذه القيم.

٥- القيم والقدوة: يعدُّ توفير القدوة الصالحة أمراً مهماً في تعليم القيم، فهي تقدِّم أنموذجاً يتشرَّب الفرد القيم منها، وعن طريقها يستطيع أنْ يقدم أنموذجا للسلوك الإنساني الحضاري الراقي.

٦- المنحى التكاملي في تدريس القيم: إنَّ تعليم هذه القيم يجب أنْ يتمَّ عن طريق إطار شمولي تكاملي، ويتحقق ذلك عن طريق تطبيق المعلومة وتعليمها وتنوع الأساليب والاستراتيجيات التي تعزز سلوك المتعلم، ومن ثم العمل على قياس مدى اكتسابها عن طريق التقويم الشامل لتحصيل الطالب.

المبحث الثالث: المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع المكي في عهد الرسول ﷺ

نهضت الرسالة المحمدية في مرحلتيها المكّية على أسس ومضامين أخلاقية وتربوية عظيمة، سار على هديها المجتمع المكي، والصحابة والمنتجبين، والتابعين الطيبين وقادة المسلمين في طريقهم واقتدوا بها في علاقتهم الواسعة في المجتمع المسلم ونقلوها لاحقا إلى أصقاع المعمورة، ونشروا رسالة الإسلام المحمدي الحنيف بروح من التسامح والأخوة والإيمان بالآخر، وفي إطار حفظ المصالح الإسلامية ودرء المفاسد العامة والخاصة، وكانت هذه القيم نواميس وسننا علَّمت الإنسانية بناء الأمم والحضارات، وبنت حضارة إسلامية متكاملة، وقد رسخ النبي محمد ﷺ هذه المنظومة في المرحلة المكِّية من الدعوة، ومن يدقق النظر في مؤسس المنهج التربوي والأخلاقي الإسلامي ألا وهو الرسول القدوة، وهو الذي يقول: ﴿**إنما بعثت معلماً**﴾(١٧) .

إنَّ بناء والمنظومة الأخلاقية والتربوية، والنُّهوض بها يخضع للقوانين الإلهية، وسنن ونواميس إنسانية تتحكَّم في بناء مسيرة الأفراد والشُّعوب، والدول والأمم، وعند التأمُّل في سيرة رسول الإنسانية محمد ﷺ نراه قد تعامل مع هذه المنظومة بحكمةٍ وروية، وقدرةٍ فائقةٍ، إذ رسَّخ الجيِّد من المضامين الأخلاقية والتربوية وأقرها، تلك التي كانت سائدة في مجتمع ما قبل الإسلام، وأقرَّ مضامين جديدة عالية القيمة لتكوين نواة المجتمع المكِّي المسلم المستقيم على أمر الله عبر ثلاثة عشر عامًا في مكَّة، إذْ كانت مهمَّته الأساسيَّة فيها تنحصر في تربية أجيال مؤمنةٍ متسلِّحةٍ بهذه المضامين، تحمل عبء الدَّعوة وتكاليف الجهاد من أجل ترسيخها وحمايتها، ونشرها في آفاق المجتمع المكي، وأصقاع المعمورة لاحقا، وإنَّ هذه القيم التي

جسَّدَها الرسول ﷺ من شأنها أنْ تلبِّيَ حاجة اجتماعية حيويَّة، وترضي اتجاهات نفسية عامة في عدد كبير من الأفراد والشعوب[١٨].

لقد كان هدف الرسول ﷺ هو صناعة الإنسانِ النموذجيِّ، الحضاري الرَّبانيِّ الخاضع لسنن وقوانين ربانية، تجبر الأمَّة الإسلامية على مراعاتها والعمل بها، للنُّهوض والتَّمكين لدين العزة وسيادة منطق القرآن والسُّنَّة، في عصر سيطرت فيه الجاهليَّة وقيمها، فبدأت منظومة القيم الأخلاقية والتربوية متدرِّجةً، تسير بالنَّاس سيرًا حثيثا دقيقًا، فبدأت بمرحلة الاصطفاء والفهم والتَّأسيس، وبعدها مرحلة المقاومة والمواجهة، ثمَّ مرحلة النَّصر والترسيخ، والتغيير من حياة الجاهليَّة إلى الحياة الإسلاميَّة ونشرها في الآفاق، ولم تكن المرحلة المكِّيَّة مرحلة تشريع، بل مرحلة بناء منظومة أخلاقية تربوية ذات مضامين خلاّقة وتكوين جيِّد، فقد كان الرسول محمد ﷺ يختار في تعليمه من الأساليب أحسنها وأفضلها وأوقعها في نفس المخاطب، وأقربها إلى فهمه وعقله، وأشدَّها تثبيتاً للعلم[١٩].

إن المسافةً الهائلةً بين المضامين التي جاء بها الرسول الأكرم محمد ﷺ، والمجتمع الجاهلي كانت بعيدةً. ففي المجتمع الجاهلي الذي مرَّ عبر أحقاب من التَّاريخ المشوه، سيطرت عليه أشتات من المصالح الخاصة الضيقة، وألوانٌ من القوى القبلية، فجاءت مضامينه كلُّها لتقف سدّاً منيعا في وجه مضامين الدِّين الجديد، الَّذي كان لا يكتفي بتغيير العقائد، والقيم والموازين والتَّصوُّرات، والتقاليد، والعادات، والمشاعر، والأخلاق فقط، إنَّما يريد كذلك أنْ يغيِّرَ القيم والمضامين والأنظمة والأوضاع والقوانين والشرائع البالية المخالفة لنظم الإسلام وقيمه، كما كان يريد انتزاع قيادة البشريَّة، والإنسانية من أيادي الطَّواغيت، والجاهليَّة ليردَّها إلى دين الله، وإلى الإسلام المحمدي الأصيل، وإنَّ المنظومة الأخلاقية، والتربوية الَّتي

أرادها النَّبيُّ محمد ﷺ تسير على وفق منهج القرآن الكريم، والرغبة في صنع الرِّجال العظماء، ثمَّ انطلق بها ليؤسّس أعظم تغيير في شكل المجتمع المكي، ونقلَ المجتمع العربي من الظُّلمات إلى النُّور، من جهل الجاهلية إلى نور الإيمان والعلم، فتغيرت مكَّة أولاً، ثمَّ الجزيرة العربية، ثمَّ بلاد فارس، ثم الرُّوم وفي حركةٍ عالميَّةٍ تؤمن وتسبِّح بذكر خالقها بالغدوِّ والآصال، كما أن وجودَ النماذج الحسنة من الشخصيات الإنسانية ذو أهمية كبرى في صياغة السلوك وأنماطه، فالقدوة تقدم أسلوب العمل الأفضل[٢٠]، وقد تجسدت هذه القدوة بشخصية رسول الإنسانية محمد ﷺ.

ولابدَّ أنْ نمرَّ على أهمِّ المضامين التربوية الأخلاقية في المجتمع المكِّي في عهد الرسول، والتي يعود الدور الأول في إرسائها إلى رسول الإنسانية محمد ﷺ، وهي:

أ- أهم المضامين التربوية:

١- الإيمان بالله والتوحيد به، وتطبيق السنَّة النبويَّة: لقد دعا الرسول محمد ﷺ، المسلمين جميعا إلى التوحيد والإيمان بالرسول والرسالات السماوية، لأنَّ هذه المضامين تمثل حجر الزاوية، في عملية التربية وهي السبيل الواضح السوي لبناء المجتمعات الإسلامية الصالحة، وأننا مدينون إلى ما جاء به منقذ البشرية محمد المعلم ﷺ، وإنَّ أجيال المسلمين وأجيال البشرية بحاجة ماسَّة إلى دراسة مجتمع الرسول، أقواله وأفعاله لتفهم الإنسانية الحقَّة مجسدة في تلك السيرة بعيداً عن تصورات الآلهة والمحرفين والمتقولين على الإسلام[٢١].

٢- الدعوة إلى نصرة المظلوم، والدفاع عن حقوق الإنسان: وهذه من المضامين التربوية المهمة التي رسمها الرسول ﷺ، والتي تدعو إلى نصرة الحق والدفاع عن المظلومين كانت سمة الرسول وسمة مجتمع

مكة، وإنَّ السلم وحقوق الإنسان في الإسلام ليست منَّة من أحد، وإنَّما هي حقوق حقيقية ملزمة بحكم مصدرها الإلهي، لا تقبل المساومة ولا التعطيل، ففي مكة لا اعتداء ولا حرابة ولا إرهاب، فيها كلُّ الاحترام للإنسان، وهي ثمرة طيبة لجهد مخلص لمنقذ البشرية، وواضع أسس المحبَّة ونصير المظلومين وباني السلم والسلام، فقد ورد بالأثر أنَّ رسول الله ﷺ اشترك في حلف الفضول لحبِّه السلام، وقد جاوز العشرين وقال بعد ما بعثه الله: ((حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما يسرني به؟ النعم ولو دعيت إليه اليوم لأجبت))[٢٢].

٣- احترام حقوق المرأة في مجتمع مكة: كرَّم الإسلام ومنقذ البشرية المرأةَ، إذْ لا يوجد دين من الأديان السماوية، أو مذهب من المذاهب كرَّم المرأة أكثر مما كرَّمها الإسلام المحمدي، وقد بلغ من تكريم الإسلام للمرأة أنْ جعل احترامها بعد أنْ كانت مهانة، وأعطى لها حقوقها في الميراث وحرم وأدها، وشاركها بالجهاد وخصَّ لها جزءا من غنائم الحروب، وروى ابن الأثير أنَّ الرسول ﷺ، اشتركت معه النساء في غزوة خيبر فأعطاهن حصة من فيئها[٢٣]. وكان بيت النبوة أسوة حسنة للناس جميعاً، فنجدُ (مقام خديجة ﷺ وموقعها هو تهيئة أرضية لموقع فاطمة الزهراء عليها السلام الذي هو حلقة الوصل الوسط بين النبوة والإمامة، فالسيدة خديجة ﷺ -في المستوى الرمزي - هي حاضنة النور المتمثِّل بفاطمةﷺ... بوصفها المرأة المؤمنة القدوة في العلم والعمل والتفاني لبناء البيت الإسلامي انسجاما مع قيم النبوة وتوجيهاتها على المستوى الأرضي والسماوي)[٢٤].

٤- الدعوة إلى لعلم والعمل ومقابلة الإساءة بالإحسان: لقد حضَّ

القـرآنُ الكريـم المسـلمين عـلى تحصيـل العلـم المفيـد النافـع لأنَّـه مـن الواجبـات، وأنَّ العلـم النافـع يهـدي إلى صالـح العمـل، فالعلـم والعمـل وعـدم الإسـاءة للآخريـن والعفـو والصفـح دليـل عـلى الإيـمان، كـما أرشـد إلى ذلـك قولـه تعـالى: ﴿**وَلِيَعْلَـمَ الَّذِيـنَ أُوتُـوا الْعِلْـمَ أَنَّـهُ الْحَـقُّ مِـن رَّبِّـكَ فَيُؤْمِنُـوا بِـهِ فَتُخْبِـتَ لَـهُ قُلُوبُهُـمْ* وَإِنَّ اللهَ لَهَـادِ الَّذِيـنَ آمَنُـوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْـتَقِيمٍ**﴾[٢٥] الحـج: ٥٤، فمقابلـة الإسـاءة بالإحسـان كان شـعارا لأهـل مكـة، وإن طلـب العلـم والمعرفـة والعمـل الصحيـح يترتَّـب عليـه الإيـمان، والإيـمان يترتَّـب عليـه الفـوز العظيـم.

٥- الحريـة ومبـدأ الشـورى والمسـاواة واحـترام المسـلمين ودفـع الـضرر: أكَّـد الرسـول محمـد ﷺ عـلى إخـراج الصدقـات والـزكاة، ففيهـا تطهـير للنفـس وتزكيـة للـروح، هـذه كلُّهـا قيـم تربويـة علَّمنـا عليهـا الرسـول ﷺ، وجسَّـدها في مجتمـع مكـة بوصفـه مكانـا لتطهـير النفـوس، وإنَّ استشـارة الآخريـن أمـر حسـن ومثلـه الشـورى، كـما أوجـد الرسـول ﷺ قاعـدة لا ضرر ولا ضرار، حفاظـا عـلى ديمومـة المجتمـع المكِّـي، وليعطـي لنـا دروسـا في القيـم التربويـة والأخلاقيـة، وكانـت الحريـة والمشـورة والرحمـة هـي صفـة الرسـول، الـذي كان للمجتمـع المكـي قـدوة، وإنَّ وجـود النـماذج الحسـنة مـن الشـخصيات الإنسـانية مثـل الرسـول محمـد ﷺ ذات أهميـة كـبرى في صياغـة السـلوك وأنماطـه، فالقـدوة تقـدُّم الأسـلوب العمـلي الواقعـي للحيـاة، وليـس بمجـرد أقـوال وعظـات.

كان للقـدوة الحسـنة الأثـر العميـق في تعليـم المسـلمين وتثقيفهـم وتغيـير اتجاهاتهـم وتعديـل سـلوكهم؛ والأخـذ بيدهـم نحـو بنـاء الشـخصية الإسـلامية والمجتمـع الإسـلامي[٢٦]. هـذا فيـض مـن غيـض وثمـة مضامـين تربويـة أخـرى يطـول الحديـث عنهـا.

ب- المضامين الأخلاقية:

المضامين الأخلاقية كثيرة جدا، وقد وقَعَ اختيار البحث على خمسة منها، لعلها تكون الأهم - بحسب رأينا القاصر- وهي:

١- الكرم وبسط اليد:

لقد كان رسول الإنسانية محمد ﷺ مثالاً للكرم، إذْ كان يحض الصحابة على الكرم والعطاء والبذل، فكان ﷺ يساعد الفقراء المحتاجين، ويحثُّ أصحابه على ذلك، ومجتمعُ مكَّة كلُّه قد تعلم الجودَ والكرم منه، فقد ورد في الأثر: ((إنَّ رسولَ الله ﷺ دخلَ على بلالٍ وعندَه صُبُرٌ من تمرٍ فقالَ: ما هذا؟ قالَ: أدَّخِرُهُ، فقالَ: أما تَخشَى أن يُرى لَه بُخارٌ في نارِ جَهنَّمَ، أنفِق يا بلالُ ولا تَخشَ مِن ذي العرشِ إقلالًا))[٢٧].

٢- الأخلاق والصدق والتواضع:

تعدُّ الأخلاق والصدق والتواضع من أهم المضامين الأخلاقية التي تبني أجيالا ورجال مستقبل، وهي سرُّ العلاقات السويَّة الطبيعية في المجتمع، وتُعدُّ من الأمور التي يجب تنشئة الكبار والصغار عليها، لأنها تبني سلوكيات عامة في الحديث والعمل والمواقف الحياتية الإنسانية البسيطة منها والصعبة، وقد وجَّه الرسول بأخلاقه الرفيعة مجتمع مكَّة إلى عدم كسر القوانين والنواميس والقواعد والسيطرة على غريزة التمرد والخروج عن المألوف المنافي للأخلاق الحميدة.

٣- الشجاعة والإقدام:

الشجاعة والإقدام من القيم الأخلاقية الإنسانية التي لا بُدّ لكل مسلم أنْ يتحلَّى بها، وقد نادى بها منقذ البشرية محمد ﷺ، ودعا الصحابة لها؛ لأنّها أساسُ حماية المجتمع المسلم من الأعداء، وتعني أيضًا إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم، لقد أكد الرسول ﷺ على أهمية الشجاعة والشهامة؛

لأنها مدعاةً للفخر والرجولة، وبالشجاعة والأقدام صار المسلمين أسياد الأقوام، وصارت لهم هيبة كبيرة لا يستطيع أحد تجاهلها، وهي تُعد من صفات السادة الأقوياء الذين لا يخشون في الله لومة لائم، ويسعون دائمًا لأنْ يكونوا في الطليعة المسلمة الحسنة؛ لأنهم مجبولون على حب التضحية والإيثار التي تعلموها من الرسول ﷺ، بالشجاعة والإقدام، وسعة الصدر، وكبر القلب، وهدوء النفس، كلُّ ذلك عوامل عاطفية عقلية، وهي أساسية في نجاح تلك العلاقات الإنسانية[٢٨].

٤- **الصَّبر والاحتساب ومواجهة الصِّعاب:**

لقد أمرنا الرسول محمد ﷺ بالصبر، ومواجهة الابتلاءات بثبات وتحويلها إلى نجاحات ودرجات في الدنيا والآخرة، ويعدُّ الصبر الصفة الأساسية لمواجهة مغريات الدنيا وزينة الحياة الدنيا، والوقوف ضد هوى النفس ومكائد الشيطان ووسوساته، ومواجهة ظلمة العصر، لقد علَّمنا الرسول أنَّ الصبر يعطيك قوة إضافية، ويمنحك القدرة على الفوز، والصمود، وقد شجع الرسول ﷺ الصحابة على الصبر الجلد والتحمل وتقبل نوائب الدهر، وصعاب الحياة، فهو مما يستعين به الإنسان لقوله تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾[٢٩] البقرة:٤٥، عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال:((والصبرُ في الأُمُور بمنزلة الرّأس من الجسد، فإذا فارق الرّأس الجسد فَسَدَ الجسدُ، وإذا فارق الصبرُ الأُمُور فَسَدَتِ الأُمُورُ))[٣٠]، فالصبر أبو الفضائل، وأصل مكارم الأخلاق، ومنه تتفرع المحامد.

٥- **التواضع:**

من أهم الأخلاقيات التي جسدها الرسول محمد ﷺ، هو التعامل مع الأقران بتواضع وعدم الشعور بالتباهي والفخر، فالتواضع

يكـرِّسُ حـبَّ الآخريـن، إذ بنـى الرسـول ﷺ مجتمعـاً مكيّـاً صالحـاً يشـار لـه بالبنـان، فالتواضـع مـن المضامـين الأخلاقيـة المهمَّـة التـي حثَّـت عليهـا جميـع الشرائـع والأديـان، فهـذه الخصلـة الطيبـة مـن شـأنها تربيـة أجيـال ذوي خلـق رفيـع وطيـب.

تحظى القيـم التربويـة والأخلاقيـة بأهميـة كبـيرة في حيـاة الأمـم والشـعوب والمجتمعـات، وهـي محكومـة بمعايـير محـددة بالطبيعـة، وإنَّ العلاقـات القائمـة بـين أفـراد هـذه المجتمعـات أنـماط مختلفـة، والتفاعـل فيـما بينهـم في مختلـف نواحـي الحيـاة يحافـظ على القيـم المجتمعيـة، والتربويـة، والأخلاقيـة، ويسـاعد في اسـتمراريته وبقـاء المجتمعـات، وقـد أكَّـد القـرآن الكريـم وسـنَّة الرسـول محمـد ﷺ هـذه الحقيقـة الناصعـة في كثـير مـن آيـات القـرآن الكريـم، فقـد ذكـرت هـذه الآيـات نهايـة الأقـوام التـي لم تتبـن تلـك القيـم، ورفضـت المعايـير والقيـم الفاضلـة، قـال تعـالى في الذكـر الحكيـم: ﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا من كل مكان فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾[٣١] النحـل:١١٢.

يمثِّـل الحفـاظ عـلى المنظومـة التربويـة الأخلاقيـة هويتنـا، ويميزنـا عـن غيرنـا مـن المجتمعـات الإنسـانية، والتـي تختلـف عـن بعضهـا بـما تتبنّـاه مـن هـذه القيـم ومعاييرهـا القيميـة، لذلـك فالتمسُّـك بهـذه القيـم يضمـن الحفـاظ عـلى هويـات المجتمعـات، والشـعوب، وإنَّ الابتعـاد عـن هـذه القيـم يـؤدي إلى اضمحـلال هويـة هـذه المجتمعـات، فديمومـة أيِّ مجتمـع ترتبـط بالمنظومـة القيميـة الخاصـة بـه.

ومما يزيـد مـن أهميَّـة القيـم أثرهـا العميـق في الحفـاظ عـلى بنـاء مجتمعٍ نظيفٍ صحيٍّ خـالٍ مـن السـلبية مـع انفتـاح المجتمـع وتقاربـه، وهـذا مـا يزيـد الثقـل عـلى المربـين وأهميـة بنـاء قيـم سـليمة، وغرسـها في الناشـئة؛ لكـي يتمكنـوا مـن التمييـز بـين الخـير والـشر، ومـا هـو نافـع أو ضـار[٣٢].

النتائج والتوصيات:

١- القيم الدينية تكون على رأس كل القيم، وهي عقيدة يتبناها الأشخاص في حياتهم، وتظهر هذه العقيدة في كلِّ أفعالهم.

٢- يعدُّ رسول الإنسانية محمد ﷺ المعلِّمَ الأوَّلَ الذي وضع منظومة القيم التربوية والأخلاقية في المجتمع المكِّي ومن بعده المجتمع الإسلامي.

٣- لمنظومة القيم التربوية والأخلاقية دور رئيس في بناء السلوك الإنساني، وهي مهمة لبناء المجتمع.

٤- توجد عدة اتجاهات مختلفة للقيم، فهناك من يرى أنها معايير مهمة تحكم السلوك، وهناك من يرى أنها تفضيلات للأفراد يختارونها بأنفسهم.

٥- يعدُّ اهتمام الإسلام بالمجتمع والمعاملات القائمة على منظومة القيم وعلى مكارم الأخلاق ضماناً لإعمار الأرض وحمايتها من الفساد.

٦- منظومة الأخلاق مصدرها إلهيٌّ يوجِّه السلوك، ويهدف باستمرار إلى رضى الله عزَّ وجل.

٧- ضرورة القيام بدراسات وأبحاث لدراسة القيم التربوية والأخلاقية المستنبطة من شريعتنا السمحاء وآيات القرآن الكريم والسنة النبوية وتعزيزها لدى الناشئة.

٨- ضرورة الرجوع إلى المنهج التربوي والأخلاقي الإسلامي الذي رسمه لنا الرسول ﷺ وآل بيته عليهم السلام وأصحابه النجباء والعلماء من بعدهم.

٩- يحمل الرجوع إلى هذه القيم الأصيلة كلَّ الحلول للمشكلات التي تواجهنا في العصر الحاضر.

١٠- تدعونا عملية إيجاد الحلول للمشكلات المجتمعية انطلاقاً من المنظومة التربوية والأخلاقية الإسلامية إلى إعادة النظر في تقويم المناهج التربوية الحديثة المتبعة في التربية والتعليم، وذلك لابتعاد جزء منها عن بعض القيم الإسلامية.

الهوامش

١) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: تحقيق: عامر أحمد حيدرأدار الكتب العلمية- بيروت- ط١- ٢٠٠٥- ج٥، مادة -قيم-.

٢) - القيم في الإسلام بين الذاتيَّة والموضوعيَّة: صلاح الدين بسيوني رسلان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠م، ص٨.

٣) - القيم في العمليَّة التربوية، ضياء زاهر، مؤسسة الخليج، القاهرة،١٩٨٤م، ص:١٠.

٤) - حكمة الصين: فؤاد محمد شبل، دار المعارف، مصر، د. ت، ص٤٤.

٥) - القيم الإسلامية والتربية: علي خليل مصطفى، دار طيبة، ط١، بيروت، ١٩٨٠م، ص٣٤.

٦) - الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٠ ه، ج١، ص١٩٣.

٧) - التربية وقضايا المجتمع المعاصر: حافظ فرج أحمد، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٣ م، ص٢٤٩.

٨) - ينظر: تنمية القيم التربوية والنفسية للأبناء: السيد أحمد المخزنجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المكتبة الثقافية، القاهرة،١٩٩٣م، ص٩٢.

٩) - تعلُّم القيم وتعليمها: ماجد زكي الجلاد، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م، ص١٣٨.

١٠) - ينظر: التربية الإسلامية: دار إشبيليا، الرياض،٢٠٠٢م، ص٢٦٧.

١١) - ينظر: الإنسان ذلك المجهول: ألكسي سكارليل، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٥م، ص٣٥١.

١٢)- النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي «أصولها وبناؤها في القرآن والسنة»: زينب رضوان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، ص١٨٤.

١٣) - القرآن الكريم: سورة الإسراء/ الآية ٩.

١٤) - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ابن عبد البر، تحقيق د. بشار عواد وسليم محمد عامر ومحمد بشار عواد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، بيروت، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، ج٥، ص١١٨.

١٥) - تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات: ابن سينا الحسين بن عبد الله، دار الجوائب، بيروت، ١٢٩٨هـ، ص١٠٧.

١٦) - مفاهيم تربوية وإسلامية: سلطان محمود السيد، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٢م، ص٢٤.

١٧) - المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ت٤٣٠هـ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٦م، رقم الحديث٣٤٩١، ج٤، ص١٤٦.

١٨)- القيم الاجتماعية مدخل لدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية: محمد محمد الزلباني، ١٩٧١م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ص٢١١.

١٩) - المنهج التربوي القرآني وأثره في إصلاح الفرد: د. مروان صباح ياسين، مجلة مداد الأدب، الجامعة العراقية، عدد خاص بالمؤتمرات، بغداد، ٢٠١٨م، ص٣٩٥.

٢٠) - الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة: د.سعيد بن علي القحطاني، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٣٩٩هـ، ص٢٥٥.

٢١) - من هدي النبوة: مؤسسة البلاغ، طهران، ٢٠٠٤، ص٤.

٢٢) - تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب، ت٢٨٤هـ، مطبعة الغري، ١٩٤٠م، ج٢، ص١٧.

٢٣) - الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، ت٦٣٠هـ، تحقيق عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ص٢٢٣.

٢٤) - ينظر: دور المرأة في بناء الشخصية المؤمنة خديجة عليها السلام أنموذجاً «بين الوعد السماوي والترتيب الأرضي»: د. اكسم فياض، بحث علمي موجود لدى العتبة الحسينية المقدسة للمشاركة في مهرجان مولد السيدة فاطمة الزهراء ؑ ٢٠٢١.

٢٥) - القرآن الكريم: سورة الحج، الآية ٥٤.

٢٦) - ينظر: الرسول العربي المربِّي: د. عبد الحميد الهاشمي، دار الثقافة للجميع، بيروت، ٢٠٠٦م، ص٤٤٢.

٢٧) - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ت٩٠٢هـ، تحقيق محمد عثمان

الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥م، ص١٣١.

٢٨) - أساليب الرسول (ص) في الدعوة والتربية: يوسف خاطر حسن الصوري، الدار الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص٦٧.

٢٩) - القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية ٤٥.

٣٠) - المجالسة وجواهر العلم: أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي، ت٣٣٣ ه، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢، ص١٨٧.

٣١) - القرآن الكريم: سورة النحل، الآية ١١٢.

٣٢) - تعلم القيم وتعليمها: ماجد الجلاد، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م، ص٤٤.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

* أساليب الرسول ﷺ في الدعوة والتربية، يوسف خاطر حسن الصوري، الدار الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٨م.
* الإنسان ذلك المجهول: ألكسي سكارليل، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٥م.
* تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، ت٢٨٤هـ، مطبعة الغري، ١٩٤٠م، ج٢.
* التربية الإسلامية: دار إشبيليا، الرياض، ٢٠٠٢م.
* التربية وقضايا المجتمع المعاصر: حافظ فرج أحمد، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٣.
* تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، ابن سينا الحسين بن عبد الله، دار الجوائب، بيروت، ١٢٩٨هـ.
* تعلم القيم وتعليمها: ماجد زكي الجلاد، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م.
* تعلم القيم وتعليمها، ماجد الجلاد، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م.
* التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ابن عبد البر، تحقيق د. بشار عواد وسليم محمد عامر ومحمد بشار عواد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، بيروت، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.
* تنمية القيم التربوية والنفسية للأبناء: السيد أحمد المخزنجي، الهيأة المصرية العامة للكتاب، المكتبة الثقافية، القاهرة، ١٩٩٣م.
* حكمة الصين: فؤاد محمد شبل، دار المعارف، مصر، د. ت.
* دور المرأة في بناء الشخصية المؤمنة خديجة ﵂ أنموذجاً «بين الوعد السماوي والترتيب الأرضي»: د. اكسم فياض، بحث علمي موجود لدى العتبة الحسينية المقدسة للمشاركة في مهرجان مولد السيدة فاطمة الزهراء ﵂ ٢٠٢١.
* الرسول العربي المربِّي، د. عبد الحميد الهاشمي، دار الثقافة للجميع، بيروت، ٢٠٠٦م.
* الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت ط١، ١٤١٠ ه.
* القيم الاجتماعية مدخل لدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية: محمد محمد الزلباني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٧١م
* القيم الإسلامية والتربية:علي خليل مصطفى، دار طيبة، ط١، بيروت، ١٩٨٠م.
* القيم في الإسلام بين الذاتيَّة والموضوعيَّة: صلاح الدين بسيوني رسلان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠م.
* القيم في العمليَّة التربوية: ضياء زاهر، مؤسسة الخليج، القاهرة،١٩٨٤م.
* الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن

أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، ت٦٣٠هـ، تحقيق عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢.

* لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: تحقيق: عامر أحمد حيدراً دار الكتب العلميةاً بيروتاً ط١اً ٢٠٠٥.

* المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي، ت٣٣٣ه، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢.

* المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ت٤٣٠هـ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٦م.

* مفاهيم تربوية وإسلامية: سلطان محمود السيد، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٢م.

* المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ت٩٠٢هـ، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥م.

* من هدي النبوة: مؤسسة البلاغ، طهران، ٢٠٠٤.

* المنهج التربوي القرآني وأثره في إصلاح الفرد: د.مروان صباح ياسين، مجلة مداد الأدب، الجامعة العراقية، عدد خاص بالمؤتمرات، بغداد، ٢٠١٨م.

* النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي: أصولها وبناؤها في القرآن والسنة: زينب رضوان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.

* الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة: د. سعيد بن علي القحطاني، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٣٩٩هـ.

القيم التربوية
في حياة رسول الله ﷺ الأسرية

د. جعفر هاشم جواد الحكيم
طبيب عراقي وباحث في تاريخ ومقارنة الأديان
مقيم في الولايات المتحدة / نيويورك

Educational values in the family life of the Messenger of God (PBUH)

Dr. Jaafar Hashem Jawad al-Hakim

الملخص:

ويتألف من مقدمة وقسمين ويرتكز حول موضوع النبي ﷺ وأزواجه ضمن المحور الثاني من محاور المؤتمر:

تبحث المقدمة عن محورية السيرة النبوية الشريفة، وأهميتها في البناء الوجداني للمسلمين، وتقديم صورة حقيقية ناصعة عن شخصية الإنسان النموذج والقدوة لكل المؤمنين على اختلاف أزمنتهم ومنابتهم وثقافتهم، ويتطرق البحث كذلك للحاجة الماسة إلى استعمال كل وسائل المعرفة الحديثة في إعادة قراءة السنة النبوية المطهرة تحت ضوء نصوص القرآن الكريم.

القسم الأول

يبحث هذا القسم عن القيم والأسس التربوية السامية التي يحتاجها المجتمع لغرض بناء أسرة متكاملة مستقرة وسعيدة، والتي أراد النبي الأكرم ﷺ ترسيخها في المجتمع الإسلامي، من خلال ممارسته الشخصية اليومية في إطار تعامله مع أفراد أسرته والمحيطين به، والتي تعكس خلقه الكريم وإنسانيته العظيمة.

ومن هذا القسم يتفرع البحث إلى استعراض نبذة مختصرة عن مولاتنا السيدة خديجة الكبرى عليها السلام، وعن أبرز ملامح العلاقة التي رسمت صورة لحياتها مع النبي الأكرم عليه السلام والتي استمرت لخمسة وعشرين عاما، وعن طبيعة علاقة النبي ﷺ بها أثناء حياتها، وارتباطه بذكراها بعد وفاتها، مع استعراض لبعض معالم المحبة والوفاء والتقدير، التي رسمت معالم زواجهما المبارك (صلوات الله عليهما).

القسم الثاني

يبحث هذا المحور في الشبهات والاتهامات التي يثيرها خصوم الإسلام حول النبي الأكرم ﷺ بسبب تعدد زوجاته، ويستعرض البحث مجموعة من الأدلة التي تثبت تهافت هذه الفرية وبطلانها. مع الإشارة إلى ردود بعض المؤرخين والباحثين - من غير المسلمين - و دحضهم لهذه الشبهات.

Summary

This is a summary of the article that I am honored to submit in my participation in the Second International Scientific Conference of the Great Prophet (PBUH).

This article consists of an introduction and two sections that focuses on the topic of the Prophet (PBUH) and his wives in the second theme of the conference.

The introduction searches for the centrality of the Prophet's biography and its importance in the emotional consciousness of Muslims, in order to present a true and bright picture of the Prophet's personality (PBUH), who is the model and example for all the believers, regardless of their times, youth, and culture. The article also addresses the urgent need to use all modern tools of knowledge in rereading the purified Sunnah under the textual Light of the Holy Quran.

Section One:

This section searches for the lofty educational values and foundations that society needs for the purpose of building an integrated, stable, and happy family. The Noble Prophet, which reflects his virtuous character and great humanity, strove to establish this well balanced life in the Islamic community through his daily personal practices within the framework of his behavior with his family members.

From this section, the research is divided into a brief overview of our Lady Khadija, peace be upon her, and about the most prominent features of her relationship with the Noble Prophet, which lasted for twenty-five years.

It then continues to explain the nature of the Prophet's relationship with her during her life and his connection with her memory after her death, along with a review of some

milestones of love, loyalty, and appreciation that charted their blessed marriage.

Section Two:

Moving on, this section examines the suspicions and accusations raised by the opponents of Islam about the Noble Prophet's multiple marriages. Pieces of evidence are revealed that prove the invalidity and recklessness of these untruthful claims, with references to the responses of some non-Muslim historians and researchers that refute these false claims.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه النبي الأكرم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين. أمر الباري ﷻ عباده المؤمنين بالاقتداء والاستنان بسيرة نبيه الكريم وسنته المباركة، فقد قال تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾ الأحزاب/ ٢١، ومن أجل تنفيذ أمر الباري تعالى في الاقتداء بنهج النبي الكريم ﷺ والتخلق بأخلاقه العظيمة واتباع سنته العطرة كان لزاما على جميع المسلمين، وعلى مر العصور، البحث والتدقيق والمتابعة لكل ما ورد من أخبار وروايات عن النبي الأكرم ﷺ وما يتعلق بشخصيته الفذة في جميع نواحي حياته الشريفة وعلى كل الأصعدة.

ولا يختلف جميع المسلمين في أن معرفة سيرة رسول الله ﷺ، والاستنان بها تعدّ مكملا من مكملات الإيمان، وفي مدرسة أهل البيت ﷺ نجد هناك تركيزا مكثفا على أهمية معرفة الرسول والأئمة الميامين ﷺ من آله وعدّها من الضروريات للوصول إلى معرفة الله ﷻ، وذلك بالاستناد إلى نصوص كتاب الله، وما صح من السنة النبوية الشريفة، وكذلك الآثار الواردة عن أهل البيت الأطهار ﷺ، ففي القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿**أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ**﴾ المؤمنون/ ٦٩، وفي السنة المطهرة: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) [١]، وفي الأدعية الشريفة: (اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني) [٢].

ولا ريب في أن معرفة سيرة رسول الله ﷺ تكتنز الكثير من الفوائد التي من أهمها تحقق إمكانية الاقتداء به ﷺ، إذ لا يمكن اتباعه والاقتداء بنهجه

الشريف من دون معرفة سيرته، بالإضافة إلى فوائد أخرى عديدة من بينها:

- زيادة محبته ﷺ والشوق للقائه، فكلما قرأ المسلم في حياة رسول الله ﷺ وعرف سيرته ونواحي العظمة في شخصيته ازداد له حباً وشوقاً.
- الوقوف على تطبيق أحكام الدين، وذلك من خلال معرفة سلوكيات النبي ﷺ وتصرفاته في كل مناحي الحياة.
- ترسيخ الإيمان وتمتينه في نفس المؤمن بالوقوف على دلائل صدق نبوته ومعجزاته والمواقف العظيمة في حياته ﷺ.

إن السيرة النبوية العطرة تمثّل أعظم كنوز تراثنا، إذ هي لا تتناول رجلًا عاديًا، بل إنها دراسة لتاريخ أعظم مخلوق وُجِدَ على ظهر هذه الأرض منذ آدم إلى يوم القيامة. وهي دراسة لحياة رجل وصفه رب العزة بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم/ ٤.

وعلى الرغم من أن دراسة سيرة الرسول الأكرم ﷺ وحياته مهمة وضرورية على مر العصور والأزمنة، لكنها في زماننا الحالي أكثر أهمية وأعظم ضرورة؛ نظرا لتردي واقع الأمة وفي كل المجالات؛ ولا سيما الاجتماعية والأخلاقية منها.

ومن هنا تأتي أهمية تطوير الدراسات العلمية الرصينة وتكثيف الجهود البحثية من أجل إبراز الصورة الحقيقية الناصعة لشخص النبي الأكرم ﷺ لكي تكون لنا ولأبنائنا وجميع الأجيال قدوة ونبراسا يضيء للجميع دروب الحياة، فهو الإنسان الذي تفوق في كل المجالات مطلقًا؛ تفوق في عبادته، وفي معاملاته، وفي شجاعته، وفي كرمه، وفي حلمه، وفي زهده، وفي تواضعه، وفي حكمته، وفي ذكائه، وفي كل شيء، فهو الإنسان الكامل الذي أحبَّه الله تعالى واصطفاه، وأكرمه واجتباه، وجعله نوراً يهدي إلى صراط مستقيم.

لقد كان النبي ﷺ قدوةً كاملةً في جميع جوانب سيرته، إيمانيًّا وعباديًّا وخُلقًا وسلوكًا وتعاملاً مع غيره، وفي جميع أحواله، كانت سيرته مثاليةً للتطبيق على أرض الواقع، ومؤثرةً في النفوس البشرية؛ فقد اجتمعت فيها صفات الكمال وإيحاءات التأثير البشري، واقترن فيها القول بالعمل، ولا ريب أن القدوة العملية أقوى تأثيرًا في النفوس من الاقتصار على الإيحاء النظري؛ ولهذه العلة أرسل الله تعالى الرسل لكي يخالطهم الناسُ ويقتدون بهداهم، وأرسل الله سبحانه الرسولَ ﷺ ليكون للناس أسوةً حسنةً يقتدون به، ويتأسون بسيرته: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**﴾ الأنعام/ ٩٠.

في هذا البحث الذي يتناول جانبا واحدا من جوانب شخصية النبي الأكرم ﷺ العظيمة، لن يكون حديثنا عن النبي القائد، ولا عن الرسول المجاهد، أو المصلح العظيم، وإنما سيكون الحديث عن محمد ﷺ الزوج ورب الأسرة. وسيتألف البحث من محورين رئيسين:

الأول: سيرة النبي الأكرم ﷺ في حياته الأسرية وأخلاقه وطريقة تعامله مع أفراد أسرته الكبيرة.

الثاني: سبب تعدد زوجات النبي ﷺ والدوافع التي تقف خلف هذا التعدد وأثر ذلك في حياته الشريفة. مع التوقف عند الزواج الأول للنبي الأكرم ﷺ وارتباطه بالسيدة خديجة الكبرى عليها السلام، وأثر ذكراها في نفس النبي الأكرم ﷺ.

إن البحث في هذا الجانب المهم من جوانب حياة النبي الأكرم ﷺ يمثل أهمية كبيرة؛ لأنه يتناول أمورًا عديدة مهمة جدا تتعلق بحياة هذا الإنسان العظيم وشخصيته، فبالإضافة إلى ما يتضمنه البحث في هذا الجانب من الاطلاع على الصور المشرقة لأخلاق النبي الأكرم ﷺ داخل

بيته وسجاياه العظيمة في تعاملاته مع أفراد أسرته، و مما لا شك فيه، فإن الصور التي ترسمها لنا الأخبار الواردة عن شخصية الرسول الكريم ﷺ من خلال تعامله وأخلاقه مع أفراد أسرته وفي حياته الخاصة، تعدّ من أهم وأصدق الصور التي ترسم لنا المعالم الكاملة لتلك الشخصية العظيمة، حيث تعكس لنا أعظم جوانب أخلاقه وأجلها من خلال معرفة سلوكه وطباعه في بيته مع أهله وخدمه وذريته، لأن البيت هو المحك الحقيقي الذي تتجلى فيه أخلاق المرء على سجيتها، حيث يضعف تأثير التصنع والتجمل والتكلف.

كذلك فإن البحث في حياة النبي الأكرم ﷺ الأسرية يشتمل أيضا على أهمية قصوى في الرد على اتهامات وتخرصات خصوم الإسلام الذين حاولوا وما زالوا يحاولون النيل من هذا الدين العظيم من خلال الطعن بشخص نبيه الكريم ﷺ عن طريق كيل الاتهامات الرخيصة وطرح أكبر قدر ممكن من التخرصات والشبهات المتهافتة بغرض صناعة صورة وهمية للنبي العظيم ﷺ تظهره كأنه شخص شهواني، لا صبر له عن النساء، يحرص على جمع عدد كبير من الزوجات لإشباع رغباته الشخصية، بالاضافة إلى تهم أخرى ساذجة، يحرص دائما خصوم الإسلام على تكرار ترديدها بشكل مكثف من أجل غرس انطباع زائف فيه تشويه متعمد لشخص النبي الأكرم ﷺ، كما نجده في كتابات بعض المستشرقين، وكذلك في أطروحات معظم القنوات التبشيرية الموجهة إلى الجمهور المسلم.

بالإضافة إلى ما تقدم، فإن البحث في هذا الجانب من حياة رسول الله ﷺ يشتمل أيضا على أهمية أخرى عظيمة، إذ إن البحث في هذا الموضوع لا بد أن يتناول التقاطع والتداخل ما بين بشرية محمد بن عبد الله ﷺ وكونه رسول الله وخاتم النبيين الذي لاينطق عن الهوى. لقد أكدت آيات

القرآن الكريم وفي أكثر من مناسبة على بشرية النبي ﷺ، وجاء التأكيد في آيات واضحة ومباشرة وبكلمات صريحة، قال تعالى: ﴿**قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا**﴾ الإسراء/ ٩٣، ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ سورة فصلت/ ٦، ولعل من أبرز الآيات التي توضح بشرية النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ الأعراف/ ١٨٨.

هذه الآيات المباركة توضح لنا بشكل مباشر أن حياته تسير بأمر الله، ولو لم يكن بشراً، لعلم الغيب، واستكثر من الخير، وابتعد عن كل سوء، وحياة الرسول ﷺ كما هو معروف - كانت ممتلئة بالابتلاء من البداية حتى النهاية.

وعندما نبحث في حياة محمد (الإنسان) و(النبي) ﷺ، محمد (الزوج) الذي ظلل بيته العديد من النساء الكريمات، يختلفن في أنماطهن وأعمارهن ومستوى ثقافتهن، ويختلفن أيضا في المستوى الاجتماعي وفي أصولهن ومنابتهن المتباعدة، اللائي شاركنه حياته الوجدانية ثم حياته العملية، فإن هذا النوع من البحوث الذي يتطلب الفصل بين شخصيته زوجاً ورجلاً، وشخصيته نبياً ورسولاً، يعدّ من البحوث الصعبة؛ فقد كان الرسول محمد ﷺ حريصاً دوماً على تذكير الناس بأنه بشر، يسكن إلى زوجه، ويشغل بالأبناء، ويعاني مثل الذي يعانيه بنو آدم من حب وكره، ورغبة وزهد، وخوف وأمل، ويجري عليه ما جرى على سائر البشر من تعب ويُتم وثكل، ومرض وموت، ويزيد من دقة الأمر وصعوبته، أن ترى الشخصيتين فيه غير منفصلتين.

فلم يدع الله سبحانه وتعالى للرسول ﷺ حياته الخاصة يتصرف

فيها كيف يشاء، وإنما كان ﷺ يتلقى من حين لآخر أوامر ربه في أخص الشؤون الزوجية، وتخضع علاقاته بنسائه إلى توجيه سماوي صريح أحياناً، ولعل من أبرزها (محنة الإفك) التي لم يحسمها إلا نزول الوحي، وزواج النبي ﷺ من السيدة (زينب بنت جحش) وما فيه من غاية تشريعية بتحريم التبني الذي كان من الأعراف السائدة في ذلك الوقت.

وعلى الرغم من صعوبة الفصل بين صفة (البشرية) وصفة (النبوة) في حياة الرسول محمد ﷺ الزوجية، لكن يبقى هذا الأمر مهما جدا، وإن كان شاقا؛ وذلك من أجل تقديم صورة إنسانية للحياة الزوجية لنبينا الكريم ﷺ، وللكيفية التي كان يواجه بها مواقف زوجاته، بما تحمله من غيرة، ومشاكل لا يخلو منها كل بيت، حيث كان ﷺ يحرص دائما على التعامل في بيوت زوجاته بشكل إنساني، فلم يثبت في الأثر أنه تفاخر على إحدى زوجاته بكونه رسولاً نبياً، بل كانت حياته وتعاملاته معهن بشرية إنسانية، في غاية الروعة والسمو تعكس صورة إنسانية مشرقة توجب على الآخرين الاقتداء بها.

أخلاق النبي الأكرم ﷺ في تعامله مع أفراد أسرته:

ما من أحد من العظماء إلا وله نواحٍ يحرص على سترها، وعلى كتمان أمرها، ويخشى أن يطلع الناس على خبرها، نواحٍ تتعلق بشهوته أو ترتبط بأسرته، أو تدل على ضعفه، وأما محمد ﷺ هذا النبي العظيم فقد كشف حياته للناس جميعا، فكانت كتابا مفتوحا ليس فيه صفحة مطبقة، ولا سطر مطموس، يقرأ فيه من شاء ما شاء، أذن لأصحابه أن يذيعوا عنه ما يكون منه، وأن يبلغوه، فرأوا كل ما رأوا في ساعات الصفاء، وفي ساعات الضعف البشري، وفي ساعات الغضب، وفي ساعات الرغبة والانفعال، وفي جميع الأحوال، روى أهل البيت عليهم السلام والصحابة عن النبي ﷺ ذلك كله،

وأزواجه أمهات المؤمنين روين عنه أموره الخاصة في بيته؛ لأن فعله كله دين وشريعة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الأحزاب/ ٢١.

وصف الله الزواج، وطبيعة العلاقة بين الزوجين، بأنها تقوم على المودة والرحمة والسكينة، في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءايَـٰتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم/ ٢١، ولقد مثَّل النبي ﷺ في حياته المليئة بالالتزامات أفضل زوج في التاريخ، فلم تمنعه كثرة أعماله ومشاغله من إعطاء أزواجه حقوقهن الواجبة عليه، مع أنه كان مؤسساً لدولة ولمجتمع، وراعيا للأمة، ومبلغاً للرسالة، ومعلماً للناس، إلا أن هذه الأعمال كلها لم تحلْ بينه وبين أزواجه.

لقد كانت سيرة النبي ﷺ الأسرية عظيمة من جميع النواحي، وكانت عشرته لأزواجه في غاية السمو والنبل، وحسن الخلق، وكريم السجايا، لقد مثَّل المصطفى ﷺ صورة المعاشرة مع أهله في أبهى حُلَلِها؛ فكان ﷺ خير زوجٍ لخير أهل، كيف لا وهو القائل: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) [٣]، والقائل أيضا: (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا)، و(خياركم خياركم لنسائهم) [٤].

إن هذه الأحاديث النبوية المتقدمة تتضمن أهمية كبيرة؛ لأنها تظهر لنا أن النبي الأكرم ﷺ قد وضع مقياسا لخيرية الرجال وكمال إيمانهم، وهذا المقياس يقوم على خيرية أخلاق الرجل وسلوكه في بيته مع زوجته وأفراد أسرته، الأمر الذي يبين مدى اهتمامه ﷺ بالأسرة واستقرارها وتقوية أواصر الألفة والمحبة بين أفرادها، من أجل ضمان بناء أسرة قوية مترابطة، تغمرها السعادة والتراحم.

لقد حبا الله تعالى نبيَّه أكمل الأخلاق وأنبل الصفات؛ فكان ﷺ

لنسائه الزوج الحبيب، والمعلم المخلص والموجِّه الناصِح، والجليس المؤانِس؛ كان ﷺ يمازح نساءه في السرَّاء، ويواسيهنَّ في الضرَّاء، كان يسمع شكواهنَّ، ويكفكف دموعهنَّ، لا يؤذيهنَّ بلسانه، ولا يجرح مشاعرهنَّ بعباراته، يتحمَّل منهنَّ ما يصدر من تجاوزات أحيانا، وما ضرب بيده امرأةً قط. لا يتصيَّد الأخطاء، ولا يتتبَّع العثرات، ولا يضخِّم الزلاَّت، ولا يُديم العتاب. يتحمَّل الهفوة، ويتغاضى عن الكبوة. قليل الملامة، كثير الشكر والعرفان. ينظر إلى أحسن طباع المرأة، ويظهر حبه بهذا، ولا غرو في ذلك؛ فهو القائل: (لا يَفْرَكُ - أي لا يبغض- مؤمنٌ مؤمنةً، إن كَرِه منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخر) [٥].

وهذا الحديث الشريف يكتنز توصية عظيمة تضمن استمرار المودة والمحبة بين أفراد الأسرة، توصية للزوج بأن يغض الطرف عن بعض عيوب زوجته أو سلبياتها، وأن ينظر إلى ما فيها من المحاسن، والإيجابيات. وهذه قاعدة عظيمة في التعامل مع الزوجة، بل في التعامل مع جميع الناس، وهي أن الإنسان يغض الطرف عن المساوئ والعيوب، ويركز على المحاسن وعلى الإيجابيات في الإنسان الذي يتعامل معه، فإنه بذلك تستقيم الأمور، وأما من كان يدقق ويحقق ويحاسب على كل صغيرة وكبيرة، ويركز على العيوب، ويغض الطرف عن المحاسن، فإنه لن يهنأ بحياته الزوجية، التي لن تستقيم له، بل سيكون في حالة قلق وتوتر دائم مع الآخرين حتى مع أولاده ومع والديه ومع أصدقائه، ومع الناس جميعا؛ لأن كل إنسان فيه عيوب، وكل إنسان لديه مساوئ، فإذا كان الإنسان سيركز في من يتعامل معه على هذه العيوب، وعلى هذه المساوئ، فلن يجد له صديقا وسيبقى يعيش في توتر وتعاسة، يشتكي من حال الناس، ومن تغير الناس، ونحو ذلك، من غير أن يتنبه إلى أن المشكلة تكمن في تعامله هو، فينبغي - إذن

- أن يغض الطرف عن المساوئ وعن العيوب، وأن يركز على الإيجابيات والمحاسن، سواء كان هذا مع الزوجة أم مع الأولاد أم مع الناس جميعا، فإن هذه قاعدة عظيمة من قواعد التعامل مع الآخرين، وقد أشار إليها ربنا - عز وجل- في قوله: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ الأعراف/ ١٩٩.

لقد كان النبي الأكرم ﷺ حريصا على أن يكون هو أول من يطبق تلك الوصايا والتعاليم الرائعة التي كان يوجهها لأفراد أمته، فكان بحق هو النموذج الناصع والقدوة الحسنة لكل المسلمين وعلى مر العصور، في التزام أرقى أنواع السلوك وأجمل الأخلاق في التعامل مع الزوجة وبقية أفراد الأسرة.

إن المشاهد التي دوَّنتها كتب السنَّة النبوية، وما حفظته لنا من صور رائعة لعشرة النبي ﷺ مع أهل بيته تظهر لنا بشكل جلي عظمة الخُلُق، وبساطة الحياة، ومثاليَّة القِوامة في شخصية رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

لم يكن نبيُّنا ﷺ تشغله قيادة الأمَّة وهمُّ دعوة الناس وإصلاح المجتمع عن إعطاء أخصِّ قراباته برّه وكريم خُلُقه، لقد رأى الناس لين المصطفى ﷺ وسماحة تعامله، حتى شهد له ربه بذلك فقال عنه: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ آل عمران/ ١٥٩، ولقد بلغ هذا اللين أقصى درجاته في تعامله صلوات الله عليه مع أهل بيته، فقد كان خير الناس وخيرهم لأهله وخيرهم لأمته، من طيب كلامه وحُسن معاشرة زوجته بالإكرام والاحترام. وتخبرنا شهادات زوجات الرسول محمد ﷺ عن صفاته النبيلة، وعن أسلوب حياته وتعاملاته مع أسرته، ولعل من أهم تلك الآراء شهادة أم المؤمنين السيدة

خديجة (صلوات الله وسلامه عليها) فهي الوحيدة التي شهدته مجرد رجل وزوج، قبل أن يكون رسولاً نبياً، فكانت تقول: (والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين نوائب الحق)[٦].

لقد كانت حياة النبي محمد ﷺ في بيته رائعة في بشريتها، فقد كان يؤثر أن يعيش بين أزواجه رجلاً ذا قلب وعاطفة ووجدان، ولم يحاول - إلا في حالات الضرورة القصوى - أن يفرض على نسائه شخصية النبي، وتذكر الأحاديث الكثيرة المروية عن زوجاته أنه ﷺ كان زوجاً حنوناً رحيماً يعطف على أزواجه ويرحمهن ويحرص على المحافظة على الابتسامة وهو معهن، ويعاملهن بأحسن معاملة، بأخلاق نبوية كريمة، امتثالا لأمر الله تعالى في قوله عز من قائل: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ النساء/ ١٩، وكما هو معلوم فإن حسن معاشرة الرجل لزوجته وحسن خلقه معها، تعدّ من أعظم مقاييس كمال الإيمان وسلامة الدين.

وقد ضرب لنا الرسول محمد ﷺ (الزوج) أفضل الأمثلة في المعاشرة بالمعروف، على الرغم من كل ما قابله من مشاكل بين الزوجات بسبب الغيرة الشديدة بينهن، فقد كان عظيم الحلم والصبر مع أهله، يلتمس العذر لهن ويغض الطرف عنهن، ونجده حتى في أصعب هذه المواقف يتصرف باللين أحياناً، والتسامح وإبداء النصح أحيانا أخرى، بل نجده حتى في المواقف التي يتضايق منهن أحياناً يحرص وبشكل لافت على عدم جرح مشاعرهن، وأحياناً أخرى كان يأتي التنبيه على الزوجات من الله ﷻ مباشرة في آيات صريحة.

وقد حرص الرسول ﷺ على التنبيه والتأكيد على حسن معاملة الزوجات، في أحاديث كثيرة منها: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً،

وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً)، (إنما النساء شقائق الرجال ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم) [٧]، وقال: (أكمل المؤمنين إيماناً، وأقربهم مني مجلساً، ألطفهم بأهله) [٨]. وفي حجة الوداع قال الرسول محمد ﷺ: (استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع... فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن) [٩].

ونلاحظ في الحديث الشريف في حجة الوداع أن الرسول ﷺ كما ذكر حق الرجال على النساء، ذكر حق النساء على الرجال، ولم يؤثر أحداً على أحد، فجعلهما سواء.

بعض الصور المشرقة من سلوك النبي ﷺ داخل بيته وأخلاقه مع أفراد عائلته:

تؤكد لنا الروايات الكثيرة عن رسول الله ﷺ أنه كان يحرص - وبشكل دائم عندما يكون في بيته - على القيام بخدمة نفسه ﷺ إراحة لأهله وتخفيفا عنهم ومشاركة لهم. وعندما توجه المسلمون إلى زوجة النبي السيدة عائشة بالسؤال عن ماذا كان يصنع رسول الله ﷺ في بيته؟ أجابت بقولها: (كان رسول الله ﷺ أَلْيَنَ الناس، وأكرم الناس، كان رجلاً من رجالكم؛ إلا أنه كان ضحَّاكاً بسَّاماً، كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ) [١٠]. وفي رواية أخرى تقول: (كان يكون في مهنة أهله «يعني في خدمة أهله» فإذا حضرت الصلاة خرج إلى المسجد) [١١].

وكذلك ورد في رواية ثالثة أنه صلوات الله وسلامه عليه: (كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته، كما يعمل أحدكم في بيته، وكان بشرا من البشر يحلب شاته، ويخدم نفسه) [١٢].

إن هذه الروايات تعكس لنا بعض الجوانب المشرقة في شخصية النبي الكريم ﷺ، وتعرفنا على بعض شمائله الطيبة وأخلاقه العظيمة التي تبين لنا إنسانية هذا الرجل العظيم. فقد كان ﷺ حريصا على الاحتفاظ بابتسامته الدائمة وهو في بيته مع أفراد أسرته، حيث كان (ضحاكا، بسّاما) يدأب على الاحتفاظ بجو الفرح والضحكة والسرور في البيت؛ لما في هذا الأمر من تأثير مهم جدا في إشاعة السعادة والاستقرار بين أفراد الأسرة جميعا.

وتظهر لنا الروايات المتقدمة - أيضا - جانبا مهما آخر من الجوانب الرائعة في شخصية الرسول الكريم، وهو حرصه ﷺ على مساعدة أهل بيته عليهم السلام ومشاركتهم في الوظائف المنزلية؛ لما لهذا السلوك من أثر عظيم في نفسية الزوجة.

لقد كانت بيوت النبي ﷺ عبارة عن حجرات صغيرة المساحة، لا تتجاوز بضعة أمتار قليلة، وكانت هذه البيوت بسيطة التأثيث، شبه خالية، لا يوقد فيها النار لطهي الطعام وطبخه إلا مرة في الشهر أو الشهرين، حيث كان النبي ﷺ وأفراد أسرته يكتفون في أغلب الأوقات بالأسودين (الماء والتمر)، ومع ذلك نجد نبينا العظيم ﷺ هذا الإنسان الذي قارب عمره الشريف في ذلك الوقت العقد السادس، عندما يأوي إلى بيته وهو مثقل بأعباء تكليف النبوة وأداء الرسالة، والمباشرة في توجيه المجتمع والمساهمة في حل المشاكل الطارئة بين أفراد أمته، نجده على الرغم من كل هذه المتاعب والأعباء يحرص على أن يكون إلى جانب زوجاته في أداء

مهام وظائفهن في البيت مهما كانت تلك المهام بسيطة؛ حرصا منه ﷺ على غرس شعور المشاركة والمودة والتقارب بينه وبين زوجاته، وذلك نظرا لأهمية المشاركة مع المرأة في بيتها، ولما لها من أثر مهم في بناء المودَّة وزرع الأُلْفَة، وإدامة استمرارية الحياة الزوجية حيَّةً دفَّاقةً؛ لأن المرأة حين ترى زوجها قريباً منها، يحمل عنها شيئاً من عبئها؛ فإنه يكبر في عينها بقدر تواضعه، ويعظم في نفسها بقدر بساطته.

لقد كان رسول الله ﷺ عطوفا حانيا على جميع أفراد أسرته، يحرص دائما على إظهار الاحترام والتقدير المناسب لكل فرد من أفراد أسرته الكبيرة، فعندما تدخل عليه ابنته العزيزة مولاتنا السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، كان يقوم لها احتراما وتقديرا كما ورد في الأحاديث المتعددة بهذا الشأن: (كانت إذا دخَلَتْ عليه قام إليها، فأخَذَ بيدِها وقبَّلَها وأَجْلَسَها في مجلسِه، وكان إذا دخَلَ عليها قامت إليه، فأَخَذَتْ بيدِه فقَبَّلَتْه وأَجلَسَتْه في مجلسِها) [١٣].

إن هذا الهدي المبارك لنبينا الكريم ﷺ يبين لنا أهمية إظهار علامات المحبة والتقدير والاحترام للآخرين، وتكريسه بوصفه سلوكا وتصرفا، وليس الاكتفاء به بوصفه مشاعر أو عواطف فقط. وهذه الحالة تعدّ من السلوكيات الرائعة اللافتة في سيرة هذا الإنسان العظيم، حيث كان يحرص دائما على ترجمة مشاعره وعواطفه تجاه الآخرين إلى أفعال أو أحيانا أقوال تظهر محبته وعطفه لهم، فقد كان ﷺ - مثلا - يحرص دائما على التعبير عن محبته لزوجته السيدة خديجة عليها السلام حتى بعد انتقالها إلى جوار ربها بسنين طويلة، إذ نجده ﷺ يحرص على التصريح بحبه العظيم لها، من خلال تكرار قوله: (إني رزقت حبها) [١٤].

وشبيه بهذا السلوك الرائع نجده أيضا يتكرر في علاقة نبينا الأكرم ﷺ مع سبطيه الحسن والحسين عليهما السلام، حيث كان ﷺ يحرص دائما على إظهار

محبته وعاطفته نحوهما وبشكل متكرر من خلال تقبيلهما ومعانقتهما وحملهما على أكتافه الشريفة، وغيرها من التصرفات الكثيرة التي تظهر مدى حبه ﷺ لحفيديه وتعلقه بهما، والأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام بهذا الشأن كثيرة جدا.

ولم تقتصر محبة النبي الأكرم ﷺ وعاطفته العظيمة على من يتصلون به بقرابة نسبية، وإنما كانت تتسع لتشمل الجميع، حيث كانت مظلة حبه وحنوه وعطفه تظلل كل الأشخاص الذين يعيشون تحت كنفه ويتمتعون برعايته الكريمة، فهذه (زينب) بنت السيدة (أم سلمة) التي كانت طفلة صغيرة يتيمة، تعيش في بيت النبي الأكرم ﷺ وتستظل برعايته وكفالته لها ولبقية إخوتها الأيتام، كان النبي الأكرم ﷺ يحرص دائما على مداعبة هذه الطفلة اليتيمة لكي يدخل الفرح إلى قلبها ويرسم البسمة والضحكة على وجهها، حيث كان يناديها ضاحكا: (يا زينب - يا زوينب)، وكان يداعبها مازحا بأن ينضح ماء وضوئه الشريف على وجهها. وقد حلّت بركة رسول الله ﷺ على هذه السيدة الفاضلة، حيث إنها توفيت لاحقا وقد تجاوزت سن الثمانين من العمر، من دون أن تظهر على وجهها أي علامة من علامات الكبر والشيخوخة [١٥].

ومن الصور الأخرى التي تعكس عطف النبي ﷺ وحنانه على جميع الأفراد الذين يعيشون بالقرب منه، أننا نجد الروايات المتواترة تؤكد أنه ﷺ (ما ضرب امرأة له قط) [١٦]، فلقد كان ﷺ سمحا سهل الخلق حتى ان (أنس بن مالك) الذي خدمه عشر سنين يروي أنه ما عاتبه ﷺ على شيء قصر فيه ولا بكلمة (أف) التي هي أيسر كلمة وأخفها في الدلالة على التضجر [١٧].

وفي هذا الإطار لا بد من استذكار قصة الصحابي الشهيد (زيد بن

حارثة) الذي عاش في بيت النبي الأكرم ﷺ بمكة وتلمس منه عاطفة ومحبة كانت له عوضا عن الأهل والوالدين. وعندما جاء والد زيد وعمه إلى رسول الله ﷺ لكي يستردوه ويعيدوه إلى ديارهم، وعند طلبهم ذلك من رسول الله ﷺ قام بتخيير زيد بينه وبين والده وعمه، فوقع اختيار زيد على رسول الله ﷺ وفضله على أهله، فغضب منه والده بقوله له: أتفضل العبودية على الحرية؟!. فرد عليه بأنه وجد عند رسول الله ﷺ معاملة حسنة لم يجدها عند أحد قط [١٨].

ومن الأخبار التي تبين لنا عطف النبي الأكرم ﷺ وحنانه على أفراد أسرته، وحرصه على إظهار المواساة والتعاطف معهم عندما يشعرون بالضيق أو الحزن، هذه الرواية التي أوردها النسائي في سننه: (كانت زوجة النبي السيدة صفية مع رسول الله ﷺ في سفر، وكان ذلك يومها، فأبطأت في المسير، فاستقبلها رسول الله ﷺ وهي تبكي وتقول: حملتني على بعير بطيء، فجعل الرسول ﷺ يمسح بيديه عينيها، ويسكتها).

ومن المؤشرات الأخرى الدالة على حنو النبي ﷺ وعطفه، نجده ﷺ على الرغم من تعدد مسؤولياته الشاقة، لكنه لا يغفل عن الظروف الخاصة لكل فرد من أفراد أسرته الواسعة، ويحرص على توفير مستلزمات الراحة وظروف الاستقرار لهم، فرغم أن جميع نساء النبي ﷺ كنّ يسكنّ في بيوت هي عبارة عن حجرات صغيرة ملاصقة للمسجد النبوي الشريف، لكننا نجد أن النبي الأكرم ﷺ قد أفرد للسيدة (مارية القبطية) سكنا خاصا في منطقة (العالية) وهي منطقة تقع في ضواحي المدينة، والسبب في ذلك هو أن تكون السيدة (مارية) قريبة من أختها (نسرين) التي كانت عند الصحابي (حسان بن ثابت)؛ وذلك مراعاة من النبي الأكرم ﷺ لظروف الغربة عن مجتمع المدينة التي كانت السيدة (مارية) تعيش في

أجوائه، فكانت التفاتة النبي ﷺ الحانية للتخفيف من ألم الغربة عن طريق نقل سكنها إلى مكان قريب من سكن أختها [١٩].

ومن السجايا الكريمة الأخرى للنبي الأكرم ﷺ في سلوكه مع زوجاته الكريمات حرصه ﷺ على أن يكون بأحسن مظهر وأبهى صورة أمامهن، وعدّ ذلك حقّا من حقوق الزوجة على زوجها، فقد كان يؤثر أن يتطيب لزوجاته، وأن لا يرين منه سوى الطيب، وقد سُئِلَتْ السيدة عائشة: (بأي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك) [٢٠].

ولعل من أبرز الدلائل على ذلك الواقعة الشهيرة بواقعة (المغافير) والمتعلقة بأكله العسل في منزل السيدة (زينب بنت جحش)، فقد شرب ﷺ مرة عسلاً عند السيدة زينب كان أُهدي إليها وكان يحبه، فأغرت عائشة به بعض نسائه فتظاهرن على الكيد له، حتى لا يعود إلى شرب العسل عندها، بأن تواطأن على أن ينكرن رائحته مما شرب ففعلن، وكان شديد الكراهة للرائحة الخبيثة فامتنع عن شرب ذلك العسل عندها وحرّمه على نفسه. (سُمِعَ عن عائشة تخبر أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا قالت: فتواطيت أنا وحفصة أن أيتنا ما دخل عليها النبي ﷺ فلتقل إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟، فدخل على إحداهما فقالت ذلك له، فقال: بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود له) [٢١].

وتحدثنا سيرة النبي الأكرم ﷺ بأنه كان حريصا على مراعاة ظروف النساء بشكل عام، وكان يهتم بتعليم المسلمين التماس الوسائل التي تدخل السعادة عليهن، من خلال الالتفات إلى مشاعرهن ومراعاة اهتمامهن واحترام خصوصياتهن، فقد كان ﷺ عندما يكون في سفر مع المسلمين، يحرص على تعليم أتباعه أن لا يباغتوا نساءهم حين العودة من السفر،

ويحرص على أن يعلم أهله بموعد وصوله، فقد كان مرة في غزوة، فلما قفل منها راجعاً ووصل الجرف قال: (لا تطرقوا النساء تغترون)، وبعث راكباً إلى المدينة يخبرهم أن الناس يدخلون بالغداة.

إن حرص الرسول الأكرم ﷺ على فعل ذلك كان لأجل أن تستعد النساء لاستقبال أزواجهن وأن لا تنتهك خصوصياتهن بشكل مفاجئ، وهذا الأمر كما هو معلوم قد يتسبب بالضيق والحرج لمعظم النساء، فعن جَابِرِ بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه قال: (كنا مع رسول الله في غَزَاةٍ، فلما قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ، فقال: أَمْهِلُوا حتى نَدْخُلَ لَيْلًا - أَيْ عِشَاءً -كَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ، وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ) ٢٢.

تعامل النبي الأكرم ﷺ مع المشاكل الأسرية:

لقد كان رسول الله ﷺ يعيل أسرة كبيرة، تتكون من زوجات عديدة يختلفن في أعمارهن وفي خلفياتهن الاجتماعية، وفي درجة الوعي وأنماط السلوك، ومن الطبيعي في أسرة كبيرة كهذه أن تنشأ أحيانا بعض المشاكل لدواعي التنافس أو الغيرة وما شابه ذلك. لقد كان هدي النبي ﷺ في حياته الأسرية في تعامله مع الخلافات يعتمد على أسلوب احتواء الموقف، وتطويق الخلاف وعدم تكبيره أو تأجيجه، والتعامل مع الموقف بحكمة وسعة صدر، مع تجنب أن يكون الرد هو مجرد استجابة للفعل برد فعل معاكس.

إن هذا الهدي النبوي المبارك لهو أسلوب رائع ومتحضر في مواجهة المشاكل الأسرية والمحافظة على كيان العائلة ومنع انهيارها وتفككها بسبب مشاكل بسيطة قد يؤدي التعامل الخاطئ معها إلى الطلاق والانفصال. فلو درسنا معظم حالات الطلاق نجد أن أسبابها في البداية كانت أمورا تافهة، وأمورا بسيطة، لكن تلك الأمور البسيطة قد كبرت، نتيجة تأجج

الخلاف، حتى تؤدي في النهاية إلى انهيار الأسرة.

ونذكر بعض المواقف التي حصلت للنبي ﷺ، وكيف تعامل معها؛ فقد جاء في الصحيح أن النبي ﷺ: (كان يوما عند زوجته عائشة ومعه ضيوف من أصحابه فأرسلت زوجته أم سلمة طعاما مع غلام، وكان اليوم يوم عائشة، فلما فتح النبي ﷺ الباب إذا بهذا الغلام قد أتى بهذا الإناء وفيه طعام، وقال: إنه من زوجتك فلانة فأخذت عائشة الغيرة الشديدة، كيف ترسل زوجته له طعاما وهو عندها، فمن شدة غيرتها رفعت يدها على هذا الإناء فكسرته، فتناثر الطعام على الأرض). (تقول أم سلمة: أتيت بطعام في صحفة لي إلى رسول الله ﷺ، وأصحابه، فقال: من الذي جاء بالطعام؟ فقالوا: أم سلمة، فجاءت عائشة بحجر ناعم صلب ففلقت به الصحفة فجمع النبي بين فلقتي الصحفة وقال: كلوا، يعني أصحابه، كلوا غارت أمكم، غارت أمكم، ثم أخذ رسول الله ﷺ صحفة عائشة فبعث بها إلى أم سلمة وأعطى صحفة أم سلمة لعائشة) [٢٣].

لقد كان موقف النبي ﷺ من هذا التصرف، المثير للاستغراب، في غاية الحكمة وقمة الصبر والتحمل، لم يغضب ﷺ، ولم يؤجج الموقف، بل تفهم مشاعر زوجته، وقال: (غارت أمكم)، أي عرف أن السبب هو الغيرة الشديدة التي حصلت منها، وعذرها على ذلك، قال: (غارت أمكم) وسكت ثم جعل يجمع الطعام في إناء من أواني عائشة السليمة، فلما جمع هذا الطعام في هذا الإناء أعطاه الخادم، وقال: (طعام بطعام، وإناء بإناء) ثم انتهى هذا الموقف.

لقد احتوى نبينا الكريم ﷺ هذا الموقف المستفز بحكمته وصبره، فلم يكبر الموضوع، ولم يدخل مع زوجته في خصام، ولم يُهِنْهَا أو يجرحها على الرغم من أن تصرفها كان فيه تجاوز مرفوض، ولم يدخل معها في مشاكل

بسبب هذا الموقف مع أن الذي فعلته أمر كبير، فقد كسرت الإناء، وتناثر الطعام بين يدي النبي ﷺ، لكنه تفهم السبب الذي دعا عائشة إلى هذا التصرف، وهو الغيرة الشديدة.

موقف آخر حصل لزوجة النبي ﷺ السيدة صفية بنت حيي التي كان أبوها (حيي بن أحطب) من سادات اليهود، وقد أصبحت من أمهات المؤمنين بعد زواج النبي ﷺ منها، وكان يأخذ بعض أزواج النبي ﷺ منها الغيرة، فذات مرة قالت (حفصة بنت عمر) عن صفية: إنها بنت يهودي، فبلغ ذلك صفية فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ قالت: زوجتك (حفصة) قالت عني إني بنت يهودي.

تعامل النبي الأكرم ﷺ مع هذا الموقف بأسلوب راقٍ وتصرف إنساني حكيم وعظيم، جبر خاطر صفية أولا بكلمات، قال: (إنك بنت نبي، وعمك نبي، وزوجك نبي)، وهذه أوصاف عظيمة، فجبر خاطرها بهذه الكلمات الطيبة، وسرّها كثيرا ما سمعت من النبي ﷺ، لكنه ﷺ لم يسكت عن الخطأ، نبه زوجته (حفصة) على خطئها، قائلا: (يا حفصة اتقي الله كيف تقولين لها هذا الكلام؟) [٢٤].

وتخبرنا الروايات الواردة عن سيرته ﷺ أنه كان يتحمل نوبات غضب زوجاته، ويتعامل مع الزوجة بهدوء، ويحاول أن يهدئ منها، وكان يعلم أن هذا يتطلب الصبر والتحمل وطول البال، فقد ورد عنه ﷺ أنه كان يقول لزوجاته: (إن أمركن لما يهمني بعدي، ولن يصبر عليكن إلا الصابرون) [٢٥].

وكان ﷺ إذا غضبت زوجته وضع يده على كتفها وقال: (اللهم اغفر لها ذنبها وأذهب غيظ قلبها، وأعذها من مضلات الفتن) [٢٦].

سلوك النبي الأكرم ﷺ مع أزواجه في حال غضبه من تصرفاتهن:

يعدّ هذا المحور من أهم الموضوعات التي نحتاج إلى تناولها عندما نستعرض

حياة النبي الأكرم ﷺ الأسرية؛ لكي نستوضح مواقف الرسول ﷺ من زوجاته عندما يشتد غضبه، وطريقة النبي ﷺ في التعامل معهن في تلك الحالة التي تستجلب أحيانا المضايقة وأجواء من التوتر والتشنج.

لقد كان رسول الله ﷺ يعامل أزواجه أكرم معاملة يمكن أن تحلم بها امرأة. معاملة مقرونة دائما بمحبة شديدة وتقدير كبير واحترام بالغ، حتى في أصعب الأزمات التي مرّ بها في حياته الزوجية مثل (حادثة الإفك)، فقد كان يترأف بزوجاته، ويتعامل برفق حتى في الخصام، يحرص على جعل زوجته تشعر بتغيير في المعاملة عن طريق كلمات بسيطة، أو إشارات مهذبة، دون إهانة أو جرح للمشاعر على الرغم من فداحة الأزمة. وفي أحيان كثيرة كانت الغيرة تدفع بعضا منهن لأن تكون الأولى القريبة منه، فتحدث نتيجة ذلك بعض المشاكل وتحصل بعض التشنجات، وتنتج بعض السلوكيات التي تتسبب في مضايقة النبي الأكرم ﷺ وإيذائه. فقد تظاهرن عليه، وكدن له، وأفشين أسراراً استأمنهن على كتمانها، وطالبنه بمزيد من النفقة. وفي مقابل هكذا تصرفات مؤذية، نجد أن أقصى ما قام به الرسول هو هجرهن لمدة شهر.

على الرغم من أن شدة مواقف بعض نساء النبي ﷺ تجاهه استوجبت أن ينزل الله تعالى آيات واضحات بينات فيها توبيخ وتحذير على مواقفهن، بل ووصل الأمر إلى تخييرهن ما بين الحياة مع الرسول أو الطلاق. ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ التحريم/ ٤، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب/ ٢٩.

ومن العلامات المضيئة في هدي النبي الأكرم ﷺ مع زوجاته أمهات المؤمنين أنه ﷺ كان بالإضافة إلى حرصه على تعليمهن وإرشادهن وتثقيفهن بالأمور الشرعية مع الحث على أداء فروض الطاعات والنوافل، نجده كذلك يحرص على الاستماع لهن والإنصات إليهن، واحترام آرائهن، وتقدير مشورتهن في حال تقديمها له، كما هو الحال عند استشارته لأم المؤمنين السيدة خديجة ﵂ في بداية نزول الوحي، وكذلك الحال عندما أبدت السيدة أم سلمة رأيها للنبي الأكرم ﷺ في صلح الحديبية عندما امتنع معظم الصحابة عن حلق رؤوسهم، (وذلك أن النبي ﷺ لما صالح أهل مكة يوم الحديبية وكتب كتاب الصلح بينه وبينهم وفرغ من قضية الكتاب قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا. فلم يقم منهم رجل بعد أن قال ذلك ثلاث مرات، فقام رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت له أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرجْ ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة فنحر بدنته ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما) [٢٧].

وفي ختام هذا المحور من البحث لا بد من الإشارة إلى أهمية إعادة قراءة بعض الأحاديث والأخبار المتعلقة بسيرة الحبيب المصطفى في تعامله مع زوجاته، خصوصا ان إساءة فهم بعض هذه الأخبار أو تقديمها بالصورة التي فهمها الرواة في عصر التدوين وما قبله - بحسب مفردات ثقافة زمنهم - قد أدت إلى أن تكون مدخلا للطعن في نبينا الأكرم ﷺ وتشويه صورته من قبل خصوم الإسلام والحاقدين عليهم، وهم كثر، مع الأسف. وعلى سبيل المثال نذكر هنا حديث طواف النبي ﷺ على

نسائه في الليلة الواحدة، والذي اتخذ منه خصوم الإسلام مادة للطعن والنيل من مقام نبينا الأكرم ﷺ وهذا الحديث كما ورد في شرح الباري: (أن نبي الله ﷺ كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذ تسع نسوة) [٢٨]. وقد ورد الحديث كذلك بصيغ أخرى مع بعض الإضافات.

ويبدو أن هذا الحديث وصل إلينا مقرونا مع فهم الرواة أو تصورهم عن صفات الكمال لشخص النبي والتي كانوا يعتقدون أن (الفحولة) واحدة منها، لذلك فهموا هذا الخبر على أنه دليل على فحولة النبي ﷺ وقوته الجسمانية، وهذا الفهم يبدو أنه مستند إلى الثقافة السائدة في تلك الأزمنة.

بينما نجد - عندما نقرأ هذا الحديث نفسه، ونقارنه مع أحاديث أخرى - أن للخبر دلالة أخرى مختلفة تماما، تتسق وهدي النبي ﷺ مع أسرته وطريقة تعامله مع أزواجه، فالنبي الأكرم ﷺ كان مسؤولا عن أسرة كبيرة متعددة الأفراد، تضم تسع زوجات، بعض منهن لديهن أطفال أيتام، قد تكون لديهم احتياجات ومتطلبات كما هو الحال مع كل أسرة؛ لذلك كان النبي الأكرم ﷺ حريصا على الطواف على حجرات جميع نسائه قبل أن يخلد إلى النوم؛ لغرض الاطمئنان عليهن والتأكد من أحوالهن والنظر في احتياجاتهن، وهذا تصرف طبيعي متوقع من شخصية عظيمة مثل النبي الأكرم ﷺ، يحرص على أداء ما تمليه عليه المسؤولية ودواعي العطف والمحبة، فليس من المتوقع أن يترك زوجته تنتظر رؤياه لمدة أكثر من أسبوع إلى حين حلول ليلتها!

ويؤكد هذا الفهم أحاديث أخرى أشارت إلى المعنى نفسه من تصرف النبي الأكرم ﷺ، مثل الحديث المروي عن السيدة عائشة: (كان رسول الله لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا، وكان قَلَّ يومٌ

يـأتي إلا وهـو يطـوف علينـا جميعـاً فيدنـو مـن كل امـرأة مـن غـير مسـيس حتى يبلـغ إلى التـي هـو يومهـا فيبيـت عندهـا) [٢٩].

وفي الإطـار نفسـه نذكـر أيضـا بعـض الأحاديـث التـي أشـارت إلى مقاربـة النبـي لبعـض نسـائه أثنـاء مـدة الحيـض، حيـث نجـد بعضهـم قـد أسـاء فهـم الحديـث، أو يحـاول تصويـره بفهـم مغايـر للدلالـة التـي يشـير إليهـا الحديـث بالأصـل، وعنـد العـودة إلى دراسـة طبيعـة المجتمـع وعاداتـه وثقافتـه في ذلـك الوقـت، يتضـح لنـا المعنـى مـن الحديـث بشـكل جـلي لا لبـس فيـه.

لقـد كان مجتمـع المدينـة في زمـن النبـي الأكـرم ﷺ ومـا قبلـه مختلطـا باليهـود المتواجديـن في المدينـة ومـا حولهـا، ولذلـك أخـذ أهـل المدينـة مـن اليهـود الكثـير مـن عاداتهـم وطبائعهـم، ومـن المعـروف في الـتراث اليهـودي أن المـرأة في مـدة الحيـض تعـدّ (نجسـة) لا يسـمح لهـا أن تلمـس الأشـياء في البيـت لكـي لا تتنجـس، وتكـون المـرأة في تلـك المـدة معزولـة ويحـاول كل مـن في البيـت تجنـب الاحتـكاك بهـا [٣٠]. وهـذا التـصرف – بطبيعـة الحـال – لـه أثـر نفـسي سـلبي جـدا عـلى نفسـية كل امـرأة تمـر بهـذه المـدة.

أمـا الديـن الإسـلامي فلـم يقـرر هكـذا تشريعـات مجحفة عـلى المـرأة، وحدد فقـط بعـض المحظـورات البسـيطة عليهـا في مـدة الطمـث، كـما هـو معـروف عنـد الجميـع، حافظـا للمـرأة آدميتهـا ومراعيـا لمشـاعرها وطبيعـة جسـدها؛ لذلـك نجـد النبـي الأكـرم في تصرفاتـه مـع زوجاتـه أثنـاء مـدة الـدورة الشـهرية لهـن، كان يتعامـل معهـن بشـكل طبيعـي جـدا، ينـام مـع زوجتـه عـلى فـراش واحـد، ولا يتجنـب ملامسـة زوجتـه أو يتقـزز منهـا، وكان يشـاركها الطعـام والـشراب؛ مـن أجـل تأكيـد الإحسـاس لديهـا بـأن كل الأمـور الحياتيـة تجـري عـلى طبيعتهـا إلا مـا حـرم الله.

وبهـذا السـلوك النبـوي التعليمـي الرائـع الـذي نقلتـه زوجـات النبـي ﷺ

إلى نساء المدينة، تخلص أهل المدينة من المسلمين من تلك العادة اليهودية المجحفة للمرأة، وحفظت كرامة المرأة المسلمة وروعيت مشاعرها.

حياة النبي الأكرم ﷺ مع السيدة خديجة الكبرى عليها السلام:

عند البحث في حياة رسول الله ﷺ الأسرية لا بد للباحث من أن يتوقف عند سيرة سيدة من أعظم النساء، سيدة شرفها الله تعالى بأن تكون الرفيقة والزوجة لأحب الخلق إليه وأم ذريته المباركة. السيدة خديجة الكبرى عليها السلام، أم المؤمنين، وأول إنسان آمن برسالة الإسلام التي كلف الله بها نبيه الكريم.

هذه السيدة العظيمة التي آمنت بالدين الحق، وصدقت بنبيه وساندته ووقفت بجانبه في أصعب الظروف، وتحملت من أجل ذلك أقسى المحن والمصاعب، والتي أنفقت كل ثروتها الطائلة في نصرة الإسلام وخدمته. هذه المرأة المؤمنة العظيمة التي كانت تعد من أثرياء قريش، ولم تكن تخرج قافلة من مكة إلا وكان للسيدة خديجة الكبرى عليها السلام أموال فيها [٣١].

هي التي أنفقت أموالها من أجل تمكين الإسلام ونصرة نبيه الكريم ﷺ، وخدمة المحتاجين والفقراء من المسلمين الأوائل، حتى انتهى بها الحال عند وفاتها، أثناء مدة الحصار في شعب أبي طالب، أنها لم تكن تملك سوى جلد كبش تنام عليه.

لكنها على الرغم من كل هذه المحن والآلام كانت راضية صابرة، حتى انتقلت إلى جوار ربها وهي قانعة سعيدة بالإيمان الذي هداها الله إليه على يد أحب الناس إلى قلبها.

كانت السيّدة خديجة عليها السلام طيلة ربع قرن نجمًا ساطعًا يشعّ بنوره على بيت النبوة والرسالة، تجلي بنظراتها الحانية الهمّ والشجن عن نبي الرَّحمة ﷺ، حتى حان موعدها مع القدر في العاشر من رمضان في السنة العاشرة من البعثة، عندما أسلمت الروح لبارئها، وألقت برحيلها المفجع ظلالًا من الكروب

والأحزان على قلب النَّبيِّ ﷺ، وكان ذلك في السنة الثالثة قبل الهجرة، ودفنت في الحجون، حيث دخل النبي ﷺ قبرها، ووضعها في لحدها بيديه الشريفتين، كان وقع ذلك شديدًا على النبي الكريم ﷺ الذي فقد نصيرين له (زوجته الحبيبة، وعمه العطوف)، وقد سمّي ذلك العام بعام الحزن، وأعلن الحداد فيه [٣٢].

تزوج النبي الأكرم ﷺ من السيدة خديجة الكبرى عليها السلام وهو في عمر الخامسة والعشرين، واستمر زواجها المبارك مدة خمسة وعشرين عاما، لم يرتبط النبي الأكرم ﷺ خلالها بأي امرأة أخرى، على الرغم من أن ذلك كان من الأمور الطبيعية ومن ضمن الأعراف السائدة في ذلك الوقت.

رزق الله نبينا الكريم ﷺ الذرية المباركة من السيدة خديجة الكبرى عليها السلام التي ولدت للنبي ﷺ ابنته وأم ذريته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وأنجبت كذلك القاسم والطاهر اللذين توفيا وهما صغار.

إن ما يميز السيدة خديجة الكبرى عليها السلام عن بقية أمهات المؤمنين - ليس فقط - سابقتها للإسلام، وصبرها وتضحيتها وجهادها في أول مراحل الدعوة الوليدة، حيث انطلق من بيتها أول نداء للإسلام، وكانت هي أول وزير صدق للنبي ﷺ [٣٣]. وإنما تتميز هذه السيدة العظيمة بأنها الوحيدة التي ارتبطت بالنبي الأكرم ﷺ قبل أن يشرفه الله تعالى بحمل الرسالة الخاتمة، وعرفته شابا قرشيا هاشميا، قبل أن يكون رسول الله ونبيه.

عرفت كل أخلاقه وسجاياه وطبائعه، من دون أن يكون هناك أي تكلف وتصنع، عاشرته مدة خمسة عشر عاما قبل نزول الوحي عليه، وهذه مدة طويلة وكافية للكشف عن جوهر هذا الرجل وشخصيته الحقيقية، وتبدي من طبائعه وخصاله ما قد يخفى على غيرها من الناس، لكنها لم تكد تسمع حديثه العجيب عن الوحي الأول، حتى هتفت بكل ثقة ويقين

وتصديق: (أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق).

بهذه الكلمات العظيمة ثبتت أم المؤمنين خديجة قلب رسول الله ﷺ لمّا حدثها بشأن المَلك الذي نزل عليه بغار حراء، حيث قال لها معبرًا عن خشيته: (لقد خشيتُ على نفسي).

وكان دور هذه المرأة العظيمة والزوجة الصالحة هو تخفيف حدة الضنك التي لحقت بنبي الرحمة جراء هذه المقابلة الشديدة الصعبة مع الملك جبريل عليه السلام ، وتؤكد له عناية الله عز وجل به، مدللة على خصال كريمة يتصف بها المصطفى ﷺ، وسلوكيات طيبة يمارسها في مجتمعه.

ما يهمنا في هذا البحث – من سيرة السيدة خديجة الكبرى عليها السلام– هو التأكيد على أن شهادة هذه المرأة العظيمة المؤمنة بحق رجل عرفته مدة خمسة عشر عاما قبل تكليفه بالرسالة، وتصديقها له، وتحملها من أجل ذلك أشد المتاعب والصعاب من اضطهاد وأذى، ووقوفها إلى جانبه تنصره وتشد أزره وتعينه على احتمال ضروب المحن ولسنين عديدة، وما لحقها جراء ذلك من تعب ومرض ونبذ وعزلة من المجتمع، إن هذه المواقف تعدّ شهادة حية وبأعلى درجات اليقين والثقة على صدق النبي الأكرم؛ لأنها شهادة اقترنت بالتضحية والعناء وفقدان المكتسبات الاقتصادية والمكانة الاجتماعية. ولاسيما إذا أخذنا بالاعتبار أن كون المرأة زوجة للنبي ﷺ، لا يعني بالضرورة أن تكون مؤمنة به أو مصدقة بشكل يقيني بكل ما يقوله، كما أخبرتنا بذلك آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية الشريفة، ﴿**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ * كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**﴾ التحريم/ ١٠.

بينما نرى في حالة السيدة خديجة الكبرى ﵂ موقفا لافتا بالمبادرة بتصديق الدعوة الجديدة، هذا الموقف الذي لم يغفله جميع المؤرخين المسلمين منهم وغير المسلمين، حيث أشاروا إليه، وكتب عنه كل من تطرق إلى تاريخ الإسلام، فهذا المؤرخ البريطاني رونالد بودلي يقول في معرض ذكره السيدة خديجة الكبرى: (إن ثقتها في الرجل الذي تزوجته – لأنها أحبته – كانت تضفي جوّا من الثقة على المراحل الأولى للعقيدة التي يدين بها اليوم واحد من كل سبعة من سكان العالم) [٣٤].

إن دراسة الأخبار التي وصلتنا عن العلاقة الزوجية للنبي الأكرم ﷺ مع السيدة خديجة الكبرى ﵂، تضيء لنا جوانب عديدة مشرقة حول حياة الحبيب المصطفى ﷺ، وسجاياه العظيمة والملامح الإنسانية الرائعة في شخصيته ﷺ. لقد أحب نبينا الكريم ﷺ زوجته وأم عياله السيدة خديجة ﵂ حبّا جمّا لا يمكن لنا وصفه، ولكنه لم يكتفِ بمشاعر المحبة فقط، وإنما نجده ﷺ يحرص أيضا على التعبير عن ذلك الحب، والتصريح به أمام الآخرين، حتى بعد أن فارقت الحياة بسنوات عديدة، فكان ﷺ في أكثر من مناسبة يؤكد على ذلك: (إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا)، وقوله ﷺ عن السيدة خديجة ﵂: (إنها كانت... وكانت... وقد رزقني الله منها الولد) [٣٥].

في سيرة النبي الأكرم ﷺ مع زوجته السيدة خديجة الكبرى ﵂ لا نتعلم فقط المحبة العظيمة الراسخة بين الرجل وزوجته، وإنما كذلك نتعلم منه ﷺ الوفاء والإخلاص لذكرى الزوجة العظيمة، وتذكر فضلها وسجاياها وعدم الجحود بها أو نكرانها وتناسيها، فعندما حاولت زوجته عائشة النيل من السيدة خديجة ﵂، نجد رسول الله يتغير وجهه، ويجيبها زاجرا: (والله ما أبدلني الله خيرا منها، آمنت بي حين كفر

الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء) [٣٦].

إن أجمل معاني الإخلاص والحب تتجلى في حرص النبي ﷺ الدائم على تذكر السيدة خديجة عليها السلام حتى بعد مرور سنين عديدة على وفاتها وارتباطه بغيرها من النساء، هذا الاستذكار المستمر هو الذي دفع زوجة النبي عائشة إلى الشعور بالغيرة منها على الرغم من أنها تزوجت من النبي ﷺ بعد عدة سنوات من وفاة السيدة خديجة عليها السلام، بل إننا نجدها تصرح بأنها كانت تحسد السيدة خديجة عليها السلام على المكانة التي كانت تشغلها في قلب النبي ﷺ ووجدانه، (ما حسدت امرأة قط ما حسدت خديجة، وما تزوجني رسول الله إلا بعد ما ماتت) [٣٧].

إن ذكرى السيدة خديجة عليها السلام كانت تثير عواطف النبي الأكرم ﷺ وتحرك مشاعر الاشتياق إليها، والحنين إلى ذكراها، ففي أحد الأيام عندما جاءت (هالة) أخت السيدة خديجة عليها السلام إلى المدينة، وسمع النبي الأكرم ﷺ صوتها وهو في بيته، ويبدو أن صوتها كان شبيها بصوت أختها أم المؤمنين - نجد النبي الأكرم ﷺ تتحرك عواطفه وذكرياته ويقول: (اللهم هالة... اللهم هالة) [٣٨]. وهذا يؤشر لنا الحب العظيم الذي اختزنه قلب نبينا الأكرم ﷺ للسيدة خديجة عليها السلام، حيث كان النبي ﷺ يحبها ويحب كل ما يذكره بها- ويحب كل أحبابها.

فقد ورد في الأحاديث... أنه ﷺ إذا ذبح شاة... كان يأمر بإرسال جزء من لحمها إلى صديقات السيدة خديجة عليها السلام- وكان يحرص على القول: (إني لأحب حبيبها) [٣٩]. وفي يوم فتح مكة المكرمة نجد رسول الله ﷺ يجسد لنا أسمى صور الوفاء لزوجته العظيمة، حيث نجده وبعد مرور أكثر من عشر سنين على وفاتها يختار مكانا إلى جوار القبر

الـذي ثـوت فيـه أم المؤمنـين الأولى في منطقـة الحجـون؛ ليـشرف منـه عـلى فتـح مكـة، وليقيـم في قبـة ضربـت لـه هنـاك، تؤنسـه روح السـيدة خديجـة ﷺ، ثم لتصحبـه مـن بعـد الفتـح وهـو يطـوف بالكعبـة ويحطـم الأصنـام، ملتفتـا بـين آونـة وأخـرى إلى بيتهـا العزيـز، حيـث رشـف هنـاك مـن نبـع الحـب والحنـان مـا تـزود بـه لذلـك الكفـاح المضنـي الطويـل[٤٠].

تعدد زوجات النبي ﷺ:

في هـذا المحـور مـن البحـث نحـاول المـرور سريعـا عـلى شـبهةٍ سـقيمة طالمـا أثارهـا أعـداء الإسـلام وخصومـه والحاقـدون المتعصِّبـون بـين الحـين والآخـر، يريـدون بذلـك النيـل مـن نبـي الإسـلام، ومفادهـا أن النبـي ﷺ كان شـهوانيًّا محبًّـا للنسـاء، سـاعيًا في قضـاء شـهوته ونيـل رغباتـه منهـن، وذلـك اسـتنادًا إلى تعـدُّد زوجاتـه.

وبدراسـة حياتـه وسـيرته نجـد أن زواجـه مـن أُمَّهـات المؤمنـين كان بعيـدًا كل البعـد عـن الاستسـلام للنـزوات الجنسيَّة والانغـماس باللَّـذة، عـلى عكـس مـا ذهـب إليـه المسـتشرقون المغرضـون.

ولـو أنعمنـا النظـر في سـيرته في مرحلـة مـا قبـل الـزواج لوجدنـا أنـه كان مثـالاً في العفَّـة والطهـارة، وأمَّـا بعـد الـزواج فنجـد أنـه لم يُعَـدِّد زوجاتـه إلاَّ بعـد أن تجـاوز خمسـين عامًـا مـن عمـره، كـما نجـد أن جميـع زوجاتـه الطاهـرات كُـنَّ ثيبـات (أرامـل)، مـا عـدا واحـدة فقـط.

ومـن ذلـك نـدرك وبـكل سـهولة تفاهـة هـذه الشـبهة، وبطـلان ذلـك الادّعـاء الـذي ألصقـه أعـداء الإسـلام بالرسـول ﷺ، إذ لـو كان المـراد مـن الـزواج هـو الشـهوة أو مجـرَّد الاسـتمتاع بالنسـاء لتـزوَّج في سـنِّ الشـباب لا في سـنِّ الشـيخوخة، ولـكان تـزوَّجَ الأبـكار الشـابَّات لا الأرامـل المسـنَّات.

إن هـذه الفريـة المجحفـة التـي يحـاول بعـض أعـداء الإسـلام إلصاقهـا

بالنبي ﷺ بلغت من التهافت والكيدية بحيث إن الكثير من الباحثين الجادّين من غير المسلمين قد فندوها وبينوا خطأها وسخافتها، ففي كتابه الشهير (الأبطال) يرد (توماس كارليل) على هذه الشبهة قائلا: (لم يكن محمد صاحب شهوات برغم ما اتهم به ظلما وعدوانا وشد ما نخطئ ونظلم إذا حسبناه رجلا شهوانيا لا هم له إلا قضاء مآربه من الملذات، كلا فما أبعد ما كان بينه وبين الملذات أيا كانت لقد كان زاهدا متقشفا في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أحواله وكان طعامه عادة الخبز والماء).

وكذلك نجد المستشرقة الإيطالية (لورافيشيا فاغليري) ترد على هذه التهمة في كتابها (دفاعا عن الإسلام) قائلة: (إن محمدا طوال سنين الشباب التي تكون فيها الغريزة الجنسية أقوى ما تكون، وعلى الرغم من أنه عاش في مجتمع كمجتمع العرب، حيث كان الزواج، كمؤسسة اجتماعية، مفقودا أو يكاد، وحيث كان تعدد الزوجات هو القاعدة، وحيث كان الطلاق سهلا إلى أبعد الحدود، لم يتزوج إلا من امرأة واحدة ليس غير، هي السيدة خديجة ﵂ التي كانت سنّها أعلى من سنّه بكثير، وأنه ظل طوال خمس وعشرين سنة زوجها المخلص المحب، ولم يتزوج مرة ثانية، وأكثر من مرة، إلا بعد أن توفيت السيدة خديجة ﵂، وإلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره. لقد كان لكل زواج من زيجاته هذه سبب اجتماعي أو سياسي، ذلك بأنه قصد من خلال النسوة اللاتي تزوجهن إلى تكريم النسوة المتصفات بالتقوى، أو إلى إنشاء علاقة زوجية مع بعض العشائر والقبائل الأخرى ابتغاء طريق جديد لانتشار الإسلام باستثناء عائشة ليس غير، تزوج محمد من نسوة لم يكنّ لا عذارى، ولا شابات، ولا جميلات، فهل كان ذلك شهوانية؟.

لقد كان رجلا لا إلها، وقد تكون الرغبة في الولد هي التي دفعته أيضا إلى الزواج من جديد، لأن الأبناء الذين أنجبتهم خديجة له كانوا قد ماتوا. ومن غير أن تكون له موارد كثيرة أخذ على عاتقه النهوض بأعباء أسرة ضخمة، ولكنه التزم دائما سبيل المساواة الكاملة نحوهن جميعا، ولم يلجأ قط إلى اصطناع حق التفاوت مع أي منهن. لقد تصرف متأسّيا بسنة الأنبياء القدامى، مثل موسى وغيره، الذين لا يبدو أن أحدا من الناس يعترض على زواجهم المتعدد. فهل يكون مرد ذلك إلى أننا نجهل تفاصيل حياتهم اليومية، على حين نعرف كل شيء عن حياة محمد العائلية؟) [٤١].

وبالإضافة إلى ما تقدم من ردود منصفة على تلك الشبهة الظالمة، لا بد من الإشارة إلى بعض الملاحظات السريعة لغرض كشف بطلان هذه الفرية وبيان زيفها، وذلك من خلال تتبع الأسباب التي كانت وراء معظم زيجات النبي الأكرم ﷺ وخصوصا بعد تجاوزه سن الخمسين من العمر.

وكما هو المعلوم لكل باحث، فإن زواجه من السيدة زينب بنت جحش كان بأمر سماوي ولأغراض تشريعية، ولم يكن أمام النبي ﷺ إلا تنفيذ الأمر الإلهي الموجه إليه، وإن كان غير متحمس لذلك الزواج أو متخوفا منه.

أما بالنسبة للسيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان، فقد كان زواج النبي ﷺ منها لغرض إنساني نبيل وبدافع البر والإحسان بهذه الصحابية السباقة إلى الإيمان بالإسلام، بعد أن تقطعت بها السبل عقب وفاة زوجها الذي ارتد عن الإسلام في الحبشة، وبقائها هناك متحيرة بلا كافل أو معيل، لا تستطيع العودة إلى مكة حيث يتزعم أبوها فريق المعادين للإسلام، وسيجبرها حتما على الارتداد عن الدين. فكان الموقف النبيل من النبي الأكرم ﷺ، حيث بعث

إلى النجاشي ملك الحبشة ووكله في طلب يدها، وبذلك حفظ النبي ﷺ لهذه السيدة المتغربة الحائرة كرامتها وضمن لها كفالة معيشتها، بعد أن أصبحت زوجته رغم أنها تعيش بعيدة عنه في بلاد أخرى.

لم يكن هذا الموقف الإنساني الرائع هو الوحيد لرسول الله ﷺ، فمن خلال تتبع التواريخ في سيرته، نجده ﷺ قد ارتبط خلال عام واحد بثلاث من زوجاته، وذلك بعد السنة الثالثة للهجرة، تلك السنة التي وقعت فيها معركة (أحد) التي استشهد فيها حوالي سبعين صحابيا، ترك أكثرهم وراءهم أرامل وأيتاما، لم يكن بعضهم لديه معين أو كافل، فكان زواج النبي الأكرم ﷺ من السيدة زينب بنت خزيمة والسيدة أم سلمة والسيدة حفصة، وقد استشهد أزواجهن في معركة أحد أو بعدها، وكان بعضهن تعول أيتامًا صغارًا كما هو حال أم سلمة.

وهنا لا بد من الإشارة إلى ملاحظة دقيقة، قد تفيدنا كثيرا في سياق هذا البحث، وهي أن النبي الأكرم ﷺ بعد معركة (أحد) ارتبط فقط بسيدات أرامل من المهاجرين، ولم يتزوج النبي ﷺ أي سيدة من الأنصار، على الرغم من وجود البيوتات الكريمة فيهم، والسيدات المؤمنات الفاضلات من نسائهم.

إن معرفة سبب هذا الأمر سيوضح لنا الهدف من زواجه ﷺ بأكثر من سيدة في مدة عام واحد، وقد قارب عمره الشريف الستين عاما، وهو الشخص نفسه الذي لم يرتبط إلا بسيدة واحدة فقط خلال خمسة وعشرين عاما من حياته التي كان فيها بعنفوان الشباب. والسبب - كما هو واضح - هو أن تلك السيدات بعد استشهاد أزواجهن قد فقدن المعيل والكفيل، فكان زواج النبي ﷺ منهن لغرض شمولهن مع أيتامهن تحت مظلة رعايته السامية، وليكون مسؤولا عن توفير حياة كريمة

لهـن تليـق بهـن وبأيتامهـن مـن أولاد الشـهداء وبناتهـم، بينـما لم يتـزوج مـن أي سـيدة مـن الأنصـار لانتفـاء السـبب، لأن نسـاء الأنصـار يعشْـنَ وسـط أهلهـن وبـين قرابتهـن، الذيـن تكفلـوا برعايـة مـن ترمـل مـن نسـائهم.

ويتضـح لنـا السـبب بصـورة أفضـل حـين نعـرف أن بعـض السـيدات ممـن تـزوج بهـن النبـي ﷺ لم يكُـنَّ في وضـع صحـي وجسـدي يتيـح لهـن ممارسـة وظائـف الحيـاة الزوجيـة الطبيعيـة، فبالإضافـة إلى تقـدم العمـر، نجـد مثـلا السـيدة زينـب بنـت خزيمـة (أم المسـاكين) التـي تزوجهـا النبـي بعـد استشـهاد زوجهـا (عبيـدة بـن الحـارث) قـد توفيـت بعـد ارتباطهـا بالنبـي ﷺ بشـهور قليلة فقـط، ويبـدو أن السـبب في ذلـك أنهـا كانـت تعـاني مـن مـرض عضـال [٤٢].

أمـا في حالـة أم المؤمنـين السـيدة (سـودة بنـت زمعـة)، هـذه السـيدة المؤمنـة مـن المهاجريـن السـابقين للإسـلام، التـي تزوجهـا النبـي الأكـرم ﷺ وقـد جاوز عمرهـا الخامسـة والخمسـين عامـا، بعـد وفـاة زوجهـا (السـكران بـن عمـرو) تـاركا خلفـه زوجتـه السـيدة سـودة مـع ابنـه اليتيـم (عبـد الله)، وقـد تقطعـت بهـم سـبل الحيـاة في مكـة نتيجـة مقاطعـة قريـش للمسـلمين، وهنـا نجـد النبـي الأكـرم ﷺ قـد مـد يـد العـون الحانيـة إلى هـذه السـيدة الجليلـة وارتبـط بهـا، رغـم أنهـا كانـت متقدمـة في السـن وكانـت (ثقيلـة الجسـم)، ولم يكـن لهـا في الرجـال رغبـة، لكنهـا أحبـت أن يشرفهـا الله تعـالى بالارتبـاط برسـوله، وأن يحشرهـا تعـالى يـوم القيامـة وهـي زوجـة لـه، فـكان لهـا مـا تمنـت.

أمـا بالنسـبة لظـروف ودوافـع زواج النبـي الكريـم ﷺ النبيـل مـن (جويريـة بنـت الحـارث) بعـد أحـداث غـزوة (بنـي المصطلـق) فقـد كان تـصرف النبـي ﷺ تصرفـا إنسـانيا رائعـا جمـع بـين نبـل الفروسـية والإلهـام الشـديد، حيـث كان ذلـك سـببا في أسر النبـي الكريـم ﷺ لقلـب أبيهـا سـيد قومـه الـذي دخـل الإسـلام وأسـلم معـه جميـع قومـه.

وفي إطار البحث في هذا الموضوع نرى من الضروري التنبيه إلى تشريع سماوي خصه الله تعالى بنبيه الأكرم محمد ﷺ، وهو السماح للنبي ﷺ بالزواج من أي امرأة مؤمنة تهب نفسها له، قال تعالى: ﴿**وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الأحزاب/ ٥٠. ومع أن هذا التشريع فيه رخصة للنبي بالزواج (من دون تكلفة المهر والصداق) من أي امرأة تهب نفسها له، لكننا نجد رسول الله ﷺ لم يستغل هذا التشريع ولم يستعمله، رغم عرض أكثر من سيدة من نساء المهاجرين والأنصار على النبي ﷺ أن يهبن أنفسهن له، رغبة بالتشرف بالاقتران به صلوات الله عليه، لكنه لم يؤثر أن يستغل هذا التشريع، ولم يتزوج بأي من السيدات اللواتي وهبن أنفسهن له، بحسب ما تشير إليه الأحاديث الصحيحة من السنة النبوية المشرفة.

ولو كان النبي محمد ﷺ رجلا شهوانيا وميالا للنساء، لكان هذا التشريع فرصة كبيرة له ليجمع حوله أكبر قدر ممكن من النساء. ويبدو أن الحكمة الإلهية والمقصد من تنزيل هذا التشريع في نص قرآني يتلى إلى يوم القيامة، هو لغرض الرد على شبهات الحاقدين واتهامات المبطلين، وتثبيتا للمؤمنين ليزدادوا يقينا وتصديقا بالحبيب المصطفى الصادق الأمين.

وبعد أن اتضح لنا أن تعدد زيجات النبي ﷺ لم يكن بدافع الرغبة أو المتعة، وإنما كان لأسباب دعوية وتشريعية وإنسانية اجتماعية، يتأكد لنا أن هذا التعدد بما تضمنه من استثناء النبي ﷺ من الالتزام بتحديده بأربع زوجات كحد أعلى، لم يكن امتيازا رفاهيا للنبي ﷺ، ولا جائزة ترضية مترفة له، بل على العكس، كان مسؤولية كبيرة وتكليفا شاقّا، وعبأ آخر، يضاف إلى المسؤوليات والتكليفات التي كانت على عاتق النبي والتي خصه بها الله تعالى من دون المؤمنين، فصدع ﷺ بما أمره الله والتزم بكل ما

كلفه به، وقضى معظم أوقاته في أيام حياته الشريفة ما بين مثابرة وجهاد متواصل، قواما في الليل، صائما بالنهار، منشغلا عن الدنيا ومباهجها ببناء أمة الإسلام، وتبليغ الرسالة الخاتمة إلى العالمين، والاهتمام بإصلاح المجتمع وتقوية أواصر الأخوة والتآزر والتلاحم بين جميع أفراده.

ومن خلال دراسة سيرة النبي الأكرم ﷺ وجوانب حياته الشريفة يتضح لنا بكل جلاء أن جميع أعماله ومعاملاته وسلوكياته كانت منبثقة من قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ القلم/ ٤. وكان هذا الخلق واضحًا جليًّا في سيرته العطرة في كل مناحي حياته الأسرية مع زوجاته وجميع أهل بيته؛ حيث كان يغمرهم بمحبته وحنانه وكان يحدِّثهم بأطيب الكلمات وأرقِّ التعابير، ويلاطفهم، ويُدخل السرور على قلوبهم، ويعدل بينهم، ولقد وصفت زوجاته خُلقه ﷺ بالقول: (كان خلقه القرآن) [٤٣].

خاتمة البحث:

ان البحث في سيرة النبي ﷺ والاستنان بسنة النبي والسير على هديه الكريم ليس فقط من مكملات الايمان لانها استجابة لامر الباري باتخاذ النبي اسوة حسنة

وانما ايضا يعتبر البحث في السيرة النبوية العطرة بمثابة التنقيب في كنز انساني عظيم لشخص وصفه رب العزة والجلال بأنه على خلق عظيم

وتتعاظم في هذه الفترة الزمنية الراهنة الحاجة الى الاقتداء بسيرة النبي الاكرم ﷺ لاننا نعيش في زمن انحدرت فيه القيم و انحطت فيه الاخلاق وتراجعت فيه الامة على كافة المستويات.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث المتواضع أجد من المهم تكرار التأكيد على تكثيف الجهد العلمي الرصين من أجل إعادة قراءة السيرة النبوية المشرفة باستعمال وسائل المعرفة المعاصرة ومناهج البحث العلمي الحديثة، من أجل تعريف الدنيا كلها بعظمة شخصية النبي محمد ﷺ، ولأجل ترسيخ صورة هذه الشخصية العظيمة في أذهان أبنائنا وأحفادنا والأجيال القادمة باعتباره ﷺ الرمز والقدوة، نظرا لما لوجود القدوة الحسنة في حياة الأمم والشعوب من أهمية وضرورة ليُقتدَى بها وتُكتسب منها المعالم الإيجابية في الحياة، سواء مع الله تعالى في أداء العبادات والفرائض، أم مع النفس وتزكيتها وتربيتها على الأخلاق الفاضلة، أم مع الأهل والأبناء داخل الأسرة من أجل بناء أسرة متماسكة، أم مع المجتمع في أمور الدين والدنيا.

لقد جعل الله تعالى الرسولَ ﷺ قدوةً ونموذجًا يجسِّد الدين الذي أُرسَل به، حتى يعيش الناس مع هذا الدين ورسوله واقعًا حقيقيًّا بعيدًا عن الأفكار المجردة، فكان هذا الرسول ﷺ خيرَ قدوة للأمة في تطبيق هذا الدين، ومنارًا لها إلى يوم القيامة، ليقتدي ويتأسى به كل مسلم، نظرا للأهمية البالغة لوجود القدوة لدى الأجيال، حيث تعدّ من أقوى الوسائل التربوية تأثيرًا في النفس الإنسانية، لشغفها بالإعجاب بمن هو أعلى منها كمالاً، ولأنها مهيأة للتأثر بشخصيته ومحاولة محاكاته، ولا شك في أن الدعوة بالقدوة تعدّ أنجح أسلوب لبثّ القيم والمبادئ.

إن عظمة الرسالة الإسلامية تتجسد في كون دين الإسلام يمثل منهج حياة متكامل، وهذا المنهج بحاجة إلى بشر يحمله ويترجمه بسلوكه وتصرفاته، فيحوِّله إلى واقع عملي محسوس وملموس، ولذلك كان ﷺ الصورة الكاملة الناصعة لذلك المنهج الرباني القويم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا وهادينا الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الهوامش

١ – الكافي للكليني ج ٢ ص ٢١.
٢ – بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٣٢٦.
٣ – سنن الترمذي حديث رقم ٣٨٩٥.
٤ – سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب حسن الخلق ٤٧٩٨.
٥ – صحيح مسلم ٢/ ١٥٩١، حديث رقم ١٤٦٩.
٦ – صحيح البخاري، باب بدء الوحي.
٧ – مسند الإمام أحمد، حديث رقم ٥٨٦٩.
٨ – مستدرك الحاكم ٥٣/ ١.
٩ – سنن الترمذي، حديث رقم ٣٠٨٧.
١٠ – تاريخ دمشق لابن عساكر.
١١ – صحيح مسلم، حديث رقم ٨٧٦.
١٢ – مسند الإمام أحمد.
١٣ – سنن أبي داوود ٤/ ٣٥٥.
١٤ – صحيح مسلم.
١٥ – السلسلة الصحيحة ٢١٤١ وصحيح الجامع الصغير.
١٦ – سنن النسائي.
١٧ – البداية والنهاية ج ٥.
١٨ – أسد الغابة، لابن الاثير، ج ٢ ص ٣٥٠
١٩ – تراجم سيدات البيت النبوي، د. عائشة بنت الشاطئ.
٢٠ – صحيح مسلم.
٢١ – صحيح مسلم، كتاب الطلاق، حديث رقم ٢٧٨٦.
٢٢ – شرح النووي على مسلم، حديث رقم ٧١٥.
٢٣ – صحيح البخاري.
٢٤ – سنن الترمذي، حديث رقم ٣٨٩٤.
٢٥ – تحفة الأحوذي، كتاب المناقب
٢٦ – الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين/ ابن عساكر، رقم ٢١.
٢٧ – المعجم الكبير للطبراني ج ٢٠

٢٨ – صحيح البخاري، كتاب النكاح، فتح الباري ٩/ ٣١٦.
٢٩ – سنن أبي داوود ٢١٣٥، مسند أحمد، حديث رقم ٢٤٧٦٥.
٣٠ – تاريخ اليهود في بلاد العرب/ د. إسرائيل ويلفنستون.
٣١ – سير أعلام النبلاء ص ١١٠.
٣٢ – أم المؤمنين خديجة/ الدخيل ص ١٢.
٣٣ – عيون الأثر ١/ ١٣٠.
٣٤ – كتاب الرسول/ رونالد بودلي / ترجمة: محمد فرج.
٣٥ – صحيح البخاري ٥/ ٣٩، حديث رقم ٣٨١٨.
٣٦ – صحيح مسلم، باب فضائل خديجة، حديث رقم ٤٥٨٩.
٣٧ – المستدرك على الصحيحين ٣/ ٢٢٣.
٣٨ – صحيح مسلم، باب فضائل خديجة.
٣٩ – السمط الثمين ص ٢٦.
٤٠ – نساء النبي/ د. عائشة عبد الرحمن.
٤١ – كتاب الرسول في عيون غربية منصفة ص ١٣٨.
٤٢ – نساء النبي/ د. عائشة عبد الرحمن.
٤٣ – صحيح مسلم ٤٠/ ١٨٤٧.

المصادر والمراجع:

القران الكريم
* محمد بن يعقوب الكليني – الكافي
* محمد بن اسماعيل البخاري –صحيح البخاري
* مسلم بن الحجاج النيسابوري – صحيح مسلم
* محمد بن عيسى الترمذي –سنن الترمذي
* محمد باقر المجلسي – بحار الانوار
* الحافظ ابو داوود السجستاني –سنن ابي داوود
* احمد بن محمد بن حنبل –المسند – شرح وجمع حمزة احمد الزين – دار الحديث – القاهرة
* الحافظ الحاكم النيسابوري – المستدرك على الصحيحين – دار المعرفة– بيروت
* الحافظ ابن عساكر – تاريخ مدينة دمشق
* الحافظ احمد بن شعيب النسائي –سنن النسائي
* او الفداء اسماعيل بن كثير – البداية والنهاية
* ابن الاثير – اسد الغابة في معرفة الصحابة
* د. عائشة بنت الشاطئ – تراجم سيدات البيت النبوي
* – عبد الرحمن المباركفوري – تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي – كتاب المناقب ١٦ – ابن عساكر – الاربعين في مناقب امهات المؤمنين
* الحافظ الطبراني – المعجم الكبير
* د. اسرائيل ويلفنستون – تاريخ اليهود في بلاد العرب – المركز الاكاديمي للابحاث الطبعة الثانية ٢٠١٦
* شمس الدين الذهبي – سير اعلام النبلاء – مطبعة الرسالة
* علي محمد علي دخيل – ام المؤمنين خديجة بنت خويلد – منشورات مؤسسة اهل البيت / كمبيوتر برس – بيروت
* الحافظ ابو الفتح اليعمري–عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير – دار ابن الجوزي – القاهرة
* رونالد بودلي– الرسول حياة محمد ترجمةً محمد فرج – دار الكتاب العربي / مصر ٢٣ – محب الدين الطبري –السمط الثمين في مناقب امهات المؤمنين – دار المعرفة بيروت
* د. عائشة عبد الرحمن – نساء النبي – دار المعارف – مصر
* حسين حسيني معدي – الرسول في عيون غربية منصفة – الناشر دار الكتاب العربي – دمشق

الهجرة النبوية المباركة مقاربة نقدية لمروياتها

د. بان صادق عيدان جودت الله الخرسان
فكر إسلامي / تاريخ إسلامي/ كلية التربية ابن رشد/ جامعة بغداد

The blessed Prophet's migration: a critical approach to its narratives

Dr. Ban Sadiq Idan Jawdat Allah Concrete
Islamic thought / Islamic history / College of Education Ibn Rushd
University of Baghdad

الملخص

تعدّ الهجرة النبوية الشريفة حدثاً مهمّاً من أحداث التاريخ الإسلامي فهي ليست واقعة من وقائع هذا التاريخ فحسب، بل هي أساس اجتماعي مهم، وهذا الحدث ورد ذكره في القرآن الكريم وذكرته المصادر التاريخية جميعها وأوضحت أسبابه وأسماء المهاجرين كما أنها تطرقت إلى أماكن سكناهم وحياتهم هناك...

جاء بحثنا بعنوان (الهجرة النبوية المباركة – مقاربة نقدية لمروياتها)، جاء البحث بمقدمة وستة محاور: تناول المحور الأول: ضرورات الهجرة وأسبابها، نوضح من خلاله أن سنوات الدعوة الممتدة داخل مكة لم تسفر عن استجابة واضحة ولم تكن مكة مدينة مؤهلة كي تكون مركزاً للدعوة الإسلامية والانطلاق بها، فكان لا بد من البحث عن موطن آخر.

أما المحور الثاني: فجاء بعنوان استجابة المكيين لأمر النبي محمد ﷺ بالهجرة. بينما خصص المحور الثالث لدراسة ظروف الهجرة وتوقيتها، وانبرى المحور الرابع لتوضيح مستلزمات الهجرة، بينما تتبع المحور الخامس دخول النبي ﷺ المدينة ومن رافقه في ذلك. وتتبع المحور السادس مكانة هذه الحادثة عند المسلمين، وتجسدت عاقبة الدراسة إلى إبداء أهم ما توصلنا إليه من نتائج.

Introduction

Praise be to God, without whom a pen would not have happened, and no tongue would have spoken, and may blessings and peace be upon our master Muhammad and his family and peace be upon him.

Then...

The Prophet's migration is considered an important event in Islamic history, as it is not only one of the facts of this history, but it is an important social basis.

Our research came under the title (The Blessed Prophet's Migration - A Critical Approach to Its Narratives), the research came with an introduction and six axes...

The first axis dealt with the necessities of migration and its causes, through which we make it clear that the years of da'wah extended inside Mecca did not result in a clear response, and Mecca was not a city qualified to be a center for the Islamic da'wah and launch it, so it was necessary to search for another home.

As for the second axis, it came under the title of the Meccans' response to the Prophet Muhammad's command (may God bless him and his family) to emigrate.

While the third axis was devoted to studying the conditions and timing of migration, and the fourth axis was devoted to clarifying the requirements of migration, while the fifth axis followed the entry of the Prophet (may God bless him and his family) to Medina and those who accompanied him in that.

The sixth axis follows the status of this incident among Muslims, and the outcome of the study was to show the most important results we have reached.

المقدمة

الحمد لله الذي لولاه ما جرى قلم ولا تكلم لسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الأطهار، الذي كان أفصح الناس لساناً وأوضحهم بياناً... أما بعد:

تعدّ الهجرة النبوية حدثاً مهمّاً من أحداث التاريخ الإسلامي فهي ليست واقعة من وقائع هذا التاريخ فحسب، بل هي أساس اجتماعي مهم، وهذا الحدث ورد ذكره في القرآن الكريم وذكرته المصادر التاريخية جميعها وأوضحت أسبابه وأسماء المهاجرين كما أنها تطرقت إلى أماكن سكناهم وحياتهم هناك...

جاء بحثنا بعنوان (الهجرة النبوية المباركة – مقاربة نقدية لمروياتها)، جاء البحث بمقدمة وستة محاور: تناول المحور الأول ضرورات الهجرة وأسبابها، نوضح من خلاله أن سنوات الدعوة الممتدة داخل مكة لم تسفر عن استجابة واضحة ولم تكن مكة مدينة مؤهلة كي تكون مركزاً للدعوة الإسلامية والانطلاق بها، فكان لا بد من البحث عن موطن آخر.

أما المحور الثاني فجاء بعنوان استجابة المكيين لأمر النبي محمد ﷺ بالهجرة. بينما خصص المحور الثالث لدراسة ظروف الهجرة وتوقيتها، وانبرى المحور الرابع لتوضيح مستلزمات الهجرة، بينما تتبع المحور الخامس دخول النبي ﷺ المدينة ومن رافقه في ذلك. وتتبع المحور السادس مكانة هذه الحادثة عند المسلمين، وتجسدت عاقبة الدراسة إلى إبداء أهم ما توصلنا إليه من نتائج.

المحور الأول: ضرورات الهجرة وأسبابها

من خلال سنوات الدعوة الممتدة في مكة والتي لم تسفر عن استجابة واضحة من قبل أهلها للدين الإسلامي، إذ إنها لم تكن مدينة مؤهلة لأن

تكون مركزاً للدعوة الإسلامية والانطلاق بها فكان لا بد من البحث عن موطن آخر للدعوة لأسباب عدة، نذكرها بإيجاز:-

اشتداد أذى المشركين للنبي محمد ﷺ وجميع من آمن به ويتضح ذلك جليّا من خلال ممارسات التعذيب التي كانوا يتعرضون لها، فعندما أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ أن يصدع بالدعوة بقوله عز وجل: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾[١] تلقى النبي محمد أمر الله عز وجل بالترحيب وعزم على الجهر بالدعوة وإعلانها فأمر ابن عمه الإمام عليا عليه السلام بدعوة بني هاشم وبني المطلب وبني عبد مناف وصنع لهم طعاما وكان عددهم أربعين رجلا بينهم أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب وقدم النبي لهم الطعام وقال لهم كلوا باسم الله فأكلوا حتى شبعوا... ولما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم قاطعه أبو لهب وقال لهم: سحركم صاحبكم، فتفرقوا عنه بين مستهزئ وساخر[٢]، واستمر النبي محمد ﷺ بدعوة قومه للدين الإسلامي وكان يواجه منهم الأذى والأستهزاء وكان عمه أبو طالب وحمزة يمنعونهم ويدافعون عنه[٣] وغيرها من ممارسات الاستهزاء والسخرية ولم يكن ﷺ يهتم لما يتلقاه من قومه بل كان همه الأكبر هو ممارسات التعذيب التي كانت تجري على قدم وساق بحق المسلمين، إذ صب المشركون جام غضبهم على كل من آمن بالنبي محمد ﷺ واستهدفوا المستضعفين، إذ أشارت المصادر التاريخية إليهم ومنهم بلال الحبشي إذ لاقى ما لاقى من التعذيب على يد سيده بسبب اعتناقه الإسلام إذ عذبه أمية بن خلف وصب عليه ألوان العذاب فكان يخرجه إذا حميت الظهيرة بعد أن يجوّعه ويعطشه ليلة ويوماً فيطرحه على ظهره في الرمضاء ثم يأمر بصخرة عظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، وغيرها من الممارسات الأخرى التي كان يتعرض لها بلال

إذ لم يكُن له ظهر يسنده ولا عشيرة تحميه[٤] وكذلك مصير آل ياسر إذ كان أشد بأساً وتنكيلاً ويعذبون بطريقة وحشية[٥] وجراء ذلك خشي النبي محمد ﷺ أن يُفتن المسلمون في دينهم نتيجة ضغوط المشركين عليهم فلما رأى أصحابه وما يُصيبهم من البلاء والشدة وأن الله تعالى قد أعفاه من ذلك وأنه لا يقدر على أن يمنعهم من قومهم وأنه ليس في قومهم من يمنعهم كما منعه عمه أبو طالب أمرهم بالهجرة إلى أرض الحبشة[٦] وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة للبعثة[٧] وأشار القرآن الكريم في مواضع عدة إلى الهجرة بقوله عز وجل: ﴿**والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**﴾[٨]، ﴿**ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم**﴾[٩]. تلقى المهاجرون إلى الحبشة معاملة حسنة من قبل النجاشي فكانت حالتهم كما وصفتها أم سلمة بقولها: نزلوا بخير دار إلى خير جار، امنا على ديننا ولم نخشَ منه ظلماً[١٠]. وأورد ابن سعد أنه لما بلغ قريش فعل النجاشي لجعفر وأصحابه وإكرامه إياهم كبر ذلك عليهم وغضبوا على رسول الله ﷺ وأصحابه وأجمعوا على قتله وكتبوا كتاباً على بني هاشم أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم [١١] ففرضت قريش المقاطعة على بني هاشم وبني عبد المطلب وكان أثرها كبيراً عليهم وأضرت بهم من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبعد انتهاء المقاطعة ووفاة السيدة خديجة وأبي طالب، إذ كانت السيدة خديجة رضي الله عنها خير معين وأبو طالب حاميه ومعينه وناصره على قومه وبعد وفاته انتقلت زعامة بني هاشم إلى أبي لهب فتعرض رسول الله ﷺ والمسلمون للاضطهاد والأذى من قبل المشركين، نتيجة لذلك أخذ رسول الله ﷺ يبحث عن موطن آمن للدعوة الإسلامية خارج مكة إذ

كانت الطائف أولى المدن التي توجه إليها النبي محمد ﷺ وذلك لقربها من مكة وتشابه العادات والتقاليد فأقام بها عدة أيام وعرض دعوته على أهلها، بدأ بكبار القوم فكان موقفهم مماثلاً لموقف أهل مكة المعارضين ولم يكتفوا بعدم الاستجابة بل أمروا صبيانهم بالتعرض بالأذى للنبي محمد ﷺ حتى يخرج من بلدتهم فكانت حالة النبي صعبة وناله منهم ما ناله من الأذى الجسدي والعطش والجهد، يذكر ابن سعد أن النبي محمداً ﷺ لم يدع أحداً من أشراف الطائف إلا جاء إليه وكلمه فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم فقالوا له يا محمد اخرج من بلدنا والحق بمجابك من الأرض، وأغروا سفاءهم فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أن قدمي رسول الله ﷺ لتدميان وزيد بن حارثة يقيه بنفسه[١٢].

بعد عودة النبي محمد ﷺ إلى مكة استمر بالبحث لإيجاد موطن آمن للدعوة فتوجه إلى زعماء القبائل التي كانت تفد إلى مكة في موسم الحج وأيام الأسواق لغرض التجارة فكان ﷺ يلتقي بهم ويدعوهم إلى الدين الإسلامي يعرضه عليهم ويتلو عليهم آيات من القرآن الكريم، فكلما سمع بقادم يقدم إلى مكة من العرب له اسم وشرف تصدى له ودعاه إلى الله وعرض عليه ماعنده[١٣].

أشارت المصادر التاريخية إلى أسماء بعض القبائل التي وفدت إلى مكة وعرض عليها النبي محمد ﷺ الإسلام إلا أنه لم يحصل على استجابة منهم ورفضوا، ولعل سبب رفضهم هو عدم تفهمهم للدين الإسلامي ومستقبله بالإضافة إلى المصالح التي تربطهم بقريش ولم يرغبوا بالدخول معها في صراع، ومن هذه القبائل قبيلة كندة، وبنو عامر بن صعصعة، وبنو حنيفة[١٤]، إلا أن أحد رجالات قبيلة عامر كان قد أدرك مستقبل الدعوة الإسلامية لذلك حاول مساومة النبي محمد ﷺ بأنهم إذا ناصروه

أن يكون لهم الملك من بعده إذ قال لقومه: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ثم قال للنبي محمد ﷺ: إذا نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال ﷺ: الأمر لله يضعه حيث يشاء، فقالوا: لا حاجة لنا بأمرك، وأبوا عليه[١٥]. لم تكن رغبتهم في مساندة النبي محمد ﷺ لأجل الدين الإسلامي وإنما طمعاً في أن تكون لهم الزعامة في المدينة. وواصل النبي محمد دعوته لغيرهم من القبائل الوافدة إلى مكة.

التقى النبي محمد ﷺ نفراً من الخزرج وعرض عليهم القرآن فأجابوه وأخبروه أنهم سيدعون قومهم إلى ما دعاهم إليه وانصرفوا راجعين إلى بلادهم بعد أن آمنوا وصدقوا[١٦] وكان عددهم ستة أشخاص[١٧] وتمكّن هؤلاء الستة من أبناء الخزرج من أن يحققوا نجاحاً كبيراً في دعوة قومهم إلى الإسلام بعد عودتهم إلى المدينة فلم تبقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ[١٨] وفي العام التالي توجه اثنا عشر رجلًا من أهل المدينة إلى مكة لغرض الحج كان بينهم خمسة أشخاص من الذين قابلوا النبي محمداً ﷺ في العام الماضي واثنان ينتمون إلى قبيلة الأوس في حين إن بقية الرجال كانوا من الخزرج[١٩]، واجتمعوا برسول الله ﷺ في موضع يدعى العقبة وبايعوه على الالتزام بمجموعة من القواعد والمبادئ الأخلاقية على أن لا يشركوا بالله وأن يطيعوه في المعروف ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم [٢٠] وأشار الله في كتابه الكريم إلى ذلك بقوله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[٢١] فكان عهدهم هذا بمثابة النواة الأولى التي ستقوم عليها

الدولة العربية الإسلامية وبعد ذلك أرسل النبي محمد ﷺ مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن ويفقههم في الدين[٢٢] واستطاع المسلمون أن يعيشوا بحرية في المدينة وأن يمارسوا شعائرهم الدينية دون خوف وبعد مضي عام على بيعة العقبة الأولى أجمع المسلمون من الأنصار على الذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج وموافاة رسول الله [٢٣]ﷺ ودعوته للهجرة إلى مدينتهم والتقوا بالنبي محمد ﷺ وواعدهم على الاجتماع بهم عند موضع العقبة وافتتح الاجتماع العباس بن عبد المطلب وخطب بهم رسول الله ﷺ وأعرب الأنصار عن قبول البيعة وعن استعدادهم لحماية رسول الله ﷺ حين يصل إلى مدينتهم[٢٤].

المحور الثاني: استجابة المكيين لأمر النبي ﷺ بالهجرة

بعد بيعة العقبة الثانية اتفق النبي محمد ﷺ مع الأنصار على هجرة المسلمين إلى المدينة إذ وجه ﷺ أصحابه للاستعداد والتهيؤ للهجرة والخروج سراً على شكل جماعات فأخذوا يتجهزون ويتوافقون ويتواسون ويخرجون ويخفون ذلك[٢٥] حاولوا قدر الإمكان أن يكون خروجهم سّراً إلا أن قريش علمت بهم إذ إن بيوت أغلبهم أصبحت خالية مغلقة كما أن بعضهم أوصى أصحاب الدور التي بقربه بالمحافظة على داره لأنه لا يعلم بمدة إقامته بالمدينة، علمت قريش بالأمر ومارست عليهم ضغطاً بالسجن والمنع، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن: هل ان جميع من أمرهم النبي محمد ﷺ بالهجرة استجابوا لهذا الأمر أم هنالك عدد من المتخلفين؟ الجواب بالتأكيد أن هنالك عدداً من المتخلفين عن تنفيذ أمر الهجرة ويتضح ذلك من ملاحظة أعداد المهاجرين التي ذكرتها المصادر التاريخية بالسبعين مهاجراً، إذ كانت هنالك أسباب عديدة أدت إلى تخلفهم عن الهجرة، وسوف نأتي على ذكرها.

بعض المسلمين كان لا يملك حرية نفسه إذ كان عبداً مملوكاً لسيده ومارست قريش ضغطاً عليهم بالمنع والحبس كما حدث مع صهيب لما أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تُريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم، قال: فإني جعلت لكم مالي، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: ربح صهيب ربح صهيب[٢٦] كما أن بعض الأسر منعت أبناءها من الهجرة كما حدث ذلك عندما اتفق عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربعة المخزومي[٢٧] وهشام بن العاص بن وائل السهمي[٢٨] على الهجرة في وقت ومكان محددين واتفقوا أن من لم يحضر في الموعد فقد حبس فليمضِ صاحبه، حضر عمر وعياش إلا أن هشاما لم يقدم فيقول عمر حبس عنا هشام وفتن فافتتن[٢٩].

وحدث انقسام بين أبناء الأسرة الواحدة فبعض الزوجات المؤمنات تركن أزواجهن وهاجرن إلى المدينة لأنهم ما زالوا على الكفر وكذا الحال بالنسبة للزوجات المشركات اللاتي رفضن اعتناق الإسلام والهجرة مع أزواجهن إلى المدينة وأشار القرآن الكريم إلى هاتين الحالتين بقول الله عز وجل: ﴿**وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ**﴾[٣٠] وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا**﴾[٣١].

كما أن بعض المتخلفين هم من المسلمين الذين لا يمتلكون مستلزمات الهجرة ولا يقدرون عليها وأشار إلى ذلك ابن سعد بقوله: إن المهاجرين كانوا يخرجون من مكة إلى المدينة مشاة وركباناً أما أهل

القوة فركباناً وأما من لم يجد ظهراً فيمشون[٣٢].

كما أن بعض المتخلفين هم من الذين أسلموا وآمنوا بالله وبرسوله لكنهم تخلفوا عن الهجرة وعرض على بعضهم الفتنة فافتتن وشهد مع المشركين حرب المسلمين من أجل الحفاظ على أرواحهم وأموالهم واعتبارهم الاجتماعي فأبى الله عز وجل قبول معذرتهم التي اعتذروا بها والتي بينها عز وجل في قوله: ﴿**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض**﴾[٣٣]، في هذه الآية نداء لكل بني الإنسان الذي مد يد العار والمداهنة وخضعوا تحت أنقاض الظلم والفساد وأخمدوا شعلة الروح ولم ينهضوا بسبب تعلقهم بالروابط العاطفية والسنن الاجتماعية أو امتلاكهم للرؤى السياسية المتقاربة والنفس الضعيفة الهزيلة[٣٤] واستثنى الله عز وجل المستضعفين الذين استضعفهم المشركون من الرجال والنساء والولدان وهم العاجزون عن الهجرة بالعسر وقلة الحيلة وسوء البصر والمعرفة بالطريق من أرضهم أرض الشرك إلى أرض الإسلام فيقول الله جل وعلا: ﴿**فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾[٣٥] هذا وعد شديد من الله سبحانه وتعالى لمن ترك الهجرة من دون عذر وهو قادر عليها وهو بهذا ظالم لنفسه بحسب نص الآية الكريمة.

وهُنا يُطرح سؤال ان الذي يهاجر ماذا سيترك خلفه في مكة وإلى من يتوجه؟ رحل الأصحاب بالتدريج تاركين معقل الجهل والشرك والظلم عازفين عن الدار والأهل والثروة والكثير من ارتباطاتهم العاطفية وبدل كل ذلك اختاروا الحرية[٣٦] فتركوا وراءهم الأهل والموطن والمال في سبيل الحفاظ على الدين وعلى حرية الفكر والعقيدة.

المحور الثالث: ظروف الهجرة وتوقيتها

خلت مكة من المسلمين ولم يكن ذلك أمراً عادياً بل أغرق قريش في التفكير والتحسب وقد كانت الأنباء التي تصل من يثرب تزيد خوفهم حيث اجتمع المهاجرون جميعاً هناك وقد احتضنتهم جماهير تلك الأرض أعزاء كراماً وكان ظاهراً على الأوس والخزرج القبيلتين المعروفتين بين العرب بصبرهما في الحرب وشجاعتهما، أنهما مصممتان على أمر أخطر وأهم من ضيافة المهاجرين وأنهما تنتظران خبراً ما، أضحت يثرب كلها في قبضة أنصار محمد ! وليست يثرب كالحبشة وفي مثل هذا الوضع لن يبقى محمد وعدة معدودة في مكة فقد انتهت مرحلة الصبر وتحمل المصاعب[٣٧].

أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يأذن الله له بالهجرة وكان معه الإمام علي عليه السلام وأبو بكر بن أبي قحافة وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذنه في الهجرة فيقول له النبي محمد ﷺ لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً فيطمع أبو بكر أن يكونه[٣٨].

توقيت هجرة النبي محمد ﷺ لم يكُن بيده ولم يخطط للخروج في يوم معين بل كان ينتظر أمر الله عز وجل فذلك الحدث لم يكُن بعيداً عن التدبير الإلهي الذي لا يتعارض مع مجريات الأحداث في الواقع الحي فأحد أسباب خروج النبي محمد ﷺ من مكة هو أن قريش أجمعت على قتله فأجمعوا وقرروا أن يجمعوا من كل قبيلة غلاماً ويضربونه ضربة رجل واحد حتى يضيع دمه بين القبائل[٣٩] فالهجرة ليست حدثاً عاديّا لأن ذلك الحدث مقصود من الله عز وجل ومأذون له منه فكانت مجموعة دروس وعبر وعطاء وتضحية كما كانت على وفق تدبير إلهي وسبق الإخبار عنها عند بدء نزول الوحي[٤٠] كما كانت وفاة سنده في مكة وهو عمه أبو طالب عاملاً مهماً في هجرة النبي محمد ﷺ إذ أوحى الله تعالى إليه أن

اخرج من القرية الظالم أهلها فليس لك بمكة ناصر بعد أبي طالب وأمره بالهجرة[٤١] بقوله جل وعلا: ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا**﴾[٤٢].

صدر الأمر الإلهي بالهجرة لكن قريش كانت يقظة وعندما همّت بقتل النبي محمد ﷺ أوحى الله تعالى إلى نبيه، إذ أتاه جبرئيل فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه[٤٣] فكان خروجه ﷺ من مكة أول يوم ربيع الأول وذلك يوم الخميس من سنة ثلاث عشرة من المبعث وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول [٤٤] وقيل سنة أربع عشرة من المبعث[٤٥].

علاوة على ما تقدم نرى أنه لم يكُن السبب الرئيس للهجرة هو الفرار من العذاب الشديد والأذى كما أنها لم تكن تخلياً عن المسؤولية بل انها كانت مرحلة أساسية وضرورية من أجل إتمام الدعوة الإسلامية، فيمكن عدها مرحلة من مراحل الجهاد في سبيل الله، علاوة على العامل الاقتصادي الذي بلغ أشده عندما فرضت عليهم المقاطعة لمحاصرتهم ومنعهم من الاختلاط بغيرهم من العرب، إذ كان المغزى من الهجرة هو إيجاد موطن قدم للدعوة الإسلامية لكي تنعم بالأمن والاستقرار وتستطيع بناء وتثبيت نفسها في الداخل ومن ثم تنطلق لتحقيق مراميها في الخارج.

مستلزمات الهجرة ومن رافقه

بعد أن أذن الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ بالهجرة توجه من داره إلى غار ثور بصحبة أبي بكر وبقي ثلاثة أيام حتى هدأت فورة القوم من البحث عليهما لأن قريش جعلت لمن يقبض على النبي محمد ﷺ جائزة مائة ناقة وقد دفع هذا الإغراء إضافة إلى أعداء النبي الألداء

الكثير من الرجال والأوباش للانتشار في أرجاء الصحراء للتفتيش عن النبي محمد ﷺ وكان أبو بكر قلقاً وفجأة سمع أصداء لأصوات عدة تقترب باتجاه الغار فاضطرب حزناً وكان يحسب أنهم لو ألقوا نظرة نحو أسفل أقدامهم فسيرونهما، أما النبي محمد ﷺ فقد واجهه باطمئنان قائلاً: لا تحزن إن الله معنا بعدها استأنفا المسير إلى المدينة حينما يئس ملاحقوهما من العثور عليهما (٤٦).

والهجرة لكي تتم لا بد من توافر مستلزمات وأهم تلك المستلزمات هي الرواحل، الناقة التي ستحمل النبي ﷺ إلى المدينة في هذه المسافة الطويلة، هذا الموضوع فيه إشكاليات وحلقات غامضة غير واضحة.

فبعض الروايات تذكر أن أبا بكر قد حسب حسابه وهيأ مستلزمات الهجرة من قبل إذ كان له بعيران وضعهما عند عبد الله بن أرقط وطلب منه أن يرعاهما في الصحراء ليخفي آثار أقدام عبد الله وأسماء ويأتي بهما حيث ميعاد الحركة(٤٧) بعد أن هدأت فورة القوم وخف الطلب وأقلع المفتشون عن البحث، وبعد أن أمن الطريق أتى عبد الله بن أرقط ببعيري أبي بكر على أن يركب النبي بعيراً ويركب عبد الله وخلفه أبو بكر على بعير آخر وقد كانت لحظة حساسة مليئة بالأخطار ولكن كان يبدو أن هنالك أمراً طارئاً أهم من الحركة، النبي محمد ﷺ التفت إلى أبي بكر وقال: إني لا أركب بعيراً ليس لي، فقال له أبو بكر فهو لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي، قال ﷺ: لي ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به؟ قال كذا وكذا، قال ﷺ قد أخذتها به، قال أبو بكر هي لك يا رسول الله، فركبا وانطلق النبي محمد ﷺ ليتم عملية الهجرة، بدأ التاريخ وتحركت القافلة الثنائية(٤٨).

رواية أخرى تذكر أن الإمام عليا عليه السلام وهند بن أبي هالة هما اللذان جهزا الرواحل للنبي محمد ﷺ ولأبي بكر، إذ يذكر أن الإمام عليا عليه السلام

انتظر حتى إذا أعتم الليل انطلق هو وهند بن أبي هالة حتى دخلا على النبي محمد ﷺ في الغار فأمر رسول الله هنداً أن يبتاع له ولصاحبه بعيرين فقال أبو بكر قد كنت أعددت لي ولك يا نبي الله راحلتين نرتحلهما إلى يثرب فقال ﷺ إني لا آخذهما ولا إحداهما إلا بالثمن فقال هي لك بذلك فأمر النبي محمد ﷺ الإمام عليا عليه السلام فأقبضه الثمن ثم أوصاه بحفظ ذمته وأداء أمانته إذ كانت قريش تدعو النبي محمداً ﷺ في الجاهلية الأمين وكانت تودعه وتستحفظه أموالها وأمتعتها وكذلك من يقدم مكة من العرب في الموسم وقال له ﷺ أدِّ أمانتي على أعين الناس ظاهراً ثم إني مستخلفك على فاطمة ابنتي ومستخلف ربي عليكما ومستحفظه فيكما وأمره أن يبتاع رواحل له وللفواطم ومن أزمع الهجرة معه من بني هاشم[٤٩].

هل يعقل أن قريش كانت غافلة عن رصد هذه المسألة ولاسيما أنها قد وضعت جائزة مغرية لمن يدلي بمعلومات عن النبي محمد ﷺ وبالتأكيد انها كانت ترقب تحركات أسرة النبي محمد ﷺ وكل شخص تابع له ولأبي بكر، من هنا لا أستطيع أن أجزم بنتيجة منفردة بخصوص هذه القضية.

بعد أن تم تجهيز النبي محمد وأبي بكر بالرواحل، قال ﷺ للإمام علي عليه السلام إذا أبرمت ما أمرتك به فكُن على أهبة الهجرة إلى الله ورسوله وسر إلي لقدوم كتابي إليك ولا تلبث بعده[٥٠].

دخول النبي محمد المدينة ومن رافقه في ذلك

عندما وصل النبي محمد ﷺ إلى قباء كتب كتاباً إلى الإمام علي عليه السلام يأمره بالمسير إليه وكان الرسول هو أبو واقد الليثي فلما أتاه كتاب رسول الله ﷺ تهيأ للخروج والهجرة، أذن عليه السلام لمن كان معه من ضعفاء المؤمنين وأمرهم أن يتسللوا ويتخفوا إذا ملأ الليل بطن كل واد إلى ذي طوى وخرج الإمام علي بفاطمة بنت رسول الله ﷺ وفاطمة بنت أسد وفاطمة بنت

الزبير وتبعهم أيمن ابن أم أيمن وأبو واقد رسول النبي محمد ﷺ[٥١] فجعل أبو واقد يسوق بالرواحل فأعنف بها فقال له الإمام علي عليه السلام: ارفق بالنسوة يا أبا واقد فإنهن من الضعائف قال: إني أخاف أن يدركنا الطالب أو قال الطلب، فقال له عليه السلام: اربع عليك فإن رسول الله ﷺ قال لي: يا علي إنهم لن يصلوا من الآن اليك بما تكرهه ثم جعل يعني علياً يسوق بهن سوقا رفيقاً وأكمل مسيره فلما شارف ضجنان[٥٢] أدركه الطلب فأقبل الإمام علي عليه السلام على أيمن وأبي واقد وقد تراءى القوم فقال لهما: أنيخا الإبل واعقلاها وتقدم حتى أنزل النسوة ودنا القوم فاستقبلهم عليه السلام منتضياً سيفه فأقبلوا عليه فقالوا: أظننت أنك ناجٍ بالنسوة؟ ارجع لا أبالك، قال عليه السلام: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعهن راغماً ودنا الفوارس من النسوة والمطايا ليثوروها فحال علي عليه السلام بينهم وبينها فشد عليهم عليه السلام بسيفه وهو يقول: خلو سبيل الجاهد المجاهد آليت لا أعبد غير الواحد، فتصدع عنه القوم وقالوا له: اغن عنا نفسك يا ابن أبي طالب فقال عليه السلام: إني منطلق إلى ابن عمي رسول الله ﷺ بيثرب فمن سرّه أن أفري لحمه وأريق دمه فليتعقبني أو فليدنُ مني ثم أقبل على صاحبيه أيمن وأبي واقد فقال لهما أطلقا مطاياكما ثم أكمل مسيره ظاهراً قاهراً حتى قدم المدينة[٥٣].

اختلفت الروايات حول دخول النبي محمد ﷺ المدينة ومن كان يرافقه أثناء دخوله إليها، فبعض الروايات تشير إلى أنه ﷺ بقي في أطرافها في قباء ينتظر وصول الإمام علي عليه السلام والفواطم فقال له أبو بكر انهض بنا إلى المدينة فإن القوم قد فرحوا بقدومك وهم يستريثون إقبالك إليهم فانطلق بنا ولا تقم ها هنا تنتظر علياً فما أظنه يقدم إليك إلى شهر، فقال له النبي محمد ﷺ: كلا ما أسرعه ولستُ أريم حتى يقدم ابن عمي وأخي في الله عز وجل وأحب أهل بيتي إلي فقد وقاني بنفسه من المشركين، فبقي ﷺ

خمسة عشر يوماً في قباء فوافى علياً بعياله وقد تفطرت قدماه فاعتنقه النبي ﷺ وبكى رحمة لما بقدميه من الورم(٥٤).

ورواية خرى تشير إلى أن النبي محمداً ﷺ دخلها مع أبي بكر وأقام في دار كلثوم بن هدم(٥٥)، ثم قدم الإمام علي عليه السلام إلى المدينة وكانت قدماه قد تفطرتا فقال النبي محمد ﷺ ادعو لي علياً قيل لا يقدر أن يمشي فأتاه ﷺ وبكى رحمة لما بقدميه من الورم(٥٦) ونحن نتفق مع الرواية الأولى.

مكانة الهجرة عند المسلمين وأهميتها عندهم

في هذه الفقرة نُشير إلى مكانة الهجرة النبوية في تاريخ المسلمين وكيف تعاملوا معها وجعلوها بداية للتقويم الهجري الخاص بهم كما نُشير إلى أهميتها عندهم.

بعد أن هاجر النبي محمد ﷺ إلى المدينة ويئس المشركون من العثور عليه، منذ تلك الليلة ليلة الهجرة من ذلك العام بدأ تاريخ المسلمين. وإن سبب ذلك هو أن الإسلام أكمل الشرائع السماوية قاطبة وجاء إلى البشرية بما تضمنته شريعة موسى وعيسى عليهما السلام ولكن بصورة أكمل وبصيغة تتطابق وتتماشى مع جميع الظروف والأوضاع ومع أن السيد المسيح وميلاده المبارك يحظى بالاحترام عند المسلمين إلا أن ميلاده لم يتخذ لديهم مبدأ للتاريخ والتوقيت، كانت العرب قد جعلت عام الفيل(٥٧) مبدأ لتاريخها وكانت تقيس حوادثها وأمورها إليه مدة من الزمن ومع أن النبي محمدا ﷺ قد ولد في ذلك العام نفسه(٥٨) إلا أن المسلمين لم يتخذوه مع ذلك مبدأ للتاريخ لأنه لم يكُن ينطوي على ما يتصل بالإسلام ولأجل هذا لم يتخذوا عام البعثة مبدأ لتاريخ المسلمين أيضاً لأن عدد المسلمين لم يكن يتجاوز النفر القليل، إذن فلم يكن أي واحد من تلك الحوادث ما يعطي مبرراً قوياً لاتخاذه مبدأ للتوقيت والتاريخ إذ لابد أن يكون ما

يتخذ لذلك قضية مصيرية بالغة الأهمية[٥٩] إلا أنه في السنة التي هاجر فيها النبي محمد ﷺ حقق المسلمون انتصاراً عظيماً وباهراً وقد أسست فيه حكومة مستقلة وتخلص المسلمون من التشرذم والتبعثر وتمركزت قواهم وعناصرهم في نقطة واحدة وبيئة حرة لا أثر فيها للكبت والاضطهاد، من هذا جعلوا ذلك العام أي العام الذي تحققت فيه هجرة النبي محمد ﷺ مبدأ لتاريخهم وأخذوا يقيسون إليه وحتى الآن[٦٠] ولهذا السبب اتخذوا الهجرة النبوية المباركة مبدأ للتاريخ الهجري.

النبي محمد ﷺ هو الذي وضع التاريخ الهجري بنفسه على العكس مما هو مشهور بين المؤرخين من أن الخليفة الثاني هو الذي جعل هجرة النبي محمد مبدأ للتاريخ وبتأييد واقتراح من الإمام علي عليه السلام، فإن الإمعان في مراسلات النبي ومكاتباته التي هي مدرجة في أغلب كتب التاريخ والسيرة والحديث والسنة وكذا غيره من الأدلة تثبت أن النبي هو بنفسه أول من اعتمد تلك الحادثة الكبرى كمبدأً للتاريخ وكان يؤرخ رسائله وكتبه إلى إمراء العرب وزعماء القبائل وغيرهم من الشخصيات البارزة بذلك التاريخ وفيما يأتي نماذج من رسائله:

- كتاب الصلح الذي كتبه الإمام علي عليه السلام بأمر النبي محمد ﷺ لنصارى نجران مؤرخ بالسنة الهجرية الخامسة وجاء فيه: وأمر علياً فيه أن اكتب لخمس من الهجرة[٦١]. إن هذه الجملة تفيد بوضوح أن النبي ﷺ هو واضع التاريخ الهجري ومؤسسه الأوّل وهو الذي أمر علياً عليه السلام بأن يؤرخ ذلك الكتاب بالتاريخ الهجري في ذيله[٦٢].
- نص معاهدة النبي محمد ﷺ مع اليهود التي جاء في نهايتها: ليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو من أهل بيت رسول الله ﷺ وكتب علي بن أبي طالب في سنة تسع من الهجرة[٦٣].

إن هذا النوع من تاريخ الحوادث والوقائع يكشف أن المسلمين كانوا إلى السنة الخامسة من الهجرة يقيسون الحوادث بهجرة النبي ﷺ ويؤرخون بها عن طريق عد الأشهر حتى إذا كانت السنة الخامسة للهجرة أمر ﷺ بإحلال السنة الهجرية مكان الشهر الهجري كما مرّ في الكتاب الذي كتبه لنصارى نجران بالعام الهجري(٦٤) ونقل المحدثون الإسلاميون عن الزهري قوله: إن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة مهاجراً أمر بالتاريخ فكتب في ربيع الأوّل أي شهر قدومه المدينة (٦٥) وروى الحاكم عن ابن عباس أن التاريخ الهجري بدأ من السنة التي قدم فيها النبي ﷺ المدينة(٦٦).

إن تلك النصوص تحكي أن قائد الإسلام الأكبر قد أوضح مسألة التاريخ من اليوم الأوّل وأنه ﷺ جعل هجرته مبدأ لذلك التاريخ، غاية ما هنالك أن ذلك التاريخ كان إلى مدة من الزمن يعد بالأشهر ثم حل العد بالأعوام منذ حلول السنة الخامسة من الهجرة محل العد بالأشهر(٦٧).

رفع رجل إلى عمر بن الخطاب صكاً مكتوباً على رجل آخر بدين يحل عليه في شعبان فقال عمر: أي شعبان؟ أ من هذه السنة أم التي قبلها أم التي بعدها؟ ثم جمع الناس أي صحابة رسول الله ﷺ فقال: اصنعوا للناس شيئاً يعرفون به حلول ديونهم، فقال بعضهم ان يؤرخوا كما يؤرخ الفرس بملوكهم، كلما هلك ملك أرخوا من تاريخ ولاية الذي بعده فكرهوا ذلك ومنهم من قال: أرخوا بتاريخ الروم من زمان إسكندر فكرهوا ذلك لطوله أيضاً، وقال آخرون: أرخوا من مولد رسول الله ﷺ وقال آخرون: أرخوا من مبعثه وأشار علي بن أبي طالب عليه السلام أن يؤرخ من هجرته إلى المدينة لظهوره على كل أحد، فهو أظهر من المولد والمبعث فاستحسن عمر ذلك والصحابة فأمر عمر أن يؤرخ من هجرة رسول الله ﷺ(٦٨).

يذكر أحد المفكرين أن اختيار هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة بداية

للتاريخ يمثل أحد مزايا الإسلام وخصوصياته وأن هذا الاختيار يستحق الكثير من التأمل فالعرف التاريخي قام دائماً على اتخاذ ولادة قائد النهضة أو الدين أو اتخاذ انتصار عظيم مبدأ للتاريخ أما في الإسلام فلم يتخذ أي منها لا ولادة النبي ﷺ ولا فتوحاته الكبرى حتى فتح مكة حيث كان ينبغي أن يتخذ مبدأ للتاريخ في ضوء العرف والسنة التاريخية بل الغريب أنه لم يتخذ حتى البعثة بل اعتبر الهجرة مبدأ للتاريخ(٦٩).

آيات القرآن الكريم وأقوال النبي محمد ﷺ اعتبرت الهجرة ولاسيما الهجرة الفكرية والعقائدية هي أرقى ألوانها وأصلاً مقدساً بل اعتبرتها تكليفاً إنسانياً وجاءت النصوص صريحة في هذا المجال(٧٠) منها قوله عز وجل: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(٧١) في الآية المذكورة المهاجر في طريق الحقيقة لا يقف إلى صف المجاهد فحسب بل يتقدم عليه، نلاحظ أن الهجرة تأتي بعد الإيمان مباشرة بوصفها أعظم أصل علمي ووظيفة إنسانية مقدسة وهذا التقدم والتأخر ذو دلالة في السياق القرآني ويستحق الوقوف عنده والتأمل فيه وليس عبثاً وصدفة على الإطلاق (٧٢).

إن الذي لا يمكن إغفاله هو أن الإسلام يأتي على ذكر الهجرة بوعي علمي دقيق لآثار الهجرة المدهشة في بناء النفوس العظام والحضارات الكبرى، وان تسمية أتباع النبي محمد ﷺ وأنصاره الأوائل بالمهاجرين تدلل بنفسها على هذا التوجه حيث تسمية النبي محمد ﷺ للسابقين الكبار من أصحابه بالمهاجرين من بين كل الصفات التي يمكن أن يسميهم بها واختياره لصفة المهاجر لو لم تكن الهجرة ذات دور عظيم في الفكر الإسلامي لما قدمها على سائر الصفات الأخرى التي يمكن أن يطلقها عليهم(٧٣).

الـــخاتـــمة

توصلنا في نهاية هذا البحث إلى خاتمة مفادها أن:

الهجرة مطلب دعوي تقتضيه طبيعة النبوة ونشر الرسالة فالنبي محمد ﷺ لم يكن أول نبي يهاجر ويترك موطنه بل كان للأنبياء من قبل هجرات كهجرة النبي نوح والنبي إبراهيم والنبي موسى (عليهم السلام).

فالهجرة ليست حدثا عاديا لأن ذلك الحدث مقصود من الله عز وجل ومأذون له منه، فكانت مجموعة دروس وعبر وتضحية وعطاء، كما كانت بحسب تدبير إلهي وسبق الإخبار عنها عند بدء نزول الوحي.

كما أنها لم تكن تخلياً عن المسؤولية ولم تكن فرارا من الأذى والعذاب الشديد بل كانت مرحلة أساسية وضرورية من أجل إتمام الدعوة الإسلامية ويمكن عدّها مرحلة من مراحل الجهاد في سبيل الله.

فكان المغزى من الهجرة هو إيجاد موطن قدم للدعوة الإسلامية لكي تنعم بالأمن والاستقرار وتستطيع بناء وتثبيت نفسها في الداخل ومن ثم تنطلق لتحقيق مراميها في الخارج، إذ تعدّ من أنجح الوسائل لنشر الدعوة الإسلامية.

الهوامش

١) سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

٢) الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٧هـ)، ج٢، ص٣٢١؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، (بلا مكان، ١٩٩٧م)، ج١، ص٦٦١.

٣) يُنظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت٢١٣هـ) السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (مصر، ١٩٥٥م)، ج١، ص ٢٩٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٣٤.

٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٣١٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص ٤٥٢.

٥) يُنظر: ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت١٥٣هـ) السيرة النبوية، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، ط٢، (بيروت، ٢٠٠٩)، ج١، ص١٩٢ ؛ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار وزياض الزركلي، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٦م)، ج١، ص ١٦٠.

٦) يُنظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ج٢، ص٢٤٧؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٣٣٠-٣٣١.

٧) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٠م)، ج١، ص ١٥٩؛ ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، ص١٤٨؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، (بيروت، ١٩٧٦م)، ج٢، ص ٣.

٨) سورة النحل، آية ٤١.

٩) سورة النحل، آية ١١٠.

١٠) ابن إسحاق، السيرة النبوية، ج١، ص ٢١٣.

١١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ١٦٣.

١٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ١٦٥.

١٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٤٢٥؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢، ص ١٧٣.

١٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٤٢٥؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٣٤٩.
١٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٤٢٥.
١٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٤٢٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٥٤.
١٧) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٤٢٩.
١٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ١٧٠.
١٩) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ص ٤٣١-٤٣٢ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٣٥٥.
٢٠) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٤٣٣.
٢١) سورة الممتحنة، الآية ١٢.
٢٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٣٥٧.
٢٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ١٧١.
٢٤) للتفاصيل يُنظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٤٤٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٦٢؛ ابن سعد، الطبقات، ج١، ص١٧٢.
٢٥) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص١٧٥؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢، ص٢١٣-٢١٦.
٢٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٤٧٧؛ ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص١٧١.
٢٧) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم من مهاجرة الحبشة، وأمه أسماء بنت سلامة بن مخربة، قتل بالشام يوم اليرموك في عهد عمر، يُنظر: ابن حبان،، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ (ت٣٥٤هـ) الثقات، دائرة المعارف العثمانية، (الهند، ١٩٧٣م)، ج٣، ص٣٠٩؛ البغوي، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز (ت ٣١٧هـ) معجم الصحابة، تح: محمد أمين، مكتبة دار البيان، (الكويت، ٢٠٠٠م)، ج٤، ص٣.
٢٨) بن هشام بن سعيد بن سهم وأمه أم حرملة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان قديم الإسلام بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ثم قدم مكة حين بلغه مهاجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة يُريد اللحاق به فحبسه أبوه وقومه بمكة حتى قدم بعد الخندق على النبي (صلى الله عليه وسلم) المدينة فشهد ما بعد ذلك من المشاهد وكان أصغر من أخيه عمرو بن العاص وليس له عقب،، استشهد في معركة اجنادين سنة ١٣هـ في خلافة أبي بكر، يُنظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص ١٤٥، ١٤٧.

٢٩) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٤٧٤؛ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت ٤٥٨هـ) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٥م)، ج٢، ص٤٦٢؛ الحميري، سليمان بن موسى بن سالم (ت٦٣٤هـ) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٠هـ)، ج١، ص ٢٧٦.

٣٠) سورة الممتحنة، آية ١٠.

٣١) سورة الممتحنة، آية ١٠.

٣٢) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص ٢٠٥.

٣٣) سورة النساء، الآيات ٩٧-١٠٠.

٣٤) شريعتي،علي، محمد ﷺ خاتم النبيين، ترجمة: أبو علي الموسوي، دار الأمير للثقافة والعلوم، (بيروت، ٢٠٠٧م)، ج٢٣، ص٤٠.

٣٥) سورة النساء، الآية ٩٩.

٣٦) شريعتي، محمد ﷺ خاتم النبيين، ج٢٣، ص ٤٧-٤٨.

٣٧) شريعتي، محمد ﷺ خاتم النبيين، ج٢٣، ص٤٩.

٣٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٤٨٠؛ السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت٥٨١هـ) الروض الأنف في تحقيق السيرة النبوية لابن هشام، تح: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج٤، ص١٢٢؛ الحميري، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، ج١، ص ٢٧٨.

٣٩) يُنظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٤٨٢؛ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٩٢هـ) تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت، د.ت)، ج٢، ص ٣٩؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ١٤١.

٤٠) ابن حبان البستي، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، دار الكتب الثقافية، (بيروت، ١٤١٧هـ)، ج١، ص٦٥؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج٢، ص١٤٠.

٤١) الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٨-٣٢٩هـ) أصول الكافي، دار المرتضى، (بيروت، ٢٠٠٥)، ج١، ص٣٣٤.

٤٢) سورة النساء، آية ٧٥.

٤٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ص ٤٨٢-٤٨٣؛ ابن حبان، السيرة النبوية، ج١، ص ١٢٦؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢، ص ٢٢٩؛ للتفاصيل يُنظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ص٤٨٣-٤٨٤؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٩؛

السهيلي، الروض الأنف، ج٤، ص ١٢٧.

٤٤) الكليني، الكافي، ج٨، ص٣٣٩؛ المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تح: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٩م)، ج١، ص ٦٤٠؛ الحلي، حسين بن سليمان (ت ق ٩هـ)، مختصر بصائر الدرجات، المطبعة الحيدرية، (النجف، ١٩٥٠م)، ص١٢٩.

٤٥) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تنقيح: يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ٢٠٠٢م)، ج١، ص٢٨١.

٤٦) يُنظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ص ٤٨٦-٤٨٧؛ أبو نعيم الاصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت ٤٣٠هـ)، دلائل النبوة، تح: محمد رواس قلعة جي وعبد البر عباس، دار النفائس، (بيروت، ١٩٨٦م)، ج١، ص ٣٢٥؛ ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ)، جوامع السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)، ص٧٠؛ السهيلي، الروض الأنف، ج٤، ص ص ١٣٥- ١٣٦؛ الحميري، الاكتفاء بما تضمنه مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، ج١، ص ٢٨٢.

٤٧) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ص ٤٨٦-٤٨٧؛ ابن حزم الأندلسي، جوامع السيرة النبوية، ص٧٠.

٤٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ٤٨٦-٤٨٧؛ السهيلي، الروض الأنف، ج٤، ص١٣٨.

٤٩) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، الأمالي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (قم، د.ت) ص ص ٤٦٧ - ٤٦٨؛ البحراني، هاشم (ت١١٠٧هـ) البرهان في تفسير القرآن، مؤسسة البعثة، (قم، د.ت) ج٢، ص ٦٧٥.

٥٠) الطوسي، الأمالي، ص ٤٦٨.

٥١) الطوسي، الأمالي، ص٤٧٠.

٥٢) جبل بناحية مكة على طريق المدينة، يُنظر: البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت٤٨٧هـ) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، (بيروت، ١٤٠٣هـ)، ج٣، ص ٨٥٦.

٥٣) الطوسي، الأمالي، ص٤٧١؛ المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، (بيروت، ١٩٨٣م)، ج١٩، ٦٥-٦٦؛

البحراني، حلية الأبرار، تح: غلام رضا، مؤسسة المعارف، (قم، ١٤١١هـ)، ج١، ص١٥١.

٥٤) الطوسي، الأمالي، ص ٤٦٩؛ الاربلي، أبو الحسن علي بن عيسى (ت٦٩٢هـ) كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء، (بيروت، ١٩٨٥م)، ج٢، ص٣٢؛ ابن الصباغ، علي بن محمد بن أحمد (ت٨٥٥هـ)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تح: سامي الغريري، دار الحديث للطباعة والنشر، (قم، ١٤٢٢هـ)، ص ٣٠٣.

٥٥) يُنظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ٤٣٩؛ السهيلي، الروض الأنف، ج٤، ص ١٥٣؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٢م)، ج٣، ص٦٥؛ النجار، أبو عبد الله محمد بن محمود (ت ٦٤٣هـ)، الدرة الثمينة في أخبار المدينة، تح: حسين محمد، دار الأرقم، (بلا مكان، د.ت)، ص ٤٠.

٥٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٦٩٨.

٥٧) هو العام الذي هجم فيه ابرهة الحبشي على الكعبة بجيشه يتقدمهم الفيل ولما وصلوا الحرم برك الفيل وانصرف راجعاً نحو اليمن، يُنظر: المقدسي، المطهر بن طاهر (ت ٣٥٥هـ)، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، (بورسعيد، د.ت)، ج٣، ص١٨٨.

٥٨) خليفة بن خياط، خليفة بن خياط بن خليفة (ت ٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم، (بيروت، ١٣٩٧هـ)، ص٥٢؛ ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، المعارف، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط٤، (القاهرة، د.ت) ص١٥٠؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص١٥٥.

٥٩) السبحاني، سيد المرسلين، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤٢٩هـ)، ص ٦٠٥.

٦٠) السبحاني، سيد المرسلين، ص٦٠٥.

٦١) الصالحي، محمد بن يوسف (٩٤٢هـ)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تح: عادل أحمد وعلي محمد، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٣م)، ج١٢، ص ٣٦؛ الكتاني، عبد الحي (١٣٨٢هـ)، التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، (بيروت، د.ت)، ج١، ص١٧٢.

٦٢) السبحاني، سيد المرسلين، ص٦١٠.

٦٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٧٧ ؛ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ) فتوح البلدان، دار ومكتبة هلال، (بيروت، ١٩٨٨م)، ص ٦٨.

٦٤) السبحاني، سيد المرسلين، ص ٦١١.
٦٥) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ) صبح الأعشى في صناعة الانشا، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)، ج٦، ص ٢٣٢؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ٣٩٠.
٦٦) الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم (ت ٤٠٥هـ) المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٠م)، ج٣، ص ٣٦١.
٦٧) السبحاني، سيد المرسلين، ص٦١٢.
٦٨) يُنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ١٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، تح: علي شيري، إحياء التراث العربي، (بلا مكان، ١٩٨٨م)، ج٧، ٨٥.
٦٩) شريعتي، محمد خاتم النبيين، ج٢٣، ص ص ٤٦-٤٧.
٧٠) شريعتي، محمد خاتم النبيين، ج٢٣، ص ص٣٨-٣٩.
٧١) سورة البقرة، آية ٢١٨.
٧٢) شريعتي، محمد خاتم النبيين، ج٢٣، ص ٣٩.
٧٣) شريعتي، محمد خاتم النبيين، ج٢٣، ص ٤٥.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
*ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت ١٥١هـ)
* السيرة النبوية، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، ط٢، (بيروت، ٢٠٠٩)
*ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (٦٣٠هـ)
* الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، (بلا مكان، ١٩٩٧م)
*ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)
* المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٢م)
*ابن الصباغ، علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٥هـ)
* الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تح: سامي الغريري، دار الحديث للطباعة والنشر، (قم، ١٤٢٢هـ)
*النجار، أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن (ت ٦٤٣هـ)
* الدرة الثمينة في أخبار المدينة، تح: حسين محمد علي شكري، دار الأرقم بن أبي الأرقم (بلا مكان، د.ت)
*ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ (ت ٣٥٤هـ)
* الثقات، دائرة المعارف العثمانية، (الهند، ١٩٧٣م)
*السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، دار الكتب الثقافية، (بيروت، ١٤١٧هـ)
*ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ)
*جوامع السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)
*ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ)
* الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٠م)
*ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)
* المعارف، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط٤، (القاهرة، د.ت)
* ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)
* البداية والنهاية، تح: علي شيري، إحياء التراث العربي، (بلا مكان، ١٩٨٨م)
* السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، (بيروت، ١٩٧٦م)
*ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت ٢١٣هـ)
*السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (مصر، ١٩٥٥م)

*أبـو نعيـم الاصبهـاني، أحمـد بـن عبـد الله بـن أحمـد بـن إسـحاق بـن موسـى بـن مهـران (ت ٤٣٠هـ)
* دلائـل النبـوة، تـح: محمـد رواس قلعـة جـي وعبـد البـر عبـاس، دار النفائـس، (بـيروت، ١٩٨٦م)
*الاربـلي، أبـو الحسـن عـلي بـن عيسـى (ت ٦٩٢هـ)
*كشـف الغمـة في معرفـة الأئمـة، دار الأضـواء، (بـيروت، ١٩٨٥م)
*البحـراني، هاشـم بـن سـليمان بن إسـماعيل (ت١١٠٧هـ)
*حليـة الأبـرار، تـح: غـلام رضـا، مؤسسـة المعـارف، (قـم، ١٤١١هـ)
* البرهـان في تفسـير القـرآن، مؤسسـة البعثـة، (قـم، د.ت)
*البغـوي، أبـو القاسـم عبـد الله بـن محمـد بـن عبـد العزيـز (ت ٣١٧هـ)
* معجـم الصحابـة، تـح: محمـد أمـين، مكتبـة دار البيـان، (الكويـت، ٢٠٠٠م)
*البكـري، عبـد الله بـن عبـد العزيـز بـن محمـد (ت٤٨٧هـ)
*معجـم مـا اسـتعجم مـن أسـماء البـلاد والمواضـع، عـالم الكتـب، (بـيروت، ١٤٠٣هـ)
*البـلاذري، أحمـد بـن يحيـى بـن جابـر بـن داود (ت ٢٧٩هـ)
* فتـوح البلـدان، دار ومكتبـة هـلال، (بـيروت، ١٩٨٨م)
* أنسـاب الأشراف، تـح: سـهيل زكار وريـاض الـزركلي، دار الفكـر، (بـيروت، ١٩٩٦م)
*البيهقـي، أحمـد بـن الحسـين بـن عـلي بـن موسـى (ت ٤٥٨هـ)
*دلائـل النبـوة ومعرفـة أحـوال صاحـب الشريعـة، دار الكتـب العلميـة، (بيروت، ١٩٨٥م)
*الحاكـم النيسـابوري، أبـو عبـد الله محمـد بـن عبـد الله بـن محمـد بـن حمدويـه بـن نعيـم (ت ٤٠٥هـ)
* المسـتدرك عـلى الصحيحـين، تـح: مصطفـى عبـد القـادر عطـا، دار الكتـب العلميـة، (بـيروت، ١٩٩٠م)
*الحلي، حسين بن سليمان (ت ق ٩هـ)
* مختـصر بصائـر الدرجـات، المطبعـة الحيدريـة، (النجـف، ١٩٥٠م)
*الحمـيري، سـليمان بـن موسـى بـن سـالم (ت٦٣٤هـ)
* الاكتفـاء بـما تضمنـه مـن مغـازي رسـول الله والثلاثـة الخلفـاء، دار الكتـب العلميـة، (بـيروت، ١٤٢٠هـ)
*خليفـة بـن خيـاط، أبـو عمـرو خليفـة بـن خيـاط بـن خليفـة (ت ٢٤٠هـ)
* تاريـخ خليفـة بـن خيـاط، تـح: أكـرم ضيـاء العمـري، دار القلـم، (بـيروت، ١٣٩٧هـ)
*السـهيلي، أبـو القاسـم عبـد الرحمـن بـن عبـد الله بـن أحمـد (ت٥٨١هـ)
* الـروض الأنـف في تحقيـق السـيرة النبويـة لابـن هشـام، تـح: عمـر عبـد السـلام

السلامي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ٢٠٠٠م)
*الصالحي، محمد بن يوسف (٩٤٢هـ)
* سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تح: عادل أحمد وعلي محمد، دارالكتب العلمية،(بيروت،١٩٩٣م)
*الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)
* تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٧هـ)
*الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت٤٦٠هـ)
*الأمالي، دار الثقافة، (قم، ١٤١٤هـ)
*القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ)
* صبح الأعشى في صناعة الانشا، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)
*الكتاني، عبد الحي (١٣٨٢هـ)
*التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، (بيروت، د.ت)
*الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٨-٣٢٩هـ)
* أصول الكافي، دار المرتضى، (بيروت، ٢٠٠٥)
*المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ)
* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، (بيروت، ١٩٨٣م)
*المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ)
*مروج الذهب ومعادن الجوهر، تنقيح: يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ٢٠٠٢م)
*المقدسي، المطهر بن طاهر (ت ٣٥٥هـ)
*البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، (بورسعيد، د.ت)
*المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ)
*إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تح: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٩م)
*اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٩٢هـ)
* تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت، د.ت)
*السبحاني، جعفر
*سيد المرسلين، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤٢٩هـ)
*شريعتي، علي (١٩٧٩م)
* محمد ﷺ خاتم النبيين، ترجمة: أبو علي الموسوي، دار الأمير للثقافة والعلوم (بيروت، ٢٠٠٧م).

سيد البطحاء وموقفه ازاء الدعوة الإسلامية

د. علياء سعيد ابراهيم
شعبة المكتبة النسوية / العتبة العلوية المقدسة /النجف الاشرف

Sayyid al-Batha and his position on the Islamic call

Dr. Alia Saeed Ibrahim
Women's Library Division / the upper holy shrine / Najaf

الملخص

لا يخفى على الباحثين في علم التاريخ، البيت العلوي الهاشمي وما قاموا به من اعمال سواء كان قبل البعثة النبوية ام بعدها، اذ كانوا مميزين في اعمالهم وسلوكياتهم تجاه الدعوة الاسلامية ومن اجل نشر الدين الاسلامي، وما قاموا به من اعمال وامور في تلك الحقبة المهمة من تاريخ الاسلام وبرز فيه شخصيات مهمة دافعت عن الاسلام ووقفت الى جانبه، ومنهم ابو طالب الملقب بسيد البطحاء الذي يعد من الشخصيات التي تستحق البحث والدراسة لما تحمل شخصيته في طياتها من امور مهمة لابد من التعرض لها ومعرفة ما قام به من مواقف تجاه الرسالة الاسلامية وتجاه مشركي قريش.

ويعد ابو طالب عليه السلام من ضمن الشخصيات التي وقفت الى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله من اجل نشر الاسلام ومن الذين تحملوا الاذى والالام من اجل الدفاع عنه، فقد حوصر في الشعب وضيق عليه في الرزق وأوذي من مشركي قريش ومع هذا احب رسول الله صلى الله عليه وآله ووقف الى جانبه من اجل نجاح دعوته الاسلامية التي كلفه بها الباري (جل وعلاه)، وكانت له ادوار بطولية وجهادية يشهد لها التاريخ، كل تلك الامور سيتم التطرق في هذا البحث.

Abstract

The importance of studying the household of Alawite Hashemite and what they have done in history whether before or after the Prophet's mission, is not hidden from the researchers in the science of history. As they were distinguished in their actions and behavior towards the call for peace and for the sake of spreading the Islamic religion, and the deeds and matters they did during that important period in the history of Islam in which important figures emerged who defended Islam and stood by it. Among them is Abu Talib, known as Sayed Al-Batha, who is considered one of the personalities that deserves research and study because his personality carries with it important matters that must be addressed to know what he has done for the Islamic message and towards the polytheists of Quraish.

Abu Talib (peace be upon him) is among the personalities who stood by the Messenger of Allah (peace be upon him and his family) in order to spread Islam, and who endured harm and pain in order to defend it. He was besieged in a place called Shib, narrowed in his livelihood and harmed by the polytheists of Quraish. Despite that, he loved the Messenger of Allah (may Allah's prayers and peace be upon him and his family) and stood by his side for the success of his Islamic call assigned to him by Allah. He also had heroic and jihadist roles that are witnessed by history. All these matters will be discussed during the folds of the research.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على ابي القاسم محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

لا يخفى على الباحثين في علم التاريخ، أهمية دراسة البيت العلوي الهاشمي وما قاموا به من اعمال سواء كان قبل البعثة النبوية ام بعدها، اذ كانوا مميزين في اعمالهم وسلوكياتهم تجاه الدعوة الاسلامية ومن اجل نشر الدين الاسلامي، وما قاموا به من اعمال وامور في تلك الحقبة المهمة من تاريخ الاسلام وبرز فيه شخصيات مهمة دافعت عن الاسلام ووقفت الى جانبه، ومنهم ابو طالب الذي يعد من الشخصيات التي تستحق البحث والدراسة لما تحمل شخصيته في طياتها من امور مهمة لابد من التعرض لها ومعرفة ما قام به من مواقف تجاه الرسالة الاسلامية وتجاه مشركي قريش، وما مكانته في تلك الحقبة واهم الافعال التي نهض بها لأجل الاسلام، كل تلك الامور سيتم التطرق اليها في هذا البحث.

وتقوم فرضية البحث على أن ابا طالب عليه السلام من الاوائل الذين آمنوا بالبعثة النبوية ووقفوا الى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله ضد المشركين.

قسم الكلام الى مبحثين حمل المبحث الاول عنوان « قبسات من سيرة ابي طالب عليه السلام »، والذي قسم على ثلاثة مطالب تطرق فيه المبحث الى سيرته ونسبه الشريف ومكانته المهمة عند افراد قومه مع التحدث عن وفاته ومدى تأثر النبي صلى الله عليه وآله بتلك الوفاة .

اما المبحث الثاني وهو يحمل عنوان « الدعوة الاسلامية ودور أبي طالب عليه السلام فيها »، وقسم ايضا على ثلاثة مطالب، بين فيه الابعاد اللغوية والاصطلاحية للدعوة وذكرها في القرآن الكريم والاحاديث النبوية، ومن ثم الى دور أبا طالب عليه السلام قبل الدعوة وخلالها وبعدها واهم الادوار التي

قام بإنجازها وما قام به ابو طالب من امور ضد مشركي قريش .

واعتمد البحث على عدة مصادر كان من بينها عدد من الكتب من ابرزها لـــ « السيرة النبوية » لابن هشام للمؤلف، كتاب « السير والمغازي» للمؤلف ابن اسحاق، وكتابه « بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار / ج ٩٣ »، للمؤلف محمد باقر المجلسي، فضلا على الاعتماد على مجموعة من المعاجم منها « لسان العرب / مج ٤»، للمؤلف ابن منظور، بالإضافة الى مجموعة من المجلات من ابرزها «ينابيع »، وغيرها من المصادر.

المبحث الأول: قبسات من سيرة أبي طالب عليه السلام

المطلب الأول: مشجرة ونشأة أبي طالب عليه السلام

ولد ابو طالب في مكة المكرمة قبل المولد النبوي الشريف بخمس وثلاثين سنة على نحو ما ذكر ابن حجر [١]، واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النظر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان [٢].

والده عبد المطلب من زعماء وكبار قريش واحد اسياد مكة وثبة الجزيرة العربية، الذي تولى امور السقاية والرفادة، ورعاية الحجاج، بعد والده هاشم، وكان احسن قريشا وجها وافضلهم خلقا واكرمهم جودا، واحلمهم حلما وصبرا وشجاعا، وكل هذه الصفات قد نقلها من والده هاشم، لذلك لقب ابو طالب عليه السلام بـــ: شيخ قريش وشيخ الاباطح، وسيد البطحاء، ورئيس مكة وبيضة البلد [٣].

وكان عبد المطلب هو الذي كفل النبي صلى الله عليه وآله بعد موت امه ومن الذين

تنبأ بنبوة النبي محمد ﷺ وقد اوصى ابو طالب برعايته ﷺ والوقوف الى جانبه ضد المشركين [٤].

وتزوج عبد المطلب من فاطمة بنت اسد عليها السلام بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وهي اول هاشمية ولدت لهامشي وانجبت له من الذكور اربعة هم طالب وعقيل وجعفر وعلي، ومن الاناث الاربعة هم (ام هاني) واسمها هند او فاخته، وجمانه، وريطة، واسماء [٥].

وقد اشتهرت فاطمة بنت اسد بشدة رعايتها لرسول الله ﷺ، وكانت تفضله ﷺ على اولادها وتحبه حبا شديدا ليتمه من الابوين، فضلا عن رعاية زوجها أبي طالب له ﷺ حتى اصبح رسول الله ﷺ يناديها بـ.. يا اماه، ولذلك كان رسول الله ﷺ يردد عنهما أنهما كانا من احسن خلق الله رعاية بالنبي ﷺ هي وعمي ابو طالب، وكان يقول ﷺ كانت امي بعد امي التي ولدتني وكان ابو طالب يصنع الصنيع وتكون له المأدبة، وكان يجمعنا على طعامه، وكانت هذه المرأة تفضل منه نصيبنا فاعود فيه [٦].

في هذا البيت الممجد وفي ذلك المناخ اللاهوتي نشأ وترعرع ابو طالب عليه السلام، حتى اذ انصهرت في ذاته كل صفات والديه، فهو موحد منبتا وجوهرا وله في ميدان الحكمة صولات وجولات.

المطلب الثاني: المكانة السياسية لأبي طالب عند قومه عليه السلام

كانت الزعامة والشرف على قريش في بني قصي قبل البعثة لا ينازعهم فيه منازع ولهم في ذلك مآثر منها الحجابة والسقاية والرفادة والرئاسة، ولما هلك حرب بن امية الذي كان رئيسا بعد عبد المطلب تفرقت الزعامة والرئاسة في اولاد عبد المطلب حتى استلمها ابو طالب [٧].

ويوجد ادلة كثيرة على تولي أبي طالب الزعامة في مكة، ففي الخطبة

المشهورة التي القاها في زواج النبي ﷺ من السيدة خديجة ﷺ دليل على زعامته اذ نادته السيدة خديجة ﷺ بقول يا سيدي [٨].

وكذلك الحال نفسه عندما جاء امير المؤمنين عليه السلام يبلغ الرسول محمداً ﷺ بوفاة أبي طالب عليه السلام حين قال له ان عمك قد مات اذ حزن حزنا كثيرا كونه مساندا له ضد مشركي قريش، وكذلك سماه معاوية بن ابي سفيان بابن شيخ الأباطح عندما سمع بمقتل امير المؤمنين عليه السلام فارتجز قائلا:-

نجوت وقد بل المرادي سيفه

من ابن شيخ الابطح طالب[٩]

وكان ابو طالب زعيما ناجحا في قومه لحكمته وقدرته على معالجة المواقف التي تحدث في قومه وحسن تدبيره لمعالجة كافة الامور، وقد ورث كل الصفات من والده واجداده [١٠] .

وما العفو عند المقدرة التي اتسم بها ابو طالب الا من دلائل حكمته، وقد استشهد معاوية فيها عندما اغضبه بعض جلسائه في اثناء كلام دار بينهما، واراد قتلهم لولا انه تذكر قول ابي طالب عليه السلام:

قابلت جهلهم حلـــــما ومغفـــرة

والعفو عند المقدرة ضرب من الكرم [١١]

وهذا البيت دليل قاطع على حكمته وقاعدة اساسية اقرها الاسلام اذ تذكرها واستشهد بها معاوية، وهي قاعدة ما زال معمولا بها شرعا وهي العفو عند المقدرة ومقابلة الاساءة بالإحسان وهذه الاقوال والافعال هي التي اضفت عليه صفة الحكماء والزعماء .

المطلب الثالث: وفاة أبي طالب عليه السلام وموقف النبي صلى الله عليه وآله منه

توفي ابو طالب عليه السلام بعد سنوات من الكفاح والتضحية للرسالة السماوية التي امن منها والتي جاءت على يد النبي صلى الله عليه وآله، وكانت وفاته مؤثرة في حياة النبي صلى الله عليه وآله وحزن حزنا كبيرا عليه، اذ قال النبي صلى الله عليه وآله عنه: ((اما والله لاستغفرن لك ولاشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان))[١٢].

ولم يكتفي رسول الله بإظهار الحزن على ابي طالب، بل صلى عليه وهو الذي انزله لقبره وهو يبكي عليه كونه تولى رعايته وتربيته منذ صغر سنه وعامله بكل لطف واحترام [١٣].

ولم ينس ابو طالب عليه السلام وهو في اخر رمق من حياته ان يمارس نصرته لرسول الله صلى الله عليه وآله اذ استدعى وجهاء قريش قبل وفاته واوصاهم بالنبي صلى الله عليه وآله قائلا: ((يا معشر قريش انتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب... واني اوصيكم بمحمد خيرا، فانه الامين في قريش أي وهو الصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما اوصيكم به، وقد جاء بامر قبله الجنان،... والله لا يسلك احد منكم سبيله الا رشد، ولا ياخذ احد بهديه الا سعد))[١٤]

وكان وجود أبي طالب عليه السلام له دور كبير في حماية النبي صلى الله عليه وآله ولم يتعرض له أي شخص من مشركي قريش نتيجة لخوفهم من ابي طالب عليه السلام الشخصية العملاقة التي يشهد لها التاريخ ببطولاته وصولاته ووقوفه الى جانب النبي صلى الله عليه وآله وكان النبي عزيزا ممنوعا من اذى قريش، لكن بعد وفاة أبي طالب عليه السلام حصل تغيير في موقف قريش ضد النبي صلى الله عليه وآله لذلك اجتمع كبار قريش في دار الندوة، واتفقوا على الفتك بالنبي صلى الله عليه وآله حتى جاءه جبرائيل عليه السلام بالوحي وهو يطلب من النبي صلى الله عليه وآله بالخروج من مكة متخفياً فخرج النبي صلى الله عليه وآله متخفيا وبات الامام علي عليه السلام في فراشه واقيا له بنفسه وجاريا على سنن ابيه في ملازمته، والجد في نصرته[١٥]، لذلك نزلت الاية الشريفة: ﴿وَمِنَ

النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ ﴾[١٦].

المبحث الثاني: الدعوة الاسلامية ودور أبي طالب عليه السلام فيها

المطلب الاول: الدعوة لغة واصطلاحا وورودها في سنته الله ورسوله

قبل الكلام عن الدور المهم الذي قام به ابو طالب عليه السلام في سبيل انجاح ودعم الدعوة الاسلامية لابد من معرفة الدعوة في اللغة والاصطلاح مع بين بعض الآيات التي حثت على الدعوة، فضلا عن الاحاديث الشريفة التي اكدت اهمية الدعوة

فالدعوة لغة: كما يقول ابن فارس ترجع الى الفعل دعو، والدال والعين والحرف المعتل اصل واحد، وهو ان تميل الشيء اليك بصوت وكلام يكون منك، وتقول: دعوت ادعو دعاء، والدعوة الى الطعام بالفتح والدعوة في النسب بالكسر[١٧]، أي الدعوة الى الطعام والشرف، والدعاء بمعنى الاستغاثة كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ**﴾[١٨] وقد ياتي الدعاء بمعنى العبادة كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ**﴾[١٩] أي أن الدعاء يأتي على اوجه متعددة[٢٠]

اما الدعوة اصطلاحا: لها تعاريف عدة منها : برنامج متكامل يضم تحت طياته جميع انواع المعارف والعلوم التي يحتاج اليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم، وليكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين، وايضا تعرف الدعوة حث الناس على الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوز بسعادة الدنيا والاخرة[٢١].

وجاء ذكر الدعوة الكلمة في القران الكريم في اوجه مختلفة منها:

فحينما ارسل عزوجل رسول الله ﷺ الى الناس كافة لأجل انقاذهم من الجهل والظلام الى العلم والنور، كما في قوله تعالى: ﴿ **يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَداعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنِيراً** ﴾ (٢٢).

فضلا عن ذلك عندما دعا الله سبحانه وتعالى النبي محمد ﷺ في الدعوة إليه والاستمرار بالدعوة وعدم تركها والتخلي عنها، اذ قال: ﴿**لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ فَلا يُنازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هُدىً مُسْتَقِيمٍ**﴾(٢٣)، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَفْرَحُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبِ**﴾(٢٤)

هذه الآيات وغيرها تبين أن الدعوة جاءت على لسان النبي محمد ﷺ من اجل اصلاح الناس والمجتمع ولتنقذ الناس كافة من الضلال والانحراف والتي من اجلها جاهد النبي ﷺ وقاتل ونصب وهاجر وخطب واعطى المواعظ والحكم وضحى بالغالي والنفيس.

كما جاء ذكر الدعوة في احاديث اهل البيت عليهم السلام ومنها: -

ومنها ما جاء رسول الله ﷺ: خير وقت دعوتم الله عز وجل فيه الاسحار، وتلا هذه الآية في قول يعقوب عليه السلام: ﴿**قالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾(٢٥) وقال: اخرهم الى السحر (٢٦)

وقد جاء عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله عليه السلام قال: ((الدعاء يرد القضاء بعد ما ابرم ابراما، فأكثر من الدعاء، فانه مفتاح كل رحمة، ونجاح كل حاجة، ولا ينال ما عند الله الا بالدعاء، وليس باب يكثر قرعه الا يوشك ان يفتح لصاحبه))(٢٧).

يوضح لنا هذا الحديث الشريف ان الدعاء هو مفتاح كل شيء وهو

الطريق والوسيلة لله سبحانه وتعالى، فما من عبد دعا عز وجل الا منحه سبحانه وتعالى ما يريد.

وعن الامام الرضا عليه السلام : ((انه كان يقول لا صحابه: عليكم بسلاح الانبياء، فقيل: وما سلاح الانبياء؟ قال: الدعاء)) [٢٨] .

كذلك يبين لنا هذا الحديث ان الدعاء هو سلاح وغاية كل فرد خلقه الله عز وجل وحتى الانبياء الذين فضلهم سبحانه على خلقه.

المطلب الثاني: دور أبي طالب عليه السلام في الدعوة الاسلامية ضد مشركي قريش

بعث الله رسول الكريم صلى الله عليه وآله رحمة للإنسانية جمعاء بعد أن كانوا يعبدون الاوثان والاصنام ويعملون المنكر والفحشاء وكانت رسالته صلى الله عليه وآله خاتمة للأديان السماوية لذلك نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله الوحي في غار حراء، وامره جل وعلا بأن لا يعلن عن دعوته علانية وأن يبقي هذا الامر سرا وأن يدعو الاقربين فقط، كون زعماء واسياد مكة من عبّاد الأوثان لا يقبلون بهذا الامر وكون الدين الاسلامي لا يقبل بالربا وغيرها من الصفات الجاهلية التي كانت يمارسونها قبل الاسلام، لذلك استمر الرسول صلى الله عليه وآله في دعوته يدعو من يجد فيه قبولا بدعوته سرا في مكة والتي استمرت مدة ثلاث سنوات، بعدها جاء الامر الالهي للرسول صلى الله عليه وآله بالإعلان عن دعوته علانية، ليبدأ الرسول مرحلة جديدة في حياته ضد مشركي قريش [٢٩].

شاءت ارادة الله تعالى التي لا يقف في طريقها أي ارادة، أن يجهر رسول الله صلى الله عليه وآله بنبوته، ويعلن عن بعثته ورسالته، ولاسيما بعد نزول قوله تعالى: ﴿ **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾[٣٠]، لذلك لم ير بداً من أن يفاتح عمه ابا طالب عليه السلام في الامر الذي هو موضع ثقته ومحط اسراره، فكان جواب عمه أبي طالب عليه السلام له: ((بأبي انت وامي يابن اخي، مر تطع، واحكم

انفـذ ان شـاء الله)) [٣١].

ولم يختلـف المؤرخـون في اصرار ابي طالـب عليه السلام الى الوقـوف الى جانـب رسـول الله صلى الله عليه وآله ونصرتـه والدفـاع عنـه، وحمـل السـيف في سـبيل نجدتـه [٣٢] حتى وفاتـه قـال صلى الله عليه وآله: ((مـا نالـت منـي قريـش شـيئا أكرهـه حتـى مـات أبـو طالـب))[٣٣].

قـال أبـو طالـب عليه السلام :((مـا أحـب إلينـا معاونتـك، واقبلنـا لنصيحتـك وأشـد تصديقنـا لحديثك وهـؤلاء بنـو أبيـك مجتمعـون وانـا أنـا أحدهـم غـير أني أسرعهـم إلى مـا تحـب، فامـض لمـا أمـرت بـه)) [٣٤].

يتضـح لنـا أن ابـا طالـب عليه السلام كان مسـانداً للدعـوة الاسـلامية منـذ البدايـة ومؤمنـاً بـما جـاء بـه صلى الله عليه وآله

وايضا عاهد ابو طالب عليه السلام بالوقوف الى جانب النبي صلى الله عليه وآله بقوله:

فانفذ لأمرك ما علـــيك مخافــة	وابشـــــر وقر بذلك منــه عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي	ولقـد صدقـت وكنـت قبـل امنيـا
وعرضـــت دينا قد عـــلمت بأنه	مـــــن خـــير اديـان البريـة دينا
لـولا الملامـة او حـــذاري سـبة	لوجدتني ســمحا بذاك مبينا [٣٥]

فعلا لم تتعرض قريش لاذى النبي صلى الله عليه وآله الا بعد وفاة عمه ابو طالب عليه السلام

لكـن عـم النبـي صلى الله عليه وآله ابـو لهـب وبقيـة قريـش لم يقبلـوا دعوتـه، وحاولـوا منـع أبي طالـب عليه السلام مـن دعـم النبـي صلى الله عليه وآله واسـتاؤوا لذلـك الامـر كثـيرا، لذلـك صممـوا عـلى التكتـل والتجمـع ضـد أبي طالـب عليه السلام لكـي يقهـروه ويضطـروه الى التخـلي عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله، لكـن أبـا طالـب عليه السلام كان ذكيـا ولا تخفـى عليـه الاعيـب مشركـي قريـش ضـده، لذلـك مـن الاعـمال التـي قـام بهـا ابـو طالـب عليه السلام هـو الاجتـماع بالهاشـميين واعلمهـم بـما تسـعى اليـه قريـش مـن دمـار وفنـاء للمجتمـع الهاشـمي، لذلـك مـا كان لبنـي هاشـم الا ان لبـوا

نداء زعميهم أبي طالب، ولأجل ذاك الامر وقف ابو طالب شجاعا ضد اجتماعاتهم ومؤامراتهم وقال لهم: ((اني بالمرصاد لكل من تسول له نفسه ايذاء محمد او يدنو منه بمساءة ما دمت حيا وسيفي بيمني، ثم ليعلم ان ابن اخي محمدا لا يريد ان يفرض مبادئه بالقوة والسيف، بل هو كالتاجر الدوار بتجارته، ما ان وجد راغبا باعها والا حمد الله على كل حال))[٣٦].

لذلك احدث قول أبي طالب عليه السلام الخوف في نفوس المشركين لذلك لجأوا الى طرق واساليب اخرى الا وهي اسلوب المبادلة لأجل ثني أبي طالب عن النبي محمد صلى الله عليه وآله لذلك جاءت قريش بعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي الشاب في ذاك الوقت وكان اجمل واقوى واشد فتى قريش فقالوا له: ((يا ابا طالب هذا عمارة بن الوليد فتى في قريش واجمله، فخذه اليك، فاتخذه ولدا فهو لك، واسلم لنا هذا ابن اخيك الذي قد خالف دينك ودين ابائك، وفرق جماعة قومك لنقتله، فأنما هو رجل برجل)) [٣٧].

فنرى في هذا موقف أبي طالب مدى حبه وتعلقه وايمانه بالرسالة السماوية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وآله.

وعندما سمع ابو طالب لكلام القوم تعجب من ذلك وقال: ((والله ما أنصفتموني تعطوني ابنكم اغذوه لكم، واعطيكم ابني تقتلوه ! هذا والله مالا يكون ابدا. فقال المطعم بن عدي بن نوفل -وكان له صديقا مصافيا-، والله ياابا طالب ماراك تريد ان تقبل من قومك شيئا ! لعمري قد جهدوا في التخلص مما تكره واراك لا تنصفهم ! فقال ابو طالب والله ما انصفوني ولا انصفتني ؛ ولكنك قد اجمعت على خذلاني ومظاهرة القوم ! فاصنع ما بدا لك))[٣٨].

أي أن أبا طالب اصر بموقفه هذا الى الوقوف الى جانب النبي ﷺ وعدم الانصياع لمطالب قريش، وهو بمثابة اهانة واحتقار لمشركي قريش وتوضح محاولتهم الاخرى التي باءت بالفشل.

وبالرغم ما قاله ابو طالب عليه السلام لهم لم ترتد قريش عن محاولتها الخسيسة في اتباع اسلوب آخر لأجل التخلص من النبي ﷺ لذلك كوّنوُا وفدا آخر لمقابلة الزعيم أبي طالب يشكونه النبي ﷺ ويريدون منه ان يحدد صلاحيته ويعرقل سير قافلته لذلك تقدم زعيم الوفد ابو جهل وتكلم مع أبي طالب وقال ابو جهل ان ابن اخيك قد سب الهتهم وما يعبدون من الآلهة وطلب منه اما ان يكف محمد ﷺ عن شعارهم ومعبوداتهم واما ان يخلي بينه وبينهم، فرد ابو طالب عليهم وقال لهم ان هذا الامر سوف اعرضه على النبي محمد ﷺ واعرف وجهه نظره واعطيكم جوابه [٣٩].

لذلك اجتمع ابو طالب بالرسول ﷺ ليعرض ما طلب منه القرشيون، وعرف موقفه ﷺ وقال: ((ياعم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته ! ثم استعبر رسول الله فبكى ثم قام،فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: اقبل يا ابن اخي. فاقبل عليه رسول الله، فقال: اذهب ياابن اخي فقل ما احببت، فو الله لا اسلمك لشيء ابدا))[٤٠].

يتضح من ذلك مدى العلاقة القوية التي تربط أبا طالب وبين النبي ﷺ ومدى خوف المشركين من رسول الله ﷺ ومن أبي طالب، ومدى الاذى الذي يحز في نفس النبي ﷺ لبكائه لعدم ايمان قومه برسالته السماوية التي تنقذهم من الشرك والضلالة الى النور والهدى.

ومره اخرى تفشل قريش في محاولتها لنهي محمد النبي ﷺ عن رسالته.

ومن الاساليب التي اتبعتها قريش ضد النبي ﷺ واصحابه هو

مقاطعتهم اقتصاديا لذلك قرر النبي ﷺ وانصاره لأجل المحافظة عليهم الدخول في شعب أبي طالب في مكة، وكان موقف أبي طالب مساندا للنبي ﷺ وانصاره، وقد انشد ابو طالب في امر الصحيفة الملعونة التي اتفق عليها قريش وكتبها منصور بن عكرمة وقرروا مقاطعتهم من جميع النواحي الدينية والفكرية والاقتصادية وصنعوا ما صنعوا بهم، قائلا:

الا ابلغا عني على ذات بيننا	لؤيا وخصّا من لؤي بني كعب
الم تعلموا انا وجدنا محمدا	نبيا كموسى خط في اول الكتب
وان عليه في العباد محبة	ولا خير ممن خصه الله بالحب
وان الذي الصقتموا من كتابكم	لكم كائن نحسا كراغيه السقب
افيقوا افيقوا قبل ان يُحفر الثرى	ويصبح من لم يجن ذنبا كذي الذنب
ولا تتبعوا امر الوشاة وتقطعوا	اواصرنا بعد المودة والقرب
وتسجلبوا حربا عوانا وربما	امرَّ على من ذاقه جلب الحرب
فلسنا ورب البيت نسلم احمدا	لعزاء من عض الزمان ولا كرب [٤١]

لذلك تحرك ابو طالب عليه السلام نحو بني هاشم وبني عبد المطلب وحاول اقناعهم بأحقية دعوة الرسول ﷺ وضرورة التباني ووحدة الموقف بينهم وفعلا نجح ابو طالب في هذه المحاولة، وانظموا اليه باستثناء أبي لهب ودخلوا معه في الحصار لمدة سنتين ونصف وقيل ثلاث سنوات، وقد تعرضوا من جراء المحاصرة الى شتى الوان المعاناة [٤٢].

المطلب الثالث: دور أبي طالب عليه السلام في نشر الاسلام

كان لأبي طالب عليه السلام دور في نشر الاسلام من خلال دعوة اولاده واخوته وعامة الناس لنصرة الرسول ﷺ، وبدأ بهذا العمل اولا بتشجيع ولديه جعفر وعلي عليهما السلام لمناصرة النبي ﷺ، وعندما كان النبي ﷺ في بداية الدعوة لم يصلِّ معه الا علي عليه السلام وخديجة عليها السلام وقد روي ان أبا طالب مرَّ على

النبي ﷺ فوجد عليا يصلي بجانبه، وبعد ايام دخل ابو طالب الى رسول الله ﷺ ومعه جعفر فنظر الى رسول الله ﷺ وعلي بجنبه يصليان، فقال لجعفر: يا جعفر صل جناح ابن عمك فوقف جعفر بن ابي طالب عليه السلام من الجانب الآخر فلما وقف جعفر على يساره برز رسول الله ﷺ من بينهم وتقدم، وانشد ابو طالب في ذلك يقول:

إنَّ عَلِيّاً وَجَعفَراً ثِقَتي ... عِندَ اِحتِدامِ الأُمورِ وَالكُرَبِ
أَراهُما عُرضَةَ اللِقاءِ إذا ... سامَيتُ أَو أَنتَمي إِلى حَسَبِ
لا تَخذُلا وَاِنصُرا اِبنَ عَمِّكُما ... أَخي لِأُمّي مِن بَينِهِم وَأَبي[٤٣]

وكان ابو طالب مشجعا لابنه علي عليه السلام على مساندة ومؤازرة النبي ﷺ والوقوف الى جانبه في دعوته ورسالته، وقد روي ان أبا طالب قال لابنه علي عليه السلام: ((يا بني إلزم ابن عمك، فانك تسلم به من كل بأس عاجل واجل))، ثم قال ابو طالب لعلي عليه السلام:

ان الوثيقة في لـــزوم محمـــد ... فاشدد بصحبته على ايديكا[٤٤] .

ثم دعا ابو طالب عليه السلام اخوته وولده الى نصرة رسول الله ﷺ بصورة جماعية من خلال ابياته الشعرية:

أوصي بنصر النبيِّ الخير مشهده ... علياً ابني وعم الخير عباسا
وحمزة الأسد المخشي صولته ... وجعفراً أنْ تذودوا دونه الباسا
وهاشماً كلها أوصي بنصرته ... أنْ يأخذوا دون حرب القوم أمراسا
كونوا فدى لكم نفسي وما ولدت ... من دون أحمد عند الروع أتراسا
بكل أبيض مصقول عوارضه ... تخاله في سواد الليل مقباسا[٤٥]

فضلا عن ذلك دعا ابو طالب عليه السلام اخوته وهم الحمزة وأبو لهب بصورة منفردة فاستجاب الأول ورفض الثاني وقد اوصى في ابياته الشعرية لاخيه حمزة ان يصبر على اذى قريش وان ينصر النبي ﷺ والوقوف الى جانبه ﷺ وعدم تصديق ما ادعته قريش من ادعاءات واتهامات ومنها اتهامه بالسحر اذ انشد في ابياته قائلا:

اصبر ابا يعلى على دين احمد ... وكن مُظهِراً وفقت صابرا
وحط من أتى بالدينِ من عند ربه ... بصدق وحق لا تكن حمزة كافرا
فقد سرني أن قلت إنكَ مسلم ... فكن لرسول الله في الله ناصرا
وباد قريشاً بالذي قد أتيته ... جهاراً وقل:ما كان احمد ساحرا(٤٦)

وعندما هاجر المسلمون المؤمنون بأمر من رسول الله ﷺ الى الحبشة نتيجة للأذى الذي تعرضوا له على ايدي قريش وقد اوصى ابو طالب من خلال رسالة تضم ابياتاً شعرية ارسلها الى ملك الحبشة النجاشي بان ينصر رسول الله ﷺ لحماية المهاجرين الذين لجأوا اليه سرا بعيدا عن انظار قريش ولاقوا ما لاقوا من العذاب والتنكيل من قبل مشركي قريش اذ جاء فيها:

تعلم مَليك الحبشِ أن محمداً ... وزيرٌ كموسى والمسيحِ بنِ مريمِ
أتى بهُدىً مثلَ الذي أتيا بهِ ... فكلٌّ بأمرِ اللهِ يَهْدي ويَعصِمُ
وإنكم تتلونَه في كتابِكم ... بصدقِ حديثٍ لا حديثِ الترجمِ
وإنك ما يأتيكَ منا عصابَةٌ ... لفضلكَ ألا أُرجِعوا بالتكرم
بذلت لهم عرفاً ولم تَبغِ عنهم ... فنلتَ بها حقّاً على كلِّ مسلم
فلا تجعلوا لله نداً وأسْلِموا ... فإنَّ طريقَ الحق ليسَ بمظلِمِ(٤٧)

الخاتمة

بعد اتمام البحث توصلنا الى النتائج التالية:

يعد أبو طالب النموذج الاول للإسلام بعد علي بن ابي طالب عليه السلام الذي ساهم في بلورة الوعي الديني والثقافي والايدلوجي والتبليغي في وقت كانت تسود فيه مجموعة من الاعراف والتقاليد البالية في المجتمع آنذاك.

تولى ابو طالب عليه السلام وزوجته رعاية النبي صلى الله عليه وآله منذ طفولته وحتى وفاتهم ولم يغب عن انظارهم ابدا.

كان ابو طالب عليه السلام شخصية قيادية شجاعة يحسب له الف حساب من قومه ليس لكونه زعيم قومه فقط بل لهيبته والمقام العالي الذي منحه له عز وجل.

اجمع المؤرخون وارباب السير على دفاع ابي طالب عن الرسول صلى الله عليه وآله وعن الرسالة الاسلامية، وكان يحوط النبي صلى الله عليه وآله ويحميه ويدافع عنه وحبس معه في الشعب ودافع عنه عندما فرضت قريش الحصار لمواقفه البطولية مع النبي صلى الله عليه وآله.

يعد سيد البطحاء عليه السلام من ضمن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين تحملوا الاذى والالام من اجل الدفاع عن الاسلام، فقد حوصر في الشعب وضيق عليه في الرزق واوذوي من مشركي قريش ومع هذا احب رسول الله صلى الله عليه وآله كل الحب من اجل نجاح دعوته الاسلامية التي كلفه بها الباري جل وعلا، وتم ذكر ابيات شعرية لابي طالب عليه السلام في كل موقف له تجاه النبي صلى الله عليه وآله فضلا عن ذلك تمكن ابو طالب عليه السلام من خلال جهوده البطولية في الدفاع عن الاسلام وانجاحه ومن خلال ايصال المفاهيم والمعلومات الاسلامية ومواجهة الثقافة المادية التي كانت تدعو الى

الفساد والانحراف والتحدي الاخلاقي.

وتمكن ابو طالب عليه السلام من خلال مواقفه الجهادية التي تحمل روحا فكريا جديدا يعالج اهم الاشكاليات الواقع لكونها لم تقتصر على التنظير مستبعداً الواقع المرير في حينها وانما كانت تمارس النظرية بنفسها قبل ترويجها للمجتمع ويتضح ذلك من خلال مواقفه تجاه المشركين وخلال رسالته الى ملوك الدول الاخرى.

توفي ابو طالب عليه السلام وهو على دين الاسلامي ولم يسجد لصنم قط منذ طفولته وليس كما يدعي بعضهم أنه كافر ولو كان كافرا لما بقيت زوجته فاطمة بنت اسد على ذمته ؛ كون الاسلام لا يقبل بقاء المسلمة مع كافر.

الهوامش

١) شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت: ٨٥٢هـ)، الاصابة في تمييز الصحابة، ج ٤،(دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٢٨هـ)، ص ١١٥ ؛ محمد علي اسبر، ابو طالب عملاق الاسلام الخالد، (دار الاصالة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩١)، ص ٩.

٢) ابي محمد عبد الملك بن هشام المعافري(ت: ٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: لجنة التحقيق بمؤسسة الهدى،(دار التقوى للنشر والتوزيع، د.م، د.ت)، ج ١، ص ٥ ؛ عبد الرحيم الموسوي، سيد البطحاء ابو طالب، (مطبعة التعارف للنشر، بيروت، ٢٠٠٦م)، ص ٢٧.

٣) ابي هفان المهزي البصري (ت: ٢٥٧هـ) و علي بن حمزة البصري التميمي(ت: ٣٥٧هـ)، ديوان ابو طالب بن عبد المطلب، تحقيق: محمد حسن ال ياسين،(منشورات دار ومكتبة هلال، القاهرة، ٢٠٠٣ م)، ص ١٠ – ١١ .

٤) محمد كامل حسن المحامي، عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله ﷺ، (المكتب العالمي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م)، ص ١١، وص ١٠٤ – ١٠٥.

٥) محمد علي اسبر، المصدر السابق، ص ١٠.

٦) علي هاشم، فخر الفواطم فاطمة بنت اسد (عليهم السلام)، (د.م.ط، الكويت، ط ٢، ٢٠١٣ م)،ص ١٩– ٢٠.

٧) محمد بن اسحاق المطلبي الشهير ابن اسحاق (ت: ١٥١هـ)، كتاب السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، (دار الفكر، د.م، ١٩٧٨م)، ص ٦٩.

٨) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣ م)، ج ١٦، ص ٢٥.

٩) محسن الامين(ت ١٣٧١هـ)، اعيان الشيعة، (دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د.ت)،ج١، ص ٥٣٢ ؛ جعفر النقدي، الانوار العلوية والاسرار الرضوية، (المطبعة الحيدرية، النجف، ط ٢، ١٩٦٢ م)، ص ٧.

١٠) علي صالح رسن المحمداوي، ابو طالب بن عبد المطلب: دراسة في سيرته الشخصية وموقفه من الدعوة الاسلامية، (دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٢م)، ص ٩٠.

١١) عباس القمي، الكنى والالقاب،(المطبعة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٦٩ م)، ج ١، ص ١٠٩

١٢) حسين الشاكري، شيخ البطحاء ابو طالب، (مطبعة ستارة، قم، د.ت)، ص ١٢٧.

١٣) مجيد ناصر هدهود الغزي، شيخ قريش ابو طالب بن عبد المطلب، (د.م، د.ت)، ص ٨٠.
١٤) علي بن برهان الدين الحلبي(٩٧٥ - ١٠٤٤ ه)، انسان العيون في سيرة الامين المامون الشهير بالسيرة الحلبية، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ١٩٦٤ م)، ج ٢، ص ٤٩ - ٥٠.
١٥) جمال الدين احمد بن علي الحسني (ت: ٨٣٨ ه)، عمدة الطالب في انساب ابي طالب،(مؤسسة انصاريان، قم، ط ٢، ٢٠٠٤م)، ص ٢٧ ؛ عبد الحليم حاتم مرزه، ابو طالب سيد المؤمنين دراسة تحليلية، (مكتب الفيض للطباعة، النجف الاشرف، ٢٠٠٤ م)، ص ٨٣ - ٨٤
١٦) سورة البقرة، اية ٢٠٧.
١٧) ابن الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠م)، ج ٢، ص ٢٧٩ - ٢٨٠.
١٨) سورة البقرة، اية ٢٣.
١٩) سورة الاعراف، اية ١٩٨.
٢٠) ابن منظور (ت: ٦٣٠ - ٧١١ ه)، لسان العرب، (دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع،، بيروت، ١٩٨٨ م)، مج ٤، ص ٣٥٩ - ٣٦٠.
٢١) كيلان خليل حيدر الاتروشي، تاسي الدعاة في صبر النبي ﷺ في الدعوة الى الله، رسالة ماجستير، (كلية اصول الدين، الجامعة الاسلامية/ بغداد، ٢٠٠٦ م)، ص ١٨ - ١٩.
٢٢) سورة الاحزاب، اية ٤٥ - ٤٦.
٢٣) سورة الحج، اية ٦٧.
٢٤) سورة الرعد، اية ٣٦
٢٥) سورة يوسف، اية ٩٨.
٢٦) محمد الريشهري، ميزان الحكمة: اخلاقي، عقائدي،اجتماعي، سياسي، اقتصادي، ادبي، (دار الحديث، قم، ٢٠٠٠م)، مج ٣، ص ١١٧٧.
٢٧) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار،(دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م)، ج ٩٣، ص ٢٩٥.
٢٨) محمد الريشهري، المصدر السابق، ص ١١٦٠.
٢٩) باقر شريف القرشي، حياة المحرر الاعظم الرسول الاكرم محمد ﷺ،(دار جواد الائمة، بيروت، ٢٠٠٧ م)، ج ١، ص ٩ - ١٥٠.

٣٠) سورة الشعراء، اية ٢١٤.
٣١) علي ال السيد علي خان، ابو طالب وبنوه، (مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ١٩٦٩ م)، ص ٣٢.
٣٢) طالب علي الشرقي، ابو طالب.. مسلم بقلبه ولسانه،(ينابيع)، مجلة، النجف الاشرف، العدد ٩، كانون الاول – كانون الثاني ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦ م، ص ٨٦.
٣٣) ابي محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، (دار ابن كثير، دمشق، ط ٢، ٢٠٠٣ م)،ص ٣٦٢.
٣٤) علي ال السيد علي خان، المصدر السابق، ص ٣٣ – ٣٤.
٣٥) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم،(دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، ط ٢، ١٩٦٧ م)، ج ١٤، ص ٥٥.
٣٦) علي ال السيد علي خان، المصدر السابق، ص ٣٥ – ٣٦.
٣٧) ابن ابي الحديد، المصدر السابق، ج ١٤، ص ٥٥.
٣٨) ابن ابي الحديد، المصدر السابق، ج ١٤،ص ٥٥ ؛ عبد الرحيم الموسوي، المصدر السابق، ص ٥٦.
٣٩) محمد علي ال السيد علي خان، المصدر السابق، ص ٣٩.
٤٠) عبد السلام هارون، ص ٥٠.
٤١) عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(ت: ٧٧٤ ه)، البداية والنهاية، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١ م)، ج ٣، ص ٩٤
٤٢) عبد الرحيم الموسوي، المصدر السابق،ص ٥٧ – ٥٨، ص ٦٣ – ٦٤.
٤٣) ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، اعلام الورى باعلام الهدى، (منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٧٠ م)، ص ٣٧.
٤٤) ابن ابي الحديد، المصدر السابق، ص ٧٥.
٤٥) ابي هفان المهزي البصري (ت: ٢٥٧هـ) و علي بن حمزة البصري التميمي(ت: ٣٥٧هـ)، المصدر السابق، ص ٢٤٦.
٤٦)ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المصدر السابق، ص ٤٥ ؛ ابي هفان المهزي البصري (ت: ٢٥٧هـ) و علي بن حمزة البصري التميمي(ت: ٣٥٧هـ)، المصدر السابق، ص ٢٥٣ – ٢٥٤.
٤٧) ابي هفان المهزي البصري (ت: ٢٥٧هـ) و علي بن حمزة البصري التميمي(ت: ٣٥٧هـ)، المصدر السابق، ص ٢٥٩.

المصادر والمراجع

القران الكريم:

ثانيا: الرسائل الجامعية:

* كيلان خليل حيدر الاتروشي، تاسي الدعاة في صبر النبي ﷺ في الدعوة الى الله، رسالة ماجستير، (كلية اصول الدين، الجامعة الاسلامية/ بغداد، ٢٠٠٦ م).

*** ثالثا: الكتب**

* ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم،(دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، ط ٢، ١٩٦٧ م)، ج ١٤.
* ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، اعلام الورى باعلام الهدى، (منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٧٠ م).
* ابي محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، (دار ابن كثير، دمشق، ط ٢، ٢٠٠٣ م).
* ابي محمد عبد الملك بن هشام المعافري(ت: ٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: لجنة التحقيق بمؤسسة الهدى،(دار التقوى للنشر والتوزيع، د.م، د.ت)، ج ١.
* ابي هفان المهزي البصري (ت: ٢٥٧هـ) و علي بن حمزة البصري التميمي(ت: ٣٥٧هـ)، ديوان ابو طالب بن عبد المطلب، تحقيق: محمد حسن ال ياسين،(منشورات دار ومكتبة هلال، القاهرة، ٢٠٠٣ م).
* باقر شريف القرشي، حياة المحرر الاعظم الرسول الاكرم محمد ﷺ،(دار جواد الائمة، بيروت، ٢٠٠٧ م)، ج ١.
* جعفر النقدي، الانوار العلوية والاسرار الرضوية، (المطبعة الحيدرية، النجف، ط ٢، ١٩٦٢ م).
* جمال الدين احمد بن علي الحسني (ت: ٨٣٨ ه)، عمدة الطالب في انساب ابي طالب،(مؤسسة انصاريان، قم، ط ٢، ٢٠٠٤م).
* حسين الشاكري، شيخ البطحاء ابو طالب، (مطبعة ستارة، قم، د.ت).
* شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت: ٨٥٢هـ)، الاصابة في تمييز الصحابة، ج ٤،(دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٢٨هـ).
* عباس القمي، الكنى والالقاب،(المطبعة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٦٩ م)، ج ١.
* عبد الحليم حاتم مرزه، ابو طالب سيد المؤمنين دراسة تحليلية، (مكتب الفيض للطباعة، النجف الاشرف، ٢٠٠٤ م).
* عبد الرحيم الموسوي، سيد البطحاء ابو طالب، (مطبعة التعارف للنشر، بيروت، ٢٠٠٦م).
* علي ال السيد علي خان، ابو طالب وبنوه، (مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ١٩٦٩ م).
* علي بن برهان الدين الحلبي(٩٧٥ - ١٠٤٤هـ)،انسان العيون في سيرة الامين المامون الشهير بالسيرة الحلبية،(مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده،مصر، ١٩٦٤ م)،ج ٢.

* عـلي صالـح رسـن المحمـداوي، ابـو طالـب بـن عبـد المطلـب: دراسـة في سـيرته الشـخصية وموقفه مـن الدعـوة الاسـلامية، (دار ومكتبـة البصائـر للطباعـة والنـشر والتوزيـع، بـيروت، ٢٠١٢م).
* عـلي هاشـم، فخـر الفواطـم فاطمـة بنـت اسـد (عليهـم السـلام)، (د.م.ط، الكويـت، ط ٢، ٢٠١٣ م).
* عـماد الديـن ابي الفـداء اسـماعيل بـن كثـير القـرشي الدمشـقي(ت: ٧٧٤ ه)، البدايـة والنهايـة، (دار احيـاء الـتراث العـربي، بـيروت، ٢٠٠١ م)، ج ٣.
* مجيـد نـاصر هدهـود الغـزي، شـيخ قريـش ابـو طالـب بـن عبـد المطلـب، (د.م، د.ت).
* محسـن الامـين(ت ١٣٧١هـ)، اعيـان الشـيعة، (دار التعـارف للمطبوعـات، بـيروت، د.ت)،ج١.
* محمـد باقـر المجلـسي، بحـار الانـوار الجامعـة لـدرر اخبـار الائمـة الاطهـار، (دار احيـاء الـتراث العـربي، بـيروت، ط ٣، ١٩٨٣ م)، ج ١٦، و ج ٩٣ .
* محمـد الريشـهري، ميـزان الحكمـة: اخلاقـي، عقائدي،اجتماعـي، سـياسي، اقتصـادي، ادبي، (دار الحديـث، قـم، ٢٠٠٠م)، مـج ٣.
* محمـد بـن اسـحاق المطلبـي الشـهير ابـن اسـحاق (ت: ١٥١هـ)، كتـاب السـير والمغـازي، تحقيـق: سـهيل زكار، (دار الفكـر، د.م، ١٩٧٨م).
* محمـد عـلي اسـبر، ابـو طالـب عمـلاق الاسـلام الخالـد، (دار الاصالـة للطباعـة والنـشر، بـيروت، ١٩٩١).
* محمـد كامـل حسـن المحامـي، عبـد المطلـب بـن هاشـم جـد رسـول الله ﷺ، (المكتـب العالمـي للطباعـة والنـشر والتوزيـع، ١٩٩٥ م).

رابعا: المعاجم:

* ابـن الحسـين احمـد بـن فـارس بـن زكريـا (ت: ٣٩٥هـ)، معجـم مقاييـس اللغـة، تحقيـق: عبـد السـلام محمـد هـارون، (الـدار الاسـلامية للطباعـة والنـشر والتوزيـع، بـيروت، ١٩٩٠م)، ج ٢.
* ابـن منظـور (ت: ٦٣٠ – ٧١١ ه)، لسـان العـرب، (دار احيـاء الـتراث العـربي للطباعـة والنـشر والتوزيـع،، بـيروت، ١٩٨٨ م)، مـج ٤.

خامسا: المجلات:

* طالـب عـلي الشرقـي، ابـو طالـب.. مسـلم بقلبـه ولسـانه،(ينابيـع)، مجلـة، النجـف الاشرف، العـدد ٩، كانـون الاول – كانـون الثـاني ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦ م.

مصادر القرآن الكريم في الرؤية الاستشراقية

د. نعمة حمد ياسين النَّجار
كلية الإمام الكاظم عليه السلام / أقسام البصرة /العراق

Sources of the Noble Quran in the orientalist vision

Dr. Nima Hamad Yassin Al-Najjar
Imam Al-Kadhim College (PBUH)
departments of Basra/ Iraq

الملخص

يعد الإيمان بالوحي الإلهي من أهم أسس العقيدة، وأنَّ ثباته هو إثبات لنبوة خاتم الرسل محمد ﷺ، ودليل ناصع على صحة دين الإسلام وإلهيّة مصدره، ولأهميَّته الفائقة حاول بعض المستشرقين المغرضين ومن تبعهم التشكيك بالوحي مدعين تعدد مصادره، لغرض تهديم أهمِّ ركائز الدين الإسلامي الحنيف، وإنَّ تلك المصادر مأخوذة إما من الشعر العربي كشعر أمية بن الصلت او من عادات العرب وتقاليدهم أو من صنع الرسول الأكرم ﷺ نفسه، وذهب آخرون إلى أنّ تلك المصادر هي مزيج من ديانات سابقة كاليهودية والنصرانية والمجوسية، وفي طليعة هؤلاء الأشخاص الذين أُخذ منهم وتُعلِّم على أيديهم الراهب بحيرا في بصرى الشام، وورقة بن نوفل في مكة المكرمة.

إلا أنّ ما يدعيه هؤلاء المستشرقون أو من سار على منهجهم وتأثر بهم من الحداثويين، إنما هي دعوات لا تمت إلى المنهج العلمي والموضوعي بصلة تذكر، بل هي ادعاءت نابعة من مرتكزات ورؤى نقلها بعضهم عن بعض دون نظر وبصيرة.

وإنّ من أهم النتائج التي أفرزها هذا البحث في الرد على شبهات هؤلاء: هي دعوة الرسول الأكرم ﷺ لقومه للإيمان بالواحد الأحد فلو كان الامر يقتصر على تصورات داخلية للرسول الأكرم ﷺ لدعاهم إلى تشريعاته وقوانينه الخاصة به، ومجيئه بالعديد من الآيات التي تصرح بأنَّ هذا القرآن الكريم ليس من عنده لا على مستوى اللفظ ولا على مستوى المعنى، و كذلك إذا كان القرآن الكريم قد أُخِذ من أمية لاستطاع أن يتحداه بما عنده مع أننا لم نجده قد فعل، وأيضاً كيف استطاع الراهب بحيرا أن يعلم النبي الأكرم ﷺ في وقته لقائه على مفترق طرق ديناً كاملاً.،

وإضافة إلى ما تقدم إذا كان النبي ﷺ قد تعلم على يد ورقة فهل يوجد في التاريخ كلام لورقة يشبه كلام القرآن الكريم يخبر عن ذلك؟.

الكلمات المفتاحية: القرآن، الوحي، المصادر، الاستشراق، المستشرقون.

Abstract:

In the name of Allah the Merciful Belief in divine revelation is one of the most important foundations of faith، And its stability is proof of the prophethood of the Seal of the Messengers, Muhammad. A good proof of the validity of the religion of Islam and the divinity of its source. Because of its great importance, some malicious orientalists tried to، Those who follow them doubt the revelation, claiming its multiple sources. For the purpose of destroying the most important pillars of the true Islamic religion- And those sources are either taken from Arabic poetry Like the poetry of Umayyah ibn al-Salt or from the customs and traditions of the Arabs Or from the work of the Noble Messenger himself, Others said that these sources are a mixture of previous religions such as Judaism, Christianity and Zoroastrianism. In the forefront of these people who were taken From them and learning at their hands the monk Buhaira in Bosra Sham. Warqa Bin Nofal in Makkah Al Mukarramah.

However, what these orientalists claim or those who followed their method and were influenced by them from among the modernists, Rather, they are calls that have little to do with the scientific and objective method. These are claims stemming from foundations and visions that they have conveyed from each other, without consideration and insight. One of the most important results of this research is the claim of the Noble Messenger. for his people to believe in the One and Only. If the matter were confined to the inner conceptions of the Noble Messenger, he would have called them to his own legislation and laws. Likewise, he came with many verses that declare that this Quran is not from him, neither on the level of pronunciation nor on the level of meaning، Likewise, if the Quran was taken from Umayyah, he

would have been able to challenge him with what he had, even though we did not find him doing. Likewise, how the monk Bahira was able to teach the Noble Prophet, during his time, to meet him at the crossroads of a complete religion., In addition to the foregoing, if the Prophet 'learned on a piece of paper, is there any word in history that resembles the words of the Qur'an.

Keywords: The Qur'an, revelation, sources, orientalism, orientalists.

المقدِّمة

إنَّ الإيمان بالوحي هو من أهم أسس العقيدة الإسلامية، وأنّ إثبات الوحي هو إثبات لنبوة خاتم الرسل ﷺ ودليل ناصع على صحة دين الإسلام وإلهيّة مصدره، ولأهميّته الفائقة وخطورته البالغة فقد حاول بعض المستشرقين المغرضين التشكيك بالوحي-جملة وتفصيلاً-لغرض تهديم إحدى ركائز الدين الإسلامي الحنيف.

وقد أكد المسلمون أنَّ القرآن الكريم مصدره الحقّ تبارك وتعالى أنزله بواسطة الملك جبريل عليه السلام على النبي الخاتم ﷺ ولكن بعض المستشرقين ومن تبعهم ذهبوا إلى تعدد مصادر القرآن الكريم، كالمستشرق اندرسون وكولد تيسهر وتوراندريه، وغيرهم.

ولقد تطرقت في بحثنا هذا إلى عدة مطالب بخصوص ما تقدم، إذ أشرت في المطلب الأول إلى المراد من الوحي لغة واصطلاحاً وما الصور التي أتى بها الوحي في القرآن الكريم؟ وأما في المطلب الثاني فقد أشرت فيه إلى المصادر القرآنية وفقاً للرؤية الاستشراقية، إذ تناولت فيه الاتجاه الأول من الشبهات الاستشراقية والذي يمكن أن نطلق عليه بالاتجاه الداخلي، إذ يرى أنَّ مصادر القرآن هي مصادر داخلية منطلقة من الجزيرة العربية نفسها، من عادات بعض العرب وتقاليدهم.

في حين ذكرت في الاتجاه الثاني وهو الذي يمكن أن يعبر عنه بالاتجاه الخارجي والذي أعني فيه أن هؤلاء حسب زعمهم ان مصادر الوحي القرآني قد اقتبست من ديانات أخرى كاليهودية والمسيحية والمجوسية وغيرها.

المطلب الأول

أولاً: المراد من مفردة الوحي (لغة واصطلاحًا).

١ ـ الوحي في اللغة:

تشير عبارة اللغويين الى دلالة الوحي على الخفاء والسرعة، قال الراغب: (أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمّن السرعة، قيل: أمر وحيّ أي سريع، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة بعض الجوارح وبالكتابة) [١].

وبالجملة فأن معاني الوحي تشتمل على أنه بمعنى : الكتابة، الإشارة، الصوت،السرعة،الإعلام في خفاء... والقاسم المشترك بين هذه المعاني هو الإخبار بصورة من الصور[٢].

٢ـ الوحي في الاصطلاح: (الإشارة السريعة على سبيل الرمز والتعريض، وما جرى مجرى الإيماء والتنبيه على الشيء من غير أن يفصح به)[٣].

ثانياً: صور الوحي في القرآن الكريم:

عند مراجعة القرآن الكريم نلاحظ انّ الوحي قد استخدم في موارد عديدة، منها..

١- الإلهام : وهو أن يلقي الله تعالى في النفس أمراً يبعث على الفصل أو الترك، وهو نوع من الوحي، يخص به الله من يشاء من عباده سوى الأنبياء ﷺ كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ** ﴾ [٤].

٢-التسخير: وهو أن يسخر الله بعض مخلوقاته إلى عمل ما، بهديه ومشيئته،وتسخيره، بشكل من الأشكال التي لا تستوعبها بعض مداركنا أحياناً، ويستيقنها الذين آمنوا دون أدنى شبهة،ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾ [٥، ٦].

ويذكر باحثون آخرون دلالات أخرى للوحي في القرآن الكريم منها :

٣- وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان.

قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ...** ﴾[٧].

وقوله : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾[٨] . ما يلقيه الله تعالى لملائكته من أمر ليفعلوه.

قال تعالى : ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ﴾[٩].

٤- الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء.

كإيحاء النبي زكريا عليه السلام فيما حكاه القرآن الكريم عنه: ﴿ **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾[١٠]، [١١].

هذه أنحاء الوحي بوجه عام وبصورة إجمالية سواء ما كان منها الوحي الرسالي أم دلالات الوحي الأخرى.

المطلب الثاني: الاستشراق والمصادر القرآنية

قسم المستشرقون الشبهات القرآنية إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: يقول إن مصادر القرآن الكريم هي داخلية فتارة مأخوذة من الشعر العربي، كشعر أمية بن الصلت، وأخرى من عادات العرب السابقة وتقاليدهم، وثالثة أن القرآن الكريم من صنع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

الاتجاه الثاني: يذهب إلى أن مصادر القرآن الكريم هي مزيج من أفكار الديانات اليهودية، والمسيحية، والمجوسية وما شابه ذلك من ديانات أخرى.

الاتجاه الأول: شبهة المصادر الداخلية للقرآن الكريم

اختلف الذاهبون إلى هذه الشبهة في تحديد نوعية المصدر الداخلي إلى أقسام:

القسم الأول: إنَّ القرآن الكريم من صنع النبي محمد ﷺ.

القسم الثاني: القرآن الكريم هو انعكاس للحياة العربية وتقاليدها.

القسم الثالث: القرآن الكريم مأخوذ من شعر أمية بن الصلت.

القسم الأول: القرآن من انتاج (صنع) الرسول الأكرم ﷺ

ذهب إلى هذا القول المستشرق هنري لامانس (HLammens) إذ يقول: إنَّ الرسول الأكرم ﷺ. مرّ بأزمة دينية ألجأته إلى الاعتزال والوحدة واعتقد بعزلته بأنَّ هناك إلهاً واحداً وإنَّ العرب عليهم أن يؤمنوا به كما أمن اليهود والنصارى، واعتقد أنه مدعو إلى حمل هذه الفكرة إلى قومه.[١٢]، ونحن نحاول أن نثير مجموعة من التساؤلات حول هذه الفكرة:

أولاً: لا يوجد تلازم بين من يعتقد أن عليه أن يدعو أمته وشعبه إلى الاعتقاد بالواحد الأحد وبين هذه التشريعات الإسلامية الواردة في القرآن، والتي حملت من الدقة على مستوى الصياغة والمعنى ما لا يستطيع أحد إنكاره.

ثانياً: المشكلة التي حدثت بين الرسول الأكرم ﷺ وقومه هي أنه دعاهم إلى الإيمان بالواحد الأحد فلو كان الأمر يقتصر على تصورات داخلية للرسول الأكرم ﷺ. لأخذ زمام المبادرة ودعاهم إلى التشريعات والقوانين التي جاء بها من دون أن يدعوهم إلى هذا النوع من الإيمان مادامت القضية داخلية.

ثالثاً: إنَّ الرسول الأكرم ﷺ جاء بآيات تصرح بأنَّ هذا القرآن ليس من عنده لا على مستوى اللفظ ولا على مستوى المعنى﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ**

عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[١٣].

رابعاً: طريقة التعبير القرآني اختلفت عن طريقة التعبير على لسان الرسول الأكرم ﷺ.. في أحاديثه وقد تحدى القرآن ان يأتوا بمثله، فلو كان من عند الرسول ﷺ وهو ابن بيئتهم ولم يكن يُعرف بأنه شاعر بل كان أمياً فكل هذه الأمور ترجح أن هذا الكتاب هو من عند الله تعالى، ولو قارن إنسان بين القرآن الكريم والحديث لوجد بوناً شاسعاً، ولهذا لم يستطع العرب أن يدسوا في القرآن الكريم آية واستطاعوا أن يدسوا في الأحاديث كثيراً.

خامساً: هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم وشواهد متعددة وحوادث مختلفة تصرح بأن القرآن الكريم ليس من عند الرسول الأكرم ﷺ، منها:

السؤال عن حادثة أصحاب الكهف حيث سئل الرسول ﷺ عنها ولم يجبهم إلا بعد ان نزل عليه الوحي وأخبره بها.

السؤال عن الروح، **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾** [١٤] وغير ذلك فلو كان من عند النبي ﷺ. لأجابهم بسرعة ولا يحتاج الأمر إلى وقت.

سادساً: الإعجاز البياني القرآني يدل بوضوح على أنه ليس من صنع الرسول ﷺ.

سابعاً: لو كانت المسألة هي مجرد تفكير وعزلة، فكيف عرف النبي ﷺ. بأخبار الأمم السابقة وأحوالها؟ ولهذا نجد القرآن يخاطب الرسول **﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾**.[١٥]

ثامناً: اشتمال القرآن الكريم على أخبار سوف تقع في المستقبل قال تعالى: **﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ**

﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. [١٦]، فهذه الأمور وغيرها تقف بوجه من يدعي أن مصدرية القرآن الكريم هي من تأملات النبي الأكرم وعزلته -صلى الله عليه وآله-.

القسم الثاني: القرآن الكريم هو انعكاس للحياة العربية

قبل الرد على هذه الشبهة لابد من التعرف إلى منشئها واكتشاف المنشأ يكون بالعودة إلى تقاليد الجزيرة العربية وعاداتها لنتعرف إلى تلك الأحكام ونقابلها مع الأحكام القرآنية والحكم بعد ذلك على هذه الشبهة، ولابد من القول إن إيجاد نوع من التشابه بين ما درج عليه العرب وبين أحكام الإسلام لا يدل على أن القرآن مصدره الحياة العربية وتقاليدها لأنَّ الأحكام الإسلامية جاءت مبتنية على المصالح والمفاسد والناس بطبيعة أعمالهم وأعرافهم يبدلون سنن الأحكام وفق مصالحهم واحتياجاتهم فقد تكون هناك بعض الأحكام موجودة عند العرب وموجودة في الإسلام انطلاقاً من أن الإسلام ألغى الأعراف والتقاليد الفاسدة وأقر الصالح منها وعدل بعضها وفقاً لمتطلباته وأحكامه.

ففي العصر الجاهلي كان العرف هو المصدر الأساسي للتشريع وإلى يومنا هذا الكثير من الدول العالمية تبني تشريعاتها وفقاً لأعرافها، بل حتى في بعض العشائر العربية يطبق العرف اليوم من أجل حل الكثير من النزاعات بينهم، فالعرف يعتبر مصدراً مهماً للتشريع عند الجاهلين، ويعد هذا المصدر الأول للقرآن عند بعضهم.

وأما المصدر الثاني لهم فهو طريقة العبادة التي كانوا يتدينون بها وهي عبادة الأصنام، وكان للأصنام وللمعابد أناس متخصصون يديرون أمرها وشؤونها،وهؤلاء يحملون صبغة دينية تؤهلهم إلى أن يكونوا مطاعين من الجاهليين ونسبوا الأحكام لهم.

إذن مصادر التشريع عند الجاهليين ثلاثة:

١-العرف ٢-أصحاب المعابد ٣-أصحاب النفوذ والسلطة

وفي معرض الإجابة عن هذه الشبهة نقول:

إنَّ وجود أحكام كانت سائدة في زمن الجاهلية أقرها الإسلام لا يعني أنه اقرها لأنها كانت مستساغة لهم أو أنه تأثر بها، إن المتتبع يرى أنها انسجمت مع تشريعاته فأبقى عليها وأما تلك التي لم تنسجم مع فلسفة التشريع الإسلامي فقد ألغاها وحرمها كبعض العادات المتعلقة بالحج وبعض العقود في النكاح والبيع كـ(الربا) وما شابه ذلك، فالتشريع الإسلامي ينطلق من فلسفة المصالح والمفاسد فإذا ما كانت هناك تشريعات منسجمة مع تلك المصالح والمفاسد يقرها وإلا ألغاها، ويمكن إثارة جملة من الإشكالات على شبهة المستشرقين حول كون الحياة والتقاليد العربية هي المصدر الأساسي للقرآن منها:

لماذا ألغى القرآن الكريم الكثير من العبادات والمعاملات وخلق له أعداءً فلو كان المصدر هي العادات والتقاليد لما كان لذلك داعٍ يذكر.

لم نجد من العرب من تفوه بهذه الفرية وقال: أنَّ القرآن هو عبارة عن متن لفظي لسلوكنا العلمي فأنت يا محمد ما هو الجديد الذي أتيت به وتدعوننا إليه.

اعتراف العرب بأنَّ هذا الدين جديد بأسلوبه ولفظه ومعناه خير دليل ذلك، ويروي التاريخ أنّ الوليد الذي يصفه العرب بريحانتهم وحكيمهم سمع الآيات التالية من النبي الأكرم ﷺ قوله تعالى: ﴿**حَم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَ قَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ * مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلاَ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلاَدِ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ الأَحْزَابُ مِنْ**

بَعْدِهِمْ وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَ جَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ * وَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾[١٧].

فلما سمع ذلك قام حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال: « والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وأنّ له لحلاوة، وأنّ عليه لطلاوة، وأنّ أعلاه لمُثمِر، وأنّ أَسْفَلَهُ لمُغْدِقْ، وأنّه لَيْعلو وما يُعْلى عليه». ثم انصرف إلى منزله»[١٨].

القسم الثالث: القرآن الكريم مأخوذ من شعر أمية بن الصلت[١٩].

أول من طرق هذه الفكرة هو المستشرق كليمان هوار(C.HUART) وذكر أن القرآن الكريم أخذ كثيراً من شعر أمية بن الصلت وقارن هذا الرجل بين الشعر المنسوب لأمية بن الصلت وبين القرآن الكريم، ووجد هناك تشابهاً بين الأمرين في بعض الأمور، وذكر طه حسين في كتابيه « في الشعر الجاهلي» وكتابه الآخر «الأدب الجاهلي» عمل هذا الرجل وأنه قد قام بعملية مقارنة بين الشعر والقرآن الكريم بعد أن أثبت صحة الشعر المنسوب لهذا الشاعر وأنَّ هناك تشابهاً بين الشعر المنسوب لأمية بن الصلت وبين القرآن الكريم، وعلل محاربة المسلمين لشعر أمية بن الصلت بانه ليبقى القرآن منفرداً على أنه وحي إلهي.[٢٠]

وهذه الشبهة فيها من الوهن ما لا يخفى وذلك:

إنَّ أمية بن الصلت رثى بشعره قتلى بدر من المشركين وكان يتمنى ان يكون نبياً كما ذكر في مروج الذهب، وفي الأغاني[٢١] وعندما جاء برسول وبُعث إلى قومه لم يسلم أمية بن الصلت بل أنه بالغ في عداء الرسول ﷺ حسداً وحقداً فلو كان الرسول ﷺ قد أخذ منه القرآن الكريم لكان أمية

قد دافع عن شعره ورفع صوته عالياً بينما لا نجد لذلك في التاريخ أثراً ولا عيناً.

إنَّ القرآن قد تحدى الجن والإنس على أن يأتوا بسورة من مثله، فإذا كان القرآن قد أخذ من أمية لا ستطاع أمية أن يتحدى ذلك مع أننا لم نجد أمية قد فعل.

كان أمية ينتظر النبوة كما تشير بعض المصادر وأصابته الصدمة والذهول حينما بعث محمد ﷺ، إذ كان يأمل ان يكون نبي هذه الأمة. إذ يقول نيكلسون: وإنَّ تصوف أمية وانتظاره النبوة وأسفه عند ظهور الرسالة لدى غيره تؤيدها الرواية الآتية التي حفظها المسلمون ونقلوها بحذافيرها، وهي أعظم شأنًا بكثير من ذكر التوحيد في شعره؛ لأنها تدل على حقيقة من الحقائق العجيبة، وقد يعجز الفكر عن تعليلها[٢٢].

لقد واجه القرآن الكريم الشعر ونفاه عن النبي الأكرم ﷺ وقال فيه: ﴿ **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ**﴾[٢٣] فلو كانت المعاني المذكورة مأخوذة من شعر أمية لواجه العرب محمداً بذلك فيكون لهم أفضل من مواجهة بالسيوف.

بعض المستشرقين رفض ذلك من قبيل المستشرق الألماني فريدرك سولتهيس (Frydrk solthys) وهذا قد جمع شعر أمية وطبع ديوانه عام ١٩١١م وقال: إنَّ محمداً وأمية اشتركا في ثقافة واحدة وأخذا من مصدر واحد.[٢٤] فهذا المستشرق اطلع على شعر أمية واطلع على القرآن ووجد هناك فروقاً عديدة، إلا أنه من المؤسف لم يحاول ان يبرز ذلك الفرق بشكل جلي وأراد أن يثبت الادعاء الموماً إليه، فلجأ إلى طريق آخر بقوله: إنهما اشتركا في ثقافة واحدة من مصدر واحد، في حين أن المتتبع يرى أنَّ هذه الشبهة لا تصمد أمام النقد الموضوعي والدراسات العملية المنهجية .

الاتجاه الثاني: إنَّ مصادر القرآن الكريم مأخوذة من الديانات الإلهية الأخرى (التوراة والإنجيل).

هذا الاتجاه فيه (حق وباطل) وأراد أصحابه أن يخلطوا الحق بالباطل. أما بالنسبة إلى الحق الموجود في هذا الكلام فيمكن الإشارة إليه من خلال ما يلي:

إنَّ مصدر الديانات الإلهية واحد وهو (الله تعالى) وكل ديانة فيها أمور نظرية وأخرى عملية وبمعنى آخر فيها اعتقادات وفيها أحكام وشرائع ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾[٢٥] أما الدين فهو واحد عند الله وهو الإسلام بمعنى التسليم ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ**﴾[٢٦] فمن الممكن أن يكون هناك تشابه كبير ما دام المصدر واحداً، بل تطابق في كثير من الأمور الاعتقادية.

إنَّ هناك آيات في القرآن الكريم نفسه تدل أن الرسول ﷺ والأنبياء السابقين عليهم السلام ينهلون من عين واحدة: إذ قال تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[٢٧].

وأيضاً قال تعالى: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ**﴾[٢٨].

قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ**﴾[٢٩]، فهذه الآيات وغيرها تدل على ان المنبع واحد وأن هناك جهات مشتركة بين الديانات فهذا مما أقره القرآن ولا يحتاج إلى شبهات المستشرقين.

إنَّ النجاشي ملك الحبشة عندما سمع من جعفر بن أبي طالب(رضوان الله عليه) بعض الآيات قال: إنَّ هذا والذي جاء به النبي عيسى عليه السلام

ليخرج من مشكاة واحدة، والله ما زاد النبي عيسى عليه السلام على ما تقولون بل إنَّ القساوسة والرهبان كانوا يبكون عندما يسمعون الآيات ويقولون ما أشبه هذا بما كان ينزل على النبي عيسى عليه السلام [٣٠].

فهذه المتشابهات التي ذكروها بين القرآن الكريم وبين التوراة والإنجيل قد صرح بها القرآن الكريم نفسه.

أما جانب الباطل في هذه الدعوى أنَّهم قالوا: إنَّ محمداً قد أخذ هذه المعارف من القساوسة ومن الرهبان وكان يتتلمذ على أيديهم فهذه الدعوى الباطلة سوقها المستشرقون مع القول بوجود تشابه بين القرآن الكريم والتوراة والإنجيل وفي معرض الإجابة على ذلك سنحاول ذكر الرهبان الذين ادعى المستشرقون أن محمداً قد تتلمذ على أيديهم، ومن ثم ذكر الردود عليها ويمكن تقسيم المطلب إلى قسمين:

القسم الأول: دعوى تتلمذ الرسول صلى الله عليه وآله على يد بحيرا الراهب وبطلانها.

القسم الثاني: دعوى تتلمذ الرسول صلى الله عليه وآله على يد ورقة بن نوفل وأدلة بطلانها.

القسم الأول: دعوى تتلمذ الرسول صلى الله عليه وآله على يد بحيرا الراهب.

أول من طرق هذا الدعوى المستشرق أميل درمنغام (Dermenghem) والمستشرق مونتيه (Montiet) وقالا: إنَّ الرسول محمداً تتلمذ على يد (بحيرا)في مدينة بصرى الشام، أما بالنسبة إلى (بحيرا) فقيل إنَّ اسمه (جرجس) وقيل اسمه (نسطور) وقالوا عنه إنه منجم وساحر، ويعتقد أن الله تعالى ظهر له ليكون هادياً إلى النصرانية.[٣١]

ويمكن إخضاع هذه الدعوى إلى نظرية طبيعة الأنبياء أي إننا سنقوم بدراسة للظروف الموضوعية التي تتحدث عنها هذه الدعوى بعد ان تنقل

القصة التي حدثنا بها وهي إن التاريخ قد نقل الينا:

إنَّ النبي محمد ﷺ سافر مع عمه أبي طالب عليه السلام إلى الشام وكان عمره أما (١٢) سنة واما (٩) سنين وعندما نزلا في الطريق التقيا هناك براهب اسمه (بحيرا) ودارت محاورة بين عمه أبي طالب عليه السلام وبين الراهب نقلها لنا ابن هشام في سيرته قائلاً : بحيرا سأل أبا طالب عليه السلام عن نسبته إلى هذه الغلام فكان أبو طالب عليه السلام يسميه ولده فقال له: ابني، فقال بحيرا : ما هو بابنك وما ينبغي أن يكون أبو الغلام حيا فقال: نعم هو ابن أخي، فقال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال بحيرا: صدقت فارجع به إلى بلد واحذر عليه من اليهود فو الله لئن رأوه هنا ليبلغنه شراً فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم... [٣٢]

فهذه القصة وهذا اللقاء نثير عليه جملة من التساؤلات:

حسب طبيعة الأشياء كم يكون وقت لقاء على مفترق طرق لقافلة، تسير باتجاه الشام فكيف يمكن أن يكون الوقت كافياً لأخذ ديانة كاملة من شخص آخر.

لماذا لم نجد في التاريخ والسِير حديثاً آخر عن تعليم النبي ﷺ من بحيرا الراهب بل وجدنا هذا اللقاء وهذه المحاورة فقط.

لماذا لا يدعي بحيرا أنه نبي، لماذا يُعلم شخصاً آخر ويجعله نبياً أليس منصب النبوة منصباً معنوياً والراهب بحيرا قد احتل منصباً معنوياً بأنه راهب فما الحاجة إلى أن يعلم شخصاً آخر ليجعله نبياً.

ماذا أخذ الرسول محمد ﷺ من بحيرا هل يستطيع أحد أن يقول إنه أخذ كل ما في القرآن الكريم من علوم وأحكام.

لماذا لا نجد في التاريخ كلاماً لبحيرا يشبه كلام القرآن الكريم المعجز أليس أن بحيرا قد عَلَّمَ الرسول ﷺ القرآن الكريم فلماذا لا يتكلم بحيرا

بكلام القرآن الكريم نفسه.

لماذا طرح النبي ﷺ نبوته على الملأ بعد أن أصبح عمره ٤٠ عاماً في حين أن اللقاء قد تم وعمر النبي ﷺ إما (١٢) عاماً وأما (٩) أعوام فهذه الاستفسارات تضع هذه النظرية في معرض التشكيك عن دوافعها فيا للعجب نجد المستشرقين يحللون الأمور بمناهج علمية رائعة في بعض الحالات، لكن عندما تصل إلى نبوة النبي محمد ﷺ نجدهم في أدنى مستوى من التحليل والموضوعية التي ينادون بها، كأنما لا يملكون عقلاً، وإنما هم مقلدون يرددون ما يسمعون.

ينقل لنا التاريخ ان الرسول الأكرم ﷺ قد سافر إلى الشام مرتين، مرة مع عمه أبي طالب عليه السلام وعمره ٩-١٢ سنة، وأخرى في تجارة للصديقة السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام وكان يبلغ من العمر ٢٥ عاماً، فكيف حصل محمد ﷺ على النبوة من بحيرا بسفرتين، وهل هناك وسائل اتصال حديثة متطورة يتصل بها الرسول ببحيرا كالأنترنت أو التلفون أو ما شابه ذلك.

أعتقد بعد نقاش هذه الشبهة وما طرح عليها من الإشكالات المتقدمة، يصبح من السذاجة التصديق بها وترديدها، ولهذا أنكر بعض المستشرقين هذه الشبهة كارادفو karadfo وسمى هذه الشبهة بالخرافة والأسطورة وكذلك المستشرق الإنجليزي (karly).

القسم الثاني: دعوى تتلمذ الرسول الأكرم ﷺ على يد ورقة بن نوفل[٣٣].

لم يترك المستشرقون مورداً واحداً فيه إمكانية التشكيك بدعوة النبي الأكرم ﷺ. الا استغلوه حتى لو كان ذلك من السذاجة، ففي هذه الدعوى

يقول المستشرقون إن محمداً تتلمذ على يد ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي عم خديجة بنت خويلد، وهذا الرجل قد اعتنق النصرانية عندما كره عبادة الأوثان وخرج إلى الشام فالتقى بالقساوسة وأعجبته النصرانية فتنصر[٣٤]، وسنناقش هذه الدعوى بعد أن نذكر باختصار لقاء ورقة بالنبي ﷺ.

فقد نقل إنَّ النبي ﷺ. عندما تكلم معه الوحي رجع إلى بيته وعلمت السيدة خديجة عليها السلام بالخبر فانطلقت إلى ورقة بن نوفل ابن عمها فقالت له السيدة خديجة عليها السلام يا ابن عم اسمع من ابن اخيك.

فقال له: يا بن اخي ماذا ترى؟

فأخبره الرسول ﷺ خبر ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل على موسى ... يا ليتني كنت حياً إذ يخرجك قومك.[٣٥]

فاتخذ المستشرقون هذا اللقاء شاهداً على انَّ النبي ﷺ كان تلميذاً لورقة وعلمه القرآن الكريم وما شابه ذلك من توهمات وهنا سوف نثير على هذه الشبهة تساؤلات عدة منها:

من أين للمستشرقين أن قالوا إن ورقة عَلَّم محمداً ﷺ القرآن الكريم فلا يوجد لديهم إلا طريقان:

الأول: التاريخ

الثاني: الغيب

أما التاريخ فلم يوجد فيه إشارة واحدة على أن محمداً ﷺ تتلمذ على يد ورقة، بل يوجد فيه اعتراف من ورقة أن هذا الذي رآه الرسول ﷺ هو الذي كان ينزل على موسى عليه السلام.

إذا كانت النبوة التي جاء بها الرسول ﷺ هي من تعليم ورقة فلماذا لم

يدعيها ورقة نفسه ويضمن لها مكانة معنوية بين قومه.

هل يوجد في التاريخ كلام لورقة يشبه كلام القرآن الكريم فإذا كانت المسألة تعليمية فالمفروض يوجد مثل ذلك بينما لا نجد في ذلك عينا ولا أثرا.

أين قريش من عملية التعليم هذه فبدلاً من أن يتقاتلوا مع محمد ويفقدوا الأحبة والأهل كان من السهولة بمكان أن يقولوا أنك تلميذ لورقة ويواجهونه بهذه المواجهة.

لماذا لا نجد في التاريخ مواجهة من قريش فالمفروض أن يكون المعلم هو السبب وليس المتعلم.

بعض المستشرقين شعر بضحالة هذه الدعوى فعدلها، وقال: إنَّ محمداً ﷺ كان قد عقد صلات مستمرة مع ورقة بن نوفل منذ وقت مبكر، وتعلم أشياء كثيرة منه، فهذه الشبهة أيضاً كسابقتها لم تصمد أمام الدراسة الموضوعية والمنهج العلمي البحت.

الخاتمة.

يرى المسلمون أنَّ مصدر القرآن الكريم هو الحق تعالى وأنه نزّله الوحي المتمثل بجبريل الامين على النبي الاكرم ﷺ، وهذا ما ذكره القرآن الكريم وشاع بين أوساط المسلمين وغيرهم.

إلا أنَّ بعض المستشرقين ذهبوا إلى تعدد مصادر القرآن الكريم، إذ قسموا المصادر القرآنية حسب زعمهم إلى قسمين:

القسم الأول: أنها مصادر داخلية من الجزيرة نفسها، مأخوذة من (العرف، أو الشعر لعربي، أو من صنع محمد ﷺ .

وذهب القسم الثاني إلى أن مصادر القرآن الكريم هو مزيج من أفكار الديانات التي سبقت الإسلام وعاصر النبي محمد ﷺ بعضاً من أفرادها وأنه أخذ بعض أحكام الإسلام من هذه الديانات كاليهودية والمسيحية والمجوسية .

إلا أنَّ مناقشة دعوات المستشرقين وآرائهم تجاه مصادر الكتاب المبارك أثبتت ضعف تلك الادعاءات ووهنها وفقاً للضوابط العلمية والموضوعية.

والكثير منها عبارة عن آراء تطرح من خلال تقليد بعضهم بعضاً، ومن ثم فإنَّ هذا الطرح يتسم بعدم المصداقية ويفتقر إلى الموضوعية التي هي أهم أساس من أسس البحث العلمي.

وأن ما يطرح من بعض الكتّاب المسلمين الذين يسمون بالحداثويين والتي غررت أطروحاتهم ببعض الشباب المسلم، ماهي إلا تقليد للكتّاب المستشرقين، وانسلاخ من واقعهم الإسلامي الذي تربوا ونشأوا فيه .

فلابد للشباب المسلم أن يتريث قبال هكذا دعوات وأطروحات وشبهات فارغة المحتوى، الهدف منها واضح التشكيك في الأسس التي اتكأ عليها الإسلام من قرآن كريم وسنة.

وقـد أُسـقطت بمجـرد إسـقاط الدعـاوى التـي رفعهـا مـن سـبقهم مـن المسـتشرقين، وأنَّ كتابنـا المبـارك لا يأتيـه الباطـل مـن بـين يديـه ولا مـن خلفـه وأنـه مـن صنـع الله سـبحانه تعـالى، خالـد إلى يـوم القيامـة.

الهوامش

١) – الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ص٥١٥.

٢)– الأعرجي، ستار جبر، الوحي ودلالته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي، ص١٣.

٣)– الصغير، محمد حسين علي، تاريخ القرآن، ص٢٣.

٤)– سورة القصص، الاية: ٧ .

٥) – سورة النحل، الاية: ٦٨

٦) – محمد حسين علي الصغير، تاريخ القرآن ،٢٥ – ٢٦

٧)– سورة الأنعام، الاية: ١٢١

٨)– سورة الأنعام، الاية: ١١٢

٩)– الأنفال، الاية: ١٢.

١٠)– مريم، الاية: ١١ .

١١)– معرفة، محمد هادي، تلخيص التمهيد، ج١، ص١١–١٣.

١٢) – الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ج١، ص٢٧٠.

١٣) – يونس: ١٥، ١٦

١٤) – النحل:٢.

١٥) – آل عمران: ٤٤.

١٦) – الفتح:٢٧.

١٧) – غافر:١–٦

١٨) – الطبرسي، مجمع البيان، ج ٥، ص ٣٨٧.

١٩) – أمية بن عبد الله أبي الصلت بن ربيعة بن عوف من أشراف ثقيف ورؤوسها، وامه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف، قد نشا بالطائف مصيف أهل مكة ومتنزه أعيانها، وهي من أعجب البلاد العربية، واطيبها هواء...فتأثرت صفاته منذ ابتدائه بهذه الطبيعة الخصبة وادرك الحالة الاجتماعية التي نشأت بالجزيرة بعد فتوح الفرس لبلاد اليمن، وما أدى ذلك الاتصال من امتزاج العقليات الآرية بالروح السامي القديم.، ووردت في شعره قصص واحاديث عن الحيوان ليس بقليل منسوباً إلى أراض وشعوب سامية كقصة « طوق الحمامة» « ورسالة الهدهد» ونحو ذلك مما سنشرحه في كلامه، وإن كان ذلك لا يمنع ما هو متبع بين الأمم من تناقل الآداب والمدنيات.

وكان أمية مع هذه المعاصرة قد قرأ الكتب، واتصل بحياة القديسين من الأحبار ولزم النسك وخلع الأوثان وحرَّم الزنا والخمر ودعا الناس إلى الحنفية دين إبراهيم، وأظهر

التأله وطمع في الوحي فلما ظهرت النبوة في قريش وقام بالدعوة محمد بن عبد الله « أدركه الحسد وزين له الشيطان سوء عمله فصده عن السبيل فلم يُسلم، وبالغ في العداء للمسلمين وألح في النكاية لهم، ورثى قتلى بدر من المشركين وحارب معهم النبيّ في خيبر، وقد سمع أميّة القرآن وحكى شيئاً مما فيه من القصص، واقتبس من كلماته أو من أسلوبه ومات سنة ٩ هـ، وذكر عن النبي » حين انشد بعض أشعاره قال: آمن لسانه وكفر قلبه« نعوذ بالله من خاتمة السوء»

يعود الفضل في إحياء تاريخه وجمع أكثر المنسوب إليه في ديوان أحد مُتعربة علماء الألمان وهو: فريدرك شولتهيس وقد عنى بطبعه سنة ١٩١١، واستعان في تصحيحه وضبطه بمراجع كثيرة بين عربية وأجنبية منها شرح محمد بن حبيب وكتاب الأغاني وكتب السير والمجموعات القديمة وغيرها من كتب اللغة. بتصرف من ٣٤٩- ٣٥١ الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، محمد هاشم عطية، ط٢، مصر، ١٩٣٦م -١٣٥٥هـ.

٢٠)- حسين، طه، الأدب الجاهلي،، ص١٤٢.

٢١) - المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٣٦. الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج٤، ص١٢٢.

٢٢) - نيكلسون، تاريخ أدب العرب، ص٦٩.

٢٣) - يس:٦.

٢٤) - عطية، محمد هاشم، الأدب العربي وتاريخه في العصر الحديث، ص٣٥٢.

٢٥) - المائدة:٤٨.

٢٦) - آل عمران: ١٩

٢٧) - النحل: ١٢٣.

٢٨) -الشورى:١٣.

٢٩) -المائدة :٤٤.

٣٠) - الواحدي، أسباب، الواحدي، ص١٣٦. استطاع جعفر بن أبي طالب أن يقنع النجاشي بموقفه بعد خطاب جامع ألقاه جعفر على ملك الحبشة..

حاول وفد قريش بقيادة عمرو بن العاص أن يقنع النجاشي بضرورة رد المسلمين المهاجرين إليه وهنا تقدم الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب وألقى على ملك الحبشة خطابا جليلا قلب الحدث لصالح المسلمين تماما.

وبدأ جعفر خطابه قائلا: «أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف». وقد بدأ جعفر بن أبي طالب بتقبيح الحالة التي كانوا عليها قبل الإسلام؛ حيث قال:

«فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه». وهنا يشير جعفر إلى أن الذي جاء بهذا الدين الجديد صادق أمين.

ثم أخذ جعفر في عرض الإسلام عرضا طيبا فقال: «دعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام».

ثم أكمل جعفر خطابه: «فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا». ثم أتبع ذلك فقال: «فعدَا (طغى) علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث».

وقد ذكر جعفر ذلك لأنه يعلم أن صور الابتلاء تتأثر بها قلوب المسيحيين؛ فهي تذكرهم بصورة المسيح عليهم السلام.

وهكذا سيطر جعفر تماما على مشاعر النجاشي، بل على مشاعر الأساقفة من حوله، وقد ختم بيانه هذا بمقطع سياسي حكيم قال جعفر فيه: « فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألاَّ نظلم عندك أيها الملك».

وبعد انتهاء الخطاب سأل النجاشي جعفر رضي الله عنه قائلا: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قال جعفر: نعم. قال النجاشي: اقرأه عليَّ.

فاختار جعفر صدر سورة مريم والتي تبدأ بقوله تعالى:﴿ **كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ إلى قوله تعالى:﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾** [مريم: ١- ٢١].

وبعد سماع هذه الكلمات المعجزة لم يتملك النجاشي نفسه فبكى ملك الحبشة وبكت أساقفته، وهنا وبوضوح أخذ النجاشي القرار وقال:« إن هذا والذي جاء به موسى (وفي رواية: عيسى) ليخرج من مشكاة واحدة».

٣١) – رشيد رضا، تفسير المنار، ج١١، ص١٦٩.

٣٢) – ابن هشام، السيرة، ج١، ص١٨٠

٣٣) – ينبغي الإشارة إلى ملاحظة مهمة ،وهي أنَّ هناك العديد من المصادر الإسلاميّة لا تتفق مع الرؤية التي يذهب لها بعض من كتاب التاريخ الإسلامي على أن النبي

الاكرم ذهب بعد تشرفه بتكليف النبوة إلى ورقة بن النوفل وأن ورقة هو من أخبره بأنه نبي، إذ يستلزم ذلك الرأي إثارة الكثير من المسائل العقدية التي لا يسع المجال لذكرها، والتي لا تتناسب والمقام.

٣٤) – ستودارد، لوتوب حاضر العالم الإسلامي، ج١، ص٤٠.

٣٥) – العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص٢٨.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

* ابـن هشـام، عبـد الملـك، تحقيـق: عمـر تدمـري، السيرة، دار الكتـاب العـربي، ط٣، بـيروت: ١٩٩٠م.
* الأصفهـاني، أبـو الفـرج، الأغـاني، تحقيـق: د. إحسـان عبـاس، دار الصـادر، ط٣، بـيروت، ٢٠٠٨.
* الأصفهـاني، الراغـب، مفـردات ألفـاظ القـرآن، دار القلـم، بـيروت: ١٤١٦هـ.
* الأعرجي، ستار جبر، الوحي ودلالته في القـرآن الكريـم والفكـر الإسـلامي، دار الكتـب العلميـة، ط١، بـيروت: ٢٠٠١.
* الحـاج، سـاسي سـالم، نقـد الخطـاب الاسـتشراقي، دار المـدار الإسـلامي، ط١، ليبيـا: ٢٠٠٢.
* حسين، طه، الأدب الجاهلي، دار الكتب المصريـة، ط١، القاهرة:١٩٢٦.
* رضـا، رشـيد، تفسـير المنـار، دار المنـار، ط٢، القاهـرة، ١٩٤٧.
* سـتودارد، لوتـوب، حـاضر العـالم الإسـلامي، تحقيـق: شـكيب أرسـلان، دار الفكـر، بـيروت: ١٩٧١.
* الصغـير، محمـد حسـين عـلي، تأريـخ القـرآن، دار المـؤرخ العـربي، بـير و ت : ١٩٩٩.
* العسـقلاني، احمـد بـن عـلي بـن حجـر، فتـح البـاري شرح صحيـح البخـاري، تحقيـق: محـب الديـن الخطيـب، دار المعرفـة، بـيروت: ١٣٣٩هـ.
* عطيـة، محمـد هاشـم، الأدب العـربي وتاريخـه في العـصر الجاهـلي، ط٢، مـصر، ١٩٣٦م -١٣٥٥هـ.
* الفضـل بـن الحسـن، الطـبرسي، مجمـع البيـان في تفسـير القـرآن، دار العلـوم، د١، بـيروت: ٢٠٠٥
* المسـعودي، عـلي بـن الحسـين، مـروج الذهـب، تحقيـق: حسـن مرعـي، المكتبـة العصريـة، ط١، بـيروت:٢٠٠٥.
* معرفـة، محمـد هـادي، تلخيـص التمهيـد، ذوي القربـى، ط٢، قـم: ٢٠١٢م.
* نيكلسـون، رينولـد، تاريـخ أدب العـرب، ترجمـت: صفـاء خلـوصي، مطبعـة المعـارف، ط١، بغـداد: ١٩٧٠.

التسامح في فكر رسول الله ﷺ وسلوكه

د. سوسم وحيد جبار
المديرية العامة لتربية الرصافة الاولى / وزارة التربية / العراق

Tolerance in the thought and behavior of the Messenger of God (PBUH)

Dr. Sawsan Waheed Jabbar
General Directorate of Education Rusafa First /
Ministry of Education/ Iraq

الملخص

ان عظمة رسول الله ﷺ تكمن في تكامل اخلاقه وتكافئها، ليكون قدوة للناس جمعاء واسوة حسنة لكل جميل، وارشاده لكل معروف فكان صبره ﷺ يسبق شجاعته، وتسامحه يسبق اقتصاصه من الظالم، فيعفو عمن اساء اليه، وقد دأب في ارساء مبدأ التسامح بين ابناء المجتمع لانه المحرك الايجابي لنبذ الخلافات ووأد الاحقاد، عن طريق التنازل عن الحقوق بعد اثباتها (دون المساس بالحقوق الشرعية)، فنشر التسامح في جميع مجالات الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية، وكان افضل الامثلة التي ضربها رسول الله ﷺ هو التسامح العقدي، إذ عاش وأصحاب الديانات من غير المسلمين في المدينة آمنين؛ أمّنهم على معتقداتهم، وعباداتهم، ومعابدهم، وطقوسهم وصلبانهم، يمارسون شعائرهم، دون حرج ولا ضيق، وغيرها من مجالات الحياة، وفي هذه الصفحات القلائل نستعرض اهم صور التسامح في حياة رسول الله ﷺ، لأهمية الاقتداء بها في الزمن الحاضر، والوضع الراهن الذي يحتاجهُ أبناء المجتمع في مداواة جراحه، وتماسك اواصره.

ABSTRACT:

The greatness of the Messenger of God (may God's prayers and peace be upon him and his family) lies in the integrity and equality of his morals, to be a role model for all people and a good example for every beautiful, and his guidance for every kindness, so his patience (peace and blessings of God be upon him and his family) precedes his courage, and his forgiveness precedes his retribution from the oppressor, so he forgives those who offended him. He has consistently established the principle of tolerance among the members of society, because it is the positive engine for rejecting differences and taming hatred, by waiving rights after establishing them (without prejudice to legitimate rights). God be upon him and his family) is creedal tolerance, as non-Muslims and religious adherents lived in Medina in safety; He secured them for their beliefs, worships, temples, rituals, and crosses, practicing their rituals without embarrassment or distress, and other areas of life. And the current situation, which needs the members of society to heal its wounds, and to consolidate its bonds.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على قدوة الاولين والاخرين رسوله محمد وعلى واله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين.

أما بعد

يتميز الدين الاسلامي خاتم الاديان السماوية بشرعيته ومنهجه اللذين ضمنا للإنسان ما يحفظ كرامة معاشه وينظم مصالح العباد دون اسراف او تقصير فكان في شريعته نعمة ورحمة والعلاج الشافي الكافي لحل المشكلات الحياتية قال عز وجل: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[1]، لقد عُرف نبيه الكريم محمد ﷺنموذجا حياً لتطبيق عدله، وسماحته، ورحمته التي جاء بها في القران الكريم عملا وقولا وتقريراً فهو الرسول الامين، ونشر مفاهيم ايجابية اهمها التسامح في تعاملهم مع الاخرين من اصحاب الديانات الاخرى والمشركين ومن المسلمين ممن اخطأ وتاب، هذا الامر له تأثيره الايجابي على بناء مجتمع يسوده التسامح والمحبة والالفة بين ابنائه، مما تؤدي الى شد اواصر التقارب والتعاون والتسامح بين المجتمعات، ومن هنا جاءت اهمية البحث بعنوان (التسامح في فكر رسول الله ﷺ وسلوكه، درس اهم المحاور التي عملت على نشره بين فئات المجتمع اثناء حياة رسول الله ﷺ جسد فيها اروع صور التسامح مع المقدرة التامة لارجاع الحقوق والاقتصاص من المذنب، فكانت اهم محاور البحث هي:

اولا: التسامح لغة واصطلاحا: لا بد من المعرفة التامة لمفهوم التسامح في اللغة والاصطلاح ليتبين المعنى المراد منه وهي لفظة يوصف بها الانسان السمح اللين في تعامله مع الاخرين، وقد تم الرجوع الى امهات المعاجم العربية لبيان هذا المفهوم.

ثانيا: في الفكر: وهي من اهم الصور التي اكدها الدين الاسلامي وهي احترام المخالف ما لم يسبب أذى للمسلمين وحافظ على حقوقهم، وقد جَسدت هذه الصورة في حياة رسول الله ﷺ بالتعايش السلمي بين المسلمين والمشركين واهل الكتاب (من النصارى واليهود)، بأروع صور التعايش في مكة او المدينة على حدّ سواء.

ثالثا: في السياسة: تعد السياسة من مرافق الحياة المتعلقة بأمن والاستقرار بالمجتمع، وقد كان لرسول الله ﷺ موقف متميز وعطوف على كل من آذاه او سبب لاصحابه آذى بعد ان قويت دولته، واصبح له كيان سياسي بين القبائل العربية في الحجاز، إلا أننا نشاهد عظمة الرسول ﷺ بتسامحه مع اعدائه، حتى انبهر فيه اعدائه، وقد سلط هذا المحور الضوء على ابرز المواقف السياسية التي عالجها ﷺ بالتسامح.

رابعا: الجوانب الاجتماعية: من اهداف الشريعة الاسلامية هي تنظيم العلاقات الاجتماعية بين ابناء المجتمع الواحد، وقد يصدر في بعض الاحيان الاساءة او التقصير من فئة تجاه فئة اخرى او فرد تجاه المجتمع، وقد عالج رسول الله ﷺ هذه المسائل (البعيدة عن حدود الشريعة) بالتسامح والصفح الجميل لمن اساء واعترف، أي العفو بعد المقدرة.

من أجل هذا كله جاءت هذه القراءة البحثية للمحاور الانفة الذكر بالتفصيل واستعراض لصورها في حياة الرسول ﷺ لموضوع التسامح التي تعكس فكره ﷺ على النحو الآتي:

اولا: التسامح لغةً واصطلاحاً:

التسامح لغةً: من الفعل (سمح) السين والميم والحاء أصلٌ يدلُّ على سَلاسةٍ وسُهولة. يقال سَمَح له بالشيء. ورجلٌ سَمْحٌ، أي جواد، وقومٌ

سُمَحاء ومَسامِيح، أي بمعنى: جاد وأعطى عن كرم وسخاء، وكذلك تعني السهل اليسير قليل التشديد ولين العريكة[٢].

التسامح اصطلاحا: تسامح الشَّخصُ في الأمر: تساهل فيه، وتهاون فيه، فالنفوس الكبيرة وحدها تعرف كيف التسامح لأنها طيبة القلب، والتسامح الديني: هو احترام عقائد الآخرين [٣].

المسامحة في الفقه: سمح بكذا يسمح سمحا وسماحا وسماحة واسمح: لان وسهل ووافق على ما أريد منه، وسامحه بذنبه اي عفا عنه، وتسمح في كذا، وتسامح فيه: تساهل[٤] وقد وصفت الشريعة الاسلامية بالحنيفية السمحة، أي انها «الملة التي ما فيها ضيق ولا شدة» [٥].

يتضح مما سبق ان للفظة التسامح في اللغة والاصطلاح والفقه لا تختلف، وليس لها مدلول آخر غير اللين في معاملة الآخرين، وتدل على غفران الذنوب وتجاوزها بالتنازل عن الحقوق بعد ثبوتها لأصحابها، والعفو عن الخطأ الصادر من الفرد او الجماعة، وهذه مرتبة رفيعة نابعة من الموافقة على الصفح وسلاسة التعامل مع تجاوز الاخرين، بالحلم، والرفق، واحترام الآراء المتبادل بين الأفراد او الجماعات ويدخل التسامح بين الناس في جميع معاملاتهم وأمور حياتهم اليومية، وهذ الامر يتطلب بتأكيد تربية مجتمع على فكر التسامح عن طريق سلوكيات فعلية تترسخ بين ابنائه لحقب طويلة، بشكل يكفل انتشاره بين المجتمعات بلا ضرر ولا غبن او تفريط بالحقوق، لاسيما وان الإسلام ضمن حقوق الفرد والجماعة فلا ضرر ولا ضرار فيه شريعته، اكدها وأكد عدم الانتقاص من حقوق أي فرد مهما كانت مستواه او درجته اهمها حقه بالنسب والشرف والمال وغير ذلك المتجسد في قول رسوله الكريم ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[٦].

الا ان الدين الاسلامي جعل للتسامح مفهومه الخاص عن طريق الترغيب فيه؛ دون المساس بمبادئه الاساسية كالحقوق والواجبات، ولا في الشرائع والحدود والمحرمات، وكذلك يبتعد التسامح في مجال القوانين والقضاء، لأنها حدود الله تعالى في ارضه تضمن البنى الاساسية لنظام الدولة والمجتمع، ويكون التسامح فيما يخص علاقات الناس فيما بينهم ومعاملاتهم وحسن معاشرتهم؛ « بترك ما لا يجبُ تفضُّلاً وتنزُّهاً بكرمٍ يُظهره القويُّ صاحب السُّلطةِ، والحقّ على الضَّعيفِ المُتكفِّلِ بأداءِ الحقِّ والمُلزَمِ فيه مع قدرةِ الأوَّل على تحصيلِ حقِّه، ثمّ يتركهُ صفحًا وعفوًا»[٧].

وقد تجلّت قيمة التسامح في الخلق العظيم لرسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٨]، وذلك عن طريق تعميم النظرة الانسانية بين ابناء المجتمع الاسلامي وترسخ العدل والمساواة وتؤكد على الاعتراف بالآخر واحترام المعتقدات والافكار على اختلافها وتعددها، فيركز ﷺ على الاخاء الانساني وتكافله مع التجمع، وينظم العلاقات الانسانية بين المجتمعات وتعايشهم بما يتناسب مع تنوع أعراقهم وديانتهم وانتماءاتهم وألوانهم فعنه ﷺ يقول: « ادبني ربي فاحسن تأديبي».

وكثيراً ما كان لهذا الخلق النبوي الأثر الكبير في تغيير نفسية الانسان وتغيير مجتمع بأكمله، وعمل على ترسيخ أسسه في ثقافة المجتمع الاسلامي منذ بواكير بعثته ﷺ لإيقاظ دور العقل في اهمية حس التسامح الذي يعد اهم اركان الرقي في المجتمعات، للوصول بالإنسان الى ارقى مستويات الفكر الواعي النابع من الايمان، ونشر الاخلاق الحميدة، وازالة كل ما علق من المعتقدات الدينية القديمة، وجوانب الحياة السالفة بين القبائل العربية في الجزيرة من احقاد وضغائن وكراهية وهي اداة تدمر اساليب السعادة والراحة في المجتمعات، لما لها من آثار سلبية، تزرع الخلق السيء

وتنشر الظلم والخذلان بين الناس، لذلك عمل ﷺ على ارساء قواعد الاخلاق الحميدة ومنها التسامح والعفو، وقد وصف ابن طاووس[٩] أثر رسول الله ﷺ في الخلق قائلا: « أحيا العقول والألباب، ونصر العقل بعد إحيائه وقد كان انكسر عسكره واستولت عليه يد اعدائه ».

عمل رسول الله ﷺ على ترسيخ مبدأ التسامح (قولا، وعملا، وتقريراً) أما الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة فجميعها كانت خلقه لانتهاء كمالها فيه، فهو على درجة كبيرة من الحلم والعفو مع المقدرة، وممن نقل عظمة شخصيته زوجه ام المؤمنين عائشةحين سئَلت كيف كان خلق رسول الله فقالت: «كان خلقه القرآن»[١٠] أي ان كل حركة او فعل او قول هي خصلة خير اشار اليها القرآن تتجسد في شخص رسول الله ﷺ، فكان أحسن الناس عشرة وأوسعهم صدراً، دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ، وفي رواية اخرى عن عائشة ايضا في وصف خلقه ﷺ انها قالت: «لم يكن رسول الله فاحشاً ولا متفحشاً ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح»[١١]، وبينت عائشةفي رواية ذكرت منهجه في تسهيل الأمور، ومواضع غضب رسول الله ﷺ وعدم تسامحه قائلة: « ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلَّا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد النَّاس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تُنتَهك حُرْمَة الله فينتقم لله بها »[١٢]. وهو امتثالًا لأوامر الله عز وجل أن يأخذ بالعفو والصفح لكي تكون من أخلاق الناس وسنة بينهم، وجاء هذا الامر تنفيذا لقوله تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[١٣].

وقد اورد الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري رواية يصف خُلعه ﷺ قائلا: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها وكان إذا كره

شيئاً عرفناه في وجهه»[١٤].

و شهد له بذلك جميع من تعامل معه ﷺ منهم أعداؤه الذين آذوه، فكان لا يزيد مع كثرة الإيذاء إلا صبراً، ومع إسراف الجاهل إلا حلماً، ولا من كثرة الجفاء الا كرما وسخاءً وسماحةً، حتى فاق كرم وسماحة من عرفتهم القبائل العربية من قبله، والأدلة والأمثلة على ذلك من سيرته العطرة ﷺ حفظها ارباب السير في مواقف متعددة من حياته.

ثانياً: في الفكر والعقيدة:

على الرغم من ان رسول الله ﷺ جاء بدين جديد إلا انه لم يتخذ موقفاً معادياً تجاه الديانات والمعتقدات الأخرى المنتشرة في الجزيرة العربية، بل على العكس ان شريعته اقرت بالرسل والانبياء السابقين، وبما جاءوا به من كتب وشرائع الهية، فكانت احدى اركان الايمان بالدين الاسلامي التي تشمل: «الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر، كما في قوله تعالى: ﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ...** ﴾[١٥]»[١٦]، ومن هنا كان لرسول الله ﷺ تعامله الخاص مع اهل الكتاب والديانات والمعتقدات الاخرى، فقد اعتمد في تعامله معهم مبدأ قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ *ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾[١٧]، وقد ذكر ارباب السير مواقف متعددة عن تسامحه مع هؤلاء نوجز منها أمثلة شاخصة يفتخر بها التاريخ الاسلامي، لأنها نابعة من سمو نفس عظيمة نذكر منها:

- النقاش الحر: منذ أن بعث الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً ﷺ بدين الإسلام واليهود يكيدون لهذا الدين ولنبيه، مع أنهم يعرفون أنه رسول الله حقًّا، ولديهم الأدلة على ذلك، كما ذكر الله عنهم أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، في الاية المباركة: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ *وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[١٨] ومع ذلك كله جحدوا نبوته وأنكروها، ورسول الله ﷺ يجيب عن أسئلتهم بكل رحابة صدر، ولين لاسيما ان اختلاطه باليهود بدأ فعليا بعد هجرته الى المدينة المنورة، واقامته لدولته الجديدة، أي ان الرسول ﷺ كان في وضع يسمح له بانزال العقوبة كونه مؤسس الدولة وقائدها وله الحق في ذلك، ومنها حديثه مع اليهودي الذي جاءه ينكر قدرة الله عز وجل في خلق السماوات دون ان تقع على الارض، فأجابه ﷺ في حوار نقله ابن عباس قائلا: «مرّ يهودي برسول الله ﷺ وهو جالس، فقال : كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله تبارك وتعالى السماء على هذه - وأشار بالسبابة - والأرض على هذه، والماء على هذه، والجبال على هذه، وسائر الخلائق على هذه، كل ذلك يشير بإصبعه، قال : فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ*سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[١٩]-[٢٠]. نجد ان الرسول ﷺ اتخذ من الهوادة والحرية في العبير عن الرأي والتسامح عما يبدر منهم من تشكيك في العقيدة الاسلامية وعدم الضغط عليهم لاعتناق الاسلام، كانت غايته اموراً عدة اهمها: تبديد الاحقاد والمفاهيم الخاطئة عن الاسلام، والسبب الثاني ليفشل كيدهم ومخططاتهم في اثارة الفتن بين المسلمين وزعزعة العقيدة في قلوبهم.

- التعايش السلمي مع اليهود: عمل رسول الله ﷺ على تسيير أمور الدولة الاسلامية ضمن حدودها الجديدة المتنامية، بالقضاء على المشاكل

الداخلية، وذلك عن طريق إيجاد اساليب مثمرة تتسم بالتسامح والعفو عن الاساءة من أجل ارساء الامن والاستقرار الداخلي للبلاد، بسياسة حكيمة وعقلية راجحة، ومن أبرز محاور السياسة الداخلية الناجحة التي اتخذها الرسول ﷺ في المدينة المنورة هي الوثيقة التي هي دستور اخضع المجتمع لقوانين تضمن حقوق وواجبات الكل وقادت إلى إيجاد دولة خضعت إلى التطور باستمرار حتى تفوقت على جميع الدول التي عاصرتها في جميع الميادين، وبإقرارها استطاع رسول الله ﷺ فرض سياسته على كل فئات مجتمع المدينة، وضمن لهم حقوقهم في وثيقة تعد الاولى من نوعها، لا سيما البنود التي يتعامل الرسول ﷺ مع اليهود بكل أمانة وعهد ليغرس في نفوسهم روح التسامح مع المسلمين وغيرهم في المدينة فتكون سنة تقبل الطرف الاخر، إذ ان تلك الوثيقة الموقعة معهم تشهد على ذلك: « ووادع رسول الله ﷺ من بالمدينة من اليهود، وكتب بينه وبينهم كتابا»[٢١]، والتي فيها من العهود والأمانات الكثير ومن أهم بنودها: أنهم مع المؤمنين أمة واحدة، ولكل فئة دينها، وحقها في إقامة شعائرها، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وبينهم النصح والإرشاد، والنصر للمظلوم مهما يكن موقعه الديني او الاجتماعي، واليهود متفقون مع المؤمنين ما داموا غير محاربين، وأنّ يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وبينهم النصر على كل من يداهم يثرب، وعدم حماية الظالم والآثم من الجانبين[٢٢].

هناك صورة اخرى للتعايش السلمي تتجسد في قبول رسول الله ﷺ بان يكون في خدمته غلام يهودي، على يبدو انه كان جارا لرسول الله ﷺ، ويقوم ببعض الاعمال في منزله، وقد اورد الرواية الصحابي أنس بن مالك، أنه قال: «ان غلاما يهوديا كان يضع للنبي ﷺ وضوءه ويناوله نعليه، فمرض، فأتاه النبي ﷺ فدخل عليه، وأبوه قاعد عند رأسه، فقال له

النبي ﷺ: يا فلان، قل لا إله إلا الله، فنظر إلى أبيه فسكت أبوه . فأعاد عليه النبي ﷺ، فنظر إلى أبيه، فقال أبوه: أطع أبا القاسم، فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أخرجه بي من النار» (٢٣). فقد اثمر سلوك الرسول ﷺ في تقويم فكر هذا الغلام اليهودي بعد ان عاشر الرسول ﷺ واصبح قريباً منه، ولمس انسانية الدين الاسلامي مما اثر في تصحيح مساره الديني، باتباع طريق الحق والهدى.

كذلك قصة إسلام أحد كبار احبار اليهود يدعى زيد بن سعنة ما كانت الا بفضل سماحة وتلطف رسول الله ﷺ معه، والقصة: «ن زيد بن سعنة كان من أحبار اليهود أتى النبي ﷺ بثمانين دينارا، ثم قال: أعطيكها على أن تعطيني وسوقا مسماة من حائط مسمى إلى أجل مسمى، فقال له رسول الله ﷺ: « لا آخذها منك على وسوق مسماة من حائط مسمى، ولكن آخذها منك على وسوق مسماة إلى أجل مسمى « ثم إن زيد بن سعنة أتى النبي ﷺ يتقاضاه، فجبذ ثوبه عن منكبه الأيمن، ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب أصحاب مطل، وإني بكم لعارف، فانتهره عمر، فقال له رسول الله ﷺ: « أنا وهو كنا إلى غير هذا أحوج منك: أن تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التقاضي، انطلق يا عمر إلى حائط بني فلان فأوفه حقه، أما إنه قد بقي من أجله ثلاثة أيام وزده ثلاثين صاعا لردك عليه» (٢٤) فوقف زيد بن سعنة مبهوتاً مفزوعاً أمام هذه الأخلاق السامية، وأمام هذه الروح الوضيئة العالية من الحبيب المصطفى ﷺ، يقول زيد بن سعنة: «فأخذني عمر بن الخطاب وأعطاني حقي وزادني عشرين صاعاً من تمر فقلت له: ما هذه الزيادة يا عمر؟ فقال له: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدكها جزاء ما روعتك، فالتفت الحبر اليهودي إلى عمر وقال: يا عمر،

ألا تعرفني؟ قال: لا. قال: أنا زيد بن سعنة. قال عمر: حبر اليهود؟ قال: نعم، فالتفت إليه عمر وقال: فما الذي حملك على أن تقول لرسول الله ﷺ ما قلت، وعلى أن تفعل برسول الله ﷺ ما فعلت؟! فقال زيد بن سعنة: والله يا ابن الخطاب ما من شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه، ولكنني لم أختبر فيه خصلتين من خصال هذه النبوة، فقال له عمر: وما هما؟ قال حبر اليهود: الأولى: يسبق حلمه غضبه، والثانية: لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، أما وقد عرفتهما اليوم في رسول الله ﷺ فأشهدك يا عمر أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» [٢٥]. عند تأمل هذا النص يتضح ان زيد بن سعنة اختبر صبر رسول الله ﷺ وقدرته على تحمل التعامل السيء الى ابعد الحدود لأنها من اخلاق الانبياء عليهم السلام جميعا، وقد فاق

- التسامح مع النصارى واحترام شعائرهم : يجسد رسول الله ﷺ صورة رائعة في موقفه مع نصارى نجران عندما قدموا المدينة المنورة أنزلهم ﷺ في المسجد، ولما حان وقت صلاتهم تركهم يصلون في المسجد فكانوا يصلون في جانب منه، ولما حاوروا الرسول ﷺ حاورهم بكل رحابة فكر وسعة صدر، وجادلهم بالتي هي أحسن، وعلى الرغم من أنه أقام الحجة عليهم بعد ان دعوه الى المباهلة[٢٦] فنزلت الآية المباركة: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[٢٧]، ولقد عدل نصارى نجران عن المباهلة، وتراجعوا عنها، مع أنهم هم الذين قرروا المباهلة ووافقوا عليها، وحضروا من أجلها، إلا أنهم لما رأوا رسول الله ﷺ: « والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمدا لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم

ما لآعن قومٌ نبياً قط فبقي كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل، ثم انصرفوا إلى بلادكم.»[٢٨]، بل ترك لهم الحرية في اختيار دينهم، وقد أسلم بعضهم بعدما رجعوا إلى نجران لاسيما الأسقفان اللذان طلبا مباهلة الرسول ﷺ[٢٩].

- التسامح مع المشركين والكفار: نذكر منه موقفه بالسماحة والعفو والصفح الجميل، إذا به ﷺ في غزوة ذات الرقاع سنة (٥هـ/ ٦٢٦م) إذ توجّه الرسول لقتال أعراب صحراء نجد[٣٠]، القُساة في طبعهم، والذين عُرف عنهم الاشتهار بالسّلب والنهب، فكانت الغاية من قتالهم أولاً تأديب القبائل التي حولهم، ثمّ تحصيل الأمن والاستقرار لأهل المدينة، حينما همَّ أعرابي من المشركين بقتله حين رآه نائمًا تحت ظل شجرة، وقد علَّق سيفه عليها، الا ان الرسول ﷺ انتبه من نومه وتدارك الامر واخذ بالحوار مع ذلك الاعرابي المشرك، وقد اورد الموقف الصحابي جابر بن عبد الله الانصاري قائلا: كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع (إحدى غزوات الرسول)، ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلَّق بها سيفه. فجاء رجل من المشركين، وسيف رسول الله ﷺ معلَّق بالشجرة فأخذه، فقال الأعرابي: تخافني؟ قال رسول الله ﷺ: لا، فقال الأعرابي: فمَن يمنعك مني؟ قال رسول الله ﷺ: الله عز وجل، فسقط السيف من يد الأعرابي، فأخذ رسول الله ﷺ السيف فقال للأعرابي: مَن يمنعك مني؟ فقال الأعرابي: كن خير آخذ. فقال ﷺ: أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قال: لا، ولكني أُعاهدك ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى رسول الله ﷺ سبيله، فأتى أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس»[٣١]، ان الرفق الذي اتبعه رسول الله ﷺ جعلت قلوب الذين لا يؤمنون به مطمئنة من جانب، ومن جانب آخر ضمان كفاية شرهم عن المسلمين.

ثالثا: الجوانب السياسية:

اصبح من اهم المواقف الشاخصة الى يومنا هذا وهي مثال لابد ان يحتذى به بين اصحاب القرارات السياسية في ظل الظروف الراهنة منها انه ﷺ نهى عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ والعجزة وأهل الصوامع والبيع الذين لا اعتداء من ناحيتهم ولا خطر من بقائهم فكان رسولنا ﷺ إذا أرسل جيشا أو سرية يوصيهم بالإحسان والتسامح والرحمة بالنساء والضعفاء فكان رسول الله ﷺ: « إذا أمّرَ أميراً على جيشٍ أو سريةٍ، أوصاه في خاصّتِه بتقوى الله تعالى ومَنْ معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغزوا باسْمِ الله في سَبِيلِ الله، قاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بالله، اغْزُوا وَلا تَغُلُّوا ولا تَغْدِرُوا وَلا تُمَثِّلوا وَلا تَقْتُلُوا وَلِيداً...»[٣٢]

وكذلك موقف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة المكرمة سنة (٨هـ/ ٦٢٩م) أقبل ﷺ بجيشه اليها، ولما رأت قريش ذلك الجيش علمت انه لا قبِل لها في مواجهته؛ لذا قررت ان تخلي سبيل دخوله ﷺ لاسيما بعد ان علم وجهاء قريش ان الرسول ﷺ أمر قادة جيشه أن لا يقاتلوا الا من يقاتلهم من أهل مكة قائلا ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن »[٣٣]، وممن اختار القتال عكرمة بن ابي جهل ونفرا معه قرروا القتال والمواجهة، فهزموا شر هزيمة، وقَتل من قَتل، ولاذ بالفرار الباقون وكان عكرمة من جملة الفارين الذي قرر الهروب الى اليمن، بعد ان اعطى رسول الله ﷺ الامان لأهل مكة واعفى عما سلف من أذية تجاهه واعطى خطبته الشهيرة نقلها ابن هشام قائلا: « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة، فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت

وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا، ففيه الدية مغلظة، مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها. يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[٣٤]. ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»[٣٥] فهو ﷺ صاحب أعظم وثيقة للتسامح رغم ما اوذي هو واصحابه من اهل مكة طيلة ثلاثة عشر عاما ايما أذية واتهموه اتهامات باطلة ما أنزل الله بها من سلطان وضيقوا الخناق على كل أتباعه ومناصريه، ولاقى هو ﷺ واصحابه في سبيل الله منهم اشد الوان العذاب، برغم كل ذلك لم يفكر رسولنا الكريم في الانتقام أو الثأر منهم أو حتى رد الإساءة بالإساءة مع مقدرته -حاشاه من ذلك-، يأتي الرسول ﷺ ليصفح عنهم ويبدأ معهم بداية جديدة يثبت فيها نوع العلاقة فيما بين المسلمين الاوائل وبين اهل مكة ممن دخل الاسلام بعد الفتح، ولم نجد أي نص تاريخي يدل على طلب الرسول ﷺ من اهل مكة دخول الاسلام بل انه اعطى الامان لمن دخل بيته واغلق الباب عليه ولم يواجه جيش المسلمين، عند ذلك مضت ام حكيم زوج عكرمة بن ابي جهل، وهند بنت عتبة زوج ابي سفيان مع ثلة من نساء مكة الى منزل رسول الله ﷺ يبايعنه، فدخلن عليه ﷺ وعنده اثنتان من ازواجه وابنته فاطمة عليها السلام ونساء من بني عبد المطلب فتقدمت هند بالكلام قائلة: «يا رسول الله، الحمد لله الذي اظهر الدين الذي اختاره لنفسه وأني لأسالك أن تمسني رَحِمك بخير» أي ان تحسن معاملتي لما بيني وبينك من صلة قرابة، فقال لها رسول الله ﷺ: «مرحباً

بـك» فقالـت: « والله مـا كان عـلى الأرض أهـل خبـاء[٣٦] أحـب إلي مـن أن يذلـوا مـن خبائـك ولقـد أصبحـت ومـا عـلى الأرض أهـل خبـاء أحـب إلي مـن أن يعـزوا مـن خبائـك، فقـال رسـول الله ﷺ: «وزيـادة»- وقـرأ عليهـن القـرآن وبايعهـن »[٣٧] رغـم مـا صـدر منهـا مـن مواقـف قاسـية تجـاه رسـول الله ﷺ بأذيتـه في مكـة قبـل الهجـرة، وتحريضهـا عـلى قتـل عمـه حمـزة في معركـة احـد سـنة (٣هـ/ ٦٢٣-٦٢٤م)، بـل تحريضهـا لأهـل مكـة عـلى الخـروج في محاربتـه ايـام الفتـح[٣٨]، الا انـه ﷺ اصفـح عنهـا الصفـح الجميـل وقبـل اسـتقبالها.

وكـذا الحـال مـع ام حكيـم زوج عكرمـة فبعـد مـا شـاهدته بـام عينهـا مـن تسـامح رسـول الله ﷺ لهنـد قامـت واعلنـت اسـلامها بـل طمعـت في عطفـه ﷺ ورحمتـه بهـم طالبـة العفـو عـن زوجهـا فقالـت: « يـا رسـول الله قـد هـرب منـك عكرمـة الى اليمـن خوفـاً مـن ان تقتلـه، فأمنـه أمنـك الله. قـال ﷺ: هـو آمـن» [٣٩]، فخرجـت ام حكيـم تبحـث عـن زوجهـا ولحقـت به الى السـاحل وقالـت لـه: يـا ابـن عـم جئتـك مـن عنـد أفضـل النـاس، وأبـر النـاس، وخـير النـاس فـلا تهلـك نفسـك وقـد اسـتأمنت لـك منـه فأمنـك. فقـال لهـا عكرمـة: اوقـد فعلـت ذلـك؟ قالـت : نعـم. ثـم اخـذت تحدثـه عـن شـخص الرسـول الكريـم ﷺ وكيـف دخـل مكـة وكسـر اصنامهـا وكيـف عفـا عـن النـاس بقلبـه الكبـير ونفسـه الطيبـة، « فجـاء معهـا فأسـلم وحسـن إسـلامه أي بعـد أن قـال يـا محمـد هـذه يعنـي زوجتـي أخبرتنـي أنـك أمنتنـي. قـال صدقـت إنـك آمـن فقـال عكرمـة أشـهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريـك لـه وأنـك عبده ورسـوله وطأطـأ رأسـه مـن الحيـاء فقـال لـه ﷺ يـا عكرمـة مـا تسـألني شـيئا أقـدر عليـه الا اعطيتكـه قـال اسـتغفر لي كل عـداوة عاديتكهـا فقـال ﷺ اللهـم إغفـر لعكرمـة كل عـداوة عادانيهـا أو منطـق تكلـم بـه أو مركـب وضـع فيـه يريـد أن يصـدّ عـن سـبيلك. فقـال: يـا رسـول الله مرنـى بخـير مـا تعلـم فأعملـه قـال قـل

أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله وجاهد فى سبيله ثم قال عكرمة أما والله ما تركت نفقة كنت أنفقها فى صدّ عن سبيل الله الا أنفقت ضعفيها فى سبيل الله ولا قتالا كنت أقاتل فى صدّعن سبيل الله الا أنكيت ضعفه في سبيل الله[٤٠]. وفعلا قد احسن عكرمة اسلامه وحفظ كتاب الله وكان ممن يفسره وجاهد في سبيل الله تعالى حتى استشهد في معركة اليرموك بين المسلمين والروم سنة (١٥هـ/ ٦٣٦م) وقد ادى وفاؤه ووعده لرسول الله ﷺ في الدفاع عن الاسلام والجهاد في سبيله.

قد حول خلق رسول الله ﷺ الرفيع وتسامحه مع أشد اعداء الاسلام قساوة وقوة وضراوة الى انسان صالح خدم الاسلام محب لله ورسوله ﷺ، دافع عنه بعد ان انضم الى المسلمين شاركهم حياتهم في التعلم ومعرفة احكام الشريعة الاسلامية، بعد ان كان يعيش الغصة ويهيمن عليه اليأس وصده عمله السيء عن الايمان بالله ففكر بالهروب دون عودة خوفا من العواقب وهو يعلم علم اليقين ما فعله وماضيه الاسود قبل اسلامه، لكن هذا العناد والاستكبار سرعان ما تحول الى اسلام حسن وايمان بالله عز وجل ورسوله ﷺ، وتبدل جوهري في حياته وفي ممارساته من جهاد وانفاق وحسن اسلامه، لغاية مقتله، هذا كله كان نتيجة للتسامح والصفح والعفو الذي بذله الرسول ﷺ، وثمرة جهود نبي الرحمة للعالمين.

رابعا: في الجوانب الاجتماعية:

أعطى رسول الله ﷺ مفهوما جديدا للقوة بين ابناء المجتمع بديل الانتقام والغضب، وهو التسامح، الصفة التي أكدها الرسول ﷺ في التعايش ومقاسمة الحياة بالابتسامة والكلام الطيب والمشاعر الانسانية

البسيطة البعيدة عن التباغض والاحقاد، وقد انعكست هذه المبادئ في حياة الرسول ﷺ في معاملته مع اهل بيته من زوجاته وبناته، واقاربه وخدمه وغيرهم، لما يمتلكه ﷺ من قدرة على الاستيعاب، النابع من صفة الحلم وهو خلق عظيم، فهو لا يغضب ويوصي بابتعاد عن الغضب لانه مفتاح الشرور فهي دعوة موجهة من رب العزة في قرآنه الكريم لكظم الغيظ في قوله تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٤١]، وكظم الغيظ له أثر بأن يمسك الانسان على ما في نفسه ثورة عارمة من الغضب بالصبر ولا يظهر له اثراً على الاخرين فيتمالك اعصابه فتهدئ النفوس[٤٢].

وقد سجل ارباب السير والحديث مواقف متعددة من حياة رسول الله ﷺ عن تسامحه وصبره في الحياة الاجتماعية، نورد على سبيل المثال بعضا منها:

- عن عائشةانها قالت: « ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل»[٤٣].
- غلظة الأعرابي وتسامح الرسول: عن أنس بن مالك قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني (عباءة) غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه جبذة ـ -أي جذبه جذبة قوية• حتى رأيت صفح عنق رسول الله ﷺ « قد أثَّرت بها حاشية البرد من شدة جذبته تركت الجذبة علامة على عنق الرسول، فقال: يا محمد أعطني من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء»[٤٤].
- منها رواية أنس النبي ﷺ عن تسامحه وعفوه ﷺ معه قائلا:

«خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما سبَّني سبة قط، ولا قال لي أف قط، ولا قال لي لشيء فعلته: لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته» (٤٥).

- كما امر ﷺ ان يتسامح رب المنزل عن اخطاء رعيته من خدم وغيرهم فلا يخلو خادم من النسيان او خطأ أو تقصير في أثناء عمله وخدمته لسيده، لذلك فانه ﷺ كان يوصي أصحابه بالتسامح والعفو عنه، فعن عبد الله بن عمر قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟ فصمت، ثم أعاد عليه الكلام فصمت، فلما كان في الثالثة قال: اعفو عنه في كل يوم سبعين مرة»(٤٦).

وبهذا فقد أثبت رسول الله ﷺ ان صفة التسامح لا تصدر الا مع انسان يمتلك صفة طهارة النفس وقد اشار القران الكريم الى ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا*فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ (٤٧)، وقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾(٤٨).

إذ ان منهج رسول الله ﷺ كان نابعا من الشعور بالمسؤولية تجاه الامة الإسلامية ومستقبل المسلمين جميعاً لضمان سلامتهم من كل ما يدمر الحياة الانسانية، فجاءت الشريعة الاسلامية لقطع العادات الخلقية والروابط الوراثية والمكتسبة، وبالمقابل يعزز حقوق البشرية والإنسانية، كرابطة الرحم، ورابطة الأبوة، ورابطة الامة الواحدة، ورابطة الجوار وغيرها من الاواصر الاجتماعية.

الخاتمة:

بعد ان وقفنا على بعض من السيرة النبوية وما تحمله من معان ودروس حقيقة للمسلمين عن تطبيق عملي وفعلي للتسامح، وكيفية العمل على نشره بين الناس جميعا، تتضح بعض الامور منها:

١) إن السيرة النبوية للرسول ﷺ كانت مثالا حيا وانعكاسا حقيقا لمفهوم التسامح عن طريق النظر للآخرين بعين الإنسانية ومبادئها التي يتعدى حدود الدين بل ان الدين هو الانسانية، ويتجاوز أسوار العقيدة، لتشكل حياته ﷺ قدوة يُحتذى بها وأسوة يُقتدى بها.

٢) ان رسول الله محمد ﷺ اعطى مجالا للآخرين لبيان معتقداتهم وأفكارهم ولو كانت تلك المعتقدات والأفكار على الضد والنقيض من معتقدات الدين الاسلامي ومبادئه. عن طريق النظر بعين الاحترام والتقدير لآراء الآخرين، فيجب الاسلام بما يستوعبه من ردود افعال سلبية، يقابلها بالصفح والعفو، والشرح لمرات متعددة حتى تصل الفكرة الاساسية من الدعوة الاسلامية، وهي لا تختلف عن الشرائع السابقة بالدعوة للتوحيد والايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الاخر.

٣) أثبت رسول الله ﷺ غير مرة ان تعامله بالعدل والاحسان مع النصارى والمسلمين واليهود والوثنيين لانهم جزء من مكونات المجتمع ولا بد من الحفاظ على حقوقهم وواجباتهم، والتغافل عن اخطائهم، ولهذا لا بد من التسامح الشامل مادام هذا الخلاف بين الناس في الأديان والمذاهب قائماً. فكفل ﷺ حرية العقيدة لكل إنسان، واوصى ان تحد هذه الحرية شيء عن التعبير وممارسة شعائرها غير الإضرار بالآخرين.

٤) زخر التاريخ الاسلامي بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية كأمثلة

شاخصة تدعو الى ترسيخ روح التسامح والصح والتعايش السلمي بين فئات المجتمع لذا فقد عمد رسول الله ﷺ على تربية الأجيال الاولى من الصحابة وابنائهم، ليكونوا منارا للشعوب والأمم تحقق عن طريق هذه الامثلة والمواقف ما تريده لنفسها من امن واستقرار لمجتمعاتها الزاخرة بالتعدد والتنوع والتي جاءت الشريعة الإسلامية السمحة من أجل إعمارها والرقي بها في مدارج الفلاح والنجاح.

الهوامش

١) سورة النحل، الآية ٨٩.

٢) ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَريا (٣٢٩هـ/ ٩٤١م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، (اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م) ،ج٣، ص٢٧٢؛ الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية، بلا. ت)، ج٦، ص٤٨٤.

٣) عمر، أحمد مختار عبد الحميد بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، (عالم الكتب، ١٤٢٩ ه / ٢٠٠٨ م)، ج٢، ص١١٠٤.

٤) عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، (دار الفضيلة، بلا .ت)، ج٣، ص٢٧٢.

٥) الزبيدي، تاج العروس، ج٦، ص٤٨٥.

٦) مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ/ ٨٧٤ م)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، النشر بيروت، بلا. ت)، (باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله)، (رقم الحديث ٢٥٦٤)، ج٤، ص١٩٨٦.

٧) خالد، رنا احمد، طريق بلوغ القمة،، (دار من المحيط الى الخليج، عمان، ٢٠١٨م)، ص١١٦.

٨) سورة القلم، الآية ٤.

٩) علي بن موسى بن جعفر بن محمد (ت: ٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م)، أقبال الاعمال، قدمه: حسين الاعلمي، ط١، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ص٨٠-٨١

١٠) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، (ت: ٣٥٤هـ/ م)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، (فصل في قيام الليل)،(رقم الحديث: ٢٥٥١)،ج٦، ص٢٩٢؛ الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله أبو عبد الله (ت:٤٠٥ هـ/ ١٠١٤ م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، (في تفسير سورة ن والقلم)، (رقم الحديث : ٣٨٤٢)، ج٢، ص٥٤١.

١١) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (ت: ٢٥٦هـ/ م)، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، اليمامة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، (باب كراهية السخب في السوق)، (رقم الحديث: ٢٠١٨)، ج٢، ص٧٤٧ .

١٢) البخاري، صحيح البخاري، (باب صفة النبي ﷺ، (رقم الحديث: ٣٥٦٧)، ج٣، ص١٣٠٦ ؛ مسلم، صحيح مسلم، (باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته)، (رقم الحديث: ٢٣٢٧)، ج٤، ص١٨١٣.

١٣) سورة الاعراف، الآية ١٦٩ .

١٤) البخاري، صحيح البخاري، (باب صفة النبي ﷺ، (رقم الحديث: ٣٣٦٩)، ج٣، ص١٣٠٦ .
١٥) سورة البقرة، الآية ١٧٧ .
١٦) القفاري، ناصر بن عبد الله بن علي، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد –، ط١، (بلا . ن، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م)، ج٢، ص٥٨٢.
١٧) سورة فصلت، الآية ٣٤.
١٨) سورة البقرة، الآية ١٤٦ .
١٩) سورة الزمر، الآية ٦٧ .
٢٠) أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، ط١، (عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م)، (حديث عبد الله بن عباس)، (رقم الحديث ٢٩٨٩)، ج١، ص٣٢٤.
٢١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: ٧٥١هـ/ ١٣٥١م)، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط٢٧، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م)، ج٣، ص٥٨-٥٩.
٢٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٥٠٢ .
٢٣) احمد بن حنبل، مسند احمد، (حديث انس بن مالك)، (رقم الحديث ١٢٨٢٣)، ج٣، ص١٧٥.
٢٤) الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي (ت: ٣٢١هـ/ ٩٣٣ م)، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، (مؤسسة الرسالة، ١٤١٥ هـ/ ١٤٩٤ م)، ج١١، ص١٠٧-١٠٩؛ الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (ت: ٣٦٠هـ/ ٩٧٠ م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، (مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بلا. ت)، ج ١٣، ص١٥٠ .
٢٥) الطحاوي، شرح مشكل الاثار، ج١١، ص١٠٩؛ ابو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، (ت:٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ط١، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م)، ج١، ص٥٢٣-٥٢٤.
٢٦) المباهلة: البهل اللعن. ويقال بهلته وأبهلته إذا خليته وإرادته. والمباهلة: الملاعنة. والابتهال: التضرّع ويقال في (ثُمَّ نَبْتَهِلْ): أي نخلص في الدعاء. ابي بكر الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، .
٢٧) سورة البقرة، الآية ٢٥٦ .
٢٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٥٨٣ .
٢٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٥٧.
٣٠) نجد: نجد هو اسم للأرض العريضة التي أعلاها تهامة واليمن وأسفلها العراق والشام، وحدود نجد من ناحية الحجاز سلسلة جبال تدور معها إلى جبال المدينة. ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت:٦٢٦هـ

/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، ط٢، (دار صادر، بيروت، ١٩٩٥ م)، ج٥، ص٢٦٢.
٣١) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦)، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط١، (دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م)، ج ٣، ص ١٦٩.
٣٢) مسلم، صحيح مسلم، (باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها)، (رقم الحديث: ١٧٣١) ،ج٣، ص١٣٥٧.
٣٣) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ/ ٨٢٨ م)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥ م)، ج٢، ص٤٠٣ .
٣٤) سورة الحجرات، الآية ١٣.
٣٥) السيرة النبوية، ج٢، ص٤١٢ .
٣٦) خباء: بيت . ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (ت: ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، (دار صادر، بيروت، ١٤١٤ ه)، ج١، ص٦٣.
٣٧) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء،(ت: ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، ط١، (دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ م)، ج ٨، ص٢٣٦.
٣٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٤٠٥ .
٣٩) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٤١٨.
٤٠) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (ت: ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م)، صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، (دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م)، ج١، ص٧٣٠ ؛ الديار البكري، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (ت: ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، (دار صادر، بيروت، بلا. ت)، ج٢، ص٩٢؛ برهان الدين الحلبي، علي بن برهان الدين الحلبي (ت: ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م)، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، تحقيق، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م)، ج٣، ص٣٩.
٤١) سورة ال عمران، الايتان ١٣٣-١٣٤.
٤٢) صالح، صبحي، النظم الإسلامية، ط٤، (دار العلم للملايين بيروت، ١٩٧٨م)، ص٧٨.
٤٣) مسلم، صحيح مسلم، (باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته)، (رقم الحديث٢٣٢٨)، ج٤، ص١٨١٤ .
٤٤) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، (فصل توقير العالم)، ج١، ص٢١٤ .
٤٥) احمد ابن حنبل، مسند احمد، (رقم الحديث: ١٣٠٥٧)، ج٣، ص١٩٧.
٤٦) أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (ت: ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، سنن ابي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار الفكر، بلا. ت)، (باب في حق المملوك)، (رقم الحديث: ٥١٦٤) ج٤، ص٣٤١.
٤٧) سورة الشمس، الايات ٧-١٠ .
٤٨) سورة الشعراء، الايتان ٨٨-٨٩.

المصادر والمراجع

اولا: القران الكريم.
ثانيا: المصادر الاولية:
* أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م) مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، ط١، (عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م).
* البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (ت: ٢٥٦هـ/ م)، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، اليمامة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
* الديار البكري، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (ت: ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، (دار صادر، بيروت، بلا. ت).
* البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦)، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط١، (دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م).
* ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (ت: ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م)، صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، (دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م).
* ابو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، (ت:٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ط١، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م).
* الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله أبو عبد الله (ت:٤٠٥ هـ/ ١٠١٤ م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م).
* ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، (ت: ٣٥٤هـ/ م)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)
* برهان الدين الحلبي، علي بن برهان الدين الحلبي (ت: ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م)، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، تحقيق، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م).
* أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (ت: ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، سنن ابي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار الفكر، بلا. ت).
* ابي بكر الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .
* الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية، بلا. ت).
* ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء،(ت: ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، ط١، (دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ م).
* الطبرسي، علي بن موسى بن جعفر بن محمد (ت: ٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م)، أقبال الاعمال، قدمه: حسين الاعلمي، ط١،

(مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).
* ، (فصل في قيام الليل)،(رقم الحديث: ٢٥٥١).
* الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي (ت: ٣٢١هـ/ ٩٣٣ م)، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، (مؤسسة الرسالة، ١٤١٥ هـ/ ١٤٩٤ م).
* الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (ت: ٣٦٠هـ/ ٩٧٠ م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، (مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بلا. ت).
* ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَريا (٣٢٩هـ/ ٩٤١م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، (اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م).
* ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: ٧٥١هـ/ ١٣٥١م)، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط٢٧، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م)،
* مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ/ ٨٧٤ م)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، النشر بيروت، بلا. ت).
* ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (ت: ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، (دار صادر، بيروت، ١٤١٤ ه).
* ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ/ ٨٢٨ م)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥ م).
* ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت:٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، ط٢، (دار صادر، بيروت، ١٩٩٥ م).

ثالثا: المراجع:

* خالد، رنا احمد، طريق بلوغ القمة،، (دار من المحيط الى الخليج، عمان، ٢٠١٨م).
* صالح، صبحي، النظم الإسلامية، ط٤، (دار العلم للملايين بيروت، ١٩٧٨م).
* عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، (دار الفضيلة، بلا .ت).
* عمر، أحمد مختار عبد الحميد بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، (عالم الكتب، ١٤٢٩ ه/ ٢٠٠٨ م).
* القفاري، ناصر بن عبد الله بن علي، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد –، ط١، (بلا . ن، ١٤١٤ هـ/١٩٩٣م).

الوحي المحمدي

م.م. رغد اسماعيل عريبي المحمدي
قسم اللغة العربية / كلية التربية/ جامعة ميسان

Muhammad's revelation

Asst.Lect. Raghad Ismail Oreibi Al-Mohammadi
Department of Arabic Language
College of Education/University of Maysan

الملخص:

يمثل الوحي وسيلة اتصال تربط الأنبياء بالله (جلَّ ثناؤه)، إذ ارسلهم مبشرين ومنذرين، فقال تعالى: ﴿ **إنَّا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**[١]، فغفل الآثمون عن مسألة حفظ القرآن، ولو تأملوا في دقائقه لرأوا أنَّ حججهم ﴿ **كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإنَّ اوهن البيوت لبيت العنكبوت**﴾ [٢]، إذ نشدوا من مسألة التشكيك في الوحي المحمدي سبيلاً للطعن في ربانيته تعالى عمّا يزعمون، وتشويه سيرة نبي الرحمة ﷺ، والحيلولة دون امتداد الإسلام .

فهذه المسألة ليست جديدة، بل يؤرخ لها منذ نزول القران إلى يومنا هذا، إذ أثار معاصروهﷺ الأكاذيب، فمنهم من زعم تأليفه ﴿ **إنَّ هذا افك افتراه**﴾[٣]، ومنهم من سخر منه:﴿ **أساطير الأولين اكتتبها** ﴾ [٤]؛ لذا نجد ذكر الوحي قد ورد في آيات متفرقة تتلى على منكريه من العرب:﴿ **إنا اوحينا إليك كما اوحينا إلى نوح والنبيين من بعده** ﴾ [٥]، إذ كان العرب اكثر استعداداً للهداية؛ لأنّه نزل بلسان عربي مبين « [٦]، فعقلوه وآمنوا به، ولم يكُ لديهم معتقدات مسيطرة آنذاك على قلوبهم وارادتهم، ولا مذاهب فلسفية تشغل عقولهم وتصرفهم عن فهمه وتدبيره والاهتداء به .

وتبع سلسلة الإنكار هذه تيارات منحرفة برزت في الآونة الاخيرة لا تتخطى مسألة وضع النبي ﷺ للقران الكريم؛ خوفاً من اعتناق شعوبها الدين الإسلامي، بل زادت طموحاتهم للحيلولة دون تمسك المسلم بدينه ودفعه إلى اعتناق النصرانية، فبثوا سمومهم من خلال التأليف والمؤتمرات والندوات، إذ عوّلوا في بحثهم على مصادر ليست بمستوى البحث العلمي،فاتخذوها حجة دون دليل .

ورغم ادعاءات المستشرقين نجد من بينهم قوماً قد أنصف واعترف بإلهية الوحي المحمدي، فصرحوا بصدقهﷺ، ولم يكتفوا بذلك فحسب، بل كانت لهم ردود وكتابات تؤكد صدق النبي ﷺ وبعده عن الشعوذة والروحانية والعبقرية.

Abstract:

Revelation represents a means of communication that connects the prophets

and Messengers to God Almighty, if He sends them good tidings and warnings ((We have, without doubt, sent down the Message; and We will assuredly guard it)). So the sinners neglected the issue of memorizing the Qur'an, and if they contemplated its accurate, they would see that their arguments are ((The case of those who take helping friends apart from Allah is like the case of the spider that takes (to itself) a house, yet of all)) houses the house of the spider is the frailest (One of the question of questioning the Muhammad an consciousness is a way to slander the divine nature of what they claim, and to distort the biography of the Prophet of Mercy (peace be upon him), and to prevent the expansion of Islam.

And it is an issue that is not new, rather it dates back to it since the revelation of the Qur'an to this day, so its contemporaries (peace be upon him) raised lies, some of them claimed that it was composed ((This Qur'an is nothing but a big lie which he…)), and some of them made fun of it (Legends of the ancients wrote it), so we find that the revelation was mentioned in Scattered verses recited to the deniers of the Arabs ((Surely, We have sent down (our) revelation to you as We sent it down to Noah and the Prophets (who came) after him)) as the Arabs were more willing to guide because it was revealed ((in a clear Arabic tongue)), as they believed in it and did not have religious beliefs controlling their hearts and will at that time, nor doctrines Philosophical to occupy their minds and thoughts, and distract them from understanding and managing and guided by it.

This chain of denial is deviant currents that have emerged recently that do not go beyond the issue of the Prophet's status of the Qur'an, fearing that their peoples would embrace Islam. Rather, their ambitions increased to prevent Muslims from sticking to their religion, and even pushed them to convert to Christianity, so they spread their poison through authorship, seminars and conferences, and they relied in their research on sources It is not at the level of scientific research and they took it as an argument without evidence, and despite all these Orientalist claims, we find among them a people who have been fair and recognized the divinity of the revelation of the Muhammad an revelation, so they declared its truthfulness (PBUH), and they were not satisfied with this only, but they had responses and writings that indicate the sincerity of the Prophet and confirm his distance from Sorcery, spirituality and genius.

المقدمة

الحمدُ لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وأصحابه الذين تلقوا عنه القرآن غضّاً طرياً، وعاصروا التنزيل وشاهدوا القرائن والأحوال، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد ...

فقد شرّف الله العربية أنْ جعلها لغة القرآن الكريم الذي ختم به الكتب، ولغة الرسول الكريم ﷺ الذي ختم به الرسل، فبعد انتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، اصبح القران محط أنظار واهتمام الباحثين، ومحوراً لدراسة معانيه وبيان مبانيه وأوجه إعجازه، ومن بين هذه الدراسات برزت حركة استشراقية هدفها التشكيك، فجاءت بتفسيرات لا حجة فيها لظاهرة الوحي، إذ زعموا أنّه كتاب خاص بالنبي؛ لأنَّه عاش فترة روحانية مثالية استطاع خلالها أنْ يأتي بهذا الكتاب، ومرجع تلك التفسيرات الخوف من أنْ تعتنق شعوبها الإسلام؛لِما له من جاذبية قوية، فانصبت مطاعنهم نحو القرآن والسنة النبوية خاصة؛لأنَّهما مصدرا الإسلام عقيدة وشريعة، وارادوا من الطعن في القران بألفاظه ومعانيه وصوره وبيانه وإعجازه؛ليفقد المسلم ثقته بالدين، فوضعوا النصوص في غير مواضعها، وحملوها ما لا تطيق لفظاً ومعنى .

وعلى الرغم من التشكيك الاستشراقي في الوحي، إلا أنَّهم تفاوتوا في مواقفهم وتوزعوا في اتجاهات شتى، فالغالبية منهم أنكر الوحي وأثار الشبهات حول الحقائق الإسلامية؛للإيحاء بأنَّ الاسلام هو من أفكار محمدﷺ التي تشبعت بالأفكار اليهودية والنصرانية، تلك الأفكار التي حاولوا أنْ يجذّروها للنصوص الدينية الإسلامية .

أولاً- معنى الوحي الالهي وصوره:

إنَّ الوحي هو إعلام في خفاء؛ لذا يقال للإلهام والإشارة وحي[٧]،قال تعالى:﴿ **وما كان لبشر أْن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب** ﴾[٨]،وهو الطريقة التي يوصل بها الله تعالى تعاليمه وكتبه إلى البشرية بواسطة أنبيائه، فهو « إعلام الله لنبي من أنبيائه، فهو عرفان يجده الشخص مع نفسه مع اليقين بأنّه من قبل الله تعالى بواسطة أوْ دون واسطة »[٩].

فقصد الوحي الالهي هداية الإنسان وتكميل ادراكاته؛لذا من الضروري هنا التكامل بين الوحي الالهي والعقل البشري، إذ «إنَّ الله جعل للعقل في ادراكه حداً ينتهي إليه لا يتعداه، ولم يجعل سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب، ولو كان كذلك لاستوت مع الباري -تعالى-في إدراك جميع ما كان وما لا يكون»[١٠].

أمّا صور الوحي الالهي، فبالنظر الى قوله تعالى:﴿ **وما كان لبشر أنْ يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب** ﴾[١١]، نجده لا يخرج عن صور ثلاث، كالاتي:

١- الإلقاء في القلب: ويشمل الإلهام والرؤيا المنامية والنفث في الروع، كما أوحى الله إلى أمِّ موسى عليه السلام بالإلهام في قوله تعالى:﴿ **وأوحينا إلى أمِّ موسى أنْ ارضعيه فإذا خفتي عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنَّا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين** ﴾[١٢].

٢- تكليم الله تعالى للنبي من وراء حجاب، كما في تكليمه تعالى لموسى عليه السلام، وكلّم الملائكة في خلق آدم عليه السلام، فقال:﴿ **ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى** ﴾[١٣] .

٣- تارةٌ يظهر الوحي على هيئته الحقيقية الملكية، أو على صورة إنسان يراه الحاضرون ويستمعون إليه، وتارة ثانية يهبط خفية لا يرى، فيظهر

الانفعال على صاحب الرسالة، فيتصبب عرقاً في يوم شديد البرد، وقد يكون وقعه موقع الجرس في إذن سامعه وهو أشد أنواع نزوله [١٤].

مما أنف ذكره، نجد أنَّ مسألة حضور الوحي إنّما هي بغتةٌ دون أنْ يتوقعها النبي ﷺ، أوْ يتطلع لنزوله كما زعم الآثمون، كما أنَّ الصور المتقدم ذكرها تثبت بأنَّ الوحي إنَّما هو أمر خارجي،خلافاً لِما تشبثت به الاستشراقية من أنَّه أمر داخلي؛ ليتوصلوا إلى التشكيك في الوحي المحمدي، وبالتالي التشكيك في الكتاب وفي ربانيته (جلَّ ثناؤه) .

ثانياً – تاريخ التشكيك في الوحي المحمدي:

إنَّ المطلع على معنى الوحي في الديانات الأخرى، يجدها تثبت نزوله على الأنبياء، ذاكرةً صور تلقيه كما أنف ذكرها، فجاء في أسفار العهد الجديد أنَّ هذه الصور جميعها تهدف إلى تعليم الناس دين الله وتعاليمه عن طريق الرسل، وبذلك تعترف بطرق الوحي المشار إليها في أسفار العهد القديم [١٥]،وهذا يثبت لنا أنَّ مظاهر الوحي وصوره ووسائله عند أهل الكتاب في أسفار العهدين لا تختلف عن بعضها، فهي تؤكده وتعززه وتقرره وتؤمن به.

وللتشكيك في الوحي المحمدي مرحلتين:

الأولى: مرحلة إنكار المعاصرين للرسول ﷺ

لاقى عهد الرسالة الأول شبهات كثيرة،طالت الوحي المنزل على الرسول ﷺ، إذ زعم المشركون افتراء النبي على الله تعالى، ومنهم من وصفه بالكهانة والجنون؛ لأجل إنكار نبوته ﷺ إذ أرادوا ﴿ **ليطفئوا نور الله بافواههم والله متمُّ نوره ولو كره الكافرون** ﴾ [١٦]، وبدء حملة التكذيب هذه مشركي مكة، كما جاء في قوله تعالى:﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون إنَّما يُعلّمهُ بشر لسان الذي يلحدون إليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين** ﴾[١٧]،

وتبعهم في الإنكار يهود المدينة وبعض المكذبين في الجزيرة العربية، ثم بعد انتشار الدعوة الإسلامية، انتقل الأفتراء من الكلام إلى التأليف، ومنهم يوحنا الدمشقي (١٣٢هـ) إذ وضع مؤلفين،هما(ارشاد النصارى في جدل المسلمين، ومحاورة المسلم)،زاعماً بأنَّ الاسلام عبارة عن هرطقة مسيحية، فنشد من تأليفه توسيع دائرة الجدل بين النصارى [١٨].

وفي القرن الثالث الهجري ظهرت طائفة من الزنادقة،ادعت التعارض بين آيات القرآن الكريم؛بهدف التشكيك في ربانيته تعالى، ومنهم ابن الراوندي الذي صنع مؤلفه (الدامغ للقرآن)، حاول الطعن في نظم القرآن، وما يحتويه من معاني، فوضع عبارات آثمة ادعى بأنَّه قد أتى بمثل آياته[١٩] .

ثمَّ ظهرت مرحلة رابعة للإنكار،تتمثل بترجمة القرآن إلى اللاتينية في القرن السادس الهجري، ومن الذين تصدوا لهذا التزييف (جورج سيل)، إذ اثنى على القرآن وترجمه إلى الأنكليزية، لكنه شكك في وحيه من عند الله، فقال: إنَّ محمداً هو مؤلف القرآن ومبدعه وهذا أمر لايقبل الجدل[٢٠]، وهذه الفرية قد لاقت صداها في الترجمات الُأخرى، فزادوا على فرية أنَّه من عند غير الله أنه مأخوذ من كتب اليهود، مدعين اطلاعه ﷺ على الكتب اليهودية بلغاتها المختلفة من آرمية وعبرية، وبأنواعها التوراة والمكتوبات والتلوم .....الخ [٢١].

وتوالت الافتراءات حتى وصلت إلى السيرة النبوية لتكون مدخلاً للطعن، إذ شغلت سيرة الرسول ﷺ حيزاً من كتاباتهم، فلم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا واشبعوها تفسيراً وتعليلاً يحط من نبي الرحمة ﷺ، وذهب بعضهم إلى القول: إنَّ محمداً كان كاردينالاً كاثوليكياً يطمع الفوز بمقعد البابا، فلما لم ينتخبه الكرادلة غضب وذهب إلى مكة واعلن عن

دينه هذا؛ليكون ضداً لروما، وهذا الرأي هو المؤسس لفكرة الاستشراق التي ترى بأنَّ الإسلام بقرآنه وحديثه وحضارته أُستمد من اليهودية.

والملاحظ على ادعاءات المنكرين أنّهم لا يختلفون في نسبة صنعته إلى محمد ﷺ، فكانت النتيجة التي آلوا إليها أنّه ليس ديناً إلهياً، ومن أبرز رجال هذه الشبهة هم رجال الكنيسة والتنصير معاً، إذ ذكر المستشرق البريطاني (موير) في كتابه (حياة محمد): إنَّ الوحي هو نتاج تأمل محمد وتدبره في غار حراء فقد تبادر إلى ذهنه في خلوات تأمله بعض التصورات عن الله وعن البعث والموت، فصاغها في مقاطع شعرية صغيرة ووصف النبي ﷺ بأنه كان مدعياً وتابعاً للشيطان [٢٢].

ويكفينا لرد زيف هذه الادعاءات ممن عاصر الرسول ﷺ ومن تبعهم في الإنكار،إعجاز القرآن، فالسؤال هنا:لِمَ عجز العرب عن معارضته وهو قد نزل بلسان عربي مبين، إذ نجده (جلَّ ثناؤه) تحداهم أنْ يأتوا بسورة من مثله، فلو كان القرآن من كلام البشر لَما خلدت معجزاته إلى يومنا هذا، إذ واكبت أحكامه وتعاليمه كل زمان ومكان، فقال تعالى:﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنَّا له لحافظون**﴾ [٢٣]،فغفل المنكرون مسألة حفظه تعالى لتعاليمه في كتابه المنزل على النبي الكريم ﷺ بواسطة الوحي، وترد هذه الافتراءات أيضاً بما اخبره القرآن من أمور مستقبلية أنَّها ستقع ووقعت كما أخبر، ومن ذلك أخبر عن الافتراءات التي ستطاله [٢٤]:﴿ **لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإنْ تصبروا وتتقوا فإنَّ ذلك من عزم الأمور** ﴾[٢٥]،أما بدعة التناقض في آياته فهي فرّية باطلة لا دليل عليها؛ لأنَّه جلَّ ثناؤه أمرنا بالتدبر في آياته لتأمل معانيه وقوة مبانيه:﴿ **أفلا يتدبرون القرآن فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا**﴾ [٢٦]، فضلًا عن هذا فالرسول ﷺ عرف

بصدقه مع قومه وأخبر بوقوع الوحي، والدليل على صدقهﷺ موجود في الكتاب والسنة [٢٧]، كقوله تعالى: ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فأنتهوا واتقوا الله إنَّ الله شديد العقاب** ﴾[٢٨].

أما الرد على منكريه من اصحاب الديانات الأخرى، فالكتب المنزلة على الأنبياء السابقين ثبتت البشارة بمبعثه في التوراة والأنجيل وصحة رسالته وبيان صفته، وهو ما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام بالتصريح بحقيقة رسالة نبي الرحمة ﷺ، وذلك خلال بشاراتهم في كتبهم السماوية، فقد عقد البخاري باباً بعنوان (خاتم النبوة)، ثم ساق حديثاً عن السائب بن يزيد أنه رأى خاتم النبوة بين كتفيه [٢٩]،فقد وردت صفة الرسول في الأنجيل كما نقلها ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق بشرى عيسى الحواري برسول الله ﷺ، مما أثبت يوحنا الحواري لهم حين نسخ الأنجيل لهم عن عهد عيسى عليه السلام في رسول الله ﷺ فقال: هذا الذي يرسله الله لكم من عند الرب وروح القدس، هذا الذي من عند الرب خرج وهو شهيدٌ عليّ وانت أيضاً لأنّكم قديماً كنتم معي في هذا، قلت لكم لكي لا تشكوا [٣٠].

أمّا صفته ﷺ في التوراة، فقد أخرج الذهبي بسنده عن ابن عباس أنّه سأل كعب الاحبار: كيف تجد نعت الرسول ﷺ في التوراة؟ قال: « نجده محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر إلى طابه، ويكون ملكه بالشام، وليس بفحاش ولاسخاف في الأسواق، ولا يكافئ السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر [٣١].

ونخلص من هذا العرض إلى أنّ الله تعالى قد أوحى إلى محمدﷺ كما أوحى إلى نوح عليه السلام والنبيين من بعده، فوحيه إليه ﷺ كوحيه إليهم في جنسه ووقوعه والغرض منه .

الثانية: مرحلة إنكار المستشرقين

اهتم أعداء الإسلام كثيراً بإثارة الشبهات حول الوحي المحمدي، مقتفين بذلك أثر جهلاء قريش وسفهاء الشرك، فادعوا أنّ الوحي حديث مع النفس؛ لأنّهم يعلمون بأنَّ الوحي هو مصدر يقين المسلمين وايمانهم بما جاء به الرسول الكريم ﷺ، فالوحي ليس حدساً او شعوراً باطنياً، بل هو امرٌ طارئٌ على الطباع البشرية[٣٢]، ومما ينبغي الإشارة اليه هنا معنى كلمة الاستشراق، فهي « دراسات غير الشرقيين لحضارات الشرق وآدابه ولغاته وتآريخه وعلومه واتجاهاته النفسية وأحواله الأجتماعية »[٣٣]، فهم يتكلمون عن دين لا يتدينون به؛ ليغتنموا فسحة بث الشبهات والدعاوى الباطلة بلا دليل[٣٤] فبعد القطع بنبوته ﷺ، للتشابه والتطابق بين الوحي المحمدي والوحي المنزل على موسى وعيسى (عليهما السلام) كما ورد في التوراة والانجيل، فالتشكيك في نبوة محمد إنَما هو تشكيك في وحي سابقيه، إلا أنَّ مستشرقي العصر الحديث تجاهلوا هذه الحقيقة، وتراوحت آرائهم في الإنكار كالآتي:

١. إنكار أميّة الرسول ﷺ، إذ ادعى المستشرق(ستوبرت):أنَّ النبي محمداً لم يكن أميّاً، مدعياً وجود آثار تدل على أنّ النبي ﷺ قد كتب صلح الحديبية بيده[٣٥]، وذهب المستشرق (مونتجمرى وات) في كتابه (محمد في مكة) إلى أنَّ المقصود بـ(ما انا بقارئ) إجابةً على طلب جبريل (أقرأ)، ويؤكد اغفال المفسرين اللاحقين المعنى الطبيعي لهذه الكلمات؛ليجدوا اساساً لعقيدتهم التي تريد أنَّ محمداً لا يعرف الكتابة، وهذا عنصر أساسي في التدليل على طبيعة القرآن معجزة[٣٦]، فيتضح من قول (وات) نفي إعجاز القرآن من جهة، والتدليل على أخذ الرسول ﷺ كتابه من قراءته لكتب التوراة والأنجيل من جهة أُخرى.

ولتأكيد حقيقة أميّة الرسول، قال تعالى:﴿ **وما كنت تتلومن قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون** ﴾[٣٧]، أما فرّية صلح الحديبية فهي معروفة في كتب الصحاح، إذ اخرج مسلم من حديث البراء بن عازب:» كتب علي بن ابي طالب عليه السلام الصلح بين النبي صلى الله عليه وآله وبين المشركين يوم الحديبية، فكتب: هذا ما صالح عليه محمدرسول الله، فقالوا: لا تكتب رسول الله فلو نعلم أنك رسول الله لِمَ نقاتلك، قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي: أمحه، فقال: ما أنا بالذي امحاه، فمحاه النبي بيده «[٣٨].

فالنبي لم يكن يعيش في كوكب آخر، فلو كان يعرف الكتابة والقراءة لارتاب المبطلون في أمره، فقد شهد قومه المعادون له بذلك، إذ لم يكن يعرف شيئاً من الكتب ولا نسخاً ولا حفظاً؛لأنّه أميّ[٣٩].

٢. قولهم بأنّ النبي قد اخذ كتابه عن ورقة بن نوفل، فذهب المستشرقون من أمثال (اميل درمنغام ومونتجمري واط)إلى أنَّ النبي صلى الله عليه وآله التقى بورقة بن نوفل واخذ عنه أصول الدين – إذ كان الأخير رجلاً متديناً اعتنق المسيحية، فجاء محمد وأخذ من حماسته وآرائه[٤٠]، فارادوا من هذا الزيف إثبات بأنَّ القرآن إنّما صيغ من النصرانية .

فلوكان الرسول صلى الله عليه وآله قد أخذ عن ورقة بن نوفل،لأتخذت قريش ذلك حجة لإنكار الدين كله، فضلاً عن أنّ القرآن تضمن اموراً غيبيةً حدثت بعد موت ورقة بن نوفل، فكيف نتصور أنَّ القرين من تعليمه والمعروف أنّ آياته كانت تنزل على وفق هذه الحوادث والوقائع[٤١] .

ونرد هذا الإدعاء بقول المستشرق (توماس كاريل)، إذ نفى شبهة الأستاذية من أحدٍ بقوله:« ثم علينا أنْ لا ننسى شيئاً وهو أنَّ محمداً لم يتلقْ درساً عن استاذ ابداً ويظهر لي أنَّ الحقيقة هي أنَّ محمداً صلى الله عليه وآله لم يكن يعرف الخط والقراءة، وكل ما تعلمه هو عيشته في الصحراء وأحوالها، وعجيب

والله أمية محمد ﷺ، نعم أنّه لم يعرف من العالم ولا من علومه إلا ما تيسر له أوْ يبصره بنفسه أوْ يصل إلى سمعه»[٤٢].

٣. انتهى بعض المستشرقين إلى القول بأنَّ القرآن فيضٌ من خاطر النبي ﷺ وانطباع لإلهامه، فهو نتاج تأملاته وخواطره الفكرية[٤٣]، إذ أخذ المستشرق (درمنغام) يصور الحالة النفسية للنبي ﷺ، فتردد على حراء في رمضان من كل عام سنوات عديدة، فزاد لذلك تأمله ابتغاء الحقيقة، حتى كان ينسى نفسه وينسى طعامه وكل ما في الحياة؛ لأنَّ هذا الذي يرى كل ما في الحياة ليس حقاً، وهو لم يكن يطمع في أنْ يجد في قصص الاحبار وفي كتب البرهان الحق الذي ينشد بل في هذا الكون المحيط، فكانت الحالة النفسية التي يعيشها محمد على اشدها، إذ وجد في الغار مسرة تزداد كل يوم عمقاً، فقضى الأسابيع ومعه قليل من الزاد، وروحه تزداد بالصوم والسهر والأدمان، وقضى على هذا الحال ستة أشهر حتى خشي على نفسه، فأسر بخوفه إلى خديجة فطمأنته، وأخذت تحدثه بأنّه الأمين وأنَّ الجن لا يمكن الأقتراب منه، وفيما هو نائم جاء ملك فقال له أقرأ، قال: (ما أنا بقارئ)، وهذا أول الوحي والكتاب [٤٤]، فالذي يبدو من كلام الأخير أنّ الوحي والكتاب إنّما هي من اختلاجات نفس النبي ﷺ وجانب من الهلوسة والحديث مع النفس.

ويمكن رد هذه الشبهة أولاً بقوله تعالى:﴿ **إنَّ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إنَّ الله سميع بصير** ﴾[٤٥]، وكلام أحد المستشرقين ثانياً، إذ قال (لايتنر) دافعاً هذه الفرية بقوله:« أوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ وحياً شديد المؤاخذة؛ لأنّه أدار وجهه عن رجل فقير ليخاطب رجلاً غنياً من ذوي النفوذ، وقد نشر ذلك الوحي، فلو كان ﷺ كما يقول أغبياء النصارى بحقه لما كان لذلك الوحي من

وجود »[٤٦]، فالذي يبدو من هذه الفرّية أنها آراء قديمة ارتدت ثوب الاستشراق المزيف .

ثالثاً- ردّ المستشرقين على منكري الوحي المحمدي:

يمكن أنْ نرد الافتراءات الآنف ذكرها بآراء المستشرقين انفسهم، كالآتي:

- يقول (أدوارد مونتيه):» كان محمدٌ صادقاً كما كان أنبياء بني اسرائيل في القديم كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى إليها»[٤٧].

- أكد المستشرق (جون وانتبورت) بأنَّ الدراسات التأريخية تسقط كل الأكاذيب، فبقدر ما نرى صفة محمد الحقيقية بعين البصيرة والتروي في المصادر التاريخية، فجاء بشرع لا يمكن انكاره [٤٨] .

- أما المستشرقة الايطالية (لورافيشيا) قالت: حاول بعض اعداء الإسلام أنْ يرمي النبي ﷺ بعض التهم المفتراة، متناسين أنَّه قد نهل رسالته موضع الإجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارة حياته[٤٩].

- رد الطبيب الفرنسي (موريس بوكاي) على منكري أميّة الرسول ﷺ بقوله: كيف يمكن لإنسان أنْ يصرح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن بمقدور أي إنسان في ذلك العصر أنْ يدركها، وذلك دون أنْ يكشف عن اقل خطأ من هذه الوجهة [٥٠].

- يقول (ليوبولد فايس): إنَّ السنّة النبوية هي خير مثال لاعمال الرسول وأقواله وحياته العجيبة كانت تمثيلاً حياً وتفسيراً لِما جاء به القرآن الكريم، ولا يمكن أنْ ننصف القرآن الكريم بأكثر من أنْ نتبع الذي قد بلّغ الوحي . [٥١]

الخاتمة:

إنّ الوحي كما اخبرنا القران الكريم والسنة النبوية هو المصدر الأول لعلم الأنبياء، فهو خارج عن الذات المحمدية، كما أنه ليس أثراً من آثار الجنون أو الشعر، أو نتيجة التصوف والزهد في غار حراء، أو من الآثار الخارجية، سواء أكان من كلام العرب قبل البعثة، أم من كلام اليهود والنصارى المقيمين في مكة والمدينة .

فالوحي مايكلف الله به أنبياءه من آياته وكتبه لتبليغها إلى عباده، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ **وما كان لبشر أنْ يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء**﴾، لذا نجد الخلل في كتابات المستشرقين، ففي الوقت الذي اثبتوا فيه الوحي لأنبياء التوراة والأنجيل، ينكرونه تجاه النبي ﷺ، فغياب الأمانة العلمية في بحوثهم دفعهم إلى بتر النصوص ووضعها في غير مواضعها وتحميلها ما لاتحتمل، فعجباً من عالمٍ بلغت فيه المادية ذروتها يتبع مشركي العرب في جاهليتهم، فما جاء به المستشرقون لا يعدو أنْ يكون شبهة وافتراء بدليل اضطراب آرائهم حول مصدريته.

الهوامش

١) سورة الحجر، الآية : ٩ .
٢) سورة العنكبوت، الآية :٤١
٣) سورة الفرقان، الآية : ٤.
٤) سورة الفرقان، الآية :٥.
٥) سورة النساء، الاية : ١٦٣.
٦) سورة الشعراء، الآية: ١٩٥.
٧) ينظر : لسان العرب، ابن منظور : ١٥/ ٣٨١
٨) سورة الشورى، الآية : ١١.
٩) رسالة التوحيد، محمد عبده :٩٦، وينظر : الوحي المحمدي، محمد رضا رشيد : ٢٦.
١٠) الاعتصام، الشاطبي : ٢/ ٣١٨.
١١) سورة الشورى، الاية : ١١.
١٢) سورة القصص، الآية :٧.
١٣) سورة النساء، الاية : ١٦٤.
١٤) ينظر : السيرة النبوية،د.محمد علي الصلابي : ٧٨، والوحي وانواعه كيفيته والرد على منكريه، د.عبد الرحمن محمود سيد : ٥٢٤.
١٥) ينظر : الوحي والملائكة، حمد عبد الوهاب : ٤٤-٤٥.
١٦) سورة الصف، الاية : ٨ .
١٧) سورة النحل، الآية : ١٠٣
١٨) ينظر : الرد على شبهة انكار الوحي : ١٥-١٦.
١٩) ينظر: اعجاز القرآن، الباقلاني : ٦٢٨.
٢٠) ينظر: جهود علماء المسلمين في دراسة الكتابات الاستشراقية حول القران الكريم،علي بن ابراهيم :٧.
٢١) ينظر : المستشرقون وترجمة القرآن الكريم،محمد صالح بنادق:١٠٧-١٠٨.
٢٢) ينظر :الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، قاسم السامرائي : ٥٥-٦٥، والاهتمام بالسيرة النبوية باللغة الانكليزية،محمد مهر علي : ٢٤.
٢٣) سورة الحجر، الاية :٩ .
٢٤) سورة آل عمران، الآية : ١٨٦ .
٢٥) ينظر الرد على شبهة انكار الوحي، أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين، ٣٣.
٢٦) سورة النساء، الآية :٨٢.
٢٧) ينظر : مناهل العرفان، الزرقاني، ١/ ٦٢ .
٢٨) سورة الحشر، الآية :٧.
٢٩) ينظر: فتح الباري، للعسقلاني : ٦/ ٥٦١.
٣٠) ينظر : السيرة النبوية، ابن هشام : ١/ ١٣٢-١٣٣.
٣١) ينظر : السيرة النبوية، الذهبي : ١/ ٥٠.
٣٢) ينظر : ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني : ١/ ٦٠
٣٣) وحي الله، حسن عتر:١٧.
٣٤) ينظر: الاسلام والمستشرقون، عبد الجليل شلبي : ١٦٢.
٣٥) ينظر : الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، محمد ماضي: ١١١.

٣٦) محمد في مكة، وات : ٨٥.
٣٧) سورة العنكبوت، الآية : ٤٨.
٣٨) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير و باب صلح الحديبية :١٢/ ١٣٥.
٣٩) ينظر : فتح الباري : ١/ ٢٤.
٤٠) ينظر : الوحي القرآني : ١١٧-١١٨
٤١) وحي الله: ١٤٩.
٤٢) الاسلام والمستشرقون، الطنطاوي وآخرون: ٣٠١.
٤٣) ينظر: الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي: ١٢٣ .
٤٤) ينظر : الوحي المحمدي : ٧٣.
٤٥) سورة الحج، الآية : ٧٥
٤٦) الوحي القراني في المنظور الاستشراقي :١٢٦.
٤٧) محمد في مكة، وات : ٨٥.
٤٨) ينظر:الرسول في الدراسات الاستشراقية، محمد شريف الشيباني: ٣٩٤.
٤٩) ينظر: دفاع عن الاسلام، لورافيشيا: ٣٧
٥٠) ينظر: القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم، موريس بوكاي : ١٥٠.
٥١) ينظر: الاسلام على مفترق الطرق، ليوبولد فايس : ٨٧-٨٨.

المصادر والمراجع:
القرآن الكريم.
* إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ابو العباس شهاب الدين القسطلاني، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د.ت.
* الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية،د.قاسم السامرائي،ط١، دار الرفاعي للنشر والطباعة، ١٣٤١هـ.
* الإسلام والمستشرقون عبد الجليل شلبي، دار الشعب، القاهرة، د.ت.
* الإسلام والمستشرقون، د.محمد طنطاوي وآخرون، ط١، عالم المعرفة،جدة، ١٤٠٥ه.
* الإسلام على مفترق الطرق،ليوبولد لويس، ترجمة: د.عمر فروخ، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٦م.
* -الاعتصام، الشاطبي، دار عمر بن الخطاب، مصر، د.ت.
* الاهتمام بالسيرة النبوية باللغة الانكليزية، أ.د. محمد مهر علي، ط١، مجمع الملك فهد لطباعة المصاحف الشريفة، د.ت.
* جهود علماء المسلمين في دراسة الكتابات الاستشراقية .أ.د. علي بن ابراهيم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، د.ت.
* دفاع عن الإسلام، لورافيشيا، ترجمة : منير البعلبكي، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٧م.
* -رسالة التوحيد، محمد عبد، ط١، دار الشروق، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
* الرسول في الدراسات الاستشراقية، محمد شريف الشيباني، دار الحضارة، بيروت د.ت.
* السيرة النبوية، د. محمد علي الصلابي،ط٧، دار المعرفة، بيروت،١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
* السيرة النبوية، ابن هشام،تحقيق:ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ الأشبيأتي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
* السيرة النبوية، الذهبي، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٠٤١هـ.
* الصحيح، مسلم، شرح النووي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
* فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، د.ت.
* فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي،ط٧، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
* . القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم، موريس بوكاي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م.
* لسان العرب، ابو الفضل جمال الدين ابن منظور،دار صادر، بيروت. د.ت.
* المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، محمد صالح البنادق،ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٤١هـ.
* مناهل العرفان، عبد العظيم الزرقاني، تحقيق : احمد زمرلي،ط١، دار الكتاب العربي، بيروت،د.ت.
* الوحي وانواعه كيفيته والرد على منكريه، د.عبد الرحمن عباس محمود، مديرية تربية بغداد / الرصافة الاولى، معهد اعداد المعلمين، الحسينية،د.ت.
* وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة ونقض مزاعم المستشرقين، حسن ضياء الدين عتر، دعوة الحق، مكة المكرمة، العدد ٢٨، ١٤٠٤هـ.

فعالية الإشاعة
في عصر الرسول محمد ﷺ وكيفية مواجهتها

م. مازن خضير عباس حسين الغزي
كلية الإمام الكاظم عليه السلام
للعلوم الإسلامية الجامعة أقسام ذي قار/ العراق

The effectiveness of rumor in the era of the Prophet Muhammad (PBUH) And how to confront it

Lect. Mazen Khudair Abbas Hussein Al-Ghazi
Imam Al-Kadhim (PBUH)
College of Islamic Sciences University
Departments of Dhi Qar / Iraq

الملخص:

تعد الإشاعة من أخطر الظواهر التي كانت في عصر الرسول ﷺ والتي كانت سريعة الانتشار بين الناس بسبب انخفاض المستوى الثقافي الذي يحملونه إذ كانوا يعيشون في منطقة تكاد تغلب عليها صفة البداوة ولولا موقعها الجغرافي على طرق التجارة بين الشمال والجنوب لانقطعوا عن التواصل مع ما يجاورهم من الحضارات القائمة آنذاك والتي تتمثل بالامبراطورية الساسانية والرومانية، لذا كان المجتمع العربي تعيش فيه مجموعة من الأمراض النفسية والمعنوية التي تتعلق بالأخلاق العامة ومنها (الإشاعة)، والتي قد تترتب عليها نتائج سلبية كبيرة منها إسقاط قيمة الإنسان الذي تذاع عليه الشائعات، ولذا عمد المشركون والمنافقون وغيرهم من أعداء النبي ﷺ إلى توظيفها باستمرار في محاربة النبي ﷺ ومحاولة إفشال مشروعه المتمثل بالدين الإسلامي الذي أراد منه إصلاح حال الفرد، فنلاحظه ﷺ وقف إزاء الشائعات موقفاً صلباً لصدها ولنهي المسلمين عنها، وسيتضح ذلك من خلال البحث.

Summary:

The rumor is one of the most dangerous phenomena that occurred in the era of the Messenger (PBUH), which was rapidly spreading among people due to the low level of culture they carried, as they lived in an area almost dominated by the Bedouin character, and if it were not for its geographical location on the trade routes between the north and the south, they would have cut off communication with They were surrounded by the existing civilizations at the time, which were represented by the Sassanid and Roman Empires, so the Arab society was living in a group of psychological and moral diseases related to public morals, including (rumour), which may have significant negative consequences, including the dropping of the value of the human being who is being broadcasted. Rumors, and therefore the polytheists, hypocrites and other enemies of the Prophet (PBUH) deliberately used them constantly to fight the Prophet (PBUH) and try to thwart his project represented by the Islamic religion, which he wanted from him to reform the individual's condition.

Muslims about it, and this will become clear through research.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ * وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النور/ ١٩.

صدق الله العلي العظيم

تعد الإشاعة من العوامل التي قد تؤثر سلباً على وحدة المجتمع وتؤدي إلى تفككه وتضعف روح المواطنة والتفاهم والتعاون فيما بينهم، وهي تؤثر على المجتمع والأفراد على حدٍ سواء، فهي تؤدي إلى إبعاد الناس عن الفرد الذي يشاع عليه خبر ما سلباً، الأمر الذي قد يؤدي إلى فشل مشروعه بسبب شيوع الخبر حتى وإن كان غير صحيح، لأن أغلب الناس لا تتأكد من الأخبار بل تأخذها على علاتها وهذا ما جعل المجتمعات البشرية تعاني كثيراً من المصائب والويلات والنكبات الرهيبة بسبب بروز ظاهرة اختلاق الإشاعة ونشرها بين الأفراد حيث كانت تؤثر سلباً على معنويات أفراد المجتمع وتضعف فيهم الروح الاجتماعية وروح التفاهم والتعاون بين أبناء المجتمع الواحد.

وقد تنطلق الإشاعة بكذبة ينشرها أحد الأشخاص بين الناس البسطاء والمغرضين ليقوموا بنشرها سواء بوعي منهم أو بلا وعي فيروجوا لها بين أبناء المجتمع دون التأكد من صحتها والتحقيق فيها بل يقومون بتهويلها وتضخيمها مما يؤدي إلى إثارة الاضطراب والقلق بين الناس وخلق حالة من الهلع بينهم، الأمر الذي يؤدي إلى انعدام الثقة بين الأفراد والتردد في أداء المسؤوليات المناطة بهم.

ومع أن بعض المجتمعات التي تعاني من الكبت والإرهاب تعمد إلى الإشاعة بوصفه أسلوباً من الكفاح السلبي انتقاماً من الحكومات الطاغية

والجائرة، فالإشاعة بحد ذاتها تعد خطراً كبيراً على المجتمعات السليمة، فإذا اتجهت الإشاعة إلى الأفراد الكفوءين والمفكرين والخبراء والعاملين في المرافق العامة في المجتمع فإنها ستؤدي إلى حالة من البرود في نشاطاتهم وتحرم المجتمع من خدماتهم.

ومن هنا انطلق الإسلام لمحاربة الإشاعات لما فيها من الكذب والافتراء وإسقاط لبعض الأفراد وما فيها من مساوئ قد تطيح بالمجتمع المسلم. وقد ركزت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة على بيان حقيقة الإشاعة والنهي عنها وكيفية مواجهتها، وسنوضح ذلك من خلال البحث الموسوم (فعالية الإشاعة في عصر الرسول محمد ﷺ)، وذلك في ضوء تعريف الإشاعة لغة و اصطلاحاً، وبيان أهمية الابتعاد عنها في ضوء تأكيد القرآن الكريم والحديث الشريف.

نسأل الله التوفيق، والصلاة والسلام على حبيب إله العالمين محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الإشاعة لغةً واصطلاحاً:

الإشاعة لغة: من مادة شَيَّعَ، يقال: شيعت فلاناً أي اتبعته، ويقال شاعك الخير: أي لا فارقك، وشيعه: أي خرج معه عند رحيله ليودعه، والشيوع: ما أوقدت به النار، فيقال: شيع الرجل بالنار أحرقه، ومنه المشيع: العجول، وقيل أشاع الإبل وشايع بها وشايعها مشايعةً: أهاب، أي صاح ودعا[١].

ومنه شاع الشيب أي انتشر، وشاع الخبر: ذاع، وأشاع ذكر الشيء: أطاره، وأشعت المال: فرقته[٢]. والشاعة: الأخبار المنتشرة، ورجل مشياع أي مذياع لا يكتم سرّاً، قال الراغب الأصفهاني: «شاع الخبر: كثر وقوى، وشاع القوم: انتشروا وكثروا، والشيعة من يتقوى بهم الإنسان وينتشرون عنه، قال تعالى: ﴿**وإن من شيعته لإبراهيم**﴾ وقال أيضاً: ﴿**هذا من شيعته وهذا من عدوه**﴾ وقال تعالى: ﴿**وجعل أهلها شيعاً**﴾»[٣].

الإشاعة اصطلاحاً: هي اصطلاح يطلق على رأي موضوعي معين كي يؤمن به من يسمعه، وهي تنتقل من شخص لآخر عن طريق الكلمة الشفهية دون أن يتطلب ذلك مستوى البرهان أو الدليل[٤].

وعرفها بعضهم بأنها خبر يبث من مصدر ما في ظرف معين ولهدف ما يبغيه المصدر دون علم الآخرين، وانتشار هذا الخبر بين أفراد مجموعة معينة[٥].

وذكر أيضاً أنها الأحاديث والأقوال والأخبار التي يتناقلها الناس والقصص التي يروونها دون التثبت من صحتها أو التحقق من صدقها[٦].

وعرفها أحدهم بأنها أخبار مشكوك بصحتها ويتعذر التحقق من أصلها وتتعلق بموضوعات لها أهمية لدى الأشخاص الموجهة إليهم، ويؤدي تصديقهم أو نشرهم لها إلى إضعاف روحهم المعنوية[٧].

ويتضح مما تقدم أن هناك ترابطاً بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي وعاملاً مشتركاً هو الانتشار والتزايد.

ومن هذا المنطلق أخذ المشركون والكفار واليهود ومن حالفهم على بث الإشاعات الكاذبة والمغرضة لإيذاء الرسول ﷺ وأصحابه طمعاً في أن يثنوا عزيمتهم عن مواصلة الدعوة إلى الله ورد المسلمين عن إسلامهم إلا أن هذه المحاولات التي سنمرّ عليها لاحقاً باءت بالفشل وتصدى لها النبي ﷺ وأصحابه وأفشلوها كما سيتضح خلال البحث.

الإشاعة في القرآن الكريم:

ذكر القرآن الكريم الإشاعة في نصوصه الشريفة صراحة و ضمناً بوصفها أمراً مرفوضاً وسلبياً محذراً المؤمنين من القيام به لما له من أثر سلبي على حياة الفرد بصورة خاصة والأمة الإسلامية بصورة عامة فقد قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ * وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[٨].

فقد ذكر الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: «... ومعنى الإشاعة الانتشار، يقال في هذا العقار سهم اشاع إذا كان في الجميع ولم يكن منفصلاً وشاع الحديث إذا ظهر في العامة »[٩].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾[١٠]، والنص واضح في ضرورة التأكد من صحة الخبر لئلا يكون إشاعة من أحد المغرضين.

ولعل ما يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ، وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**﴾[١١].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا * وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ * وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(١٣).

وقد ورد في تفسير هذه الآية أن قوماً من المسلمين ضعاف الإيمان كلما سمعوا خبراً عن سرايا رسول الله ﷺ أو أخبرهم النبي ﷺ بما أوحى الله إليه من وعد بالنصر أو تخويف من الكفار، فضحوا ذلك الخبر لعدم يقينهم وضعف إيمانهم بنبوة النبي ﷺ وصدق ما جاء به، فتكون إذاعتهم للخبر مفسدة على المسلمين(١٤).

ومنها ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا...﴾(١٥).

والمرجفون هم الذين يشيعون الأخبار الكاذبة، فقد ورد في اللغة أن المرجفين من مادة إرجاف: وهي إشاعة الأباطيل بقصد إيذاء الآخرين، والإرجاف هو الاضطراب والتزلزل، ولما كانت الإشاعات الباطلة تحدث اضطراباً عاماً في صفوف المجتمع، فقد أطلقت هذه الكلمة عليها(١٦).

ويتضح من سياق الآية أن ثلاث فئات في المدينة كانت مشتغلة بأعمال التخريب والهدم، وكل منها يحاول أن يحقق أهدافه بأسلوبه الخاص، وكانت تشكل تيارات جماعية وليست قضايا وتصرفات فردية.

فالفئة الأولى هم المنافقون الذين يعملون على محاربة الإسلام عبر مؤامراتهم ضده. والفئة الثانية هم الذين عبر عنهم القرآن في قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، والفئة الثالثة هم اليهود الذين كانوا ينشرون الأخبار

الكاذبة عن هزيمة النبي ﷺ والمؤمنين[١٧].

وذكر في تفسير الآية أن أعمال التخريب للفئات الثلاثة كانت من عمل المنافقين وفصلها عن بعضها هو فصل الصفات لا الأشخاص[١٨].

الإشاعة في حديث الرسول ﷺ:

حذر الرسول ﷺ في أحاديثه الشريفة من عقوبة بث الإشاعات الكاذبة والأخبار المزيفة ولعل من ذلك ما رواه البخاري عن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال: «رأيت رجلين أتياني، قالا: الذي رأيته يشق شدقه فكذاب، يكذب بالكذبة تحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة»[١٩].

فهذه العقوبة تلازم الإنسان الذي يبث الإشاعات مدة حياة البرزخ التي لا يعلم مدتها إلا الله تعالى، وما ذلك إلا لعظم الجرم الذي يقترفه مَن يبث الإشاعات مِن قلب الحقائق وزعزعة الأمن وإثارة الفتن والصراعات وغيرها من الجنايات الجسيمة التي يهدف إليها أصحاب الإشاعات وأهل الكذب.

وجعل النبي ﷺ الناقل للأخبار أحد الكذبة المفترين، لأن مَن تعود على التحديث بكل خبر يسمعه لن يسلم من نقل الأخبار الكاذبة والإشاعات المغرضة، ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع»[٢٠].

إلا أنه استثنى من ذلك جواز نشر الإشاعة في صفوف العدو في الحرب كما في الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل الكذب إلا في ثلاث، يحدث الرجل امرأته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب ليصلح بين الناس»[٢١].

ومن أغراض الإشاعة هو صدّ الناس عن الحق وصرفهم عن مجرد سماعه، فيلجأون إلى تلفيق الأخبار ليلفتوا الناس عن الحق والهدى ومع ذلك فالحق نافذ إلى النفوس مهما حاولوا إثارة الشائعات حوله ففي صحيح مسلم عن أبي ذر الغفاري أنه سأل أحدهم عن قول الرسول ﷺ والقرآن قائلاً: ما يقول الناس؟ قال: يقولون شاعر كاهن ساحر، وكان الرجل من الشعراء، فقال: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على إقراء الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق، وإنهم لكاذبون»[٢٢].

ومن أغراض الإشاعة أيضاً هو النيل والتلاعب في نفسية المؤمن وزرع القلق في قلبه فمن ذلك افتراء المشركين على النبي ﷺ أن الله تركه فلم يعد ينزل عليه الوحي فقد قلاه، وذلك عندما فتر نزول الوحي على النبي ﷺ فقد ورد أنه أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ فقال: قد ودّع محمد، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿**وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى...**﴾[٢٣].

فهم يحاولون تلفيق الأخبار وتزييف الحقائق واستغلال الظروف للدفاع عن باطلهم، واللافت للنظر أنهم يستغلون الحقائق الواقعة ويفسرونها بحسب أهوائهم وبما يتناسب مع مصالحهم وأهدافهم.

ومن أغراضها أيضا هو توهين المسلمين وإحباط معنوياتهم وإضعاف قوتهم، كما يتضح ذلك من أحداث معركة أحد عندما شيعوا خبراً أن النبي ﷺ قد قتل، الأمر الذي كان له الأثر البالغ في صفوف المسلمين آنذاك، فقد توقف بعضهم عن القتال وألقوا سيوفهم، فمر عليهم أنس بن النضر فقال لهم: «ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم

استقبل القوم فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى»[٢٤].

وفي ذلك درس للفرد المسلم بأن لا يسمح للإشاعة أن تلقي بآثارها السلبية على نفوس المسلمين مهما كانت مؤلمة، وأن لا ينشغل بتفاصيل ما يذاع من أخبار الخوف بل يتجاوزها إلى القيام بواجب المرحلة من الجهاد والدعوة ومواصلة الطريق.

أساليب التعامل مع الإشاعات :

من خلال استقراء سيرة النبي المصطفى ﷺ تتضح لنا مجموعة من الطرق والكيفيات التي وظفها النبي ﷺ في التصدي للإشاعات التي كانت تبث ضده أو ضد المسلمين وذلك من خلال ما يأتي:

١- البيان:

لقد تعامل النبي ﷺ مع الإشاعات التي تنقل عن طريق بعض الأشخاص بالسؤال عن مدى صحتها واستيضاحها بالاستفهام بطريقة (ما حديث بلغني عنكم؟)، فقد ورد في المصادر التاريخية في اعتراض الأنصار على قسمة غنائم حنين ما ذكره البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ حُدِّث بمقالة الأنصار واعتراضهم فأرسل إليهم وجمعهم في قبة من أدم ولم يدعُ أحداً غيرهم، فلما اجتمعوا قال لهم رسول الله ﷺ: «ما كان حديث بلغني عنكم؟» فقال له بعضهم: «أما ذوو آراءنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأما أناس منا حديثة أسنانهم، فقالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً، ويترك الأنصار وسيوفنا تقطر من دمائهم»، فاسترضاهم رسول الله ﷺ حتى رضوا[٢٥].

٢- **النهي:**

وقد نهى النبي ﷺ في أحاديث كثيرة عن نقل الأخبار والشائعات التي قد تبث لغرض الإضرار بالآخرين حتى لو كانت صحيحة، فليس كل صحيح يجوز نقله، فقد أورد أبو داود عن عبد الله بن مسعود أنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»(٢٦).

٣- **صد الإشاعة:**

ونعني بالتصدي للإشاعة هو الدفاع عمن أثيرت عليه الإشاعة والاعتذار له بما يعلم عنه للحد من مدى الإشاعة، ففي البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أمر بالصدقة، فقيل له: منع خالد بن الوليد وابن جميل وعباس بن عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: «ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً فأغناه الله ورسوله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالداً، قد احتبس أدرعه وأعتده في سبيل الله، وأما العباس بن عبد المطلب فعم رسول الله ﷺ فهي عليه صدقة ومثلها معها»(٢٧).

ويرى بعض المؤرخين أن معنى الحديث أنهم طلبوا من خالد زكاة أعتاده ظناً منهم أنها للتجارة وأن الزكاة فيها واجبة، فقال لهم لا زكاة عليّ، فقالوا للنبي ﷺ: إن خالداً منع الزكاة، فقال لهم: إنكم تظلمونه، لأنه حبسها و وقفها في سبيل الله قبل الحول عليها فلا زكاة فيها(٢٨).

٤- **التحلي بالصبر والثبات:**

فمن الدروس المهمة المُفادة من النبي ﷺ في التعامل مع الإشاعات هو التحلي بالصبر والثبات ضد الإشاعات التي تبث ضده والاستمرار في نشر الحق وإيضاح الدعوة للخلق، فقد كان النبي ﷺ تبث عليه الإشاعات بكثرة وهو يدعو الناس لعبادة الله تعالى، ومما ورد في ذلك ما نقله أحمد

بن حنبل عن ربيعة بن عباد الديلي أنه قال: «رأيت أبا لهب بعكاظ وهو يتبع رسول الله ﷺ ويقول للناس إن هذا قد غوى فلا يغوينكم عن آلهة آباءكم ورسول الله ﷺ يفر منه وهو على أثره»[٢٩].

٥- التريث:

ومن وسائل صد الإشاعات التريث والتروي في التصرف بعد سماع الإشاعة وعدم اتخاذ أي إجراء إلا بعد استشارة العقلاء وذوي الرأي السديد، ففي خبر الإفك الذي يعد من أخطر الإشاعات التي بثها المنافقون على النبي ﷺ فقد استهدفوا عرضه وسمعته وهذه الفرية التي أخذت أياماً عديدة تدور على الألسن بين المسلمين حتى أنها انطلت على بعض الصحابة فتكلموا فيها اغتراراً ببعض المنافقين الذين لم يظهروا نفاقهم، فما كان من النبي ﷺ إلا أن جمع بعض أصحابه واستشارهم فيما يصنع، وما ذلك إلا ليربي الأمة على الاستشارة في الأمور المضطربة أو التي تدعو إلى القلق، وإلا لم يكن النبي ﷺ بعيداً عن الحلول الصحيحة ولنا في كل فعل منه أسوة حسنة[٣٠].

٦- التوازن والتماسك:

وهو متلازم مع سابقه من عوامل صد الإشاعة فبالإضافة إلى التريث يجب أن يكون هناك توازن وتماسك في التعامل مع الإشاعة بعيداً عن الدوافع العاطفية والنفسية، وهذا ما نلاحظه من حادثة الإفك نفسها[٣١] التي كان لها وقع كبير في نفوس الصحابة، إلا أن النبي ﷺ حافظ على توازنه ولم يخرج عن طبيعته وهدوئه المعتاد في التصدي للأزمات والمحن، فقد سعى لإدارة الأزمة وتجاوزها بالحكمة والقضاء على آثارها، فمن أخطر ما قد يواجهه صاحب القرار عند حدوث أزمة هو عدم قدرته على ضبط مشاعره[٣٢].

٧- تصحيح الأفكار:

فمن طرق التعامل مع الإشاعة هو ردّها ومحاربتها وتصحيح الخلفية الفكرية التي نشأت عنها، فقد ورد أن النبي ﷺ ردَّ الخبر الذي أشيع حول موت ولده إبراهيم عليه السلام، ففي البخاري أن المغيرة بن شعبة[٣٣] قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله تعالى»[٣٤].

٨- قطع جذور الإشاعة:

فقد ورد أن رسول الله ﷺ كان يترك بعض الأعمال قطعاً للألسنة وسدّاً لحديث المغرضين والخائضين بالباطل، وهذا من كمال حكمته ﷺ، فقد ترك قتل بعض المنافقين مع اقترافهم ما يستوجب قتلهم والخلاص منهم من نكاية بالمسلمين والخيانة لله ورسوله، ومع ذلك لما كان ظاهرهم أمام عامة الناس أنهم مسلمون فسيظن الناس أنه قتل معصوم الدم، ولعل ذلك سيكون صاداً لهم عن دخول الإسلام، فقد روى ابن حبان أن عمر بن الخطاب استأذن رسول الله ﷺ في قتل أحد المنافقين، فقال له رسول الله ﷺ: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»[٣٥].

الخاتمة:

خلاصة القول يمكن أن نوضح مجموعة من النقاط المهمة التي أكدت عليها النصوص القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بالإشاعة ودورها في المجتمع وأثر ذلك في المسلمين ودولتهم الناشئة:

١- إن النصوص القرآنية لم تعطِ الإشاعة دوراً إيجابياً أبداً بل أنكرتها وأمرت المسلمين بالابتعاد والنهي عنها، بل توعد القرآن الكريم الذائعين للإشاعة والعاملين على نشرها بالعذاب الأليم في نصوص كثيرة من آياته، إذ أنها من الأمراض الخطيرة التي تفتك بالمجتمعات وتدمر كيانها وتضعف تماسكها، لذا نلاحظ تأكيد القرآن الكريم على أهمية التأكد من صحة الخبر، إذا ورد على مسامع الناس، كما وصف ناقل الخبر بالفاسق حتى يتم التأكد من صحة الخبر، وتوعد ناقله بالعذاب الأليم و وصف العمل بالخبر من دون التأكد من صحته بالجهل.

٢- وفي حديث الرسول ﷺ نلاحظ أنه اهتم بالتحذير من الإشاعة بشكل كبير وتوعد مرتكبها بالعذاب أيضاً معززاً بذلك ما قدمه القرآن الكريم في هذا المجال، فقد شخص النبي ﷺ أضرار الإشاعة وأثرها في توهين الناس وإبعادهم عن الحق، لا سيما أنه كان أكثر الناس عرضة للإشاعات الكاذبة التي تعرض لها من المشركين في العهد المكي، ومن المنافقين في العهد المدني، إلا أنه كان يواجه الإشاعات بكل صبر واقتدار وشفافية حتى يقطع الطرق على أصحابها.

أما ما ورد من جواز بث الإشاعة في بعض المواضع التي ذكرها المحدثون وهي في (صفوف العدو والزوجة والإصلاح) فليس ذلك الحديث عن الإشاعة وإنما الحديث عن الكذب الذي لا يترك ضرراً على

الناس الآخرين وفيه إصلاحٌ لحالهم.

٣- يتضح من الأحاديث النبوية والروايات الواردة عن عصر السيرة كيف أن النبي ﷺ تصدى للإشاعات، الأمر الذي يمكن أن نُفيده من استقراء سيرة حياته المباركة في مواجهة الإشاعات في زماننا، فقد تمثلت عملية مواجهة الإشاعات بمجموعة أساليب وهي (البيان، والنهي، والتصدي، والتحلي بالصبر والثبات، والتريث، والتوازن والتماسك، والعمل على تصحيح الأفكار، وقطع جذور الإشاعات)، وقد سبق توضيحها في طيات البحث.

ختاما نقول: عسى أن نكون قد وفقنا في تقديم ما يمكن أن ينفع المجتمع ويخدم العلم في إيضاح الإشاعة ودورها في المجتمع، ومن الله التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله الأمين محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الهوامش :

١- ابن منظور : جمال الدين، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم - إيران، ١٤٠٥هـ، ج٨، ص١٨١.
٢- المصدر نفسه، ج٨، ص١٨٢.
٣- أبو القاسم بن محمد، معجم ألفاظ القرآن، تحقيق. صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ص٤٧٠.
٤- نصر : صلاح، الحرب النفسية، ط١، دار القاهرة، مصر، ١٩٦٦م، ج١، ص٣٠٢.
٥- مجلة الفكر العسكري، السنة الرابعة، عدد١، الأردن، ١٩٧٦م، ص٣٢١.
٦- مجلة الأقصى العسكرية، السنة الخامسة، عدد ٥، سنة ٢٠١٥ م، ص٤١٢.
٧- المدخل للعقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٦م، ص١٢٢.
٨- سورة النور : الآية ١٩.
٩- محمد بن عمر التميمي، مفاتيح الغيب، ط٣، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ، ج٢٣، ص١٨٢.
١٠- سورة الحجرات : الآية ٦.
١١- سورة النور : الآيات ١٥-١٧.
١٢- سورة النور : الآية ٤.
١٣- سورة النساء : الآية ٨٣.
١٤- ابن زمنين : محمد بن عبد الله، التفسير، ط١، مطبعة الفاروق، القاهرة، ٢٠٠٢م، ج٥، ص٣٤٥.
١٥- سورة الأحزاب : الآية ٦٠.
١٦- الطبرسي : الفضل بن الحسن، مجمع البيان، تحقيق. لجنة من العلماء، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج٨، ص١٧٩.
١٧- الطباطبائي : محمد حسين، تفسير الميزان، جماعة المدرسين، قم المقدسة، ج١٣، ص١٨٣.
١٨- الفيض الكاشاني : محسن، تفسير الصافي، ط٢، مؤسسة الهادي، قم، ج٤، ص٢٠٤.
١٩- البخاري : محمد بن إسماعيل، الصحيح، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٩٨١م، ج٢، ص١٠٥.
٢٠- مسلم : ابن الحجاج النيسابوري، الصحيح، دار الفكر، بيروت - لبنان، ج٥، ص٨.

٢١- الترمذي : محمد بن عيسى، السنن، ط٢، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ، ج٣، ص٢٢٢.
٢٢- ابن سعد : محمد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت – لبنان، ج٤، ص٢٢٠.
٢٣- الضحى : ١-٣.
٢٤- ابن شهر آشوب : محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٦م، ج٢، ص٣١٦.
٢٥- البخاري : المصدر السابق، ج٥، ص١٠٤.
٢٦- سليمان بن داود الطيالسي، مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ج٢، ص٤٤٨.
٢٧- البخاري : المصدر السابق، ج٢، ص١٢٩.
٢٨- النووي : يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ج٧، ص٤٩٢.
٢٩- ابن حنبل : أحمد، المسند، دار صادر، بيروت – لبنان، ج٣، ص٤٩٢.
٣٠- ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٩٦٥م، ج٢، ص١٩٥.
٣١- الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام، تحقيق. عمر عبد السلام، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٩٨٧م، ج٢، ص٢٦٩.
٣٢- الطباطبائي : المصدر السابق، ج١٣، ص١٨٥.
٣٣- من دهاة العرب الأربعة، أسلم عام الخندق، ابن عبد البر : الاستيعاب، ج٤، ص١٤٤٥.
٣٤- المصدر السابق، ج٢، ص٢٤.
٣٥- محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، تحقيق. شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، ج١٤، ص٥٤٥.

المصادر و المراجع:

أولاً : المصادر :

القرآن الكريم.

* ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن بن أبي الكرم ت ٦٣٠ هـ
* الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٩٦٥م.
* البخاري : محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦ هـ
* صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
* الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى ت ٢٧٩ هـ
* سنن الترمذي، تحقيق. عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.
* ابن حبان : محمد بن حبان البستي تحقيق ٣٥٤ هـ
* صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ت. شعيب الأرناؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.
* ابن حنبل : الإمام أحمد ت ٢٤١ هـ
* مسند أحمد، دار صادر، بيروت – لبنان.
* أبو داود : سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي ت ٢٠٤ هـ
* مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت – لبنان.
* الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ
* تاريخ الإسلام، تحقيق. د. عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧.
* الراغب الأصفهاني : أبو القاسم حسين بن محمد ت ٥٠٢ هـ
* معجم ألفاظ القرآن الكريم (غريب ألفاظ القرآن)، تحقيق. صفوان عدنان داودي، دار القلم دمشق.
* ابن زمنين : أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت ٣٩٩ هـ
* تفسير ابن زمنين، تحقيق. أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، ط١، مطبعة الفاروق الحديثة، القاهرة – مصر، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.
* ابن سعد : محمد ت ٢٣٠ هـ
* الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت – لبنان.
* ابن شهر آشوب : مشير الدين أبو عبد الله محمد بن علي ت ٥٨٨ هـ
* مناقب آل أبي طالب، تحقيق. لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٦ م.
* الطبرسي : أبو علي الفضل بن الحسن ت ٥٤٨ هـ
* تفسير مجمع البيان، تحقيق. لجنة من العلماء، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.
* ابن عبد البر :
* الاستيعاب
* الفخر الرازي : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التميمي ت ٦٠٦ هـ
* التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ط٣،

دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٠ هـ.
* مسلم النيسابوري : أبو الحسين بن الحجاج ت ٢٦١ هـ
* صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت – لبنان.
* ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١ هـ
* لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم – إيران، ١٤٠٥ هـ.
* النووي : أبو زكريا يحيى بن شرف ت ٦٧٦ هـ
* صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م.

ثانيا – المراجع :

* محفوظ : محمد جمال الدين
* المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، نشر الهيئة العامة للكتاب بمصر، ١٩٧٦ م.
* الطباطبائي : السيد محمد حسين
* الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة.
* الفيض الكاشاني : محسن ت ١٠٩١ هـ
* تفسير الصافي، ت. حسين الأعلمي، ط٢، مؤسسة الهادي، قم المقدسة، ١٤١٦هـ.
* نصر : صلاح
* الحرب النفسية، ط١، دار القاهرة، القاهرة – مصر، ١٩٦٦ م.

ثالثاً – المجلات :

* مجلة الأقصى العسكرية، السنة الخامسة، عدد(٥)، سنة ٢٠١٥ م.
* مجلة الفكر العسكري، السنة الرابعة، عدد (١)، سنة ١٩٧٦ م.

نقد المنهج الاستشراقي
في دراسة روايات المبعث النبوي الشريف

للباحث حيدر فرج الساعدي
بكالوريوس لغة العربية /كلية الاداب/ جامعة ميسان

Criticism of the oriental approach in studying the prophet's revelation novels

For researcher Haider Faraj Al-Saadi
Bachelor of Arabic Language/Faculty of Arts/ University of Maysan

الملخص

ينطلق المستشرقون من غايات وأهداف متعددة تهدف الى فكّ الرابطة الروحية والعقدية بين المسلمين ونبيهم ﷺ، وذلك من خلال طمس الحقائق وتغيبها، وتحريف الكلم عن مواضعه، فقد كانوا يصوبون سهام حقدهم صوب نبوة الإسلام عموماً، والقرآن الكريم على وجه الخصوص، وكل ما يتعلق به من جهة مصدره ووحيه وتفسيره وجمعه وتدوينه وغير ذلك، بغية الوصول إلى شيء يوهن من قوته وعظمته، ويقلل من هيبته ومكانته في نفوس المسلمين؛ لذا نجد أن منهجهم في دراسة سيرة النبي الأعظم ﷺ قائمٌ بالأساس على الموروث الروائي غير الصحيح، بل المدسوس في كتب المسلمين من طريق وهب بن منبه وكعب الأحبار وعبد الله بن سلّام وغيرهم. فنجد هؤلاء المستشرقين يشككون بسماويّة القرآن الكريم بشتى السبل، ليصلوا إلى إثبات مصدر للقرآن من خارج وحي السماء. فجاءوا بعدة بتفسيرات سقيمة لا تمتُ إلى الحقيقة بشيء، سوى الأوهام والخيالات التي تفتقر إلى الدليل القاطع، فتارة يفسرون الوحي بكونه نتاج الضمير والشعور الباطني، وأخرى يُرجعونه إلى العبقرية والنبوغ، وثالثة أن الاسلام مقتبسٌ من كتب العهدَيْن الإنجيل والتوراة. وحيث إنهم لم يجدوا الدليل من القرآن الكريم لجؤوا إلى بعض المصادر الروائية التي تحتوي الكثير ممّا يحتاجونه في هذا الشأن، إذ قدَّموا بعض الشواهد على ذلك. ومن بينها: قصة ورقة بن نوفل.

والبحث منصبٌ على دراسة روايات بدء البعثة، وكيفية نزول الوحي، وهي روايات اتكأ عليها المستشرقون كثيراً ليتهموا النبي الأعظم ﷺ بعدة اتهامات ما أنزل الله بها من سلطان. ونقد المنهج الذي اعتمده المستشرقون في دراسة السيرة النبوية العطرة، وبيان وهنه وضعفه وعدم حياديته.

Summary:

The orientalists launch from multi goals and objectives forward to untie the spiritual and node between Muslims and their prophet (peace be upon him and his household).

That is through obliterate and hiding truths.,and distortion of speech from its positions.

They were pointing their arrows of hate towards the Islamic prophethood generally. And the Holy Quran specially and everything related to its source, inspiration, interpretation, collection, notation,etc.

in order to attenuate its power and greatness and reduce its grandeur and position in the souls and hearts of Muslims. So we find that their approach of studying the prophet's biography (peace be upon him and his household) depends on the incorrect fictional legacy, indeed its the trucked in the Islamic books by Wahib bin MInbh, kaab Alahbar and Abdullah bin slam and others.

We found these orientalists doubt the divine of the holy Quran through different uses.

To prove that the source of Quran out of the heaven inspiration.

They brought multi sick interpretations don't belong to the truth, just illusions and and imaginations which lost evidence.

Once they interpret the revelation as a result of conscience and subconscious feeling.

Second, they belong it to genius and ingenuity.

Thirdly, that the Islam is quoted from bible and Torah.

Because they didn't find the evidence from the Holy Quran they used narrative books which included most of what they need concerning this matter and they introduced some evidences on that matter including the story of warqa bin nofel.

The research is about the novels of mission beginning and the

deciding revelation. It is novels used by the orientalists highly to accuse the prophet with some unreal accusations.

It criticises the orientalists' approach of studying the prophet's biography, and shed lights on its weakness and biases.

المقدمة

حظيت سيرة النبي الأعظم ﷺ باهتمام الدارسين والمستشرقين منذ وقت مبكر، وقد ترجموا سيرة ابن هشام وغيرها من كتب السير والمغازي، فدرسوها وتدارسوها، وكتبوا عنها، ومن أشهر من صنف في ذلك: (جولدتسيهر)[١]، و (مونتجمري وات)[٢]، و (جوستاف لوبون)[٣]، و (ستانلي بول)[٤]، وغيرهم، ولغزارة ما كتبه المستشرقون وأهمية ما طرحوه في تشكيل الوعي الغربي بشأن نبي الإسلام ﷺ، سيكون الكلام حول منهجهم في التعامل مع أخبار السيرة النبوية في كتب المسلمين، وسيكون التركيز - نوعاً ما - على كتابات المستشرق البريطاني (مونتجمري وات).

إن التعرف إلى مناهج المستشرقين في دراستهم للسيرة النبوية يُعد من القضايا المهمة والمقدمات الرئيسة التي تعطي تصوراً عامّاً عن جهود المستشرقين ومناهجهم في دراسة السيرة النبوية المطهرة، وتُعين على فهم موقفهم منها، وتفسر الكثير من شبهاتهم حولها. من هنا يحسن بنا دراسة (مناهج) المستشرقين قبل الدخول في تفصيلات شبهات المستشرقين وقراءاتهم، كونها تمثل مدخلاً عاماً لموضوع الاستشراق. على الرغم من (أن الأساليب التي تعامل بها هؤلاء المستشرقون مع التاريخ الإسلامي واجهت مشكلات عدة، تبدأ من مشكلة الاصطلاحات إلى تغير المنهجية بسبب تغير البيئات الفكرية، وظهور الاتجاهات الجديدة التي نشأت في العلوم الاجتماعية، مما جعل منهجية الدراسات الغربية وتطبيقاتها على التاريخ الإسلامي تلاقي أنواعاً من الفشل منذ البداية)[٥]. فضلاً عن موقفهم من الإسلام ونبي الإسلام محمد ﷺ المسبق والمؤدلج، فلقد وقفوا موقف الخصم اللدود منهما، وصوبوا سهام حقدهم تجاه النبي

الأعظم ﷺ على وجه التحديد، وتعرضوا للقرآن الكريم وما يتعلق به من جهة مصدره ووحيه وتفسيره وجمعه وتدوينه، وكل ما يمت إليه بصلة بالطعن والتشكيك بوجه خاص، لما يتمتع به القرآن الكريم من مركز ديني وثقافي في الدين الإسلامي، ولما له من القدسية العظيمة في نفوس المسلمين من جهة أخرى[٦]. فسعوا - بحقدهم - للوصول إلى أي شيء يوهن من قوته، ويُقلل من مكانته في نفوس المسلمين، من ذلك؛ التشكيك بسماويّة القرآن الكريم بشتى السُبل وبمختلف الأساليب، فقد تعاملوا مع النصوص القرآنية كما لو كانوا يتعاملون مع أيّ كتابٍ أو نصٍّ بشري آخر. ليصلوا بسعيهم إلى إثبات مصدر للقرآن من خارج وحي السماء، فصاروا يتشبّثون بكلّ وسيلة للوصول إلى مخططاتهم وأهدافهم، فعمدوا إلى اجترار كلمات المشركين المعاصرين لنزول القرآن وشبهاتهم، فأثاروها ولكنْ بثوبٍ جديد ومنمَّق. وبأفكار مبنية على الوهم والخيال، والتحريف وقلب الحقائق.

نذكر على سبيل المثال المستشرق الألماني (هوبرت جريم H. Grimme) الذي ذهب إلى أن النبي محمداً ﷺ لم يكن في بداية أمره يُبشر بدينٍ جديد، ولكنه اقتنع بضرورة إصلاح مجتمعه في مكة الذي يعاني من الفساد، فوضع خطة لمساعدة الفقراء من طريق فرض ضريبة على دخول الأغنياء، ولكنه فهم من أن الحظ لا يواتيه لقبول هذا الحل من قبلهم، كما أنه لم يتخيل خطة لصراع الطبقات على طريقة القرنين - التاسع عشر والعشرين - ومن هنا فقد استخدم فكرة الحساب يوم القيامة وسيلة للضغط على هؤلاء الأغنياء لقبول خطته الرامية إلى الإصلاح الاجتماعي في مجتمعه، ففرض عليهم الزكاة لتطهير أموالهم وأنفسهم[٧].

يصور لنا (جريم) بوضوح أن الدين الإسلامي ما هو إلا نتاج اختراع النبي محمد ﷺ ومن عند نفسه ولا علاقة له بالسماء.

أما المستشرق الإنجليزي (مونتجمرى واتM. WATT) فيذهب بخياله بعيداً عن الحقيقة إلى درجة انكار الوحي الإلهي، وأن مصدر القرآن هو الخيال الخلَّاق و اللاوعي الجماعي وذلك من خلال اتصال النبي ﷺ بورقة بن نوفل الذي يدعَّون أنه أخذ عنه الرسالة الأصلية، وطورها بقدرته التخيلية(٨).

أما النتيجة التي يصل إليها (مكسيم رودنسون) من خلال بحوثه ودراساته فهي: أن الوحي الذي ينزل على الرسول لا يمكن تفسيره بالأمراض النفسية التي قد تنتاب الإنسان، ولا بتدخل الشياطين والأرواح الشريرة التي كان العرب يعزون إليها الكهانة وسجع الكهان، ولكن ما يراه ويسمعه الرسول هو نتيجة وصوله إلى إحدى درجات التصوف التي لم تصل إلى الاتحاد بالله ولكنها تقع بين مرحلة الزهد والتأمل والتعبد وبين مرحلة الاتحاد مع الله والاندماج فيه(٩).

وسعى بعض المستشرقين ليُثبت أن القرآن نفسه يشهد بأنه قد أخذ معلوماته من العهدَيْن التوراة والإنجيل. ولأنهم لم يجدوا الدليل من القرآن لجأوا إلى بعض المصادر الروائية التي تحتوي الكثير ممّا يحتاجونه في هذا الشأن،إذ قدَّموا بعض الشواهد على مُدّعياتهم. ومن بين تلك المرويات (قصة ورقة بن نوفل) التي ستكون مدار الحديث، وهي مرويات اتكأ عليها المستشرقون كثيراً ليتهموا من خلالها النبي الأعظم ﷺ بعدة اتهامات. والكلام في ذلك على عدة محاور:

•المحور الأول: منهج المستشرقين في فهم وكتابة السيرة والتاريخ

أخضع المستشرقون السيرة النبوية لمناهج البحث الغربية المادية ذات التوجه العلماني، ليتسنى لهم التشكيك في السيرة النبوة نفسها، فهم لا يرونها - بحجة الموضوعية - مصدراً تاريخياً صحيحاً، وإنما هي عندهم كالأخبار التي عند العلماء التي تحتاج إلى التحقيق والبحث العلمي الدقيق ليتبين صحيحها من سقيمها. وهذا الأمر وإن كان له وجه من الصحة إلا أن فيه ما يبعث على الريبة وهو ميزانهم في قبول الخبر أو رفضه إنما يكون حسب المعطيات المادية.

لا ريب أن المستشرقين قد تربوا على الثقافة الغربية المتشبعة بروح التفكير المادي، وحين درسوا السيرة النبوية وتاريخ الإسلام، تأثروا بهذه النزعة العقلية المادية، فضلاً عن انحرافهم عن الموضوعية ومنهج البحث العلمي، ومن المؤكد أن هذا الأمر لا يمكن أن يأتي بنتائج صحيحة حول تاريخ الأنبياء والرسالات الإلهية، فلو نظرنا في آرائهم - قديماً وحديثاً - التي أتوا بها، لا نجد إلا خلطاً وخبطاً، فمعظم المستشرقين ينكرون نبوة نبينا الأعظم محمد ﷺ، وكونه تلقى رسالة اللهَّ تعالى من طريق الوحي.

وإنكارهم هذا يُعد تعنتاً ومكابرة مبعثها التعصب الديني والأغراض التبشيرية الاستعمارية. وقادتهم نزعتهم المادية إلى إنكار كون القرآن مُنزلاً من عند اللهَّ تعالى، وكذلك ينكرون كون الإسلام دين اللهَّ تعالى، بل يزعمون أنه من وضع النبي محمد ﷺ، وأنه مُلفّق من الديانتين اليهودية والمسيحية، وربما من الوثنية العربية الجاهلية.

ومثال ذلك ما نجده في منهج المستشرق البريطاني (مونتجمري وات) عند دراسته للسيرة النبوية في كتابيه (محمد في مكة) و (محمد في المدينة) وما

قدمه خلالها من رؤية تفتقر إلى الانصاف والموضوعية. فمن معالم منهجه:

أولاً: منهج التأثير والتأثر: ويُعد هذا المنهج (من أكثر المناهج شيوعاً في مجال الاستشراق الإسرائيلي خاصة والاستشراق بشكل عام، لدرجة اعتبر فيها عدد من الباحثين أن كل الكتابات الاستشراقية محكومة بهذا المنهج)[١٠]. والذي يعني أن الإسلام قد تأثر بالديانات السماوية في الجزيرة العربية، وقد حدث ذلك عبر (ورقة ابن نوفل) و (بحيرا الراهب) اليهودي، وهذا التأثر يبدو جلياً - حسب زعمه - في توجه المسلمين في صلاتهم نحو القدس، وصيام عاشوراء، وصلاة الجمعة، وتحليل طعام أهل الكتاب، وهذا التأثر يحمل على الاعتقاد أن الإسلام ليس إلا مزيجاً ملفقاً من الديانتين اليهودية والمسيحية، وأن (الرسول قد صاغه على شاكلة الدين الأقدم)[١١].

يقول (مونتجمري وات): (كانت خديجة ابنة عم رجل يُدعى ورقة بن نوفل بن أسد وهو رجلٌ متدين اعتنق أخيراً المسيحية، ولا شك أن خديجة قد وقعت تحت تأثيره، ويمكن أن يكون محمد قد أخذ شيئاً من حماسته وآرائه)[١٢].

نلاحظ (مونتجيري وات) يؤكد أن النبي ﷺ قد وقع تحت تأثير النصرانية وفي الوقت الذي سبقته خديجة إلى ذلك، كما يشير إلى العلاقة الوثيقة التي جعلته بتأثر بأفكار ورقة حتى بدت في تعاليم محمد ﷺ فيما بعد، بقوله: (من الأفضل الافتراض أن محمداً كان قد عقد صِلاة مستمرة مع ورقة منذ وقت مبكر وتعلم أشياء كثيرة، وقد تأثرت التعاليم الإسلامية اللاحقة كثيراً بأفكار ورقة)[١٣]. وهذه المنهجية تُفرغ الإسلام من إبداعه وذاتيته، بحيث تحيلها إلى مصادر خارجية[١٤].

ثانياً: التأويل المادي للوحي والمعجزات: وهي معلم آخر من معالم المنهج الاستشراقي لدى (مونتجمري وات) ويشاركه فيه عدد لا بأس فيه من المستشرقين، فهو يعلق على رواية (شق الصدر)[١٥]، بقوله: (إن هناك العديد من القصص ذات الطابع الديني يكاد يكون من المتيقن بأنها ليست حقيقة من وجهة نظر المؤرخ العلماني)[١٦].

أما نبوته ﷺ فهي - بنظرهم - ليست حقيقة واقعية وإنما هي محض تخيَّل من الرسول، إذ هناك ما يؤكد من الناحية التاريخية نزول جبريل بالوحي عليه، ويؤكد هذا الإنكار للنبوة والوحي، بقوله: (إن القول بأن محمداً كان صادقاً - في ادعائه النبوة- لا يعني أن القرآن وحي وأنه من صنع الله، إذ يمكن أن نعتقد بدون تناقض أن محمداً كان يعتقد أن القرآن ينزل عليه من الله، وأن نؤمن في ذات الوقت أنه كان مخطئا)[١٧]، وهو يرجع مصدر الوحي المحمدي إلى (اللاوعي الجماعي) الذي هو مصدر كل وحي ديني سواء كان الإسلام أم المسيحية أم اليهودية، وهو يختم رأيه في مسألة النبوة بالقول إن النبي ﷺ: (رجل تجسَّد فيه التخيّل الخلاق حتى الأعماق فاستطاع أن ينتج أفكاراً وثيقة الصلة بقضية الوجود الإنساني)[١٨].

ثالثاً: التفسير الاقتصادي (المادي) للغزوات والفتوحات: يذكر (مونتجمري وات) أن مؤرخ القرن العشرين ينبغي أن يسأل أسئلة كثيرة عن الجذور الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للحركة التي بدأها محمد ﷺ من غير أن يتجاهل جوانبها الأيديولوجية، وهو يفسر حركة الفتوح الإسلامية انطلاقاً من العامل الاقتصادي، ويذهب أنها جاءت رد فعل على المشكل الاقتصادي الذي ظهر في عهد النبوة والمتمثل في زيادة السكان بفعل توقف الحروب القبلية، فكان هناك

ضرورة للبحث عن متنفس للطاقة يستطيع في الوقت نفسه أن يحقق موارد مالية، وبفعل هذا اندفع المسلمون منذ العهد النبوي في حركة فتوح خارجية لتأمين الرفاهية الاقتصادية[١٩].

فملامح (المنهج الإسقاطي) على الوقائع التاريخية القديمة، اعتماداً على خبرة المستشرق ومشاعره الخاصة، وما يعرفه من واقع حياته ومجتمعه، أمرٌ ملحوظ، بحيث لا يرى الباحث إلا صورته الذهنية دون غيرها من الصور الفكرية التي ربما تخالف ما يذهب إليه، وهنا يحاول جاهداً إخضاع جميع الصور إلى ما ارتضاه لنفسه ولو جانَبَ الموضوعية.

فـ (وات) أسقط الرؤية العقلية المعاصرة حول تدرج الأديان، فتحدث عن تدرج الدين الإسلامي، فأقدم الآيات القرآنية ـ في نظره ـ لا تحتوي على أي هجوم على الوثنية، بل كانت تؤكد وجود توحيد غامض، ثم أخذ الإلحاح يشتد على وجود إله واحد مع شدة النقد لعبادة الأصنام، وأما عن تحنث النبي ﷺ في غار حراء، فيفسر على أنه ليس إلا فراراً من حر الصيف، وأن محمداً ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة؛ لأنه عمل بالتجارة، والتاجر لا بد أن يدقق حساباته ويراجعها، وذلك لا يكون إلا بمعرفتها[٢٠].

•المحور الثاني: نموذج من روايات المبعث النبوي التي اتكأ عليها المستشرقون

تتجلى شخصية (ورقة بن نوفل) في كتب التاريخ والحديث والسيرة كثيراً، بعد اقترانها بأخبار بدء الوحي، وحضور اسم (ورقة بن نوفل) البارز في روايات (المبعث النبوي الشريف) فإن ذلك أعطى دافعاً

للمستشرقين لتوظيف هذه الروايات لمصالحهم بشأن الطعن بوحيانية القرآن الكريم، وكون القرآن الكريم مأخوذاً من كتب العهدين.

يذكر التاريخ أنه بعد أن أعلن النبيّ الأكرم ﷺ عن دعوته، وارتباطه بالسماء من طريق الوحي الإلهي الذي نزل عليه بوصفه نبيا مرسلاً لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ودعا الناس إلى عبادة الله الواحد ونبذ الشرك وعبادة الأوثان، وقف كبار المشركين من سادة قريش في وجه هذه الدعوة المباركة، وسخَّروا كلّ لديهم من جهد من أجل إيقافها والحيلولة دونها، فأخذوا يقولون: إن آيات القرآن ما هي إلا أساطير الأوّلين تُتْلى عليه في الليل والنهار؛ ووصفوها تارةً أخرى بأنها أشعارٌ وسحر وما إلى ذلك. وعلى الرغم من جميع ذلك واصل القرآن إشعاعه، ليضيء القلوب، ويجتذب إليه أرواح الواهين.

لقد عمد هؤلاء إلى تأطير تُهَم المشركين القديمة ضد النبي ﷺ ومسألة الوحي بأطر جديدة، وأضفَوْا على كلمات الجاهليين صبغةً علمية حديثة. وهكذا قاموا ـ على حدِّ زعمهم ـ بتضييق الخناق على المؤمنين مدة من الزمن. فقد اعتمدوا – على سبيل المثال – على ما جاء في الدر المنثور للسيوطي، فقد أخرج عن عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وابن جرير وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه والبيهقي من طريق ابن شهاب عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين، أنها قالت: أول ما بدأ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو (التعبد في الليالي ذوات العدد) قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى

خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ قال: قلت: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم**﴾ الآية.

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: كلا ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأً قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة: يا بن عم اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى! يا ليتني أكون فيها جذعا يا ليتني أكون فيها حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي[٢١].

ونقل ابن هشام في السيرة النبوية عن النبي ﷺ أنّه قال :«فخرجت حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول :يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبرئيل، قال: فوقفت أنظر إليه، فما أتقدّم وما أتأخّر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، قال: فلا أنظر في ناحية منها إلاّ رأيته كذلك، فما زلت واقفاً، ما أتقدّم أمامي، وما أرجع ورائي، حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا على مكّة ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عنّي و انصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفاً إليها، فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فو الله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكّة و رجعوا إليّ، ثمّ حدّثتها بالذي رأيت، فقالت: ابشر يا ابن عمّ واثبت، فو الذي نفس خديجة بيده إنّي لأرجو أن تكون نبيّ هذه الأُمّة»[٢٢].

ثمّ يذكر المؤرخون خبر انطلاق خديجة إلى ورقة بن نوفل، وما أجابها به ورقة في النص نفسه الذي ذكره البخاري ثمّ يذكر لقاء النبي ورقة بن نوفل، وهو يطوف بالكعبة، فسأله ورقة بما رأى و سمع، فأخبره النبيّ ﷺ، فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنّك لنبيّ هذه الأُمّة.

ثمّ عقبه بذكر ما قامت به خديجة من امتحان صدق نبوءته فذكر:«أنّها قالت لرسول الله: أي ابن عمّ، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم. قالت: فإذا جاءك فاخبرني به، فجاءه جبرئيل عليه السلام كما كان يأتيه، فقال رسول الله ﷺ لخديجة: يا خديجة هذا جبرئيل قد جاءني؛ فقالت: قم يا بن عمّ فاجلس على فخذي اليسرى، فتحول رسول الله ﷺ فجلس عليها، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحوّل فاجلس على فخذي اليمنى، فتحول رسول الله ﷺ فجلس

عليها، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحوّل واجلس في حجري، فتحوّل فجلس في حجرها، قالت هل تراه، قال: نعم، فتحسّرت، فألقت خمارها ورسول الله جالس في حجرها، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: لا. قالت: يا ابن عم اثبت وابشر، فو الله إنه لملك وما هو بشيطان»[٢٣].

وقال الطبري ـ بعد ما ذكر نزول جبرئيل إليه و تعليم آيات من سورة العلق ـ ثمّ دخلت على خديجة وقلت: زمّلوني زمّلوني حتى ذهب عنّي الروع، ثمّ أتاني وقال: يا محمد، أنت رسول الله.

قال: لقد هممت أن أطرح نفسي من حالق من جبل فتبدّى لي حين هممت بذلك، فقال : يا محمد، أنا جبرئيل وأنت رسول الله، ثمّ قال: اقرأ، قلت: ما اقرأ؟ قال : فأخذني فغطني ثلاث مرات حتّى بلغ منّي الجهد ثمّ قال : اقرأ باسم ربّك الذي خلق، فقرأت فأتيت خديجة، فقلت: لقد أشفقت على نفسي، فأخبرتها خبري فقالت: ابشر فو الله لا يخزيك الله أبداً، و والله إنّك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدّي الأمانة، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحقّ، ثمّ انطلقت بي إلى ورقة بن نوفل بن أسد، فقالت: اسمع من ابن أخيك، فسألني فأخبرته خبري، فقال: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى بن عمران ....

وفيه أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وأبو نعيم في الدلائل عن عبد الله بن شداد قال: أتى جبريل محمدا ﷺ فقال: يا محمد اقرأ. قال: وما اقرأ فضمه ثم قال: يا محمد اقرأ. قال: وما اقرأ. قال: اقرأ باسم ربك الذي خلق. حتى بلغ (ما لم يعلم) .

فجاء إلى خديجة فقال: يا خديجة ما أراه إلا قد عرض لي قالت: كلا والله ما كان ربك يفعل ذلك بك وما أتيت فاحشة قط فأتت خديجة ورقة

فأخبرته الخبر قال: لئن كنت صادقة إن زوجك لنبي وليلقين من أمته شدة ولئن أدركته لأؤمنن به.

قال: ثم أبطأ عليه جبريل فقالت خديجة: ما أرى ربك إلا قد قلاك فأنزل الله ﴿**والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى**﴾[٢٤].

مضمون هذه القصّة أن النبي الأكرم ﷺ عندما بُعث بالرسالة لم يكن مشكِّكاً بنزول الوحي والرسالة عليه فحَسْب، بل تصوَّر أنه قد خولط في عقله، وأنه أصيب بالجنون! حتّى طمأنه شخصٌ مسيحيّ من أقرباء السيدة خديجة، اسمه ورقة بن نوفل، وبشَّره بالنبوّة، وعندها زال القلق والاضطراب عن رسول الله، وتأكَّد له أنه نبيٌّ.

لقد وظف المستشرقون هذه القصة المنقولة في الكتب المعتبرة عند أهل السنة[٢٥]، بوصفها شاهداً على صحّة آرائهم، من كون القرآن الكريم هو من عند النبي محمد ﷺ الذي تأثر بكتب اليهود والنصارى، وليس بوحي من السماء. وقد جاءوا بآراء عجيبة غريبة تفتقر إلى المنهج العلمي الصحيح والموضوعية.

ومن أولئك (ويل ديورانت) الذي يقول في كتابه قصّة الحضارة: (كان في بلاد العرب كثيرون من المسيحيين، وكان منهم عددٌ قليل في مكة، وكان محمد على صلةٍ وثيقة بواحدٍ منهم على الأقلّ، هو ورقة بن نوفل، ابن عمّ خديجة، الذي كان مطَّلعاً على كتب اليهود والمسيحيين المقدَّسة)[٢٦].

أما (مونتغمري وات) في كتابه «محمد في مكّة» فيقول: «ليس هناك من دليل على رفض القول بأن السيدة خديجة قد عملت على طمأنة محمد ﷺ. بل هناك أدلة على أن محمداً ﷺ في تلك المرحلة كان يفتقر إلى الثقة بالنفس. ويصعب تصوُّر حدوث الاختلاق في هذه القصّة، وإنْ كنا لا

نستبعد إضافة بعض الجزئيّات والتفاصيل على أساس الحَدْس والتصوُّر. كما كان لطمأنة ورقة بن نوفل أهمِّية كبيرة ... وقد كان لورقة مكانة ومنزلة مرموقة؛ بسبب قراءته للإنجيل. وعندما كان محمد ﷺ يتلو آيات القرآن يجب أن يكون مديناً فيها لورقة بن نوفل. من هنا يمكن لنا أن نتصوَّر أن محمداً ﷺ كان في بداية أمره قد أكثر من الاتّصال بورقة بن نوفل، وأنه أخذ منه الكثير من المسائل العامّة، ويحتمل أن تكون الكثير من المفاهيم والتعاليم الإسلامية قد أخذت على نطاقٍ واسع من عقيدة ورقة بن نوفل، ومن بينها ـ على سبيل المثال ـ: علاقة الوحي الذي نزل على محمد بالوحي الذي نزل على الأنبياء السابقين)[٢٧].

ومثله (كِلِت) الذي يقول إن من الممكن أن يكون ورقة قد قص على محمد بعض الروايات النصرانية، وإن ما ورد في إحدى السور (يقصد سورة مريم) عن السنوات الأولى من حياة المسيح عليه السلام ربما أُخذ منها[٢٨].

إن هذا التلاعب بحقيقة الوحي، وبشخصية النبي محمد ﷺ، شكَّل منهجاً وإطاراً فكرياً في أوربا اعتبرها الجميع مسلمات وحقائق. ونتيجة ذلك التشكيك في الثوابت العقدية للدين الإسلامي والتطاول على مقدساته بدعوى النزاهة والموضوعية، من جهة. وتكوين صورة مشوهة عن الإسلام، وعن نبي الإسلام محمد ﷺ. هذه الأمور وغيرها، تتفق وأهدافهم التبشيرية، القائمة على مزيتي الهدم والتشييد[٢٩].

- **المحور الثالث: رؤيتان للتعامل مع القراءات الاستشراقية**

هناك رؤيتان للتعاطي مع القراءات الاستشراقية، وهي:

الرؤية الأولى: هي رؤية الذين آمنوا بصحّة أصل القصة، بالالتفات إلى ذكرها في المصادر المهمّة، بَيْدَ أنهم في الوقت نفسه لا يقبلون بفهم

المستشرقين وقراءتهم، وسوء توظيفهم لها؛ إذ قالوا في الجواب: يكفي في ردّ هذه الشبهة أن النبيّ لم يكن على علاقةٍ وثيقة بورقة بن نوفل، وأنّه إنّما التقاه بعد نزول الوحي، وذلك برفقة السيدة خديجة، وإنّ ورقة بدلاً من تعليم النبيّ شهد له بالصِّدْق، ولم يَرِدْ في أيّ مصدرٍ أنه قد رأى النبيَّ قبل ذلك(٣٠).

ومن الواضح أنّ هذا الجواب لا يمكنه كشف الالتباس عن جميع الأسئلة المنبثقة عن هذه القصة. لما فيها الكثير من الأمور التي من شأنها التقليل من شخصية النبي الأكرم ﷺ والطعن بنبوته.

الرؤية الثانية: وهي التي تنكر أصل هذه القصّة وترفضها من الأساس. يقول الأستاذ معرفة: «إن هذه القصة واحدةٌ من عشرات القصص المختلقة، التي قام بوضعها الحاقدون على الإسلام في القرنين الأوّلين، وكان الوضّاعون ـ الذين ينسبون أنفسهم إلى الإسلام زوراً ـ يعملون من خلال وضع هذا النوع من القصص على إلهاء العامة، ويشوِّشون في الوقت نفسه على الخاصّة، وذلك في محاولةٍ منهم لاجتثاث جذور الإسلام. وفي السنوات الأخيرة بدأ أعداء الإسلام يتّخذون من هذه القصة ونظائرها ـ ومن بينها: قصة الآيات الشيطانية ـ مستمسكاً يستشهدون به على ضعف الأسس الأولى للإسلام؛ إذ كيف يمكن لنبيٍّ ارتقى أعلى ذُرى مدارج الكمال، وكان منذ أمدٍ بعيد يستشعر إرهاصات النبوّة من نفسه، أن لا تكون الحقائق منكشفةً له، في حين أنه كان يتمتَّع بأعلى درجات العقل وأفضلها، على ما ورد في الحديث: «إن الله وجد قلب محمد أفضل القلوب وأوعاها؛ فاختاره لنبوَّته»، فكيف يمكن لمثل هذا الإنسان الكامل أن يستشعر القلق في تلك اللحظة الحسّاسة،

ويستولي عليه الشكّ في نفسه، ليرتفع شكّه بعد ذلك بتجربة امرأةٍ وشخصٍ آخر لا يمتلك من المعرفة غير النَّزْر اليسير؛ ليطمئنّ بعدها إلى أنه نبيّ؟! إن هذه القصة، بالإضافة إلى منافاتها لمقام النبوّة الشامخ، تخالف ظواهر الآيات والروايات الصادرة عن أهل البيت»[٣١].

بعد ذلك يستطرد الأستاذ معرفة قائلاً: «بشكلٍ عامّ تصرّ الآيات القرآنية على حقيقة أن الأنبياء منذ بداية نزول الوحي عليهم كانوا يدركون الرسالة بوضوحٍ، ولا يطرأ عليهم الشكّ أبداً. إن مقام المثول في حضرة الله لا يكون فيه موضع للوَهْم أو الخوف. وقد حظي النبيّ موسى عليه السلام برعايةٍ خاصة من قبل الله في بداية بعثته، إذ يقول الله له: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمْ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي**﴾[٣٢]. ثمّ يقول له الله تعالى: ﴿**وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ**﴾، ومن هنا يعاتبه الله بالقول: ﴿**يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**﴾[٣٣].

وهكذا نجد أن العناية الإلهية تتدخَّل بمجرّد عروض الخوف على النبيّ صلى الله عليه وآله، لتخليصه من تلك الحالة، وهذا يشكِّل قانوناً عاماً. وعليه فإن كل مَنْ يرقى إلى هذا المستوى الرفيع، الذي يستحقّ معه أن يكون ظَرْفاً لنزول الوحي، يكون في مأمنٍ من الخوف والفزع، وسوف يشمله الأمن والطمأنينة الإلهية.

ولكي يحصل النبيّ إبراهيم الخليل عليه السلام على هذه الحالة المتقدِّمة من الاطمئنان، ويصل إلى عين اليقين، يكشف الله الحجاب عنه؛ ليرى حقائق عالم الملكوت، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ**

﴿السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ﴾[٣٤].

تثبت هذه الآيات أن الأنبياء يتمتَّعون في محضر الله برؤيةٍ واضحة، ومجرَّدة من أيّ نوع من أنواع الشكّ والريبة، كما تنكشف لهم حقائق ملكوت السماوات والأرض؛ كي يكونوا من الموقنين. فهل كان النبيُّ الأكرم ﷺ مستثنى من هذه القاعدة، ليترك إلى شأنه وشكوكه في تلك اللحظات الحَرِجة والمصيرية، وتستولي عليه الشكوك والظنون، ويعيش حالة الخوف والارتباك؟!

فهل كان مقام النبي الأكرم ﷺ دون مقام النبي موسى وإبراهيم الخليل عليهما السلام؛ كي يمنعه الله من الرعاية التي أَوْلاها لهما؟

فقد رُوي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في وصف رسول الله ﷺ: «ولقد قرن الله به ﷺ من لَدُنْ أنْ كان فطيماً أعظم مَلَكٍ من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره»[٣٥].

وبالإضافة إلى الإشكالات المتقدِّمة، تَرِدُ عدة أمور على القصّة المذكورة، يمكن إيرادها على النحو الآتي:

- **من حيث السند**

إن أول إشكال يرد على هذه الرواية هو «عدم صحة سندها»[٣٦]. فالرواية التي رواها البخاري وكذلك مسلم وغيرهما، جاءت عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة.

أما الزهري فقد كان من أعوان الظالمين، ومن الذين يركنون لهم[٣٧]، وكان عاملاً لبني أمية[٣٨]. ويقول المحقق التستري: إنه كان كاتباً لهشام بن عبد الملك، ومعلماً لأولاده[٣٩]. وعده الثقفي من فقهاء الكوفة الذين خرجوا عن طاعة علي عليه السلام، وكانوا أهل عداوة له وبغض، وخذلوا عنه[٤٠]. وجلس هو وعروة في مسجد المدينة فنالا من علي عليه السلام، فبلغ ذلك السجاد عليه السلام، فجاء حتى وقف عليهما، فقال: أما أنت يا عروة، فإن أبي حاكم أباك، فحكم لأبي على أبيك وأما أنت يا زهري، فلو كنت أنا وأنت بمكة لأريتك كنَّ أبيك. ونحن لا نستطيع أن نثق بأعوان الظلمة، وبمبغضي علي عليه السلام، كيف وقد قال صلى الله عليه وآله: (من سب عليا فقد سبني)؟.

أما عروة بن الزبير. عن عروة قال: أتيت عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقلت له: يا أبا عبد الرحمان، إنا نجلس إلى أئمتنا هؤلاء، فيتكلمون بالكلام، نعلم أن الحق غيره، فنصدقهم، ويقضون بالجور، فنقويهم، ونحسنه لهم، فكيف ترى في ذلك؟ فقال: يا ابن أخي، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نعد هذا النفاق، فلا أدري كيف هو عندكم. فعروة يعتبر أئمة الجور أئمته، وابن عمر يحكم عليه بالنفاق. وعده الإسكافي من التابعين، الذين كانوا يضعون أخبارا قبيحة في علي عليه السلام. وكان يتألف الناس على روايته. وروى عبد الرزاق، عن معمر، قال: كان عند الزهري حديثان عن عروة، عن عائشة في علي عليه السلام، فسألته عنهما يوما، فقال: ما تصنع

بهما وبحديثهما؟ إني لأتهمهما في بني هاشم. وكان عروة إذا ذكر عليا نال منه، ويصيبه الزمع، فيسبه، ويضرب إحدى يديه على الأخرى إلخ. وبعد ذلك كله، فإنه لم يثبت سماع الزهري عنه. ولكن أهل الحديث اتفقوا على ذلك.

أما عائشة: التي حاربت علياً وعادته، والتي يتهمها الزهري بأنها لا تؤمن في بني هاشم، فقد أرسلت هذه الرواية، ولم تبين لنا عمن روتها، فإنهم يقولون: إنها قد ولدت بعد البعثة، وإن كنا نحن نناقش في ذلك[٤١].

- **من حيث المتن**

أولاً: إن النبوة منصب إلهي لا يفيضه الله إلا على من امتلك زخماً هائلاً من القدرات الروحية والقوى النفسية العالية حتى يقوى على معاينة الوحي، ومشاهدة الملائكة، فعندئذ فلا معنى لما ذكره البخاري«لقد خشيت على نفسي» أفيمكن أن ينزل الوحي الإلهي على من لا يفرق بين لقاء الملك، ولقاء الجنّ ومكالمتها حتى يخشى على نفسه الجنون أو الموت.

ثانياً: أن جبرائيل عليه السلام قال له: اقرأ، بدون أن يعرض عليه كتاباً أو صحيفة، فلا يكفي الاعتذار من النبي صلى الله عليه وآله بقوله:«ما أنا بقارئ»[٤٢].

ثالثاً: إن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أكرم على الله (عز وجل) من أن يروعه، والسؤال هنا: لماذا عاقب جبرائيل عليه السلام نبينا وهو يعلم أن النبي صلى الله عليه وآله كان صادقاً؟

يقول السيد العاملي: (فإننا لا نعرف ما هو المبرر لذلك كله؟ وكيف جاز لجبرئيل أن يروع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وان يؤذيه بالعصر والخنق، إلى حد أنه صلى الله عليه وآله يظن أنه الموت، يفعل به ذلك، وهو يراه عاجزا عن القيام بما يأمره به ولا يرحمه، ولا يلين له!!

ولماذا يفعل به ذلك ثلاث مرات، لا أكثر ولا أقل؟!.

ولماذا صدقه في الثالثة، ولا يصدقه في المرة الأولى؟ أو الثانية؟!

وإذا كان النبي ﷺ قد كذب عليه أولا، فكيف بقي أهلا للنبوة؟! وإذا كان قد صدقه فلماذا لم يقتنع جبرئيل بكلامه، وعاد فخنقه حتى ليظن أنه الموت؟!)[٤٣].

ويقول السيد الشهيد محمد الصدر (قدس سره): (لنا أن نتساءل لماذا عاقبه جبرائيل عليه السلام وهو يمثِّل رحمة الله الواسعة. وقد كان صادقاً في كلامه بأنه ليس بقارئ، فهو لا يستحق العقوبة؟)[٤٤].

رابعاً: في الرواية إشارة بل تصريح بكون (خديجة) و (ورقة) كانا أكثر اطمئناناً ويقيناً من رسول الله ﷺ فرسول الله - حسب منطوق الرواية - لم يكن يعلم أنه نبي أو رسول. وأنّ ﷺ َ(قول خديجة لرسول الله ﷺ: كلاّ والله ما يخزيك الله أبداً، تعرب من أنّها كانت أوثق إيماناً بنبوّته من نفس الرسول ﷺ. فهل يمكن التفوّه بذلك، و ما حاجة النبي الأعظم الذي قال تعالى في حقّه : ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**﴾[٤٥]. إلى هذا التسلّي؟

وهل يصحّ ويتعقّل للنبيّ ﷺ أن يشكّ في رسالة نفسه حتى يستفتي زوجته فيزول شكّه بتصديقها؟)[٤٦].

وإلى هذا المعنى يشير السيد الطباطبائي بقوله: (والقصة لا تخلو من شيء وأهون ما فيها من الاشكال شك النبي ﷺ في كون ما شاهده وحياً إلهياً من ملك سماوي ألقى إليه كلام الله وتردده بل ظنه أنه من مس الشياطين بالجنون، وأشكل منه سكون نفسه في كونه نبوة إلى قول رجل

نصراني مترهب وقد قال تعالى: ﴿**قل إني على بينة من ربي**﴾[٤٧] وأي حجة بينة في قول ورقة؟

وقال تعالى: ﴿**قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**﴾ فهل بصيرته ﷺ هي سكون نفسه إلى قول ورقة؟ وبصيرة من اتبعه سكون أنفسهم إلى سكون نفسه إلى ما لا حجة فيه قاطعة؟ وقال تعالى: ﴿**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده**﴾[٤٨]. فهل كان اعتمادهم في نبوتهم على مثل ما تقصه هذه القصة؟

والحق أن وحي النبوة والرسالة يلازم اليقين من النبي والرسول بكونه من الله تعالى على ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام[٤٩].

خامساً: دلّت الأدلة العقلية والآيات القرآنية على أن الأنبياء معصومون مصونون عن الخطأ والاشتباه في تلقي الوحي أولاً، وفي حفظه وضبطه ثانياً، وفي إبلاغه ثالثاً. وأنهم لا يشكون فيما يُلقى في روعهم من أنه رب العالمين.

سادساً: إن أول ما نزل من القرآن الكريم هو (بسم الله الرحمن الرحيم) وليس (اقرأ باسم ربك). وهو ما أشار إليه السيد الشهيد الصدر (قدس سره)[٥٠]، يقول: (إنه من الواضح من الحديث أن (اقرأ باسم ربك الذي خلق) نزلت قبل البسملة، أو بدون البسملة ... وهو غير محتمل. وخاصة ونحن نعتقد في مذهبنا بأن البسملة جزء من هذه السورة، كما هي جزء من كل سورة، غير سورة براءة)[٥١].

فنزول (البسملة) هو سابق على نزول (اقرأ) وهو محل اتفاق الشيعة الإمامية[٥٢]. وقد ورد في ذلك روايات منها ما جاء في عيون أخبار الرضا

عن الحسين بن خالد قال: قال الرضا عليه السلام سمعتُ أبي يحدث عن أبيه عليه السلام إن أول سورة نزلت ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم * اقرأ باسم ربك** ...﴾[٥٣].

وفي تفسير العياشي، عن صفوان الجمال، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما أنزل الله من السماء كتاباً إلا وفاتحته (بسم الله الرحمن الرحيم)، وإنما كان يعرف انقضاء السورة بنزول (بسم الله الرحمن الرحيم) ابتداء للأخرى[٥٤].

وورد في بعض الروايات في فضل البسملة: «إنَّ كل أمر ذي بال لم يذكر فيه اسم الله فهو ابتر»[٥٥].

وقد ذكر العلماء أن للبسملة عدة آثار معنويَّة، منها:

أولاً: إنَّها توجب تكامل النتيجة وصفائها وخلوصها.

ثانياً: إنَّها تنفي عنها النقص والمحدوديَّة والظلمانيَّة. فمثلاً: عند الأكل تنفى بالبسملة أضرار الطعام الماديَّة والروحيَّة- وكذلك عند الابتداء بالسوراًبل بالابتداء بكل عملٍ؛ فإن كل عمل ينبغي أن يتكامل ويندفع سوءه ببسم الله الرحمن الرحيم[٥٦].

لكن نجد بعضهم يعمد إلى تركها، وقد روي عن ابن عباس قال: «استرق الشيطان من الناس أعظم آية من القرآن: (بسم الله الرحمن الرحيم)»[٥٧].

وعن خالد بن مختار، قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «ما لهم قاتلهم الله عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها، وهي بسم الله الرحمن الرحيم»[٥٨].

من هنا نجد أن هذه الرواية لا تخلو من الدس والافتعال، وأنها من وضع أحبار اليهود بهدف النيل من مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وشخصه. يقول المحقق السبحاني: (إنّ ورقة بن نوفل على حدّ تصريح نصّ

الرواية كان بادي بدئه نصرانيّاً بعد ما كان مشركاً، فمقتضى الحال أن يشبّه الرسول الأعظم بالمسيح الذي كان يعتقد بنبوّته، لا بالكليم. أو ليس هذا يعرب عن لعب يد الأحبار في الخفاء في اصطناع هذه الأحاديث ودورهم في تشويش صفاء رسالة الرسول الأعظم بأمثال هذه الأساطير والمهاترات و الخرافات؟)[٥٩].

بل إن (في بعض كتب التفسير والتاريخ كلاما حول حياة الرسول الأكرم ﷺ، في هذه البرهة الزمنية لا تتناسب أبداً مع شخصية النبي الأكرم ﷺ، وتستند حتما إلى أحاديث مختلفة أو إلى إسرائيليات، من ذلك أن النبي ﷺ اغتم كثيرا لدى نزول الوحي عليه أول مرة، وخشي أن يكون إلقاءات شيطانية! ومن ذلك أنه ﷺ هم مرات أن يلقي بنفسه من أعلى الجبل! وأمثال هذه الخزعبلات التي لا تنسجم اطلاقا مع ما ذكرته كتب السيرة حول ما يتمتع به الرسول ﷺ من رجاحة في العقل، وضبط كبير في النفس، وصبر وسعة صدر، وثقة بالدور الكبير الذي ينتظره.

ويبدو أن أعداء الإسلام دسوا هذه الروايات للطعن في الإسلام وللحط من شخصية النبي ﷺ[٦٠]. والإشارة إلى كونه لم يعلم ولم يدر ما الرسالة لولا ارشاد رجل مسيحي له. ومن ثم فإن كل ما جاء به الرسول محمد ﷺ هو مبني على قول رجل نصراني، فنكون بذلك مدينين للنصارى في ديننا.

والصحيح في قضية بدء الوحي هو أن الله عز وجل أوحى إلى نبيه محمد ﷺ وهو في غار حراء، فرجع إلى أهله مستبشراً مسروراً بما أكرمه الله به، مطمئناً إلى المهمة التي أوكلت إليه.

فعن زرارة أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام: كيف لم يخف رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يأتيه من قبل الله: أن يكون مما ينزع به الشيطان؟

فقال: إن الله إذا اتخذ عبداً رسولاً، أنزل عليه السكينة والوقار، فكان الذي يأتيه من قبل الله مثل الذي يراه بعينه(٦١).

وسُئل عليه السلام: كيف علمت الرسل أنها رسل؟ قال: كشف عنه الغطاء(٦٢).

وقال الطبرسي: (إن الله لا يوحي إلى رسوله إلا بالبراهين النيرة، والآيات البينة، الدالة على أن ما يوحى إليه إنما هو من الله تعالى؛ فلا يحتاج إلى شيء سواها، ولا يفزع، ولا يفرق)(٦٣).

من هنا نجد أن الدراسات الاستشراقية للتاريخ الإسلامي قد اعتمدت على بعض المرويات التي من شأنها التقليل من مكانة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وتنسب إليه الخطأ والاشتباه والتردد ونحو ذلك، دون الرجوع إلى الروايات الصحيحة، لذا نجد هذه الدراسات قد تميزت بمميزات جعلتها تبتعد عن الحقائق العلمية، منها:

١- الإفراط في استخدام المنهج المادي التجريبي ومعاييره في بحث كثير من الأحداث والأمور الغيبية. وتفسير الوقائع والأحداث بطريقة غير موضوعية تتناسب مع أهدافهم.

٢- انتقائية الاختيار، فلا يعتمدون منها إلا من المصادر التي تساير أهدافهم وغاياتهم، واستعمالهم طريقة التمويه وبتر الرواية، والأخذ منها ما يفيدهم.

٣- اعتمادهم على المصادر الضعيفة الواهية المنكرة.

٤- إهمال الكثير من الحقائق الأخرى. والطعن وإطلاق الكثير من الأحكام الخطيرة في حق المصطفى ﷺ وشريعته دون أي دليل.

٥- تقصدهم تصيد الآراء الشاذة والروايات الضعيفة المنكرة، وتركهم الآراء المجمع عليها أو الغالبة.

٦- عدم الأمانة في النقل، والتحيز الذي ينم بالحقد والعداء ضد الإسلام. والتركيز على بعض الحوادث وتضخيمها.

هوامش

١) إجناتس جولدتسيهر (١٢٦٦ - ١٣٤٠ هـ/ ١٨٥٠ - ١٩٢١ م): هو مستشرق يهودي مجري عُرف بنقده للإسلام وبجدية كتاباته، ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية، ولقد اشتهر بغزارة إنتاجه عن الإسلام حتى عد من أهم المستشرقين لكثرة إسهامه وتحقيقاته عن الإسلام ورجاله، متأثراً في كل ذلك ربما بيهوديته. وهو أبرز من قام بمحاولة واسعة وشاملة لنسف السيرة النبوية.

٢) وليام مونتغمري وات (١٤ مارس ١٩٠٩ - ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٦): هو مستشرق بريطاني عمل أستاذا للغة العربية والدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي بجامعة إدنبرة في إدنبرة- اسكتلندا. من أشهر كتبه كتاب محمد في مكة (١٩٥٣)، وكتاب محمد في المدينة (١٩٥٦) في جامعة إدنبرة. من زملائه في الدراسة المؤرخ المغربي محمد بن عبود.

٣) غوستاف لوبون (٧ مايو ١٨٤١ - ١٣ ديسمبر ١٩٣١): طبيب ومؤرخ فرنسي. عمل في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا. كتب في علم الآثار وعلم الانثروبولوجيا وعني بالحضارة الشرقية. من أشهر آثاره: حضارة العرب وحضارات الهند و»باريس ١٨٨٤» وهو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية. لم يسر غوستاف لوبون على نهج معظم مؤرخي أوروبا، إذ اعتقد بوجود فضلٍ للحضارة الإسلامية على العالم الغربي.

٤) ستانلي لين بول (١٨ ديسمبر١٨٥٤ - ٢٩ ديسمبر١٩٣١): مستشرق وعالم آثار بريطاني. عمه كان إدوارد وليام لين. ولد في لندنٍ من عام ١٨٧٤ إلى عام ١٨٩٢ عمل في المتحف البريطانيٍ وبعد ذلك اشتغل بالبحث في مصر حول علوم المصريات. من عام ١٨٩٧ حتى عام ١٩٠٤ شغل كرسي الأستاذية للدراسات العربية في جامعة دبلن.

٥) يُنظر: الدراسات العربية الإسلامية ونقدها لمناهج المستشرقين: محمد سعدون المطوري. بحث ضمن مجلة (دراسات استشراقية)، العدد الرابع، ص٢٥٢.

٦) يُنظر: المستشرقون وموقفهم من التراث العربي الإسلامي: (الاستشراق .. أهدافه وآثاره. الدكتور: عبد القاهر العاني. ص٢٢٨.منشورات المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية. الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م.

٧) يُنظر: نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية): تأليف: الدكتور ساسي سالم الحاج. ج١ ص٢٩٩ د. دار المدار الإسلامي. بيرت -لبنان. الطبعة الأولى ٢٠٠٢.

٨) نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية):

تأليف: الدكتور ساسي سالم الحاج. مصدر سابق ج١ ص٢٩٩.

٩) يُنظر: الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم في رؤية إسلامية: إدريس مقبول. ص٤ - ٥. نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية): تأليف: الدكتور ساسي سالم الحاج. مصدر سابق ج١ ص ٣٠٢.

١٠) الجاحظ في الكتابات الاستشراقية الإسرائيلية: احمد البهنسي. مجلة دراسات استشراقية. العدد الرابع، ص٢١٢.

١١) يُنظر: الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء (وات - بروكلمان - فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية. عبد الله محمد الأمين. ص٣٨. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

١٢) دراسات استشراقية: (مجلة فصلية تعنى بالتراث الاستشراقي عرضاً ونقداً). تصدر عن: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية. بحث: (تاريخ القرآن): جميل قاسم. العدد الثامن / ص٢٤.

١٣) دراسات استشراقية: مصدر سابق. العدد الثامن / ص٢٤.

١٤) يُنظر: الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء (وات - بروكلمان - فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية. عبد الله محمد الأمين. ص٣٩. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. الطبعة الأولى ١٤١٧ ه - ١٩٩٧م.

١٥) حادثة (شق صدر) النبي ﷺ رويت في أغلب كتب العامة في الصحاح والسنن وغيرها، ولكن بشكل مضطرب، وهي من الروايات المفتعلة والمختلقة، وإنما وضعت للمساس وللنيل من شخصية النبي الأعظم ﷺ بهدف الطعن في عصمته ﷺ. أنظر: الروايات الموضوعة على شخصية النبي وأهل بيته (دراسة تحليلية): منى جمال كاظم الطفيلي. ص١١٠. تقديم: السيد محمد علي الحلو. طبع برعاية العتبة الحسينية المقدسة. الطبعة الأولى ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠م.

١٦) الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء (وات - بروكلمان - فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية. عبد الله محمد الأمين. مصدر سابق. ص٣٩.

١٧) يُنظر: محمد في المدينة: مونتغمري وات. ص ٤٩٥ - ٤٩٦. تحقيق: شعبان بركات. منشورات المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

١٨) يُنظر: الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء (وات - بروكلمان - فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية. عبد الله محمد الأمين. مصدر سابق، ص٣٩.

١٩) يُنظر: الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء (وات - بروكلمان - فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية. عبد الله محمد الأمين. مصدر سابق. ص٤١.

٢٠) من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام (عرض ونقد): عبد المنعم فؤاد. ص٢٠٦. مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٢١) صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري. ج١ ص٧. منشورات: دار ابن كثير. دمشق - بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.

٢٢) السيرة النبوية: ابن هشام الحميري. ج١ ص١٥٦. تحقيق وضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد. منشورات: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده - مصر. تاريخ الطبع ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.

٢٣) السيرة النبوية: ابن هشام الحميري. مصدر سابق. ج١ ص١٥٦.

٢٤) تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): تأليف أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ). ج٢ ص ١٩٢ - ١٩٣ منشورات: دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان.

٢٥) انظر: سيرة ابن هشام ١: ٢٥٢ ـ ٢٥٥؛ صحيح البخاري ١: ٣ ـ ٤؛ صحيح مسلم ١: ٩٧ ـ ٩٩؛ تاريخ الطبري: ٢: ٢٩٨ ـ ٣٠٣؛ تفسير الطبري ٣٠: ١٦١؛ محمد حسين هيكل، حياة محمد: ٩٥ ـ ٩٦؛ الإتقان ١: ٢٤. نقلاً عن: محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن: محمد هادي معرفة. ج١ ص ٨٠. تحقيق: مؤسسة التمهيد. ايران - قم. الطبعة الرابعة ١٣٨٨ هـ - ٢٠٠٩م.

٢٦) قصة الحضارة: ول وايريل ديورانت. ج١٣ ص٢٣. ترجمة: محمد بدران. بيروت - تونس.

٢٧) محمد في مكة: مونتجمري وات. ص ٩٢. تعريب: شعبان بركات. منشورات المكتبة العصرية. صيدا - بيروت.

٢٨) يُنظر: مصدر القرآن (دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي): ابراهيم عوض. ص٥٣.

٢٩) يُنظر: المستشرقون وموقفهم من التراث العربي الإسلامي (الاستشراق أهدافه وآثاره). ص٢١٠.

٣٠) يُنظر: شبهات وردود حول القرآن الكريم: محمد هادي معرفة. مصدر سابق. ص ٢٦.

٣١) محمد هادي معرفة، علوم قرآني: ٣٢.

٣٢) سورة طه، الآيات ١١ ـ ١٤.

٣٣) سورة النمل، الآية ١٠.

٣٤) سورة الأنعام، الآية ٧٥.

٣٥) نهج البلاغة للشريف الرضي: شرح الاستاذ الشيخ محمد عبده. ص٣٠٠. الخطبة

١٩٢ المعروفة بـ (القاصعة). منشورات: دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت لبنان.
٣٦) منة المنان في الدفاع عن القرآن: تأليف آية الله العظمى السيد الشهيد محمد الصدر. ج١ ص ٥٤٥. تحقيق: مؤسسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر. منشورات: دار ومكتبة البصائر. بيروت – لبنان. الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢م.
٣٧) سفينة البحار ج١ ص٥٧٢ و ٥٧٣. ومعجم رجال الحديث ج١٦ ص١٨٢.
٣٨) كشف الغمة ج٢ ص٣١٧.
٣٩) ترجمته في قاموس الرجال ج٦.
٤٠) الغارات للثقفي ج٢ ص٥٥٨ – ٥٦٠. سفينة البحار ج١ ص٥٧٢.
٤١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم: تأليف العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي. ج٣ ص ١٦. المركز الإسلامي للدراسات. بيروت – لبنان. الطبعة السادسة ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م.
٤٢) منة المنان: السيد محمد الصدر. مصدر سابق. ج١ ص ٥٤٥.
٤٣) الصحيح من سيرة النبي الأعظم: السيد جعفر مرتضى العاملي. مصدر سابق. ج٣ ص ١٧ – ١٨.
٤٤) منة المنان في الدفاع عن القرآن: السيد محمد الصدر. مصدر سابق. ج١ ص ٥٤٥.
٤٥) سورة النساء، الآية ١١٣.
٤٦) مفاهيم القرآن: تأليف الفقيه المحقق آية الله الشيخ جعفر السبحاني. ج٧ ص ١١٤. منشورات: مؤسسة الأمام الصادق عليه السلام. ايران – قم. الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ – ١٣٨٤ هـ – ش.
٤٧) سورة الانعام، الآية ٥٧.
٤٨) سورة النساء، الآية ١٦٣.
٤٩) الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي. ج٢٠ ص ٣٧٦ – ٣٧٧. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت – لبنان. الطبعة الأولى المحققة. ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.
٥٠) منة المنان في الدفاع عن القرآن: السيد محمد الصدر. مصدر سابق. ج١ ص٥٤٥.
٥١) خطب الجمعة لشهيد صلاة الجمعة: آية الله السيد الشهيد محمد الصدر (قدس سره). ص٤٤٨ الجمعة ٣٢ الخطبة الأولى. هيئة تراث السيد الشهيد الصدر منشورات: دار ومطبعة البصائر. بيروت – لبنان. الطبعة الأولى ٢٠١٣م – ١٤٣٤ هـ.
٥٢) البيان في تفسير القرآن: للمفسر الكبير آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي. ص٤٤٠. مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي. ايران – قم.

٥٣) عيون أخبار الرضا: للشيخ الأقدم أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بـ (الصدوق). منشورات: دار المرتضى. بيروت – لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

٥٤) تفسير العياشي: تأليف المحدث الجليل أبي النصر محمد بن مسعود أبن عياش السلمي السمرقندي المعروف بـ (العياشي). ج١ ص٣٣ ح٥. تصحيح وتعليق: الفاضل المتتبع العلامة السيد هاشم الرسولي المحلاتي. منشورات: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت – لبنان. الطبعة الثانية ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م.

٥٥) السنن الكبرى للنسائي: ج٦ ص ١٢٧. سنن ابن ماجة ج١ ص ٦١٠.

٥٦) ينظر: منة المنان في الدفاع عن القرآن: السيد محمد الصدر. مصدر سابق. ج١ ص ٦٩.

٥٧) الاتقان في علوم القرآن: ج١ ص ٢٣٦.

٥٨) تفسير العياشي: مصدر سابق. ج١ ص ٣٦ ح١٦.

٥٩) مفاهيم القرآن: الشيخ جعفر السبحاني. مصدر سابق. ج٧ ص ١١٥.

٦٠) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: تأليف العلامة الفقيه المفسر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي. منشورات دار إحياء التراث العربي. بيروت – لبنان. الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

٦١) تفسير العياشي: مصدر سابق. ج٢ ص٢٠١.

٦٢) التمهيد في علوم القرآن: العلامة محمد هادي معرفة. ج١ ص٥٠. منشورات: دار التعارف للمطبوعات. بيروت – لبنان. ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١م.

٦٣) مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي. مصدر سابق. ج١٠ ص ٣٨٤.

- **المصادر والمراجع**

* الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. منشورات: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
* الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: تأليف العلامة الفقيه المفسر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي. منشورات دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان. الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
* الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء (وات - بروكلمان - فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية. عبد الله محمد الأمين. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
* البيان في تفسير القرآن: للمفسر الكبير آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي. ص٤٤٠. مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي. ايران - قم.
* تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ). منشورات: دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان.
* تفسير العياشي: المحدث الجليل أبي النصر محمد بن مسعود أبن عياش السلمي السمرقندي المعروف بـ (العياشي). تصحيح وتعليق: الفاضل المتتبع العلامة السيد هاشم الرسولي المحلاتي. منشورات: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت - لبنان. الطبعة الثانية ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م.
* التمهيد في علوم القرآن: محمد هادي معرفة. تحقيق: مؤسسة التمهيد. ايران - قم. الطبعة الرابعة ١٣٨٨ هـ - ٢٠٠٩م.
* حياة محمد: محمد حسين هيكل. منشورات: دار المعارف. القاهرة. الطبعة الرابعة عشر.
* خطب الجمعة لشهيد صلاة الجمعة: آية الله السيد الشهيد محمد الصدر (قدس سره). هيئة تراث السيد الشهيد الصدر منشورات: دار ومطبعة البصائر. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ٢٠١٣م - ١٤٣٤ هـ.
* الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم في رؤية إسلامية: إدريس مقبول.
* دراسات استشراقية: (مجلة فصلية تعنى بالتراث الاستشراقي عرضاً ونقداً). تصدر عن: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية. بحث: (تاريخ القرآن): جميل قاسم. العدد الثامن.
* سنن ابن ماجه: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
* السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي أشرف عليه:

شعيب الأرناؤوط قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
* السيرة النبوية: ابن هشام الحميري. تحقيق وضبط وتعليق: محمد محي الدين عبد الحميد. منشورات: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده - مصر. تاريخ الطبع ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.
* شبهات وردود حول القرآن الكريم: محمد هادي معرفة. تحقيق: مؤسسة التمهيد - قم المقدسة. منشورات ذوي القربى. قم المقدسة. الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.
* الصحيح من سيرة النبي الأعظم: تأليف العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي. المركز الإسلامي للدراسات. بيروت - لبنان. الطبعة السادسة ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م.
* صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري. منشورات: دار ابن كثير. دمشق - بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.
* صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
* عيون أخبار الرضا: للشيخ الأقدم أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بـ (الصدوق). منشورات: دار المرتضى. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.
* قصة الحضارة: ول وايريل ديورانت. ترجمة: محمد بدران. بيروت - تونس.
* محمد في المدينة: مونتغمري وات. تحقيق: شعبان بركات. منشورات المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.
* محمد في مكة: مونتجمري وات. تعريب: شعبان بركات. منشورات المكتبة العصرية. صيدا - بيروت.
* المستشرقون وموقفهم من التراث العربي الإسلامي: (الاستشراق .. أهدافه وآثاره. الدكتور: عبد القاهر العاني. منشورات المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية. الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م.
* مصدر القرآن (دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي): ابراهيم عوض.
* معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: للسيد أبو القاسم الموسوي الخوئي. الطبعة الخامسة.
* مفاهيم القرآن: تأليف الفقيه المحقق آية الله الشيخ جعفر السبحاني. منشورات: مؤسسة الأمام الصادق عليه السلام. ايران - قم. الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ - ١٣٨٤ هـ - ش.
* منة المنان في الدفاع عن القرآن: تأليف آية الله العظمى السيد الشهيد محمد

الصدر. تحقيق: مؤسسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر. منشورات: دار ومكتبة البصائر. بيروت – لبنان. الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢م.

* الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت – لبنان. الطبعة الأولى المحققة. ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

* نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية): تأليف: الدكتور ساسي سالم الحاج. د. دار المدار الإسلامي. بيرت – لبنان. الطبعة الأولى ٢٠٠٢.

* نهج البلاغة للشريف الرضي: شرح الاستاذ الشيخ محمد عبده. منشورات: دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت لبنان.